كتاب الإيمان

في ضوء القرآن والسنة

الفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
الجيزة - مصر

كتاب
الإيمان

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى عفو ربه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٨-٢٧١-٩٩٧-٩٧٧-٩٧٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

كتاب الإيمان
في ضوء القرآن والسنة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ اَلْحَمْدَ للهَّ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاَللهَّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسَنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدُهُ اَللهُّ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضَلِّلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهْ وَرَسُولُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهُدَى هُدَى محمد ﷺ، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

إن الله جل جلاله هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والنعوت الجميلة ، والأحكام المجيدة ، والشرائع الحكيمة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

الله عز وجل هو الرب العظيم الذي خلق جميع المخلوقات شاهدة بوحدانيته ، ومسبحة بحمده ، وشاهدة بعظمته ، ومتصاغرة لكبريائه ، وذليلة لعزته ، وخاضعة لجبروته ، ومذعنة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومسخرة في طاعته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج : ١٨] .

خلق الله جميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي ، إظهاراً لكمال قدرته ، وتنبيهاً لبريته ، ودليلاً على وحدانيته: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] .

وخلق الله جل جلاله السموات والأرض ، وما فيهن ، وما بينهن ، ليُعرف عباده بعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة جلاله وجماله وكماله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه .

فإذا عرف الناس ربهم آمنوا به ، وأحبته قلوبهم ، وامتلأت قلوبهم بخوفه ورجائه ، وأطاعوه وعبدوه وحده لا شريك له، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق :١٢] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه مخلوقاته وأوامره، هو الرب العظيم ، والإله الكريم ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ

بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام :١٠١- ١٠٣] .

ومن عرف الله حقاً آمن به حقاً ، وعبده حقاً بقلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾

[الأنفال :٢- ٤] .

وأعظم العلوم على الإطلاق ، وأزكاها وأحسنها ، وأعلاها وأوجبها ، هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن ذلك يثمر كمال العبودية لله وحده لا شريك له : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

الإيمان هو باب الدين الأعظم ، والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا وأفلح وفاز في الدنيا والآخرة ، ومن حرم منها شقى وخسر في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١- ٣] .

الإيمان بالله أن نتيقن أن الله وحده هو الرب ، وكل ما سواه مربوب ، وأنه وحده الملك ، وكل ما سواه عبد له، وأنه وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس : ٣] .

الإيمان الصادق أن نتيقن أن الله وحده هو الفعال لما يشاء ، وكل ما سواه مفعول مخلوق ، لا يملك لنفسه ولا لغيره ، نفعاً ولا ضراً ، ولا حياة ولا موتاً : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك : ١] .

الإيمان الصادق أن نعلم ونتيقن أن الله وحده هو الفعال لما يريد لكمال قوته وقدرته:﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾[هود: ١٠٧] .

يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢] .

الإيمان بالله عز وجل أن يتيقن العبد أن الله وحده هو الكبير ، وكل ما سواه صغير ، وأن الله هو القوي ، وكل ما سواه ضعيف ، وأنه هو القادر ، وكل ما سواه عاجز ، وأنه هو الغني ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأن الله هو الرزاق ، وكل ما سواه مرزوق : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾[غافر : ٦٥] .

الإيمان بالله عز وجل أن نتيقن أن الله وحده بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك:١] .

الإيمان بالله جل جلاله أن نعلم ونتيقن أن الله وحده هو الرحمان ، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته ، وأن الله وحده هو الرب ، وكل تربية في العالم فمن آثار تربيته ، وأن الله وحده هو العليم ، وكل علم في العالم فمن آثار علمه ، وأن الله وحده هو المعطي ، وكل عطاء في العالم فمن آثار عطائه : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾[الحجر :٢١] .

الإيمان بالله غذاء القلوب وقوتها، كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها.

الإيمان بالله له طعم ، وله حلاوة ، وله حقيقة .

فمن ذاق طعم الإيمان لزمه ، ولم يتركه أبداً ، ومن ذاق حلاوة الإيمان ، استلذ قلبه بأنواع الطاعات ، وتحمل كل مشقة في فعل الأوامر ، واجتناب المناهي : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات :١٥].

وإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ، ظهر أثر ذلك على قلبه ولسانه وجوارحه.

فاستحلى القلب حب الله وتعظيمه وتكبيره ، وحمده وشكره .

واستحلى اللسان ذكر الله وحمده، وتكبيره وتعظيمه، والدعوة إليه، وتعليم شرعه ، وأسرعت الجوارح إلى عبادته وطاعته .

وإذا وصل العبد إلى حقيقة الإيمان ، فقد وصل إلى أعلى درجات الإيمان التي ينال بها أعظم الثواب، وأرفع الدراجات :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال :٢- ٤] .

الإيمان بالله جسر عظيم يربط المخلوق بالخالق، ويربط بين المؤمن والمؤمنين، ويربط بين المؤمن والملائكة، ويربط بين المؤمن والجن المؤمنين، فلا إله إلا الله هي رابطة الإيمان ، ورابطة التوحيد ، ورابطة التقوى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد :١٩] .

الإيمان هو التصديق بالغيب ، والغيب أركانه ستة وهي :

أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

وأصل أركان الإيمان هو الإيمان بالله ، فمن آمن بالله آمن ببقية أركان الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

والله حكيم عليم أظهر مخلوقاته، وأخفى نفسه ، وأظهر مخلوقاته، وأخفى فعله فيها، وأظهر الدنيا، وأخفى الآخرة، وأظهر سنته، وأخفى قدرته، وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، وأظهر الأبدان ، وأخفى الأرواح والعقول ، وأظهر الهدى ، وأخفى الهوى، وأظهر أعمال الأبدان، وأخفى أعمال القلو ، وأظهر الأصوات والحركات ، وأخفى النيات والإرادات : ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩ ﴾ [القصص :٦٨- ٦٩] .

الإيمان تصديق الغيبيات ، وتكذيب فعل المشاهدات بنفسها .

فالمؤمن حقاً يصدق ما سمعته أذناه من الوحي الإلهي ، ويكذب ما رأته عيناه من فعل المخلوقات ، لأن الفعّال واحد ، وكل ما سواه مفعول لا يفعل إلا بأمر الله له : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢].

فبالبصر نرى المخلوقات تفعل ، وبالبصيرة نرى الخالق بصفات جلاله وجماله وكماله ، هو الذي يفعل وحده : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ

خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام :١٠٢- ١٠٣].

والقلوب محل نظر الله ، وهي مكان الإيمان أو الكفر ، وإناء التوحيد أو الشرك ، والإيمان أعظم ثروة داخلية ، والأعمال الصالحة أعظم ثروة خارجية ، وكلاهما من أعظم نعم الله على العبد : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل : ٥٣].

وشجرة الإيمان أصلها ثابت في قعر القلب ، وفروعها الأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الطيبة :﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[إبراهيم :٢٤- ٢٥].

الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، كما أخبر النبي ﷺ جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره ».متفق عليه[1].

الإيمان تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح .

وأعظم أركان الإيمان ، الإيمان بالله جل جلاله ، والتسليم لأمره ، والرضا بقدره ، والتوكل عليه ، وتفويض الأمور كلها إليه :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، ومسلم برقم(٩).

وأعظم شيء في خزائن الله هو الإيمان بالله ، والهداية إلى الإيمان أعظم نعم الله على عباده : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

والإيمان أحب شيء إلى الله عز وجل، والله لا يعطي ما يحب إلا لمن يحب، ويصرف عنه من لا يحب: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران :٧٣ – ٧٤] .

والإيمان نصفان ، نصف صبر ، ونصف شكر ، واليقين هو الإيمان كله .
قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة :٢- ٥] .

والمؤمن غذاؤه الإيماني يحصل بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والإكثار من ذكر الله ، وتدبر القرآن ، والنظر في الآيات الكونية : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس :١٠١] .

والكافر لما كان قلبه خالياً من الإيمان انصرفت رغبته ونهمته إلى الغذاء البهيمي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد :١٢].

والإيمان لباسه التقوى ، وزينته الحياء ، وتاجه التواضع ، ورأس ماله العفة : ﴿

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة :١٥- ١٧] .

والإيمان هو التصديق، فالمؤمن حقاً هو الذي يصدق كل ما جاء عن الله ورسوله من أخبار وأحكام :﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزمر:٣٣-٣٤] .

والمؤمن هو الرب الذي يؤَمِّن عباده من الخوف ، والمصائب والمكاره:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر :٢٢- ٢٣] .

والإيمان الكامل الذي يريده الله من خلقه، هو الإيمان الذي يقتضي التصديق بكل ما أخبر الله ورسوله به، ويقتضي الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ويقتضي العمل بكل أمر جاء عن الله ورسوله، واجتناب كل أمر نهى الله ورسوله عنه، ويقتضي الصبر على كل طاعة، والصبر عن كل معصية، والصبر على كل مصيبة، ويقتضي الشكر على كل نعمه ، والاستغفار من كل ذنب : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ

وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة :١٧٧] .

والإيمان هو مفتاح أبواب دخول الجنة يوم القيامة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧- ١٠٨].

ومن وقر الإيمان في قلبه، وعمل بموجبه، فقد دخل جنة المعرفة، الموصلة إلى جنة الآخرة : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن :٤٦] .

والمؤمن حقاً أعظم الناس مقاماً ، وأعظمهم ثواباً ، وأرفعهم درجات ، وأسعدهم في الدنيا والآخرة ، لأنه بإيمانه بربه ، وصل من المخلوق إلى الخالق، وتجاوز الصور إلى المصور ، واجتاز الدنيا إلى الآخرة ، وأنتقل من جهد الأموال والأشياء ، إلى جهد الإيمان والأعمال الصالحة ، وتخطي محبوبات النفس ، إلى محبوبات الرب ، وقدم جهود الدين ، على جهود الدنيا، فما أحسن أعمال هؤلاء، وما أعظم ثوابهم عند ربهم: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة : ٧١- ٧٢] .

الإيمان الحقيقي بالله عز وجل

أن تعلم وتتيقن أن الله وحده القادر على كل شيء ، القوي الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء ، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر : ٤] .

هو القوي القادر ، النافذ أمره في ملكه العظيم الكبير خلقًا وتدبيرًا.

باسمه الأعظم أمر السماء فاستقلت، وأمر الأرض فاستقرت ، وأمر الشمس فجرت وأضاءت ، وأمر القمر فأنار وسار ، وأمر البحار فاستقرت، وأمر الأنهار فجرت ، وأمر المياه فسالت ، وأمر الصخور فجمدت ، وأمر العيون فانفجرت ، وأمر الرياح فهبت ، وأمر الأرض فأنبتت ، وأمر الجبال فرست، وأمر النبات فأثمر ، وأمر الحيوان فمشى وتوالد، وأمر الطير فطار، وأمر الليل فأظلم ، وأمر النهار فأنار: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان :١٠- ١١] .

وأمر جل جلاله العين فأبصرت ، وأمر الأذن فسمعت ، وأمر العقل ففكر، وأمر اللسان فتكلم ، وأمر اليد فتحركت ، وأمر الرجل فمشت : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف :٥٤] .

الإيمان أن تعلم وتتيقن أن الله وحده بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء ، الله وحده بيده الخلق والأمر ، وبيده العطاء والمنع ، وبيده النفع والضر ، وبيده الغنى والفقر ، وبيده الأمن والخوف ، وبيده الحياة والموت : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر :٦٥] .

والإيمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، فكلما كثرت الطاعات، وقلت المعاصي، زاد الإيمان، وكلما كثرت المعاصي، وقلت الطاعات، نقص الإيمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد : ١٧].

وكلما زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، زاد الإيمان ، وقوي اليقين ، وحصل الأنس بالله ، وزاد نور الإيمان في القلب ، وزاد حب الطاعات ، وزاد بغض المعاصي، وزاد حب الله ، والخوف منه ، وزادت خشيته ، وزاد حب الآخرة ، وقويت الرغبة في العمل الصالح : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال :٢ – ٤] .

وكلما زاد العلم الإلهي ، زاد نور الإيمان في القلب ، وزال الظلام عنه .

وكلما زاد نور الإيمان في القلب ، قوي توكل العبد على ربه ، وزال من قلبه خوف أولياء الشيطان : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران :١٧٥] .

وإذا أشرق نور الإيمان في القلب ، رأى أن الله وحده هو الكبير وحده ، ورأى كل ما سوى الله صغير ، وامتلأ قلبه بحب الله ، وإجلاله ، وخوفه، ورجائه وحمده ، وتوحيده ، وخشيته : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩] .

وكلما زاد نور الإيمان في قلب العبد، رق قلبه، وحلت فيه الرأفة والرحمة، فتراه رحيماً لطيفاً رفيقاً، يرحم كل أحد، يرحم النملة في جحرها، والطير في وكره، فضلا عن بني جنسه : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح :٢٩] .

وكلما قوي نور الإيمان في قلب المؤمن، تولاه الله برحمته ولطفه وعنايته، ويسره لليسرى ، وجنبه العسرى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة :١٤٣] .

ومن كان مع الله كان الله معه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨] .

والمؤمن عزيز منصور ، يؤيده الله بنصره في كل حال ، ولو اجتمع عليه من بأقطارها ، إذا قام بحقائق الإيمان وواجباته، ظاهراً وباطناً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الحج : ٣٨] .

وإذا قوي الإيمان في القلب ، فلن تزعزعه شبهة ولا شهوة ، وسيواجه الأعاصير القوية ، ويثبت للرياح العاتية ، ثبوت الجبال الراسيات :﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم :٢٧]

ومن أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان .

والإيمان الصادق له علامات تدل عليه ، وأمارات تشير إليه :

منها أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه .

ومنها الاستجابة التامة لأوامر الله ورسوله ، ومنها محبة الطاعات ، وبغض المعاصي ، ومنها الإكثار من ذكر الله ، وتلاوة كتابه .

ومنها الرضا بالقضاء والقدر ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والحب في الله ، والبغض في الله ، والزهد فيما لا ينفع في الآخرة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال :٢ – ٤] .

والله حكيم عليم في خلقه وأمره وشرعه .

ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه ، وما رغب في شيء إلا أثاب عليه ، وما أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه ، وما أخبر عن

شيء إلا كان حقاً وصدقاً وعدلاً : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام :١١٥] .

والعلم الإلهي يثمر الإيمان بالله عز وجل، والخلق في الإيمان أربعة أقسام:

الأول : خلق إيمانهم فطري ، وهم عالم الجماد والنبات والحيوان .

الثاني : خلق إيمانهم ثابت لا يتغير ، وهم الملائكة .

الثالث : خلق إيمانهم يزيد ولا ينقص ، وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

الرابع : خلق إيمانهم يزيد وينقص، وهم المؤمنون من الإنس والجن : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة :١١] .

وكل علم يبلغ به العبد منتهاه ، ولو كان محرماً ، يرد صاحبه إلى الإيمان بالله، كما آمن سحرة فرعون لما رأوا آيات الله : ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء :٤٧- ٤٨] .

وأعظم ثمرات الإيمان بالله عز وجل في الدنيا والآخرة :

حب الله للمؤمن ، ورضاه عنه، والحياة الطيبة في الدنيا، ورؤية ربه يوم القيامة ، وسماع كلامه وسلامه في الجنة ، ودخول الجنة ، والخلود الأبدي فيها ، والنجاة من النار : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة :٧٢] .

وأعلم يا أخي المؤمن أن من هداه الله إلى الإيمان بالله، فقد أراد به خيراً، وجمع له الخير كله بحذافيره، ووقاه من الشر كله بحذافيره، وأسعده في الدنيا والآخرة : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة :٢٥] .

فهنيئاً لمن أكرمه الله بالإيمان ، واصطفاه من بين خلقه ، ليقف بين يدي ربه يومياً، ليوحده، ويكبره، ويحمده، ويسأله، ويستغفره ، ويقدم التحيات له على كمال إحسانه ورحمته بخلقه ، ودوام نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية :٣٦- ٣٧] .

وهنيئاً مريئاً لمن هداه الله إلى سبل رضاه ، ووفقه للعمل بموجب القرآن والسنة ، بفهم سلف الأمة ، ورزقه الاستقامة على الدين ، ونشر الإيمان في العالمين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم :٥٢] .

وحيث أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكاليدين تغسل أحداهما الأخرى، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والدين النصيحة، ونحن مأمورون جميعاً بالتعاون على البر والتقوى ، ونشر الإيمان والتوحيد في العالم :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

ونظراً لانتشار الكفر والشرك والضلال في العالم، وضعف إيمان أكثر المسلمين بربهم، وجهلهم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وما يجب له من العبودية .

لذا رأيت من واجبي مشاركة إخواني في إقامة بنيان الدين، وتنوير الطريق للسالكين، عسى أن يهتدي ضال، ويتعلم جاهل، ويتوب عاص، ويستقيم منحرف، فوفقني الله عز وجل، وشرح صدري ، وأعانني على تحرير هذا الكتاب القيم، الذي سميته:

(كتاب الإيمان في ضوء القرآن والسنة) .

أسأل الله عز وجل أن يجعله سراجاً للعالمين، ومصباحاً للمهتدين، وقرة عين للموحدين، ونهراً صافياً يشرب منه المؤمنون والمؤمنات في العالم .

كما أساله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موافقاً لهدى سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ .

وقد توجت مسائله وأحكامه بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، ونقلتها من أصول كتب الحديث، وخرجتها من مصادرها كصحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي والنسائي، وأبي داود وابن ماجة، ومسند الإمام أحمد وغيرها من كتب السنة .

وقد اجتهدت في التأصيل والتحرير حسب استطاعتي ، واستعنت بمولاي راجياً منه التوفيق والعون والسداد، والله أعلم بمرادي، وما يجري في فؤادي، وما شغل جل أوقاتي: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود :٨٨] .

وفي الختام أسأل الله المولى العفو الكريم أن يغفر لي ولوالدي وأهل بيتي، وجميع المسلمين والمسلمات ، وأن يتجاوز عن كل زلل أو خطاء غير مقصود ، إنه هو الغفور الرحيم

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

[الأعراف :٢٣] .

وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قاله كاتبه ومحرره الفقير إلى ربه ومولاه ،

محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري .

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:

(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢) (٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام)

hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني: Mb_twj@hotmail.com

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب الأول

مبـاحث الإيمان

ويشتمل هذا الباب على المباحث الإيمانية الآتية:

الأول: مراتب دين الإسلام.

الثاني: فقه الإيمان.

الثالث: فضائل الإيمان.

الرابع: درجات الإيمان.

الخامس: عدد أركان الإيمان.

السادس: تفاضل أهل الإيمان.

السابع: حقيقة الإيمان.

الثامن: أقسام الإيمان.

التاسع: شعب الإيمان.

العاشر: كمال الإيمان.

مباحث الإيمان

الأول: مراتب دين الإسلام

دين الإسلام ثلاث مراتب، بعضها أوسع من بعض، وهي :

الإسلام .. والإيمان .. والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بِيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْني عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيهِ سَبِيلاً». قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْني عَنِ الإِيمانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْني عَنِ الإِحْسَانِ؟قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَال: فَأَخْبِرْني عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْني عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ لي: «يَا عُمَرُ أَتدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنكُمْ». أخرجه مسلم[1].

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٨).

● **فقه الإحسان:**

الحكمة التي خلق الله من أجلها السموات والأرض، وخلق من أجلها المخلوقات، وخلق من أجلها الحياة والموت هي: الابتلاء بحُسن العمل ، المبني على كمال التوحيد والإيمان بالله.

والطريق إلى إحسان العمل هو معرفة خالق السموات والأرض بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومراقبة الله في كل عمل، والعلم بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء شهيد، وعلى كل شيء قدير ، والاقتداء بالرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه جل جلاله .

وهذا أعظم واعظ في القرآن يدعو المسلم إلى إحسان العمل لربه، فيؤديه لله بالمحبة والتعظيم كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

فليحسن العبد عمله لله السميع البصير ، الذي يسمعه إن تكلم ، ويراه إن عمل ؛ ليفوز برضاه، وينال أحسن ثوابه، وينجو من عقابه، ومَنْ أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾[هود: ٧].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف:٧].

وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك:٢].

● **مراتب الإحسان:**

الإحسان مرتبتان:

المرتبة الأولى: أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، ورغبة

ومحبة، فهو يطلب مَنْ يحب وهو الله عز وجل، ويقصده ويعبده كأنه يراه، وهذه أعلى المرتبتين .

المرتبة الثانية: إذا لم تعبد الله كأنك تراه وتطلبه، فاعبده كأنه هو الذي يراك عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، متذلل له.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٧].

- **كمال العبودية:**

عبادة الله تعالى مبنية على أمرين:

غاية الحب لله، وغاية التعظيم والذل له، ويحصل ذلك بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه ونعمه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه.

فالحب لله عز وجل يُولِّد الشوق والطلب، والتعظيم والذل له يُولِّد الخوف والهرب، وهذا أصل الإحسان في عبادة الله سبحانه، والله يحب المحسنين ، فكن عبد المحسن ، وعبد الرحمن: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ ﴾ [النساء:١٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان:٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١١٢].

● **أهل التجارة الرابحة:**

في القرآن الكريم تجارتان:

تجارة المؤمنين.. وتجارة المنافقين:

١- فتجارة المؤمنين رابحة، وهي الدين الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة كما قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف:١٠-١٣].

٢- وتجارة المنافقين خاسرة، وهي الكفر الذي يسبب الشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة: ١٤-١٦].

الثاني: فقه الإيمان

الإيمان: هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، وتعمل بمقتضى ذلك.

وهذا أحسن وأكمل تعريف للإيمان.

قال النبي ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان : «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره» أخرجه مسلم[1].

فالإيمان تصديق وتطبيق، قول وعمل. قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢-٤].

والإيمان مركب من أمرين : اعتراف وإقرار .. وقبول وإذعان.

فلا يكفي الاعتراف والإقرار بدون القبول والعمل، بل لابد من التصديق المستلزم للقبول والإذعان، قبول الأخبار، والإذعان للأحكام: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥].

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

ويكمل إيمان العبد بمعرفة أركان الإيمان الستة، والنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، وكلما ازدادت تلك المعارف الالهية قوي الإيمان بالله ﷻ، وزاد تعظيم العبد لربه، وزاد حبه لله، وزاد شكره له وحسن عبادته وخَفَّت عليه الطاعات، وثقلت عليه المعاصي. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر : ٢٨].

والمحبة لله ولرسوله تستلزم وجود محبوباته ومحبتها، والعمل بها، ونشرها. فإذا كان حب المسلم لله، وبغضه لله ،وهما عمل قلبه ، وعطاؤه لله، ومَنْعه لله ، وهما عمل بدنه ،دل ذلك على كمال الإيمان، وكمال محبة الله ﷻ:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس/ ١٠١].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران / ٣١].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال / ٢- ٤].

فالهداية إلى الإيمان أعظم شيء في خزائن الله ﷻ.

والله سبحانه حكيم عليم خلق في كل إنسان ثلاثة أوان عظيمة هي :

آنية الطعام والشراب وهي المعدة .. وآنية المعلومات وهي العقل .. وآنية الإيمانيات وهي القلب.

والإنسان علبة فيها مخلوقان عظيمان هما النفس والروح.

والروح لها محبوبات والنفس لها محبوبات.

فمحبوبات النفس جميع الشهوات، ويجمعها سبع هي:

الأقوال، والمأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والمسكونات، والمركوبات، والمنكوحات:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٤-١٦].

ومحبوبات الروح خمسة هي:

الإيمانيات، والعبادات، والمعاملات الحسنة، والمعاشرات الطيبة، والأخلاق الحسنة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

وأعظم محبوبات الروح خشية الله ﷻ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك: ١٢].

والله ﷻ ملأ الدنيا بمحبوباته هو، من الإيمان والتقوى وسائر الأعمال الصالحة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة: ٣].

وملأ جل جلاله الآخرة بمحبوباتنا نحن من أنواع النعيم واللذات والشهوات التي في الجنة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة : ٢٥].

فمحبوبات الرب ﷻ هي :﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة : ١١٢].

وقال ﷻ عن محبوباته، وعظيم ثوابها :﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب : ٣٥].

أما محبوبات الإنسان في الآخرة فهي:

دخول الجنة، والتلذذ بنعيم الجنة، والخلود في الجنة، ورؤية الرب، ورضوان الرب، والقرب من الرب، وسماع كلام الرب: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة : ٧٢].

وقال الله ﷻ عن المؤمنين : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر : ٥٤ - ٥٥].

وقال ﷻ :﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

[السجدة : ١٧].

اللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداةً مهتدين.

والله سبحانه خلق الأشياء والأحوال للابتلاء: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف : ٧].

والأحوال ظروف، والمظروف المطلوب هو الإيمان والأعمال الصالحة.

فلا يسعد الإنسان ولا يشقى بأمواله وأحواله، وليست رسالة المسلم الترقي بالأحوال، ولا التزين بالأموال والأشياء، لأن الترقي بالإيمان والأعمال الصالحة.

وليست رسالتنا أن نتعلق بالغنى لأن فيه عز، ولا نتخلص من الفقر لأن فيه ذلة، فالله ما أسعد قارون مع ماله، ولا أشقى محمدا ﷺ مع فقره.

بل رسالتنا في الدنيا تثبيت الاستقامة، وتثبيت الأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحقاف : ١٣].

فليست رسالتنا في الحياة الترقي بالأموال والأشياء والأحوال، بل رسالتنا الترقي بالإيمان والاستقامة وتثبيت ذلك حتى نلقى الله بذلك:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت : ٣٠ - ٣٢].

ومن سنة الله في الدنيا عدم ثبات الأحوال، فليل ونهار، وغنى وفقر، وعافية ومرض.

والله حكيم خبير يقلب الأحوال على العبد كما يقلب الليل والنهار على الأرض، فأمن بعد خوف، وقبض بعد بسط، وفقر بعد غنى، ومرض بعد العافية، وذلة بعد عزة: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[النور : ٤٤].

فالغنى والعافية والشفاء حاجاتنا، والهداية إلى الإيمان مقصد حياتنا.

وسنة الله في الدنيا ثبات الأحوال محال.

والسنة الثانية الترقي بالأموال والأحوال محال.

والسنة الثالثة الترقي فقط في الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾: [الواقعة : ١٠ - ١٢].

والله ﷻ حكيم في خلقه وأمره وشرعه، خلق الأحوال في الدنيا للابتلاء، فقر بعد غنى، وصحة بعد مرض، وخوف بعد أمن، ليزيد الإيمان في القلب، وتعظم الأجور للعبد، ويتعبد المؤمن لربه بعبادة الشكر والصبر.

وخلق الله الأحوال في الآخرة، لتثبت في يوم القيامة للمؤمنين حياة بلا موت، ونعيم بلا بؤس، وشباب بلا هرم، وأمن بلا خوف وغنى بلا فقر، وعزة بلا ذلة.

فالله ﷻ خلق الأشياء وقلب الأحوال في الدنيا على العباد للابتلاء، وتحصيل أعظم الأجور.

وثبات أحوال الدنيا محال، لأنها دار الابتلاء، وإنما تثبت الأحوال في الآخرة إما في نعيم أو في عذاب :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد : ١٢].

ومن أراد الترقي في دينه فليلزم بيئة الإيمان والأعمال الصالحة، ويستكثر منها، ويهرب من بيئة الكفر والمعاصي، والأموال والأشياء: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف : ٢٨].

وفي بيئة الإيمان والأعمال الصالحة يكرمنا الله ﷻ بخمس كرامات عظيمة: فنتعلم الدين، ونعمل بالدين، ونثبت على الدين، ونترقى في الدين، وننشر الدين.

وقد دعانا الله ﷻ إلى ذلك بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[التوبة : ١١٩].

وأعمال الدين كلها جواهر عظيمة، وبجهد الحق تكون خليفة الحق في الأمة، وبجهد الباطل تكون خليفة الشيطان في الأمة :﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾[آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥].

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾[الأعراف : ١٧٩].

إن من أعظم نعم الله على عباده هي الهداية إلى الإيمان، والفقه في الدين: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [الحجرات:١٧] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه[1].

إن خطاب العقول يكون في المسائل والأحكام، وخطاب القلوب يكون في التوحيد والإيمان. وخطاب القلوب قبل خطاب العقول: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩].

فإذا عرفت القلوب ربها بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، آمنت به ووحدته، وكبرته وعظمته، وأحبته ومجدته، وحمدته وشكرته، وأطاعته وامتثلت أوامره، وانقادت معها جميع الجوارح بعبادة الله وطاعته بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة : ١٥ – ١٧].

وثمرة الإيمان إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج : ٧٧].

فالهداية إلى الإيمان أعظم شيء في خزائن الله، وهي أعظم نعم الله على خلقه، وبها أرسل الله رسله إلى أهل الأرض: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

وللحصول على الهداية، لا بد للعبد من ثلاثة أمور :

الأول : دعاء الهداية وتكراره كما في كل ركعة من الصلوات الخمس، وفي كل صلاة نفل، كما قال سبحانه :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة : ٢-٧].

الثاني : جهد الهداية، وذلك بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية، والدعوة إلى الله، والإكثار من ذكر الله، وأنواع الطاعات والقربات:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾[يونس/ ١٠١] .

وقال ﷻ :﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ ﴾[ق : ٦-٨].

وقال ﷻ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ ﴾[الأحزاب : ٤١ -٤٣].

فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، ومن ذكر الله أحبه، وسارع إلى عبادته ومرضاته، قال ﷻ :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾[العنكبوت : ٦٩].

فمن اجتهد على نفسه بالاستقامة، واجتهد على غيره بالدعوة، هداه الله سبل رضاه .

الثالث : لزوم بيئة الهداية، والانقطاع عن جو الغفلة والمعاصي، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة : ١١٩].

وقال ﷻ :﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف : ٢٨].

وكلما زاد العلم بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، قوي الإيمان في القلب، وزادت الأعمال الصالحة، وقلت الأعمال السيئة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩].

وكلما ضعف الإيمان في القلب قويت شهوات النفس، فقلَّتْ الطاعات، وزادت المعاصي وانفجر بحر الشهوات على العبد: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم : ٥٩].

الثالث: فضائل الإيمـــان

قال الله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد : ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة : ٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد : ٢٨ – ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف : ١٠٧ – ١٠٨].

وقال الله تعالى :﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل : ٩٧].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام : ٨٢].

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة : ١٥ – ١٧].

وغير ذلك من الآيات التي ذكرها الله في كتابه العظيم .

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسولَ اللهَّ ﷺ سُئِلَ : أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ فَقالَ: «إيمَانٌ باللهَّ ورَسولِهِ». قيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : «الجِهَادُ في سَبيلِ اللهَّ» قيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ : «حَجٌّ مَبْرُورٌ». متفق عليه(١).

وعن عثمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّة » أخرجه مسلم(٢).

فالفلاح والعزة والأمن والسعادة والطمأنينة بالإيمان والأعمال الصالحة فقط، لا بالأموال والأشياء، ولا بالجاه والرئاسة، فالذي يؤمن بالله، ويمتثل أوامر الله، على هدي رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يرضى عنه، ويعطيه من خزائنه غنياً كان أو فقيراً، ويؤيده وينصره، ويدخله الجنة، ويحفظه ويعزه بالإيمان، سواء كانت عنده أسباب العزة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أو لم تكن عنده أسباب العزة كبلال وعمار وسلمان وغيرهم من فقراء الصحابة. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون : ٨].

ومن لم يؤمن بالله، فإن كانت عنده أسباب العزة من الملك والمال أذله الله بها، كما أذل فرعون وقارون وهامان وغيرهم من الكفار :﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت : ٣٩-٤٠].

وإن كانت عنده أسباب الذلة من الفقر والمسكنة أذله الله بها كفقراء

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦)، ومسلم برقم (٨٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦).

المشركين: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء/ ٢٢].
مذموما لا حامد لك، مخذولا لا ناصر لك.

والله ﷻ خلق الإنسان للإيمان والأعمال الصالحة، وعبادة ربه وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات : ٥٦ – ٥٨].

ولم يخلق الله سبحانه هذا الإنسان ليستكثر من الأموال والأشياء وأنواع الشهوات، فإنْ شَغَل نفسه بهذه الأشياء عن عبادة ربه سلطها الله عليه، وجعلها سبباً في شقائه وهلاكه وخسارته في الدنيا والآخرة. ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة : ٥٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾[آل عمران : ١٩٦ – ١٩٧].

الرابع: درجات الإيمان

الإيمان على ثلاث درجات:

فالإيمان له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة.

الأولى : طعم الإيمان.

وقد بينه النبي ﷺ بقوله :«ذَاقَ طَعْمَ الإيْمَان مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّاً، وَبِالإسْلامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». أخرجه مسلم(١).

الثانية : حلاوة الإيمان.

وقد بينها النبي ﷺ بقوله : «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجدَ حلاوَةَ الإيمَان: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسولهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهمُا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحبّهُ إلا لله، وَأَنْ يَكرهَ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّار». متفق عليه(٢).

الثالثة : حقيقة الإيمان.

وتحصل لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين، عبادةً ودعوةً، وهجرة ونصرة، وجهاداً وإنفاقاً، وصدقاً وصبراً، وبذلاً وتركاً :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال : ٢-٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[الأنفال/ ٧٤].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات / ١٥].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

وأعلى درجات الإيمان هو اليقين؛ لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، بأن تتيقن أن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك على حد سواء. فتعبد الله كأنك تراه، وهذا هو مقام الإحسان.﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات / ١٥].

وقال ﷻ :﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة : ١٥ – ١٧].

فإذا صار ما أخبر الله به من الغيب، فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، بمنزلة المشاهَد فهذا هو كمال اليقين، وحق اليقين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[الأنعام : ٧٥].

وبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، كما قال سبحانه :﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة : ٢٤].

والإيمان في القلوب من حيث الزيادة والنقصان ثلاث درجات :

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب.

والإيمان هو مراد الله من خلقه، والإيمان له أركان وشعب، والمؤمن مأمور أن يجتهد لزيادة إيمانه كما يجتهد لزيادة ماله، ليضيف إلى الإيمان الموجود الإيمان المفقود، وبذلك يصل إلى الإيمان المطلوب الذي يحصل به الموعود من رب العالمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء/ ١٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة :٢٨٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦ ﴾[النور :٥٥ - ٥٦].

وغير ذلك من الموعودات التي وعد الله بها عباده المؤمنين، ولم يحصل أكثر الموعودات للمسلمين، لأن الإيمان ناقص، والأعمال ناقصة، ولن يحصل الموعود إلا إذا كان إيماننا وأعمالنا كإيمان الأنبياء والصحابة وأعمالهم: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾[البقرة: ١٣٧].

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا في الجاهلية شر أمة، فصاروا بإيمانهم خير أمة، وكانوا في الجاهلية شر القرون فأصبحوا بفضل الإيمان خير القرون، كما قال سبحانه: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران :١١٠].

وكانت فيهم الهجرة من أجل الدين، والنصرة من أجل الدين، فرضي الله عنهم، وبشرهم بالجنة كما قال سبحانه: ﴿ ٩٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾

[التوبة :١٠٠].

الخامس: عدد أركان الإيمان

أركان الإيمان ستة، وهي من أعظم الأعمال القلبية التي أمر الله بها عباده :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء/ ١٣٦].

وهذه الأركان الستة من أعظم صفات المؤمنين: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة :١ - ٥].

وسأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقال ﷺ : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». أخرجه مسلم[1].

ورابطة الإيمان أعظم الروابط على الإطلاق، ولعظمة قوتها ربطت بين الخالق والمخلوق، وربطت بين السماء والأرض، وربطت بين الأمة ورسولها الكريم، وربطت بين بني آدم في الأرض، وربطت بين بني آدم والملائكة، وربطت بين بني آدم والجن، وربطت بين الدنيا والآخرة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ومن أجل لا إله إلا الله خلق الله السموات والأرض وما فيهن، وخلق الجنة والنار، ومن أجلها كان الله ولي المؤمنين، وعدوًا للكافرين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

ومن أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وشرع الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾: [التوبة : ٧١].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٧].

وثمرات أركان الإيمان ست وهي كما يلي :

الأولى: الإيمان بالله ﷻ: يُثمر توحيد الله، وكمال التوجه إليه، والتوكل عليه، والاستقامة يه، وعدم الالتفات إلى غيره، ويثمر محبة الله، وتعظيمه، وشكره، وعبادته، وطاعته، وخشيته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢-٤].

وذلك كله يثمر رضوان الله ودخول الجنة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة : ٧١-٧٢].

الثانية: الإيمان بالملائكة : يُثمر محبتهم، والحياء منهم، والاعتبار بطاعتهم: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء : ١٩- ٢٠].

الثالثة والرابعة: الإيمان بالكتب والرسل : يُثمر قوة الإيمان بالله، ومحبته، وشكره على نعمه، ومعرفة شرائع الله، وما يحبه الله، وما يكرهه الله، ومعرفة أحوال الدار الآخرة، ومحبة رسل الله وطاعتهم، والاقتداء بهم في نياتهم وتوحيدهم، وإيمانهم، وأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة :٢٨٥].

الخامسة: الإيمان باليوم الآخر : يُثمر معرفة قدرة الله، وعظمة ملكه وسلطانه، والرغبة في فعل الطاعات والخيرات، واجتناب المعاصي والمنكرات، وحُسن الاستعداد ليوم المعاد: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾[البقرة :٢٨١].

السادسة: الإيمان بالقدر : يُثمر طمأنينة النفس، وسكونها، ورضاها بما قدَّر الله العزيز الرحيم: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾[التغابن :١١].

وإذا تحقق الإيمان عملياً بأركانه الستة في حياة المسلم أحياه الله حياة طيبة في الدنيا، وكان مؤهلاً في الآخرة لدخول الجنة، والنجاة من النار، وذلك لا يتم إلا بطاعة الله ورسوله في كل شيء: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل : ٩٧].

وقال الله تعالى :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ ﴾[النساء/ ١٣].

السادس: تفاضل أهل الإيمان

إيمان الخلق درجات متفاوتة بحسب تفاوتهم في العلم والإيمان.

وإيمان أهل الإيمان على ثلاثة أقسام :

الأول: إيمان الملائكة.

وهؤلاء إيمانهم ثابت لا يزيد ولا ينقص، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لكمال معرفتهم بالله ﷻ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء : ١٩- ٢٠].

الثاني: إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهؤلاء إيمانهم يزيد ولا ينقص، لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله. وهم درجات متفاوتة.

وأعظمهم إيمانًا أولوا العزم : نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام هم المذكورون في قوله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى:١٣] .

وأعظم هؤلاء إيمانًا، وأكملهم علمًا، وأحسنهم عبوديةً، سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ :﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء : ١١٣].

الثالث: إيمان سائر المسلمين.

وهؤلاء إيمانهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم درجات في الإيمان والأعمال والأخلاق: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾[فاطر : ٣١ - ٣٢].

وجميع هؤلاء المؤمنين في الجنة، كما قال سبحانه بعدها :﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾[فاطر : ٣٣ - ٣٥].

فأول درجات الإيمان تجعل المسلم يحُب الله ويعظمه، ويؤدي العبادة لله ﷻ، ويتلذذ بها، ويحافظ عليها، ويؤديها بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ :﴿كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

ولحسن المعاملة مع من مثله من الناس يحتاج إلى إيمان أقوى، يحجزه عن الظلم لنفسه ولغيره.

ولحسن المعاشرة لمن دونه من الخلق كالحاكم مع رعيته، والرجل مع أهله، يحتاج إلى إيمان أقوى يحجزه عن الظلم لمن دونه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة : ٧١].

وكلما زاد الإيمان زاد اليقين، وزاد العمل الصالح، وصار العبد يؤدي حق الله وحقوق عباده، فهو حَسَن الخُلق مع الخالق، ومع المخلوق، فهذا بأرفع

المنازل في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت: ٣٠ - ٣٢].

والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وكل عبد سائر لا واقف، وكل عبد صاعد أو نازل، فإما إلى فوق وإما الى أسفل، وإما إلى أمام وإما إلى خلف، وإما إلى يمين وإما إلى شمال، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبته. فالإنسان شجرة تثمر كل يوم الحلو والمر ما دامت حية.

شجرة الإيمان في القلب تثمر الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، والأجور العظيمة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب: ٣٥].

وشجرة الكفر والشرك تثمر الظلم والطغيان، والفساد والمعاصي، والأعمال الخبيثة، والأخلق السيئة، ودخول النار يوم القيامة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾[البقرة: ١٦١-١٦٢].

فكل عبد ما هو إلا مراحل تُطوى أسرع طي بحسب العمل إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، ورابح وخاسر وليس في الطريق واقف ألبته، وإنما يتخالفون في جهة المسير، وفي السرعة والبطء، وفي

الربح والخسارة. فمن لم يتقدم إلى الجنة بالإيمان والأعمال الصالحة، فهو متأخر بلا شك إلى النار بالكفر والأعمال السيئة، والدين كله ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾[المدثر : ٣٦-٣٧].

وقال الله ﷻ عن الفريقين :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة : ٦-٨].

وقال الله ﷻ عن المنافقين والكفار :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة : ٦٨].

وأهل الإيمان متفاوتون فيه تفاوتًا عظيمًا.

فإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس كإيمان غيرهم، وإيمان الصحابة رضي الله عنهم ليس كإيمان غيرهم ممن جاء بعدهم، وإيمان المؤمنين الصالحين ليس كإيمان الفاسقين.

وهذا التفاوت العظيم بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما شرعه لعباده، وخشية الله وتقواه، وتفاوت لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله ﷻ:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد : ١٩].

وأعرف الخلق بالله أشدهم حبّاً له، ومحبة الله لذاته وإحسانه وجماله وجلاله أصل العبادة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥] .

وكلما قويت المحبة لله كانت الطاعة لله أتم، والتعظيم أكبر، والتوكل عليه أقوى، والشكر أوفر، والأنس بالله أكمل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩].

وكان الأجر أعظم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك : ١٢].

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نُفُوساً مُطْمَئِنَّةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ، وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ، وتصبر على بلائك، وتشكر نعماءك.

اللَّهُمَّ إنا نسالك ايمانا نهتدي به، ونورا نقتدي به، وأعمالا صالحة ترضى بها عنا، يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا للإسلام

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا. فأنت أهل أن تعبد، وأنت أهل أن تحمد، وأنت أهل أن تشكر، وأنت أهل التقوى وأهل المغفرة، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلنا، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا عالم الغيب والشهادة، ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر ذنوبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا كل ذنب، واستر علينا كل عيب، وفرج عنا كل كرب، وادفع عنا كل هم، واصرف عنا كل شر، واحفظنا من كل فتنة

يا مجيب الدعوات، يا عالم الخفيات، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا فارج الهم، يا قائما على كل نفس، يا من هو الإله، ولا رب لنا سواه، لا إله إلا أنت، أنت الملك، الحي، القيوم، القوي، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن،

العزيز، الجبار، المتكبر، القاهر، القهار، الذي خضع له الكون كله بعرشه، وكرسيه، وسماواته، وأرضه، وذراته، ومجراته .

نسألك بأسمائك الحسنى التي إذا سئلت بها أعطيت، وإذا دعيت بها أجبت، وإذا استنصرت بها نصرت، وإذا دعيت بها على مغاليق السماوات والأرض انفتحت، وإذا دعيت بها على أبواب العسر تيسرت .

أسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا، ما علمنا منها وما لم نعلم، أن تعز الإسلام والمسلمين، وتنصر عبادك المؤمنين، وأن تظهر دينك على الدين كله، في العالم كله، يا قوي، يا عزيز، يا أرحم الراحمين.

السابع: حقيقة الإيمان

الإيمان مركب من أمرين:

اعتراف وإقرار.. وقبول وإذعان.

فلا يكفي الاعتراف والإقرار بدون القبول والعمل، بل لابد من التصديق المستلزم للقبول والإذعان، وقبول الأخبار، والإذعان للأحكام: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال :٢- ٤].

الثامن: أقسام الإيمان

ينقسم الإيمان إلى قسمين:

الأول: إيمان فطري، فقد فطر الله ﷻ كل مخلوق على الإيمان به، وأنه الخالق الرازق الذي يدبر هذا الكون: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠].

فهذا إيمان فطري مركوز في فطرة كل إنسان، وهو من رحمة الله بعباده.

الثاني: إيمان كسبي نحصِّله بجهد بشري، بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، فيزيد إيماننا بالله العظيم بمعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والمطلوب من كل إنسان تحصيل الإيمان الكسبي الذي يزيد الإيمان الفطري، ويحرك القلب واللسان والجوارح بعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

والإيمان الذي ينجي صاحبه من النار، ويدخل بسببه الجنة، هو هذا الإيمان الكسبي الذي يحمل صاحبه على عبادة الله وحده، وطاعة الله ورسوله، واجتناب معصية الله ورسوله: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وكل إيمان لا يحمل صاحبه على طاعة الله، فهو إيمان لا قيمة له كإيمان إبليس؛ لأن الإيمان بالله لابد أن يتبعه طاعة الله ﷻ، فإبليس قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ [الحجر: ٣٦].

فهذا الإيمان، وهذا القول، لم ينفعه، فقد عصى وكفر واستكبر، فلعنه الله: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

التاسع: شُعب الإيمان

شُعب الإيمان كثيرة، تشمل الأقوال الحسنة، وأعمال الجوارح، وأعمال القلوب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان». متفق عليه(١).

ومن شعب الإيمان:

- **حب الرسول ﷺ:**

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه(٢).

- **حب الأنصار:**

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنصَارِ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنصَارِ». متفق عليه(٣).

- **حب المؤمنين:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوْا، أَوَلا أَدلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم، أَفشُوا السَّلامَ بَيْنكُمْ».أخرجه مسلم(٤).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٤).

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٥٤).

● **حب أخيه المسلم:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ – أَوْ قَالَ لِجَارِهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه[١].

● **إكرام الجار والضيف، والصمت إلا عن خير:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». متفق عليه[٢].

● **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ».أخرجه مسلم[٣].

● **النصيحة:**

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أخرجه مسلم[٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧)، واللفظ له.

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٤٩).

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٥٥).

العاشر: كمال الإيمان

يكمل إيمان العبد بمعرفة أركان الإيمان الستة، والنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية .

وكلما ازدادت تلك المعارف قوي الإيمان بالله، وزاد تعظيم العبد لربه، وزاد حبه له، وخَفَّت عليه الطاعات، وثقلت عليه المعاصي .

والمحبة التامة لله ولرسوله تستلزم وجود محبوباته ومحبتها، والعمل بها، ونشرها، فإذا كان حب المسلم لله، وبغضه لله، وهما عمل قلبه ، وعطاؤه لله، ومَنْعه لله، وهما عمل بدنه دل ذلك على كمال الإيمان، وكمال محبة الله عز وجل.

١- قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١] .

٢- وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران :٣١].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال :٢- ٤].

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب الثاني

أصول الإيمان بالله عز وجل

ويشتمل هذا الباب على المباحث الإيمانية الآتية:

الأول: وجوب معرفة الله بأسمائه وصفاته و أفعاله.

الثاني: وجوب معرفة عظمة صفات جلال الرب.

الثالث: وجوب معرفة عظمة صفات جمال الرب.

الرابع: وجوب معرفة عظمة ملك الله وسلطانه.

الخامس: وجوب معرفة عظمة نعم الله وإحسانه.

السادس: وجوب محبة الله وعبادته وحده لا شريك له.

فقه الإيمان بالله عز وجل

الأول: وجوب معرفة الله بأسمائه وصفاته و أفعاله

الله جل جلاله هو الرب العظيم، والملك الكريم، والإله الرحيم، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأوامر الحكيمة، والخَلق العظيم، والملك الكبير، والتدبير الحكيم، والعلم المحيط، والرحمة الواسعة، والقدرة التامة، والقوة القاهرة، والمشيئة النافذة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

فمن عرف ربه حقاً أحبه حقاً، و مجده حقاً، و وعبده حقاً، بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

هو سبحانه الرب العظيم في ذاته وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ لكمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].

والإيمان بالله ﷻ مبنيٌّ على كمال معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة الله جل جلاله أعظم أركان الإسلام، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم العلوم قاطبة، وأعظم شيء في خزائن الله.

والإيمان بالله ﷻ هو الأصل الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

الله جل جلاله هو الملك العزيز الجبار، القوي القادر القهار؛ وضع اسمه العظيم على السماء فاستقلّت، ووضعه على الأرض فاستقرّت، ووضعه على الشمس فأضاءت، ووضعه على القمر فأنار، ووضعه على النجوم فسارت، ووضعه على السحب فأمطرت، ووضعه على الرياح فهبْت، ووضعه على الجبال فرسَت، ووضعه على البحار فسالت، ووضعه على الأنهار فجَرَت، ووضعه على الصخور فيبست، ووضعه على الأرض فأنبتت، ووضعه على النار فاشتعلت، ووضعه على الأشجار فأثمرت، ووضعه على الصغير فكبُر، ووضعه على القليل فكثُر، ووضعه على الليل فأظلم، ووضعه على النهار فأنار: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦- ٢٧].

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يُعرّف الخلق بربهم العظيم، فقال له: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]

وقال ﷻ: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠]

وقال ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾

[المائدة:٩٨]

وقد بين الله أسماءه وصفاته وأفعاله لخلقه، ليؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٢ – ٢٤].

الله جل جلاله، هو الرب العظيم، والملك الكريم، والإله الرحيم، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والخلق العظيم، والملك الكبير، والتدبير الحكيم، والعلم المحيط، والرحمة الواسعة، والقدرة التامة، والقوة القاهرة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨].

هو سبحانه الرب العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المستحق للعبادة وحده لا شريك له : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].

هو العظيم في علمه المحيط بكل ذرة ومجرة في الكون : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

يعلم سبحانه مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وذرات الرمال، ويعلم ما في البر والبحر والجو، من المخلوقات، والذرات، والمجرات، ويعلم عدد الأصوات والحركات والسكنات، وعدد النيات والإرادات: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج:٧٠].

هو العليم الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم الظاهر والباطن، ويعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام:٥٩].

هو العظيم في قدرته، محيط بكل شيء، قادر على كل شيء، قاهر لكل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، عليم بكل شيء، بصير بكل شيء، مالك لكل شيء : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك:١].

هو سبحانه العظيم في قوته، فكل قوة في العالم فمن آثار قوته.

هو القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، هو القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، هو القوي الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، هو القوي الذي بيده مقاليد السموات والأرض، القوي الذي ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه، و يرسل الرياح، وينزل الغيث، ويحيي الأرض بعد موتها، ويبعث الأحياء بعد موتها : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود:٦٦].

هو سبحانه العظيم في ملكه الكبير.

فله ملك السموات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله ملك ما في السموات والأرض، وله ملك خزائن السموات والأرض، وله ملك غيب السموات والأرض، وله ملك جنود السموات والأرض، وله ملك مقاليد السموات والأرض، وله ملك ميراث السموات والأرض، وله ملك العالم العلوي، والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والأخرة : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هو سبحانه العظيم في وحدانيته، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

فهو الواحد الأحد، القادر على كل أحد، العليم بكل أحد، البصير بكل أحد، الغني عن كل أحد، الواحد الأحد الذي يحتاج إليه كل أحد، الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد :﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:١-٤].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته، وهذه عظمته وقدرته، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وآلاؤه، وهو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الرب الذي يستحق التعظيم كله، والحب كله، والشكر كله، والذل كله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس:٣].

هو سبحانه العظيم في خلقه، وإبداعه، وتصويره.

خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الليل والنهار، وخلق الشمس والقمر، وخلق الذرات والمجرات، وخلق الجمادات والنباتات، وخلق الحيوانات والطيور، وخلق الملائكة والروح، وخلق الجن والإنس، وخلق البر والبحر، وخلق الذكر و الأنثى، وخلق العالي والسافل، وخلق الأبيض والأسود، وخلق الكبير والصغير، وخلق الكثير والقليل، وخلق الدنيا والأخرة : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

ومن هذا خلقه وإبداعه وتصويره هو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الرب العظيم في غناه وكرمه وإحسانه.

فكل الخيرات من فيض جوده، وجميع النعم من فضله، دائم العطاء والإحسان، يده سحاء بالليل والنهار، له ملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، يطعم جميع المخلوقات من رزقه، و لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة.

رحيم بخلقه، يطعم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، وجميع مخلوقاته قعود على موائد نعمه : ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٦].

هو سبحانه الرب العظيم في رحمته.

هو الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته جميع مخلوقاته، وعم فضله جميع من في ملكه، هو أرحم الراحمين، عم برحمته المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، وخص المؤمنين بكمال رحمته وإحسانه يوم القيامة.

هو الرحمن الرحيم، ورحمته سبقت غضبه، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

وقال ﷻ:﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

هو جل جلاله الرب العظيم في ملكه، العزيز في سلطانه، الجبار في قهره : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٣].

هو الرب العظيم في أفعاله العظيمة .

له الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده التصريف والتدبير كله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[هود:١٠٧]

هو جل جلاله الرب العظيم في علوه.

هو الرب العلي الأعلى المتعال، العلي الأعلى على جميع مخلوقاته، العلي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المتعالي عن جميع النقائص والآفات والعيوب، العلي عن جميع صفات المخلوقين : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥].

فسبح باسم ربك العظيم، وسبح باسم ربك العلي الأعلى المتعال .

هو سبحانه العظيم في مغفرته.

هو الغفور الغفار، الذي يغفر الذنوب جميعا مهما كثرت، ومهما كبرت، ومهما تكررت، لأنه هو الغفور الرحيم، من استغفره غفر له، ومن تاب إليه تاب عليه، ومن طلب منه العفو عفا عنه، ومن استرحمه رحمه : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

هو الرب العظيم في لطفه وإحسانه إلى خلقه بأنواع الإحسان، لطيف لا يعاجل بعقوبة من عصاه، لطيف لا يخفى عليه شيء، رؤوف بالعباد، رفيق بهم، حليم على من عصاه، يحُب من تاب إليه، ويفرح بكل من تاب إليه : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾[الشورى:١٩]

هو جل جلاله الرب العظيم في حكمه.

الحكيم الذي أحكم كل شيء خلقه، وأحكم صنعه، الحاكم الذي له الحكم كله في ملكوته العظيم، الحكيم الحكم الذي يضع الشيء في موضعه، ويأمر بالمحاسن والفضائل والمنافع، وينهى عن الشر والسوء والقبائح والمضار : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام:١٨].

هو سبحانه الرب العظيم في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الأخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد:٣].

هو جل جلاله الحي القيوم، العظيم في عطائه، العظيم في إحسانه، العظيم في إكرامه، العظيم في بره، القائم على كل نفس : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

هو سبحانه الرب العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، العظيم الذي له جميع صفات الجلال والجمال والكمال : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

هو سبحانه الرب العظيم في شكره.

الشاكر الشكور، الذي خلق النعم والأرزاق، ووهب العطايا والنعم لعباده، وألهمهم شكرها، ووفقهم للأعمال الصالحة، وأثابهم عليها بالأجور العظيمة: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

هو سبحانه العظيم في سمعه.

السميع الذي يسمع الجهر وما يخفى، السميع الذي يسمع السر والنجوى،

السميع الذي يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، السميع الذي يسمع تسبيح الكائنات والذرات في البر والبحر والجو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

هو سبحانه العظيم في بصره.

البصير العليم بكل ذرة، البصير المحيط بكل مخلوق، الشهيد لكل مخلوق، البصير الذي يرى كل من يطيعه ومن يعصيه، ويرى الذرات والمجرات على حد سواء، ويرى كل ذرة في النور والظلمات على حد سواء، ويرى جميع المخلوقات كلها في آن واحد على حد سواء : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[الإسراء:١].

والرب العظيم، والإله الرحيم، والملك القدير، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لأنه أهل أن يكبر، وأهل أن يشكر، وأهل أن يحب، وأهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر فلا يكفر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو جل جلاله العظيم في خلقه وأمره، العظيم في تدبيره وتصريفه، الحكيم في عطائه ومنعه، العليم بما في صدور العالمين، الخبير بما في نفوس الخلق أجمعين: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤].

هو جل جلاله العظيم في خلقه و أمره، العظيم في جلاله وكبريائه، هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الجبار الذي خضع له كل شيء، القادر

الذي لا يعجزه شيء، القوي الذي قهر كل شيء، المحيط الذي أحاط بكل شيء، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الحفيظ لكل شيء، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء، الملك الذي له ملك كل شيء، الخلاق الذي خلق كل شيء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

هو سبحانه الرب العظيم في جماله.

هو الجميل الذي خلق كل جميل، المصور الذي أحسن التصوير، اللطيف في تدبيره، الرحيم بعباده، الرؤوف بخلقه، المحسن الذي أحسن إلى جميع خلقه، الكريم الذي أعطى فأجزل، وأنعم فأكرم، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرزاق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق : ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة: ٦ – ٧].

والرب الذي هذه صفات جلاله وجماله، هو الإله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

والعبودية التي يحبها الله، ويأمر بها، وأرسل بها رسله، وأنزل من أجلها كتبه، هي عبودية القلب، و أما عبودية الجوارح فهي فرع عليها، وثمرة لها، ودليل عليها.

وعبودية القلب أن يمتلئ القلب بتعظيم الله، وتكبير الله، وتمجيد الله، والثناء

على الله، وحب الله، وحمد الله، والذل لله، والخضوع لله، والافتقار إلى الله، والخشوع لله، والخشية لله، والتسليم لله، والتفويض لله، والتوحيد لله، و الإيمان بالله، وتقوى الله، وطاعة الله ورسوله، والامتثال لأوامره، والاجتناب لنواهيه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢].

ولن يعبد المسلم ربه حقاً، إلا إذا عرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

و إذا عرف العبد ذلك ذاق طعم الإيمان، ثم وجد حلاوة الإيمان، ثم وصل إلى حقيقة الإيمان، فعبد الله كأنه يراه بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أول واجب على العبيد، وأعظم دروس الإيمان والتوحيد، لما يثمره هذا العلم الإلهي العظيم، من حب الله، وتوحيده، والإيمان به، وتعظيمه وتكبيره، وتمجيده والثناء عليه، والحمد والشكر له، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتعليم شرعه، والدعوة إليه:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

ومن عرف الله حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله، آمن به حقا، ووحده حقا، وكبره حقا، وأحبه حقا، ومجده حقا، وحمده حقا، وعبده حقا، وأطاعه حقا، ونال ثوابه الكريم، وفاز برضوانه العظيم : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

فأعظم العلوم وأزكاها، وأحسنها وأوجبها، هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نعمه وخزائنه، والعلم بعظمة وعده ووعيده، والعلم بعظمة ثوابه وعقابه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق:١٢].

ومن رحمة الله بعباده أن عرفهم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفهم بعظمة ملكه وسلطانه، وعرفهم بعظمة نعمه وإحسانه، وعرفهم بكمال علمه وقدرته، كي يؤمنوا به ويوحدوه، ويكبروه ويمجدوه، ويحمدوه ويشكروه، ويحبوه ويعبدوه وحده لا شريك له، بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة:١٦٣].

بتوحيده جل جلاله استأنس الموحدون، وبذكره اطمأن المؤمنون، وبطاعته سعد العابدون، وبجنته فاز المتقون، وبمناجاته قرت عيون المحبين : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

هو سبحانه الملك القدوس السبوح.

تسبحه جميع مخلوقاته، وتقدسه جميع ذراته، يسبحه الطير في وكره، ويمجده الوحش في قفره، ويكبره الحوت في بحره، محيط بعمل العبد في سره وجهره، خبير بظاهره وباطنه : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء:٤٤].

هو سبحانه الحي القادر على كل حي.

هو الحي البصير بكل حي، الحي السميع لكل حي، الحي المعطي لكل حي، الحي الرزاق لكل حي، الحي الذي يملك كل حي، الحي الخالق لكل حي، الحي المحيط بكل حي، الحي الغني عن كل حي : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

هو الملك الغني عن كل أحد.

الغني الذي يحتاج إليه كل أحد، الملائكة فقراء إليه، والجن فقراء إليه، والإنس فقراء إليه، والحيوانات فقراء إليه، والنباتات فقراء إليه، والسموات والأرض فقراء إليه، والعرش والكرسي فقراء إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[غافر:١٥].

فسبحان من سجدت لعظمته جميع ذرات كونه، سبحان من يسبح له ضوء النهار، وسواد الليل، والنجوم والكواكب.

سبحان العظيم الذي تقدسه جميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة:١].

هو الملك الحق الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأمات وأحيا .

هو الملك الكريم الذي كرَّم الإنسان بأنواع الكرامات، وشرفه بالدين الكامل من بين المخلوقات، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان:٢٠].

هو الملك العظيم القادر، الذي ملأ الشمس بالنور، وملأ الفضاء بالهواء، وملأ السحاب بالماء، وملأ السماء بالمصابيح، وملأ الأرض بالنباتات .

هو الخالق القادر الذي فجر العيون بالماء، وفجر اللسان بالكلام، وفجر الأُذن بالسمع، وفجر العين بالإبصار، وفلق الحب بالنبات، وفلق الظلام

بالنور: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الأنعام:٩٥-٩٦].

هو القادر الذي أجرى السحاب، وأرسل الرياح، وأنبت النبات، وقدر الأقوات، وقسم الأرزاق، ووهب الأولاد: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٧-٢٨].

هو سبحانه الملك الحي القيوم، الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، ومتصاغرة لكبريائه، ومسبحة بحمده، وساجدة لعظمته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وصاغرة بين يديه، معلنة عجزها وذلها وفقرها إليه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾[الحج:١٨].

هو سبحانه القوي القادر على كل شيء.

فكل قوي في العالم، فمن آثار قوته، وكل قادر في العالم فمن آثار قدرته، هو وحده القوي، وكل ما سواه ضعيف، وهو القادر وكل ما سواه عاجز، هو سبحانه القوي القادر الذي يمسك البحار أن تغرق الأرض، ويمسك السباع أن تفني بني آدم، ويسوق الأقوات إلى الخلق، ويسير الخلائق في البر والبحر والجو جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[يونس:٢٢]

هو القادر القدير المقتدر الذي رفع السماء بلا عمد، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها، وسير الشمس والقمر في الفضاء، وأرسى الأرض بالجبال، وأخرج من اللسان أنواع الكلام، وأظهر من العقول أنواع العلوم، وعلم ما

كان وما يكون وما سيكون، من الأقوال والأعمال، والحركات والسكنات، والعطايا والهبات، والظواهر والخفيات :﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[البقرة:١٠٦].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا خلقه وإبداعه، هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويحب ويعبد وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس:٣].

فلا إله إلا الله، ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله، وما أعظم ملكه وسلطانه .

كان الله وحده، ولم يكن شيء قبله، كان الله وحده ولم يكن شيء معه، ثم خلق المخلوقات، كان الله ولم تكن المخلوقات موجودة، كان الله قبل أن تكون السماء مبنية، وكان الله قبل أن تكون الأرض مبسوطة، وكان الله قبل أن تكون الجبال مرسية، وكان الله قبل أن تكون البحار موجودة، وكان الله قبل أن تكون الرياح مرسلة، وكان الله قبل أن تكون الأنهار جارية، ثم خلق المخلوقات، ليدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

هو الحي القيوم، السميع البصير، العليم الخبير، من تكلم من خلقه سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه مرجعه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

[الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو جل جلاله أعز من ذكر، وأحق من عبد، وأعظم من شكر، وأكرم من سُئل، وأرحم من ملك، وأنصر من أُبتغي، إذا سئل أعطى، وإذا أعطى أغنى، يعطي من شاء، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة.

قال ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُم سَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم(١).

هو الكريم الوهاب، إذا عاهدته وجدته وفيا، وإذا عاملته وجدته كريما، وإذا استغفرته وجدته غفورا، وإذا استرحمته وجدته رحيماً : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء:١١٠].

أعطى الجنة لمن آمن به وأطاعه، ولو كان عبداً حبشياً، وأدخل النار من كفر به وعصاه، ولو كان حرا قرشيا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

تقدست عن الأشياء ذاته، وتنزهت عن مشابهة المخلوقات نفسه، واحدٌ لا من قلة، موجودٌ لا من علة، بالبر معروف، وبالإحسان موصوف : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

هو الكبير وكل ما سواه صغير، هو الغني وكل ما سواه فقير إليه، هو الملك وكل ما سواه مملوك له، هو القهار وكل ما سواه مقهور له، هو الواحد الأحد وكل ما سواه له، هو الجبار وكل ما سواه خاضع له، هو المؤمن وكل ما سواه خائف منه، هو الرزاق وكل ما سواه ينعم برزقه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وكلما ازداد العبد علما بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، زاد إيمانه، وحسنت عبادته، وصدق حبه، وزاد تواضعه لربه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ومن أراد أن يدخل جنة المعرفة، الموصلة إلى جنة الآخرة، فليعرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يعبده بموجب هذه المعرفة، بكمال الحب والتعظيم والذل له، مقتديا بأفضل رسله إلى خلقه، وأحب خلقه إليه، وأعظمهم منزلة لديه محُمَّد ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر:٢٨].

ان الكلام عن الرب العظيم، لا بد أن يكون عظيماً، والكلام عن الكبير، لا بد أن يكون كبيراً، والكلام عن الواسع، لا بد أن يكون واسعاً، لأن ذلك هو اللائق بجلاله وجماله، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ومن ذكر الله كثيراً أحبه، وأطاعه ولم يعصه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤٢].

إن أول واجب على الإنسان، وأعظم واجب على العبد، أن يعرف الرب الذي يعبد، بأسمائه وصفاته وأفعاله، كي يعبده بكمال الحب، والتعظيم، والذل له، على ما جاء به رسوله ﷺ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

والواجب الثاني :أن يُعرِّف الناس بربهم العظيم كي يحبوه، ويؤمنوا به، ويوحدوه، ويعظموه، ويكبروه، ويحمدوه، ويسألوه، ويستغفروه، ويتوكلوا عليه، ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

ومن عرف ربه العظيم، آمن بالله العظيم، وآمن بكتابه العظيم، واتبع رسوله الكريم، وعمل بشرعه العظيم، ونال ثوابه العظيم، وفاز بقرب ربه يوم الدين: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩].

وفي مقدمة هؤلاء الأخيار الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من آمن بهم، وسار على هديهم من المؤمنين: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء: ٩٠].

فالواجب الأعظم على العبد أن يعرف المعبود قبل عبادته، ويعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه، ويعرف الآمر قبل معرفة أوامره، فإذا عرف ذلك سهل عليه امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتصديق بوعده ووعيده، وعبادته وحده بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

فسبحان من خلق المخلوقات، ليدل الناس عليه، فإذا عرفوه آمنوا به، وأحبوه، وعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق: ١٢].

وقال ﷻ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٥٠].

وقال ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩].

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ.

اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ، ارزقنا حُسْنَ مَعرفتك، وَ حُسْنَ عبادتك، حتى نخافك ونخشاك، ونعبدك كأننا نراك، ولا نلتفت لاحد سواك : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر:٦٧].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

[الأنفال:٢-٤].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

[الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

[آل عمران: ٨].

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، فَلاَ تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

أنتَ المُستَعان، و عليكَ التُكلان، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بك .

الثاني: وجوب معرفة عظمة صفات جلال الرب

الله جل جلاله هو الرب العظيم الذي بيده المُلك والخلق والأمر، والتدبير والتصريف، فلابد للقلب أن يعرف هذا، الرب العظيم ليعبدوه وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله؛ وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وإحسانه، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

ومن عرف ربه حقًا، آمن به حقًا، ووحّده حقًا، وعَبده حقًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال : ٢-٤].

الله جل جلاله هو الرب العظيم في علمه، المحيط بكل ذرةٍ ومجرةٍ في الكون كله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

يعلم سبحانه مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ذرات الرمال، وعدد ورق الشجر، ويعلم ما في البر والبحر والجو، من المخلوقات والذرات والمجرات، ويعلم عدد الأصوات والحركات والسكنات، ويعلم النيّات والإرادات: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

هو العليم الذي يعلم السرّ وأخفى، ويعلم الظاهر والباطن، ويعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

هو العظيم في قدرته، محيطٌ بكل شيء، قادرٌ على كل شيء، قاهرٌ لكل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، عليمٌ بكل شيء، بصيرٌ بكل شيء، مالكٌ لكل شيء: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

هو سبحانه العظيم في قوته، فكل قوةٍ في العالم فمن آثار قوته، هو القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، هو القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، هو القوي الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، هو القوي الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، هو القوي الذي ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه، ويرسل الرياح، وينزّل الغيث، ويحيي الأرض بعد موتها، ويبعث الأحياء بعد موتها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

فلا إله إلا الله أعظم، ما أعظم قوته وقدرته، وما أعظم آياته ومخلوقاته، وما أعظم إبداعه وتصويره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ – ٧] .

إن مفتاح أبواب التوحيد والإيمان هو النظر والتدبر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤]

والرب العظيم الذي هذه صفات جلاله وجماله وكماله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذا خلقه وإبداعه، وهذا إحسانه وانعامه، وهذا تدبيره وتصريفه، هو وحده الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر ولا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، ويستحق أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

الثالث: وجوب معرفة عظمة صفات جمال الرب

الله سبحانه هو الرب العظيم في ملكه الكبير .

فلّله مُلك السماوات والأرض، وله ملك ما بين السماوات والأرض، وله ملك ما في السماوات والأرض، وله ملك خزائن السماوات والأرض، وله ملك غيب السماوات والأرض، وله ملك جنود السماوات والأرض، وله ملك مقاليد السماوات والأرض، وله ملك ميراث السماوات والأرض، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالمَ الغيب وعالمَ الشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

هو سبحانه الرب العظيم في وحدانيته، وربوبيته، وأُلوهيته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، فهو الواحد الأحد، القادر على كل أحد، العليم بكل أحد، السميع لكل أحد، البصير بكل أحد، الغني عن كل أحد، الواحد الأحد الذي يحتاج إليه كل أحد، وهو لا يحتاج إلى أحد، الواحد الأحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه عظمته وقدرته، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وآلاؤه؛ هو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الرب العظيم الذي يستحق التكبير كله، التعظيم كله، والحب كله، والشكر كله، والذُّلَّ كله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الرب العظيم في خلقه وإبداعه وتصويره.

خلق العرش والكرسي، وخلق السماوات والأرض، وخلق الليل والنهار، وخلق الشمس والقمر، وخلق الذرات والمجرات، وخلق الجمادات والنباتات، وخلق الحيوانات والطيور، وخلق الملائكة والروح، وخلق الجن والإنس، وخلق البر والبحر، وخلق الذكور والإناث، وخلق العالي والسافل، وخلق الأبيض والأسود، وخلق الكبير والصغير، وخلق الكثير والقليل، وخلق الدنيا والآخرة: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

ومَن هذا خلقه وإبداعه وتصويره، هو وحده الرب الذي يستحق العبادة وحده دون سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو سبحانه الرب العظيم في غناه وكرمه وإحسانه، فكل الخيرات من فيض جوده، وجميع النعم والأرزاق من فضله، دائم العطاء والإحسان، يده سحّاء بالليل والنهار، له ملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، يُطعم جميع المخلوقات من رزقه، ولا يَنقص ما في خزائنه مثقال ذرة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

هو الرحيم بخلقه، يطعم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، وجميع مخلوقاته قعود على موائد نعمه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦] .

وجميع النعم الظاهرة والباطنة من فضله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

الرابع: وجوب معرفة عظمة ملك الله وسلطانه

الله سبحانه الرب العظيم في رحمته، هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته جميع مخلوقاته، وعمَّ فضله جميع من في ملكه، هو أرحم الراحمين، عمَّ برحمته الواسعة المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، وخص المؤمنين بكمال رحمته وإحسانه يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر : ٧].

ملكه وسع كل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف:١٥٦] .

هو الرحمن الرحيم؛ ورحمته سبقت غضبه، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة، ويعطي من فضله بلا عملٍ من العبد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

هو الإله العظيم الذي عم برحمته جميع مخلوقاته: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو جل جلاله الرب العظيم في ملكه، العزيز في سلطانه، الجبار في قهره، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]

هو الرب العظيم في أفعاله العظيمة في ملكه العظيم، له الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده التصريف والتدبير كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه وسلطانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك:١].

هو جل جلاله العظيم في علوّه، هو الرب العلي الأعلى المتعال، العلي الأعلى على جميع مخلوقاته، العلي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المتعالي عن جميع النقائص والآفات والعيوب، العلي عن جميع صفات المخلوقين: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فسبح باسم ربك العظيم، وسبح اسم ربك العلي الأعلى المتعال: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

هو سبحانه العظيم في مغفرته، هو الغفور الغفار، الذي يغفر الذنوب جميعًا، مهما كثرت، ومهما كبرت، ومهما تكررت، لأنه هو الغفور الرحيم، من استغفره غفر له، ومن تاب إليه تاب عليه، ومن طلب منه العفو عفا عنه، ومن استرحمه رحمه، ومن استهداه هداه: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

هو الرب العظيم في لطفه وإحسانه إلى خلقه بأنواع الإحسان، لطيف لا يعجَل بعقوبة من عصاه، لطيف لا يخفى عليه شيء، رؤوف بالعباد، رفيق بهم، حليم على من عصاه، يحب من تاب إليه، ويفرح بكل من تاب وأناب إليه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى: ١٩].

هو جل جلاله الرب العظيم في حكمه، هو الحكيم الذي أحكَم كل شيء خلَقه، وأحكَم صنعه، الحاكم الذي له الحكم كله في ملكوته العظيم، الحكيم الحكمْ الذي يضع الشيء في موضعه، ويأمر بالمحاسن، والفضائل والمنافع، وينهى عن الشر والسوء، والقبائح والفواحش والمضار: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام:١٨].

هو الرب العظيم الذي يأمر بالمحاسن، وينهى عن المساوئ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

هو سبحانه الرب العظيم في ذاته، وأسمائه، وصفاته، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣﴾ [الحديد: ٣].

هو جل جلاله الحي القيوم الكريم، العظيم في عطائه، العظيم في إحسانه، العظيم في إكرامه، العظيم في برّه، القائم على كل نفس بما كسبت: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

هو سبحانه الرب العظيم في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، العظيم الذي له جميع صفات الجلال والجمال والكمال: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الرب العظيم في شكره، هو الشاكر الشكور، الذي خلق النعم والأرزاق، ووهب العطايا والنعم لعباده، وألهمهم شكرها، ووفقهم للأعمال الصالحة، وأعانهم عليها، وأثابهم عليها بالأجور العظيمة: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

هو الشكور الذي وهب النعم، وألهم خلقه شكرها، ليغفر لهم ذنوبهم: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

هو سبحانه العظيم في سمعه، هو السميع الذي يسمع الجهر وما يخفى، السميع الذي يسمع السر والنجوى، السميع الذي يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، السميع الذي يسمع تسبيح الكائنات والذرات في البر والبحر والجو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو سبحانه العظيم في بصره، هو البصير العليم بكل ذرة، البصير المحيط بكل مخلوق، الشهيد لكل مخلوق، البصير الذي يرى كل من يطيعه، ومن يعصيه، ويرى الذرات والمجرات على حد سواء، ويرى كل ذرة في النور والظلمات على حد سواء، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، ويرى جميع المخلوقات كلها في آن واحد، على حد سواء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

والرب العظيم، والإله الرحيم، والملك القدير؛ والغني الكريم، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لأنه أهلٌ أن يُكبَّر، وأهلٌ أن يُعظَّم، وأهلٌ أن يُشكر، وأهل أن يحُبّ، وأهلٌ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا

ينسى، ويشكر فلا يكفر :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

هو جل جلاله العظيم في خلقه وأمره، العظيم في تدبيره وتصريفه، الحكيم في عطائه ومنعه، العليم بما في صدور العالمين، الخبير بما في نفوس الخلق أجمعين:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤].

فالخلق هو الإيجاد، والأمر هو الإمداد، وكلاهما بيد الله وحده.

هو جل جلاله العظيم في خلقه وأمره، العظيم في جلاله وكبريائه، هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، هو الجبار الذى خضع له كل شيء، الجبار الذي يجبر كل كسير، القادر الذي لا يعجزه شيء، القوي الذي قهر كل شيء، المحيط الذي أحاط بكل شيء، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الحفيظ لكل شيء، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء الملك الذي له ملك كل شيء، الخالق الخلّاق الذي خلق كل شيء:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو سبحانه الرب العظيم في جماله، هو الجميل الذي خلق كل جميل، البارئ الذي أحسن الخلق، المصور الذي أحسن التصوير، اللطيف في تدبيره، الرحيم بعباده، الرؤوف بخلقه، المحسن الذي أحسن إلى جميع خلقه، الكريم الذي أعطى فأجزل، وأنعم فأكرم، الجميل في ذاته وأسمائه

وصفاته وأفعاله، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرزاق الذي تكفّل بجميع أرزاق الخلق: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة: ٦ - ٧].

فسبحان الرب العظيم الذي عم برزقه جميع خلقه في البر والبحر والجو: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

والرب العظيم الذي هذه صفات جلاله وجماله؛ هو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

والعبودية التي يحبها الله، ويأمر بها، وأرسل بها رسله، وأنزل من أجلها كتبه، هي عبودية القلب، وأما عبودية الجوارح فهي فرعٌ عليها، وثمرةٌ لها، ودليلٌ عليها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وعبودية القلب هي أن يمتلئ القلب بتعظيم الله، وتكبير الله، وتمجيد الله، والثناء على الله، وحب الله، وحمد الله، والذل لله، والخضوع لله، والافتقار إلى الله، والخشوع لله، والخشية لله، والتسليم لله، والاستعانة بالله، والتوكل على الله، والتفويض لله، والتوحيد لله، والإيمان بالله، وتقوى الله، وطاعة الله ورسوله، والامتثال لأوامر الله، والاجتناب لنواهيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك: ١٢].

ولن يعبد المسلم ربه حقًا إلا إذا عرفه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

وإذا عرف العبد ذلك ذاق طعم الإيمان، ثم وجد حلاوة الإيمان، ثم وصل إلى حقيقة الإيمان، فعبدَ الله كأنه يراه؛ بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ، ونال الأجر العظيم من ربه العظيم: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أوّلُ واجب على العبيد، وأعظم دروس الإيمان والتوحيد؛ لما يثمره هذا العلم الإلهي العظيم من حب الله وتوحيده، والإيمان به وتعظيمه، وتكبيره وتمجيده، والثناء عليه، والحمد والشكر له، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتعليم شرعه، والدعوة إليه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ومن عرف الله حقًا بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ آمن به حقًا، ووحده حقًا، وكبّره حقًا، وأحبه حقًا، ومجّده حقًا، وحمده حقًا، وعبده حقًا، وأطاعه حقًا، ونال ثوابه الكريم، وفاز برضوانه العظيم: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة : ٧١-٧٢].

فأعظم العلوم وأزكاها وأحسنها وأوجبها، هو العلم بالله واسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نعمه وخزائنه، والعلم بعظمة دينه وشرعه والعلم بعظمة وعده ووعيده، والعلم بعظمة ثوابه وعقابه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك أمنتم بالله وحده، واستجبتم له وحده، وأطعتموه وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[فاطر: ١٣].

الخامس: وجوب معرفة عظمة نعم الله وإحسانه

من رحمة الله بعباده أن عرّفهم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرّفهم بعظمة ملكه وسلطانه، وعرّفهم بعظمة نعمه وإحسانه، وعرّفهم بكمال علمه وقدرته، كي يؤمنوا به، ويوحدوه، ويكبروه، ويمجدوه، ويشكروه، ويحبوه، ويسألوه، ويستغفروه، ويعبدوه وحده لا شريك له، بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاه وأفعاله هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤].

بتوحيد الله جل جلاله استأنس الموحدون، وبذكره اطمأن المؤمنون، وبطاعته سَعِدَ العابدون، وبجنته فاز المتقون، وبمناجاته قرّت عيون المحبين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩]

هو سبحانه الملك القدوس السّبوح، تسبحه جميع مخلوقاته، وتقدسه جميع ذرات كونه، يسبحه الطير فى وكره، ويمجده الوحش فى قفره، ويكبّره الحوت فى بحره، محيطٌ بعمل العبد في سره وجهره، خبيرٌ بظاهره وباطنه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

هو سبحانه الحى بجميع صفات الجلال والجمال والكمال، الحى القادر على كل حى، هو الحى البصير بكل حى، هو الحى الخالق لكل حى، الحى السميع لكل حى، الحى المعطى لكل حى، الحى الرزاق لكل حى، الحى الذى يملك كل حى، الحى المحيط بكل حى، الحى الغنى عن كل حى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

هو الملك الغني عن كل أحد، هو الغني الذي يحتاج إليه كل أحد .

الملائكة فقراء إليه، والجن فقراء إليه، والإنس فقراء إليه، والحيوانات فقراء إليه، والنباتات فقراء إليه، والسموات والأرض فقراء إليه، والعرش والكرسي فقراء إليه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦] .

فالله وحده هو الغني عن من سواه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥].

فسبحان من سجدت لعظمته جميع ذرات كونه، وسبحان من يسبح له ضوء النهار، وسواد الليل، والنجوم والكواكب والأفلاك، وسبحان العظيم الذي تقدسه وتسبحه جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، ومن في الظلمات ومن في النور، ومن في عالم الغيب والشهادة: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١] .

هو الملك الحق الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وأمات وأحيا، وله الآخرة والأولى: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

هو الملك الكريم الذي كرّم الإنسان بأنواع الكرامات، وشرّفه بالدين الكامل من بين المخلوقات، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢٠-٢١].

هو الملك العظيم القادر المقتدر الذي ملأ الشمس بالنور، وملأ الفضاء بالهواء، وملأ السحاب بالماء، وملأ السماء بالمصابيح، وملأ الأرض بالنبات، هو الخالق القادر الذي فجر العيون بالماء، وفجر اللسان بالكلام، وفجر الأذن بالسمع، وفجر العيون بالإبصار، وفلق الحب بالنبات، وفلق الظلام بالنور: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٦].

هو القادر القدير الذي أجرى السحاب، وأرسل الرياح، وأنبت النبات، وقدّر الأقوات، وقسّم الأرزاق ووهب الأولاد: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

فاعظم العبودية العلم بلا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]

هو سبحانه الملك الحي القيوم الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، ومتصاغرةٌ لكبريائه، ومسبحةٌ بحمده، وساجدةٌ لعظمته، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته، وذليله لعزته، معلنةٌ عجزها وذلها وحاجتها وفقرها إليه جل جلاله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

هو سبحانه القوي القادر على كل شيء في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب، وفي عالم الشهادة، وفي الدنيا، وفي الآخرة، فكل قوي في العالم فمن آثار قوته، وكل قادر في العالم فمن آثار قدرته، هو وحده القوي وكل ما سواه ضعيف، وهو القادر وكل ما سواه عاجز، هو سبحان القوي القادر الذي يمسك البحار أن تُغرق الأرض، ويمسك السباع أن تُفني بني آدم، ويسوق الأقوات إلى الخلق، ويسيّر الخلائق في البر والبحر والجو جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ﴾ [يونس: ٢٢].

هو القادر القدير المقتدر؛ الذي رفع السماء بلا عمد، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها، وسيّر الشمس والقمر في الفضاء، وأرسى الأرض بالجبال، وأخرج من اللسان أنواع الكلام، وأظهر من العقول أنواع العلوم، وعلِمَ ما كان وما يكون، وما سيكون، من الأقوال والأعمال، والحركات والسكنات، والعطايا والهبات، والظواهر والخفيات، والنيات والإرادات: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا خلقه وإبداعه؛ هو وحده الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويحُب ويُعْبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فلا إله إلاّ الله ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله، وما أعظم ملكه وسلطانه، وما أعظم نعمة إنعامه وإحسانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

كان الله وحده ولم يكن شيء قبله، كان الله وحده ولم يكن شيء معه، ثم خلق المخلوقات، كان الله ولم تكن المخلوقات موجودة، كان الله قبل أن تكون السماء مبنية، وكان الله قبل أن تكون الأرض موجودة، وكان الله قبل أن تكون الجبال مرسية، وكان الله قبل أن تكون البحار موجودة، وكان الله قبل أن تكون الرياح مرسلة، وكان الله قبل أن تكون الأنهار جارية، ثم خلق المخلوقات، ليدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

هو الحي القيوم، السميع البصير، العليم الخبير، من تكلّم من خلقه سمع نطقه، ومن سكتَ علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه مرجعه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم كلماته، وما أعظم نعمه وإحسانه إلى عباده: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[لقمان: ٢٧ – ٢٨].

السادس: وجوب محبة الله وعبادته وحده لا شريك له

الله جل جلاله هو العظيم الكبير المتعال، الغني الكريم الأكرم.

هو أعز من ذُكر، وأحق من عُبد، وأعظم من شُكر، وأكرم من سُئل، وأرحم من ملك، وأنصر من ابتُغي، إذا سُئل أعطى، وإذا أعطى أغنى، يعطي من شاء، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:٢١].

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه، وما أوسع علمه، وما أعظم خزائنه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠]

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ».

أخرجه مسلم(١).

هو جل جلاله الكريم الوهاب، إذا عاهدته وجدته وفيًّا، وإذا عاملته وجدته كريمًا، وإذا استغفرته وجدته غفورًا، وإذا استرحمته وجدته رحيمًا، وإذا استهديته وجدته هاديًا: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

أعطى الجنّة لمن آمن به وأطاعه، ولو كان عبدًا حبشيًّا، وأدخل النار من كفر به وعصاه، ولو كان حرًّا قرشيًّا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

تقدَّست عن الأشياء ذاته، وتنزَّهت عن مشابهة المخلوقات نفسه، واحدٌ لا من قلة، موجودٌ لا من علة، بالبر معروف، وبالإحسان موصوف: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو الكبير وكل ما سواه صغير، هو الغني وكل ما سواه فقيرٌ إليه، هو الملك وكل ما سواه مملوكٌ له، هو القهار وكل ما سواه مقهورٌ له، هو الواحد الأحد وكل ما سواه له، هو الجبار وكل ما سواه خاضعٌ له، هو المؤمن وكل ما سواه خائفٌ منه، هو الرزاق وكل ما سواه ينعم برزقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

وكلما ازداد العبد علمًا بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ زاد إيمانه، وحَسُنت عبادته، وصدقَ حبه، وزاد تواضعه لربه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله ونتوب إليه من جهلنا بربنا، وجهلنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وجهلنا بأنفسنا، وجهلنا بحق الله علينا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

ومن أراد أن يدخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة؛ فليعرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، ثم يعبده بموجب هذه المعرفة، بكمال الحب، والتعظيم، والذل له، مقتديًا بأفضل رسله إلى خلقه، وأحبُّ خلقه إليه، وأعظمهم منزلةً لديه، محمدً ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ

﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾

[الأحزاب: ٢١].

ومن عرف الله حقاً أحبه حقاً، وعبده حقاً، واتقاه حقاً: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

إن الكلام عن الرب العظيم لا بد أن يكون عظيمًا، والكلام عن الكبير لا بد أن يكون كبيرًا، والكلام عن الواسع لا بد أن يكون واسعًا، لأن ذلك هو اللائق بجلاله وجماله، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الوارد في نصوص القرآن والسنة، ولن يَعبد الله حقًا إلا من عرفه حقًا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

ومن ذكر الله كثيرًا أحبه وكبّره، وحمده ومجده، وأطاعه ولم يعصه، لما يراه من عظمته، وغزارة نعمه، وعظيم إحسانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٤].

إن أول واجب على الإنسان، وأعظم واجب على العبد: أن يعرف الرب الذي يعبد بأسمائه وصفاته وأفعاله، كي يعبده بكمال الحب والتعظيم والذل له، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فما أحسن العبودية لمن له كمال الربوبية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

والواجب الثاني على العبد: أن يُعرّف الناس بربهم العظيم، كي يحبوه، ويؤمنوا به، ويوحدوه ويعظموه، ويكبروه ويحمدوه، ويسألوه ويستغفروه، ويتوكلوا عليه، ويعبدوه وحده لا شريك له:﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فما أحسن الدعوة إلى الله، وما أحسن العبودية لله، وما أحسن مكارم الأخلاق:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣].

ومن وفقه الله لهذا وهذا؛ فقد وصل إلى أعلى درجات العبودية التي يحبها الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾

[فصلت: ٣٠ – ٣٥].

ومن عرف ربه العظيم آمن بالله العظيم، وآمن بكتابه العظيم، واتبع رسوله الكريم، وعمل بشرعه العظيم، ونال ثوابه العظيم، وفاز بالقرب من ربه يوم الدين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وفي مقدمة هؤلاء الأخيار الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من آمن بهم وسار على هديهم من المؤمنين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إن ثواب النبي ﷺ في أمته هم كل من جمع بين الدعوة إلى الله، وعبادة الله، ففاز بأعظم الثواب: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧١ – ٧٢].

فالواجب الأعظم على العبد أن يعرف المعبود قبل عبادته، ويعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه، ويعرف الآمر قبل معرفة أوامره، فإذا عرف ذلك سهل عليه امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتصديق بوعده ووعيده، وعبادته وحده بكمال الحب والتعظيم، والذل له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

فسبحان من خلق جميع المخلوقات، ليدلَّ الناس عليه، فإذا عرفوه آمنوا به، وأحبوه، وعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له.

ومن عرف ربه أطاعه ولم يعصه: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠] .

فأول واجب على العبد: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩].

اللهم يا أرحم الراحمين علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم يا عليم يا حكيم، ارزقنا حسن معرفتك، وحسن عبادتك، حتى نخافك ونخشاك، ونعبدك كأننا نراك، ولا نلتفت لأحد سواك: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن عرف ربه أشغل قلبه ولسانه وجوارحه وأوقاته بكل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢-٤].

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢] .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨] .

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، يا أرحم الراحمين، أنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب الثالث

أركان الإيمان بالله عز وجل

ويشتمل هذا الباب على المباحث الإيمانية الآتية:

الأول: الإيمان بوجود الله جلّ جلاله.

الثاني: الإيمان بوحدانية الله جلّ جلاله.

الثالث: الإيمان بربوبية الله ﷻ.

الرابع: الإيمان بألوهية الله ﷻ.

الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

أركان الإيمان بالله ﷻ

الإيمان بالله جلّ جلاله أعظم أركان الإسلام، وأعظم أركان الإيمان.

وأركان الإيمان ستة:

وهي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

والإيمان بالله ﷻ هو الأصل العظيم الذي تبنى عليه جميع الأعمال الصالحة كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل: ٩٧].

والإيمان بالله ﷻ هو الأصل الذي ينال العبد به يوم القيامة أعظم الأجر والثواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾[الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وهو الأصل الذي ينال به العبد رضوان الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧٢].

والإيمان بالله ﷻ هو الاعتقاد الجازم، واليقين الراسخ، بأن الله وحده هو رب كل شيء، ومالك كل شيء، وخالق كل شيء، وأنه الإله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأنه الرب المتصف بجميع صفات الجلال

والجمال والكمال، المنزه عن كل عيب ونقص، وعبادة الله ﷻ بموجب ذلك: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

الإيمان بالله ﷻ هو توحيده وتصديقه وطاعته وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الإيمان بالله عز وجل له خمسة أركان:

الأول: الإيمان بوجود الله جلّ جلاله

الله ﷻ قد فطر كل مخلوق على الإيمان بخالقه، كما قال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾:[الروم: ٢٠]

ولا ينكر وجود الله إلا فاقد العقل، مسلوب الفكر، محروم الفهم، عديم البصيرة: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم: ١٠]

وقد دل العقل على أن لهذا الكون خالقا فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والنعم تدل على المنعم، والملك يدل على المالك : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

وقد دل العقل على أن لهذا الكون ربًا عظيمًا، فهذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها، وهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ فتعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين، كما قال سبحانه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور: ٣٥-٣٦].

فتعين قطعاً أن لهذا الكون رباً خلقه وملكه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف: ٥٤]

ودل الحس على وجود الله سبحانه، فإننا نرى تقليب الليل والنهار، ورزق الحيوان والإنسان، وتدبير أمور الخلائق؛ مما يدل دلالة قاطعة على وجوده سبحانه وتعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤]

والتدبير والتصريف، ورزق الخلائق، أعظم دليل على وجود الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢]

والله ﷻ أيد رسله وأنبياءه بآيات ومعجزات، رآها الناس أو سمعوا بها، وهي أمور خارجة عن قدرة البشر، ينصر الله بها رسله، ويؤيدهم بها، وهذا برهان قاطع على وجود مرسِلهم وهو الله ﷻ كما جعل الله النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ، وفلق البحر لموسى ﷺ، وأحيا الموتى لعيسى ﷺ، وشق القمر نصفين لمحمد ﷺ ؛ فلا ريب في وجوده سبحانه : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾[إبراهيم : ١٠] .

وكم أجاب الله ﷻ من الداعين، وكم أعطى من السائلين، وكم أغاث من المكروبين، مما يدل بلا ريب على وجوده وعلمه وقدرته كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٩]

وقال ﷻ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء : ٨٣-٨٤]

ودل الشرع على وجود الله سبحانه وتعالى، فالأحكام العظيمة العادلة المتضمنة لمصالح الخلق، والتي أنزلها الله ﷻ في كتبه على أنبيائه ورسله، دليلٌ قاطع على أنها من رب حكيم قادر، عليم بمصالح عباده : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩] .

فلا ريب في وجود الرب سبحانه :﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام : ١٠٢] .

الثاني: الإيمان بوحدانية الله ﷻ

الله جل جلاله هو الإله الواحد الأحد، الذي خلق كل أحد، الملك المالك لكل أحد، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، المحيط بكل أحد، السميع لكل أحد، البصير بكل أحد، الرزاق لكل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، وهو لا يحتاج إلى أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص: ١-٤] .

هو سبحانه الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الواحد الأحد الذي عم برحمته كل أحد :﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾[البقرة: ١٦٣]

هو سبحانه الواحد الأحد، العليم بكل أحد، القادر على كل أحد، المهيمن على كل أحد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾[الطلاق : ١٢].

هو جل جلاله الواحد الأحد المعبود من دون كل أحد: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾[الحج: ٣٤-٣٥] .

هو جل جلاله الواحد الأحد الذي بيده الملك والملكوت، وبيده وحده الخلق والأمر، وبيده وحده التصريف والتدبير، وبيده وحده النفع والضر، وبيده الحياة والموت، وبيده الغنى والفقر، والصحة والمرض، والأمن والخوف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾[الأعراف: ٥٤] .

بيده الخلق كله، والأمر كله، بيده الأوامر الكونية، وبيده الأوامر الشرعية، وبيده الأوامر الجزائية بالوعد والوعيد :﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

هو الرب الواحد الأحد، القاهر لكل أحد، هو الواحد القهار، وكل ما سواه مقهور له، هو الواحد الأحد، وكل ما سواه في قبضته، وخاضع لكبريائه، وذليل لعزته:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤] .

والواحد الأحد الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

فالتوحيد أول واجبٍ على العبيد، وهو الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال، ولا يقبل الله أي عمل بدونه، وكل عمل لا توحيد فيه فباطل:﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤-٦٦] .

الثالث: الإيمان بربوبية الله عز وجل

الله جل جلاله هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأحكام المجيدة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

إن الرب الذي يستحق أن يعبد وحده هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وله الخلق والأمر كله، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، والأمر كله لله وحده، الخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره، وهو العزيز الرحيم، الغني الحميد، العليم القدير، يرحم إذا استُرحم، ويغفر إذا استُغفِر، ويعطي إذا سُئل، ويجيب إذا دُعي، ويفعل ما يشاء، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة: ٢٥٥].

هو جل جلاله الملك الغني الذي له وحده ملك السموات والأرض، وله ملك ما في السموات وما في الأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله ملك خزائن السموات والأرض، وله ملك مقاليد السموات والأرض، وله ملك غيب السموات والأرض، وله ملك جنود السموات والأرض، وله ملك ميراث السموات والأرض، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وهو على كل

شيء قدير :﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾[المائدة: ١٢٠].

فنعلم ونتيقن أن الله ﷻ هو وحده الرب الذي خلق المخلوقات، وأوجد الموجودات، وصور الكائنات، وخلق الأرض والسموات: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠١-١٠٣].

خلق جل جلاله العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الجماد والذرات، وخلق الماء والنبات، وخلق الإنسان والحيوان، وخلق السهول والجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق النور والظلمات: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام : ١].

خلق الله كل شيء بقدرته، ليس له وزيرٌ ولا مشيرٌ ولامعينُ سبحانه، هو الرب الواحد القهار، الملك العزيز الجبار: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٣-٢٤].

استوى على العرش برحمته، وأمسك السماء بقدرته، ودحى الأرض بمشيئته، وخلق الخلائق بإرادته، وقهر العباد بقوته :﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾[المزمل: ٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم مخلوقاته: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر: ٦٢-٦٣].

ونعلم ونتيقن كذلك أن الله سبحانه رب قدير على كل شيء، محيط بكل شيء، مالك لكل شيء، عليم بكل شيء، قاهر فوق كل شيء، خضعت الأعناق لعظمته، وخشعت الأصوات لهيبته، وذل الأقوياء لقوته :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

هو الرب القادر على كل شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ ﴾[الأنعام:١٧-١٨] .

هو القوي القادر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يقف له شيء :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾[الزمر: ٦٧].

فلا إله إلا الله ما أعظمه، وما أعظم خلقه، وما أعظم أمره:﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾[يس: ٨٢-٨٣] .

والله جل جلاله حكيم عليم في خلقه وأمره، أظهر ستة، وأخفى ستة:

فأظهر المخلوقات، وأخفى نفسه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق : ١٢] .

وأظهر سبحانه المخلوقات، وأخفى أمره فيها: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٧] .

وأظهر سبحانه الدنيا، وأخفى الآخرة :﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤].

وأظهر سبحانه قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

وأظهر سبحانه سننه الكونية، وأخفى قدرته الإلهية: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج: ٥-٧] .

وأظهر سبحانه الأجساد، وأخفى الأرواح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء : ٨٥] .

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه أقداره، وهذا خلقه، هو الرب العظيم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

هو جل جلاله العليم الذي يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[الرعد: ٩] .

يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، ويعلم عدد قطر الأمطار، وعدد الأشجار، وعدد ذرات الرمال، ويعلم ما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢]

لا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، هو العليم الذي يعلم عدد النفوس والأنفاس، وعدد الكلمات والأفعال: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

فسبحان الرب العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠].

ونعلم ونتيقن أن الله جل جلاله كل يوم هو في شأن، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يدبر الأمر، ويرسل الرياح، وينزل الغيث، ويحيي الأرض بعد موتها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨]

هو وحده الملك العظيم الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويفعل ما يشاء، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويرفع ويضع: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

[آل عمران: ٢٦-٢٧]

ونعلم ونتيقن كذلك أن خزائن كل شيء عند الله وحده، وأن خزائن السموات والأرض كلها لله وحده، وكلِ شيء في الوجود فخزائنه عند الله وحده :﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة – ١٢٠].

خزائن المياه عند الله وحده، خزائن النبات عند الله، خزائن الهواء عند الله، خزائن المعادن عند الله، خزائن الصحة عنده، خزائن الأمن، خزائن النعيم، خزائن العذاب وغيرها... كلها عند الله وحده، خزائن الرحمة، خزائن الهداية خزائن القوة، خزائن العزة .. كل هذه الخزائن وغيرها عند الله وحده لا شريك له وبيد الله وحده :﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر: ٢١] .

وإذا علمنا ذلك، وتيقنا على قدرة الله، وعظمة الله، وقوة الله، وكبرياء الله، وعلم الله، وملك الله، وخزائن الله، ورحمة الله، وحكمة الله، ووحدانية الله؛ أقبلت القلوب إليه؛ وانشرحت الصدور لعبادته؛ وانقادت الجوارح لطاعته ولهجت الألسن بذكره تعظيمًا وتكبيرًا وتسبيحًا وتحميدًا، فلا تسأل إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه، ولا تخف إلا منه، ولا ترجو إلا إياه، ولا تعبد إلا إياه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠١-١٠٣] .

هذا بالنسبة للمخلوقات، أما بالنسبة للأحوال:

فنعلم ونتيقن أن خالق جميع الأحوال هو الله وحده، من الغنى والفقر، والصحة والمرض، والفرح والحزن، والضحك والبكاء، والعزة والذلة، والحياة والموت، والأمن والخوف، والبرد والحر، والهداية والضلالة،

والسعادة والشقاوة، فهذه وغيرها من الأحوال خلقها الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر:٦٢].

ونعلم ونتيقن أن الذي يدبر الأمر، ويُصَرِّف هذه الأحوال، هو الله وحده لا شريك له: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس:٣١-٣٢] .

فلا يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله، ولا يتبدل المرض بالعافية إلا بأمر الله، ولا تتغير الذلة بالعزة إلا بأمر الله، ولا يتبدل الضحك بالبكاء إلا بأمر الله، ولا يموت حي إلا بإذن الله، ولا يتغير البرد بالحر إلا بأمر الله، ولا تتبدل الضلالة بالهداية إلا بأمر الله وهكذا في جميع الأحوال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون:٨٠].

فتأتي الأحوال بأمر الله وحده، وتزيد بأمره، وتنقص بأمره، وتبقى بأمره، وتزول بأمره: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك : ١].

فعلينا أن نطلب تغيير الأحوال ممن يملكها بالتقرب إليه وحده بما شرع: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧] .

ونعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأحوال السابقة وغيرها عند الله وحده لا شريك له: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر:٢١].

فلو أعطى الله سبحانه الصحة أو القوة أو الجمال أو العلم أو الغنى أو غير ذلك كل الناس، لم ينقص ما في خزائنه سبحانه مثقال ذرة؛ لأن ما عند الله لا ينقص أبداً، مهما أعطى منه أبداً، فسبحان الرب الغني الحميد: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان:٢٦].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُوني أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُوني أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُوني أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُوني أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوني، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ». أخرجه مسلم(١).

إن الفلاح والعزة، والأمن والسعادة، بالإيمان والأعمال الصالحة، لا بالأموال والجاه والرئاسة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال:٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

فالذي يؤمن بالله، ويمتثل أوامر الله، على هدي رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يرضى عنه، ويعطيه من خزائنه غنياً كان أو فقيراً ، ويؤيده وينصره، ويدخله الجنة، ويحفظه ويعزه بالإيمان، سواء كانت عنده أسباب العزة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أو لم تكن عنده أسباب العزة كبلال وعمار وسلمان وغيرهم رضي الله عنهم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون/ ٨].

ومن لم يؤمن بالله، فإن كانت عنده أسباب العزة من الملك والمال، أذله الله بها كما أذل فرعون وقارون وهامان وغيرهم، وإن كانت عنده أسباب الذلة من الفقر والمسكنة أذله الله بها كفقراء المشركين: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[الإسراء:٢٢].

والله خلق الإنسان للإيمان والأعمال الصالحة، وعبادة ربه وحده لا شريك له، ولم يخلقه ليستكثر من الأموال والأشياء والشهوات، فإنْ شَغَل نفسه بهذه الأشياء عن عبادة ربه، سلطها الله عليه، وجعلها سبباً في شقائه وهلاكه وخسارته في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة/ ٥٥].

الرابع: الإيمان بألوهية الله ﷻ

المؤمن يؤمن بالله رباً وإلهاً، وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[يونس:٣].

فنعلم ونتيقن أن الله هو الإله الحق لا شريك له، وأنه وحده المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فهو رب العالمين، وإله العالمين، ونعبده وحده بما شرع، مع كمال الذل له، وكمال الحب له، وكمال التعظيم له، فكما خضعنا لربوبيته خلقًا ونوعاً، ورزقاً، وتدبيرًا؛ فيجب أن نخضع لألوهيته أمرًا وشرعا :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام : ١٠٢].

ونعلم ونتيقن كذلك أن الله كما أنه واحد في ربوبيته لا شريك له، فكذلك هو واحد في ألوهيته لا شريك له؛ فنعبده وحده لا شريك له؛ ونجتنب عبادة ما سواه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

فالله ﷻ هو الإله الحق، وكل معبود من دون الله فألوهيته باطلة، وعبادته باطلة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾[لقمان: ٣٠].

وعبادة الله ﷻ مبنية على أصلين عظيمين:

حب كامل للهِ ﷻ .. وذل تام له.

وهذان الأصلان مبنيان على أصلين عظيمين، وهما:

مشاهدة منة الله وفضله وإحسانه ورحمته التي توجب المحبة له.

ومطالعة عيب النفس، والعمل الذي يورث الذل التام للهِ العزيز الجبار: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

وأقرب باب يدخل منه العبد إلى ربه باب الافتقار إلى ربه جل جلاله، فلا يرى نفسه إلا مفلساً، ولا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة يمنّ بها، بل يشهد ضرورته كاملة إلى ربه ﷻ، وأنه إن تخلى الله عنه خسر وهلك: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

فالله وحده هو الغني، وكل ما سواه فقير إليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

فكلنا فقراء إلى الله في خلقنا ورزقنا، وعلومنا، وحياتنا، وطريقة حياتنا.

وأكمل الناس عبادة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم أكملهم معرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، وأعظمهم حباً لله، وتعظيماً له، ثم زادهم الله فضلاً بإرسالهم إلى الناس، فصار لهم فضل الرسالة، وفضل العبودية الخاصة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠] .

ثم يليهم الصديقون الذين كمل تصديقهم للهِ ولرسوله، واستقاموا على أمره، ثم الشهداء الذين شهدوا بالحق، وبذلوا أنفسهم من أجل الحق، ثم الصالحون الذين صلحت أعمالهم.

وأبواب الكريم مفتوحة لمن شاء الاستقامة إلى يوم القيامة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

وحق الله على أهل السموات، وأهل الأرض، أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر :٢-٣].

فهو وحده أهلٌ أن يُعبد، بأن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خُلق له إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً، وإما تقصيراً، فنستغفر الله ونتوب إليه من جميع الذنوب والخطايا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].

لذا فلو أن الله ﷻ عذب أهل سماواته، وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأنهم مُلكه، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، لكنه كريم أوجب على نفسه لعباده ما لا يجب عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ

وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة:٢٤٣] .

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رِدْف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، قال فقال: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قال: قلت: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قال: قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَفلا أبشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «لا تُبشِّرْهُمْ فَيتَّكِلُوْا» .متفق عليه(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ » قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وقاربوا ». متفق عليه(٢).

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠)، واللفظ له.

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)، واللفظ له.

الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله

مقصود الرب من خلقه معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم عبادته وحده بموجب هذه المعرفة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

فالله جل جلاله هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأقدار الحكيمة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

فمعرفة صفات العزة والقوة، والقدرة والجبروت، تملأ القلب ذلة وانكسارًا وخضوعًا لله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

ومعرفة أوصاف الرحمة والبر، والجود والكرم، تملأ القلوب حبًا لله، ورغبةً وطمعًا في فضل الله وإحسانه وجوده :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣].

ومعرفة أوصاف العلم والإحاطة، توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع أقواله وأفعاله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك: ١٢].

ومعرفة مجموع هذه الصفات العظيمة؛ توجب للعبد تعظيم الله، وحب الله، والشوق إليه، والأنس به، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والشكر له، والتقرب إليه بعبادته وحده لا شريك له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ونثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨].

ونؤمن بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني والآثار، فنؤمن بأن الله رحيم ومعناه أنه ذو رحمة، ومن آثار هذا الاسم أنه يرحم من يشاء.. وهكذا القول في بقية الأسماء والصفات لله ﷻ، ونثبت كل ذلك على ما يليق بجلال الله سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل، على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى: ١١].

فالله هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد :﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ونعلم ونتيقن كذلك أن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وندعوه بها كما أمرنا سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله تواب يحب التوبة، وأهل التوبة، والله شكور يحب الشكر، وأهل الشكر، والله عفو يحب العفو، وأهل العفو...وهكذا في بقية أسماء الله الحسنى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ اسْماً، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنَّة» .متفق عليه[1].

وإحصاؤها حفظها، وفهم معانيها، والتعبد لله بالتخلق بها .

والإيمان بأسماء الله وصفاته يقوم على ثلاثة أصول عظيمة:

الأول : تنزيه الخالق سبحانه عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص: ١-٤].

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، من الأسماء والصفات:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠] .

الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله، فكما لا نعلم كيفية ذاته، كذلك لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى: ١١] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

فهذه هي أركان الإيمان بالله ﷻ التي يجب على العبد أن يكون على بينة منها، وأن يعرف ربه ليتحصل على الإيمان المطلوب الذي يريده الله ﷻ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة: ١٣٧-١٣٨].

ومن آمن بالله ﷻ آمن ببقية الأركان الستة، فمن آمن بالله العظيم، آمن بكتابه العظيم، وآمن برسوله الكريم، وآمن بشرعه العظيم، وآمن بوعده ووعيده: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥].

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا في الدين، وأن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين وأن نتحصل على الإيمان الكامل، لننال عليه الأجر والثواب الكامل:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥].

وهذا الإيمان لابد من الجهد عليه حتى يقوى، وإذا قوي الإيمان، قويت الأعمال، وإذا قويت الأعمال الصالحة رضي الله ﷻ عن هذا العبد، وإذا رضي الله عنه أسعده في الدنيا وفاز برضاه وجنته يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة:٧-٨].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا هداة مهتدين.
اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.
اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.
اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا أرحم الراحمين.
اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ وبارِكْ على محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكْتَ على آلِ إبراهيمَ في العالمينَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ .
﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب الرابع

الأسباب المعينة على زيادة الإيمان بالله عز وجل

ويشتمل هذا الباب على المباحث الإيمانية الآتية:

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

الثاني: إدامة النظر والتفكر في آيات الله الكونية.

الثالث: إدامة النظر والتدبر للآيات القرآنية.

الرابع: استدامة تذكر أحوال اليوم الآخر.

الخامس: الاستكثار من أنواع الطاعات.

السادس: النظر والتفكر في حياة الأنبياء والرسل.

السابع: كيف يزيد الإيمان بالله عز وجل في قلوبنا.

الأسباب المعينة على زيادة الإيمان بالله عز وجل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله

من أعظم أسباب زيادة الإيمان بالله ﷻ العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة، وأوامره الحكيمة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩].

وقد أمر الله خلقه بمعرفة صفات جلاله وجماله فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فمعرفة صفات الجلال تثمر الخوف من الله، ومعرفة صفات الجمال تثمر حب الله ﷻ، وهذا أعظم أسباب زيادة الإيمان بالله ﷻ.

والله ﷻ خلق السماوات والأرض وما فيهما، وما عليهما، وما بينهما، ليدلّ خلقه على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويوجّه عباده إليه، ليؤمنوا به، ويوحدوه، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

فمن أدام النظر والتفكّر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعرف معانيها وآثارها وحُسنها، زاد إيمانه بربه العظيم، وقوي توحيده، وامتلأ قلبه بحب الله وتعظيمه وتمجيده، وحمد الله وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ونطق لسانه بتكبير الله، وتسبيحه وتحميده، وتقديسه، وتحركت جوارحه بأنواع الطاعات والعبادات والقُربات، ووجل قلبه عند ذكر الله ذي الجلال والإكرام: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال : ٢-٤].

فالنظر في أفعال الرب في ملكه العظيم أعظم روافد التوحيد والإيمان بالله ﷻ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢ ﴾

[المؤمنون: ٨٤ - ٩٢].

فمن أراد أن يؤمن بالله حقًا، ويوحد ربه حقًا، ويحب الله حقًا، ويعبد الله وحده لا شريك له؛ فليعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يعبده بموجب هذه المعرفة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد : ١٩].

فلا لذة ولا سرور للقلوب إلا بمعرفة ربها وفاطرها، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩].

الثاني: إدامة النظر والتفكر في آيات الله الكونية

من أعظم أسباب زيادة الإيمان بالله ﷻ:

إدامة النظر والتفكّر في آيات الله الكونية:

كخلق العرش والكرسي، وخلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق النجوم والكواكب، وخلق الليل والنهار، وخلق النور والظلام، وخلق السحب والمياه، وخلق الحياة والموت، وخلق السهول والجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق الفضاء والرياح، وخلق الجمادات والنباتات، وخلق الحيوانات والطيور، وخلق الجن والإنس، وخلق الملائكة والروح، وخلق الذرات والمجرات، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق: ٥ - ٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢] .

فالتفكر في آيات الله ومخلوقاته من أعظم أسباب تقوية الإيمان بالله ﷻ، وذوق طعمه، واستشعار حلاوته، والوصول إلى حقيقته: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١].

وقال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ - ٨] .

وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٦] .

وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فمن نظر إلى هذه المخلوقات العظيمة، والآيات الكبيرة، والتدبيرات الحكيمة؛ وجد أن الله جل جلاله خلق هذا الكون العظيم من السموات والأرض وما فيهما، وما عليهما وما بينهما، وخلق ويخلق ما لا يحصيه إلا هو من أنواع المخلوقات المختلفة في الأحجام والألوان والوظائف، ليدل عباده على كمال وحدانيته، وربوبيته، وألوهيته، ووجوب عبادته وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وأعظم ما خلق الله في السموات والأرض وما بينهما سبعة عوالم عظيمة هي: عالم الملائكة .. عالم الجن.. عالم الإنس.. عالم الكواكب.. عالم الجمادات.. عالم النباتات.. عالم الحيوانات: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم مخلوقاته، وما أعظم أفعاله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل: ١٠ – ١٤] .

وكل هذه المخلوقات العظيمة أممٌ وقبائل وشعوب، لا يحصيها إلا الله، الذي خلقها وصورها وأبدعها، العليم الذي أحصى كل شيء عددًا، وأحاط بكل شيء علمًا: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ

﴿كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣] .

وقد خلق الله ﷻ هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي، والعالم السفلي، لتدلّ على تفرده بالوحدانية والربوبية والألوهية، وتدل على عظمة قدرته وقوته، وكمال علمه وإحاطته، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرف الناس ذلك عن ربهم آمنوا بالله وحده، وكبروه وعظموه ومجدوه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وأحبوه وحمدوه وشكروه، لجلال وجمال وعظمة نعمه وآلائه وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

فإذا عرفوا ذلك عبدوا ربهم بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

والرب العظيم، والملك الكبير، والإله الرحيم، الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا خلقه وأمره، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وإحسانه؛ هو الرب العظيم الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

هو جل جلاله الملك القوي القادر، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي شاهدةٌ بوحدانيته، ومسبحةٌ بحمده، وساجدةٌ لعظمته، وذليلةٌ لعزته، ومتصاغرةٌ لكبريائه، وخاضعةٌ لقهره، ومنقادة لجبروته، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر:٤]

وجميع تلك المخلوقات العظيمة تشير إلى من أبدعها وخلقها وصورها، وأحكم صنعها وتدبيرها، معلنةً عجزها وضعفها، وفقرها وذلها، ساجدة للرب الخالق العظيم الذي خلقها :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج:١٨].

واستدامة هذا النظر والتفكر في مخلوقات الله العظيمة يملأ القلب بالتوحيد والإيمان، والتعظيم والتكبير للملك العزيز الجبار، والحب والحمد والشكر للرب الغني الكريم الرحمن، والتوكل على الملك القوي القادر القهار : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

الثالث: إدامة النظر والتدبر للآيات القرآنية

من أسباب زيادة الإيمان بالله ﷻ إدامة النظر والتفكر والتدبر للآيات القرآنية، وتدبر ما فيها من الأخبار الصادقة، والأوامر الحكيمة، والشرائع الحسنة، والقصص النافعة: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

فلا إله إلا الله ما أعظم كتاب ربنا العظيم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩].

وما أعظم بركاته ومنافعه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

وأين المتفكرون في آياته وأخباره وأحكامه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

هذا القرآن أحسن الحديث: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

هذا القرآن هدى ونور وبيان، هذا القرآن عظيم ومجيد، وعزيز وكريم وحكيم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ

ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

ومن تدبر هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم؛ وجد أن الله ﷻ ذكر فيه **أمهات العلم الإلهي، وأعظم أبواب التوحيد والإيمان، وهي سبعة:**

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله كما قال سبحانه:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥] .

الثاني: العلم بالمنهج الإلهي الذي يحب الله من عباده أن يسيروا عليه، ويتعبدوا له بموجبه، وهو القرآن الكريم: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

الثالث: العلم بالرسول الذي يريد الله من عباده أن يقتدوا به:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الرابع : العلم بالنفس البشرية ماذا تريد من الله، وماذا يريد الله منها، وما ذا يجب على العبد نحوها: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧ – ١٠] .

الخامس: العلم بعدو الإنسان الذي يصله دائماً، وهو الشيطان، ليحذره : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦] .

السادس: العلم بالدنيا، وما الواجب على الإنسان أن يعمل فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨].

السابع: العلم بالآخرة، وما الواجب على المسلم أن يقدم لها، كما قال سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢٠ – ٢١].

وكلما زاد علم العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ زاد إيمانه بربه، وقويت عبادته له، ونظر إلى المخلوقات وتجاوزها إلى الخالق، ونظر إلى الدنيا وتجاوزها إلى الآخرة، ونظر إلى الأموال والأشياء وتجاوزها إلى الإيمان والأعمال الصالحة، ونظر إلى عالم الشهادة وتجاوزه إلى عالم الغيب، ونظر إلى السنن الكونية وتجاوزها إلى رؤية القدرة الإلهية: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

الرابع: استدامة تذكر أحوال اليوم الآخر

استدامة تذكر أحوال اليوم الآخر، وما فيه من الأهوال، من البعث والحشر، والحساب والجزاء، والخوف والفزع، والوعد والوعيد، والجنة والنار، والثواب والعقاب، أحد أركان الإيمان التي تزيد الإيمان .

فمن تذكر عرصات القيامة، وما يجري فيها من الأهوال العظيمة، صار الغيب عنده شهادة، ورأى يوم القيامة رأي العين، ورأى أهل الجنة في الجنة يُنعّمون، ورأى أهل النار في النار يُعذّبون، فزاد إيمانه بالله تعالى، وزاد خوفه منه، فسارع إلى طاعة الله، وزجر نفسه عن كل معصية، ولزم التوبة والاستغفار، وأكثر من الحمد والشكر لمن خلقه ورزقه وهداه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة :١-٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة : ٧٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٦٨﴾ [التوبة : ٦٨].

وقال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة:٢٨١] .

الخامس: الاستكثار من أنواع الطاعات

من أسباب زيادة الايمان الاستكثار من أنواع الطاعات، والمحافظة على أداء الفرائض والنوافل، والاهتمام بالواجبات والسنن، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ ﴾ [الفتح:٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ ﴾ [التوبة:١٢٤].

وقال النبي ﷺ: « لا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُها وهو مُؤْمِنٌ ». متفق عليه(١).

فالطاعات لله ﷻ تزيد الإيمان في القلب، فيسرع العبد إلى فعل ما يحبه الله ويرضاه، ويجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧).

والمعاصي تنقص الإيمان في القلب، وإذا نقص الإيمان في القلب كثرت المعاصي، وقلّت الطاعات، وهان على العبد أن يعصي ربه: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

وكلما زاد حجم الإيمان في القلب زادت الطاعات، وقلّت المعاصي، وكلما زاد حجم الشهوات في القلب زادت المعاصي، وقلّت الطاعات، واحدة بواحدة، سواء بسواء ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾ [مريم: ٥٩ – ٦٠] .

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، يا أرحم الراحمين.

السادس: النظر والتفكر في حياة الأنبياء والرسل

من أسباب زيادة الإيمان بالله ﷻ النظر والتفكر في قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكيف مكّن الله لهم في الأرض، ونصرهم على من عاداهم، وأعزهم وأعز من آمن بهم، وخذل من عاداهم وكذبهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف:١١١].

وكلما زاد علم العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته الكونية، وآياته القرآنية؛ وأخبار رسله، زاد إيمانه، وقويت أعماله الصالحة، وأكرمه الله جل جلاله بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧].

فيحصل لهذا العبد في الدنيا إيمانٌ جديدٌ بربه، وتوحيدٌ جديد، وحبٌ جديدٌ لربه، وتعظيمٌ جديدٌ لربه، وصبر جديد، وخشيةٌ لله، وخوفٌ منه، ورجاءٌ له، وتوكلٌ عليه، وشكرٌ جديدٌ، وحمدٌ جديد، وحياءٌ من الله، وتعظيمٌ لأوامره، وحبٌ لطاعته، وكراهيةٌ لمعصيته، وكثرة استغفاره، والتوبة إليه من كل معصية، والإنابة إليه، والتسليم لأمره، وتفويض أموره إليه، ووجلُ القلب عند ذكره: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

فهؤلاء هم المؤمنون الذين جمعوا بين أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، ففازوا برضوان الله ومغفرته وجنته: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وكلما امتلأ القلب بأركان الإيمان الستة وهي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره؛ زاد إيمان العبد، وقوى توحيده، وزادت تقواه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أعرف الخلق بالله، وأحسنهم توحيداً له، وأصدقهم إيماناً به، وأحسنهم عبادة له، ودعوة إليه، وتعليماً لشرعه، وإحساناً إلى خلقه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبمعرفة سيرة الأنبياء والرسل تحصل للناس الهداية، ويزيد إيمانهم، وتحسن عباداتهم وأخلاقهم، لأنهم قدوة الخلق في التوحيد والإيمان، وفي الأقوال الحسنة، وفي الأعمال الصالحة، وفي الأخلاق الكريمة، وفي الدعوة إلى الله، وفي تعليم شرع الله، وفي الإحسان إلى خلق الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة: ٢].

وقال الله ﷻ عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الله ﷻ لهذه الأمة : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

السابع: كيف يزيد الإيمان بالله عز وجل في قلوبنا؟

أساس الدين هو الإيمان بالله ﷻ، واليقين على ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، والعمل بموجب ذلك: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فلا سعادة لأحد في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان والأعمال الصالحة فقط: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

وجميع الأعمال الصالحة، وجميع العبادات، وجميع المعاملات، قبولها مبنيٌّ على هذا الأصل العظيم، وهو الإيمان وإذا قوي هذا الإيمان قويت الأعمال الصالحة ثم صلُحت أعمال العبد، ثم جاء رضوان الله عليه، ثم زادت سعادته في الدنيا، ثم زادت في القبر، ثم بلغت سعادته كمالها في الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٧ - ٨] .

وإذا ضعف هذا الإيمان ونقص؛ ضعفت الأعمال والعبادات والمعاملات، ثم ساءت الأحوال، ثم جاء سخط الله، ثم نزلت عقوبته على من خالف أمره: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والإيمان بالله أصل الأعمال كلها، وأصل أركان الإيمان، وأصل الدين كله.

ولتحصيل هذا الإيمان وزيادته، لا بد للعبد من أربعة جهود:

الأول: جهدٌ على تحصيل الإيمان بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، والاستكثار من الطاعات فرْضها ونفْلها :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾[محمد:٢٤].

الثاني: جهدٌ على حفظ الإيمان في البيئات الإيمانية الذاكرة، والانقطاع عن البيئات الغافلة:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف : ٢٨].

الثالث: جهدٌ على الاستفادة من الإيمان، فنستفيد من الإيمان كما نستفيد من الأموال، فمتى جاء الإيمان واليقين في قلب العبد، أجاب الله دعاءه وفرّج كربه:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

وقال الله ﷻ عن يونس ﷺ:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[سورة الأنبياء:٨٧-٨٨].

الرابع: جهدٌ على نشر الإيمان في العالم:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ

كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾

[آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

ومن قام بهذه الجهود الأربعة هداه الله إلى سبل رضاه وأسعده في دنياه وأخراه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر: ١ - ٣].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: « إيمانٌ بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: « الجهادُ في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: « حجٌ مبرورٌ ». متفق عليه(١).

وعن تميم الداري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»أخرجه مسلم(٢).

وحتى يأتي الإيمان في قلوبنا ويزيد لا بد لقلب المؤمن من العلم بأمور:

الأول : أن نعلم ونتيقن أن خالق كل شيءٍ هو الله وحده، ظاهرًا كان أو باطنًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، فخالق السماء هو الله، وخالق الأرض هو الله، وخالق العرش هو الله، وخالق الكرسي هو الله، وخالق الملائكة هو الله، وخالق النجوم هو الله، وخالق البحار والجبال هو الله، وخالق الإنسان والحيوان هو

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦)، ومسلم برقم (٨٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

الله، وخالق النبات والجماد هو الله، وخالق الجنة هو الله، وخالق النار هو الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

فيقول اللسان للقلب، ليزيد إيمانه وتقواه: العرش شيء، والكرسي شيء، والسموات شيء، والأراضون شيء، والله خالق كل شيء.

ويقول: الشمس شيء، والقمر شيء، والنجوم شيء، والهواء شيء، والسحب شيء، والله خالق كل شيء.

ويقول: الماء شيء، والبحار شيء، والجبال شيء، والأنهار شيء، والناس شيء، والملائكة شيء، والجن شيء، والحيوانات شيء، والطيور شيء، والذرات شيء، والله وحده خالق كل شيء، القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، القاهر لكل شيء، المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠١ – ١٠٢] .

نتكلم بذلك ونسمعه، ونفكر فيه ونكرره، فما تكرّر تقرّر، وننظر في الآيات الكونية، ونتدبر في الآيات القرآنية، وننظر نظر اعتبارٍ وتفكر، حتى يرسخ الإيمان في قلوبنا ويزيد، ونذوق طعمه، ونجد حلاوته، ونصل إلى حقيقته وقد أمرنا الله بذلك بقوله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس/ ١٠١] .

وقال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾[محمد:٢٤].

الثاني: أن نعلم ونتيقن أن الله خلق المخلوقات، وخلق فيها الأثر، فخلق العين وخلق فيها الأثر وهو البصر، وخلق الأذن وخلق فيها الأثر وهو السمع، وخلق اللسان وخلق فيه الأثر وهو الكلام، وخلق الشمس وخلق فيها الأثر وهو النور، وخلق السحب وخلق فيها الأثر وهو الماء، وخلق النار وخلق فيها الأثر وهو الإحراق، وخلق النبات وخلق فيه الأثر وهو الحَب، وخلق الشجر وخلق فيه الأثر وهو الثمر، وهكذا... :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

فالله خالق كل شيء، والمخلوق لا يخلق المخلوق أبداً، لأن الخالق هو الله وحده، فكل ما سواه مخلوق: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤] .

الثالث: أن نعلم ونتيقن أن الذي يملك جميع المخلوقات ويتصرف فيها ويدبرها هو الله وحده لا شريك له:﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

وكل ما في السموات والأرض من المخلوقات، كبيرهم وصغيرهم، كلهم عبيدٌ فقراء إلى الله، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، ولا نصرًا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فالله مالكهم، وهم محتاجون إليه، وهو

غنيٌّ عنهم، وهم فقراء إليه: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤ ﴾ [الحج:٦٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ [فاطر:١٥].

وهو سبحانه الملك الذي يصرّف الكون، ويدبّر أمور جميع خلقه.

فالذي يتصرف في السموات والأرض هو الله وحده، والذي يتصرف في الشمس والقمر والكواكب هو الله وحده، والذي يتصرف في المياه والبحار والأنهار هو الله وحده، والذي يتصرف في النار والرياح، وفي الأنفس والنباتات، والذرات والمجرات، هو الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ [الرعد: ٢ – ٤] .

وهو وحده الذي يتصرف في الرؤساء والوزراء، وفي الأغنياء والفقراء، وفي الأقوياء والضعفاء، وفي الأصحاء والمرضى، وغيرهم، هو الله وحده لا شريك له، وهم جميعًا في قبضته، خاضعون لأمره، ومسرعون إلى إرادته: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ

حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فالله وحده بيده الخلق والأمر، والخلق الإيجاد، والأمر الإمداد، فالله خلق الشمس، وأمدها بالنور، وخلق اللسان، وأمده بالكلام .. وهكذا: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالله ﷻ هو الملك الذي يتصرف في جميع مخلوقاته بقدرته وحكمته وعلمه؛ كيف شاء، ومتى شاء، فقد يخلق الشيء، ويسلب أثره بقدرته، فقد توجد العين ولا تبصر، وقد توجد الأذن ولا تسمع، ويوجد اللسان ولا يتكلم، ويوجد البحر ولا يُغرِق، وتوجد النار ولا تحرق، وتوجد الأنثى ولا تحمل، ويوجد الشجر ولا يثمر، وقد فعل الله ذلك سبحانه، لأنه الرب الذي يتصرف في الخلق كيف يشاء، لا إله إلا هو الواحد القهار، وهو على كل شيء قدير: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

وبعض القلوب تتأثر بالشيء أكثر من خالق الشيء، فتتعلق بالشيء وتغفل عن خالق الشيء جل جلاله، والواجب أن نصل بهذا العلم، وبهذا النظر، وبهذا الإيمان من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور الذي خلق كل شيء وصوره، فنعبده وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤]

فالله حده بيده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[يونس: ٣١ - ٣٢].

الرابع: أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأشياء والمخلوقات عند الله وحده، لا عند غيره: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحجر:٢١].

فكل شيء في الوجود فخزائنه عند الله، خزائن السموات وخزائن الأراضين عند الله، وخزائن النجوم، وخزائن النعم، وخزائن العلم، عند الله وحده، وخزائن الهداية، وخزائن النور، وخزائن الظلام، وخزائن الكلام، وخزائن الأخلاق، كل ذلك خزائنه عند الله وحده .

وخزائن الطعام والشراب، وخزائن الحبوب والثمار، وخزائن السحب والمياه والرياح، وخزائن الأموال والأشياء، وخزائن البحار والجبال وغيرها، كلها عند الله وحده : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾[المنافقون: ٧].

فكل ما نحتاجه نطلبه من الله الغني الكريم، ونسأله إياه، ونكثر من العبادات والقربات، فهو سبحانه وحده قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، وهو خير المسؤولين، وخير المعطين، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فاطر:٢] .

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه، وما أعظم خزائنه، وما أعظم كرمه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:٢١].

والله ﷻ له القدرة المطلقة في كل شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، أحياناً يعطي ويرزق بالأسباب كما جعل الماء سببًا للإنبات، ووطء الأنثى سببًا للإنجاب، ونحن في دار الأسباب، فنفعل الأسباب، ونتوكل على الذي خلقها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٩] .

وقال ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠].

فنأخذ بالأسباب المشروعة امتثالًا لأمر الله، ولا نتوكل إلا على الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣].

وأحيانًا الله ﷻ يعطي ويرزق بدون الأسباب، يقول للشيء كن فيكون، كما رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابنًا بلا ذكر: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وأحيانًا الله جل جلاله يستعمل قدرته بضد الأسباب، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وكما نجّى موسى ﷺ ، وأغرق فرعون وقومه في البحر، بأمرٍ واحد، وبحرٍ واحد، في وقتٍ واحد: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء:٦١-٦٨] .

وكما نجّى الله ﷻ يونس ﷺ في ظلمة بطن الحوت والبحر: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الأنبياء:٨٧-٨٨].

فسبحان الرب الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

فالله أظهر قدرته لعباده بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك:١] .

فهذه خمسة أمور لا للعبد من معرفتها، ليعرف ربه حقاً: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

هذا بالنسبة للمخلوقات، أما بالنسبة للأحوال، فليزيد الإيمان لا بد للعبد أن يعلم بأمور:

الأول: أن نعلم ونتيقن أن خالق جميع الأحوال هو الله وحده، من الغنى والفقر، والصحة والمرض، والفرح والحزن، والضحك والبكاء، والعزة والذلة، والحياة والموت، والأمن والخوف، والبرد والحر، والهداية والضلالة، والسعادة والشقاوة. فهذه وغيرها من الأحوال التي خلقها الله وحده لا شريك له، ويقلّبها في عباده بقدرته: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢]

فالله وحده يقلب الأحوال على الخلق كما يقلب الليل والنهار على الأرض.

الثاني : أن نعلم ونتيقن أن الذي يدبر الأمر ويصرف هذه الأحوال هو الله وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فلا يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله وحده، ولا يتبدل المرض بالعافية إلا بأمر الله وحده، ولا تتغير الذِّلة بالعزة إلا بأمر الله وحده، ولا يتبدل الضحك بالبكاء إلا بأمر الله وحده، ولا يموت حيٌ إلا بأمر الله وحده، ولا يتبدل الليل بالنهار إلا بأمر الله وحده، ولا يتغير البرد بالحر إلا بأمر الله وحده، ولا تتبدل الضلالة بالهداية إلا بأمر الله وحده، وهكذا في جميع الأحوال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون:٨٠] .

فتأتي الأحوال بأمره سبحانه، وتزيد بأمره، وتنقص بأمره، وتبقى بأمره، وتزول بأمره، فعلينا أن نطلب تغيير الأحوال ممن يملكها، بالتقرب إليه وحده بما شرع من الايمان والأعمال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦- ٢٧].

فالله حي بجميع صفات الجلال والجمال والكمال: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

الثالث: أن نتيقن أن خزائن جميع الأحوال السابقة وغيرها عند الله وحده لا شريك له، فلو أعطى الله سبحانه الصحة أو الغنى أو غيرهما كل الناس لم ينقص ما في خزائنه سبحانه مثقال ذرة، لأن ما عند الله لا ينقص أبدًا مهما أعطى الله منه أبدًا .

فسبحان الغني الحميد الذي خزائنه ملأي بكل شيء: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَـا عِبَـادِي! إِنَّكُـمْ تُـخْطِئُونَ بِاللَّيْـلِ وَالنَّـهَارِ، وَأَنَـا أَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ جَـمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا، عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شيئاً.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شيئاً.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم[1].

اللهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا قوي يا عزيز، يا رحمن يا رحيم، املأ قلوبنا بالتوحيد والإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين.

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وحلالًا طيبًا، ونسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا، يا ذا الجلال والإكرام...

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، يا ارحم الراحمين...

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

[آل عمران:٨]

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

[الأعراف:٢٣].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات:١٨٠–١٨٢] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب الخامس

علامات الإيمان بالله، وواجباته، وثوابه

ويشتمل هذا الباب على المباحث الإيمانية الآتية:

الأول: علامات الإيمان بالله ﷻ.

الثاني: وظائف أهل الإيمان.

الثالث: جزاء أهل الإيمان.

الرابع: علامات ضعف الإيمان.

علامات الإيمان بالله، وواجباته، وثوابه

الأول: علامات الإيمان بالله ﷻ

كل شيءٍ له علامة، وعلامة الإيمان لزوم التقوى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

وأعظم لذَّات الدنيا والآخرة: معرفة مولاك في الدنيا، والأنس به ورؤيته في الآخرة، فأطيب ما في الدنيا معرفة الله ﷻ ومحبته وعبادته، وأطيب ما في الآخرة النظر إليه، والأنس بقربه، وألذُّ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، ورضاه، وسماع كلامه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

إن العلم الأعلى هو العلم بالرب الأعلى، والعلم العظيم هو العلم بالرب العظيم، والعلم الكبير هو العلم بالرب الكبير، فسبح باسم ربك الأعلى، وسبح باسم ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

ولكل مؤمن صفات تميزه عن غيره من الكفار والمشركين:

فأعظم صفات المؤمن العارف بالله جل جلاله هي:

الأولى: أن المؤمن العارف بالله حقًا، يرى بعين قلبه أن الله وحده هو الفاعل وحده، والخلق كلهم مخلوقون مفعولون، والجاهل يرى بعين رأسه دون قلبه أن الخلق فاعلون من دون الله ﷻ: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

والاعتبار هو أن يَعبُر نظر العبد من الأثر إلى المؤثر، ومن الصَنعة إلى الصانع، ومن الخلق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، ومن الدليل إلى المدلول: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فيرى الله بيده كل شيء، ويرى كل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

الثانية: من علامات الايمان بالله ﷻ: الفناء في شهود ربوبية الله جل جلاله، فيشهد قلب المؤمن العارف بالله تفرد الرب بالربوبية، والقيومية، والتدبير، والتصريف، والخلق، والتصوير، والرزق، والإنعام، والعطاء، والمنع، والنفع والضر، والحياة والموت: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي منفعلة لا فاعلة، والفعّال هو الله وحده الذي خلقها، ويدبرها وحده كيف شاء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣]

الثالثة: الفناء في شهود ألوهية الله ومحبته وعبادته، والفناء عن إرادة ما سوى الله، ومحبة الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخوفه ورجائه، وخشيته وتقواه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فيفنى العبد بحب الله عن حب ما سواه، وبخوف الله ورجائه عن خوف ورجاء ما سواه، وبالتوكل عليه وحده دون سواه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣].

وثمرة هذا الفناء إفراد الرب جل جلاله بالتوحيد والمحبة، والخوف والرجاء، والتعظيم والإجلال، والعبادة والطاعة: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [يونس: ٣].

والقلوب دائما تتعلق بمن هو فاعلٌ قادرٌ ؛ يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، وينفع ويضر؛ ولا تتعلق بمن هو مفعولٌ لا يفعل، ولا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق؛ فالقلوب مفطورةٌ على التعلق بالله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة والأحكام المجيدة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ [فاطر: ١٣].

الرابعة: الفناء في شهود وحدانية ﷻ في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملكه وسلطانه: ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾ [الحج:٣٤ – ٣٥].

ويشهد وحدانية الله في الملك والملكوت، والخلق والأمر، والتدبير والتصريف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾ [الأعراف:٥٤].

ويشهد وحدانية في العبادة، فلا يعبد إلا الله، ولا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يكبّر إلا الله، ولا يحب إلا الله، ولا يشكر إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦].

هو الله الواحد الأحد الصمد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، العليم بكل أحد، المحيط بكل أحد، المهيمن على كل أحد، الرحيم بكل أحد: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فاعبد ربك الواحد الأحد، يغنيك عن كل أحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]

الخامسة: أن المؤمن العارف بالله يُقرّ بذلك بقلبه، وبقوله بلسانه، ويُصدّق ذلك بأقواله وأفعاله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥ - ١٧].

فلا يغرّنك الإقرار بمعرفة الله بلسانك، وأفعال القلب، وأحوال الجوارح، تكذب ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣]

وقال ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾[المائدة:٤١].

فالجاهل بالله يقرّ بلسانه بأسماء الله وصفاته؛ لكن بفعله وحاله وباطنه يصرفها للخلق، وكأن المخلوق وحده هو الرازق والمعطي، والقوي والقادر، والناصر والشافي من دون الله ﷻ: ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ ﴾[المائدة: ٧٦].

السادسة: المؤمن العارف بالله أطيب الخلق عيشًا، وأسعدهم بمولاه، إن نزلت به نعمة عَلِمَ من أهداها، وشكره عليها، وإن نزلت به مصيبة، عَلِمَ من أرسلها، فصبر عليها، ورضي بها، وشكر من أرسلها، لأنها لمصلحته: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾[التوبة/ ٥١].

فهو في أطيب عيشٍ مع ربه الرحمن الرحيم، إن تكلّم نطق بما يحبه الله ويرضاه، من الذكر والدعاء والدعوة وإن سكت تفكّر في إقامة حقه، يعاشر الخلق ببدنه، وروحه تناجي ربه، وأذنه تسمع كلامَه، وعينه تنظر في ملكوته، ولسانه يسبح بحمده: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال:٢– ٤].

السابعة: من علامات المؤمن بالله ﷻ: أن المؤمن العارف بالله مشغولٌ بعبادة ربه، والدعوة إليه، غافلٌ عن كل ما سواه، لا يرى له على أحد فضلًا، ولا يرى له على أحد حقًا: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الثامنة: أن المؤمن العارف بالله لا يأسف على فائت، ولا يفرح بآت، لأنه ينظر إلى الأشياء بعين الفناء والزوال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١].

فالعارف بالله حقًا كالأرض، يطأها البَرّ والفاجر، وتُنبت من كل زوج بهيج، وكالسحاب يُظِلُّ كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب.

هذا العارف بالله يخرج من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين:

بكاؤه على نفسه لتقصيرها، وثناؤه على ربه ذي الجلال والإكرام:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك: ١٢].

فهذه أعظم صفات أهل الإيمان:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٧–٦١].

التاسعة: المؤمن العارف بالله ينسب فعله وفعل غيره من الأعمال الصالحة إلى خالقه ومالكه، والمنعم عليه بكل نعمة:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وهذا يخُلّص قلب العبد من الكبر والعجب، والفخر والبطر، والكفر والشرك.

فإن فُزت فقل: وفقني الله وحده، وإن أصبت فقل: سددني الله وحده، وإن رزقت فقل: رزقني الله وحده، وإن نصرت فقل: نصرني الله وحده، وان أكلت فقل: أطعمني الله وحده، وإن تعلمت فقل: علمني الله وحده، وهكذا في كل أمر:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

العاشرة: أن المؤمن العارف بالله لا تراه إلا بين يدي ربه عابدًا، وبين يدي خلقه داعيًا، ومعلمًا، ومحسنًا: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٥- ١٧].

وهو بين يدي خلقه منفقًا ومحسنًا:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فلسان هذا العارف مشغولٌ بذكر الله، يُكَبّره ويمجّده، ويقدّسه ويسبّح بحمده، ويدعوه، ويدعو الناس إلى عبادته، وجوارحه سلمها لمولاه، فهي ساجدة لعظمته، ومتصاغرة لكبريائه:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

ولسانه مشغول بذكر الله، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

الحادية عشرة: المؤمن العارف بالله حقًا يشهد كل وقت إحسان الله إليه، وإنعامه عليه، وعنايته به، ورعايته له، ورأفته به، ورحمته له، فهو مشغول دائمًا بحمد الله وشكره، والثناء عليه في كل حين:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١١].

فلا إله إلا الله ما أعظم إحسانه إلى خلقه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

الثانية عشرة: من علامات الإيمان بالله ﷻ: أن المؤمن العارف بالله حقًا يعتزل الخلق بينه وبين الله، فلا يرى إلا الله وحده، ويرى كل من سواه كالأموات، ليس بأيديهم شيء، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولا حياةً ولا موتًا، ولا عطاءً ولا منعًا، ولا تقديمًا ولا تأخيرًا: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣].

ويعتزل كذلك نفسه بينه وبين الخلق، حتى يكون بينهم بلا نفس، لأن قلبه معلق بالذي خلقه وهداه، والذي يسمعه ويراه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

الثالثة عشرة: أن المؤمن العارف بالله حقًا هو الذي عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، وأقداره الحكيمة، فهو مستأنس بربه، مستوحش ممن يقطعه عنه، قد أنس بالله فأوحشه من الخلق، وافتقر إلى الله فأغناه الله عنهم، وذَلَّ لله فأعزه من بينهم، وتواضع لله فرفعه بينهم، واستغنى بالله فأحوجهم إليه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

الرابعة عشرة: من علامات الإيمان بالله ﷻ: أن المؤمن العارف بالله كلما عرف شيئًا عن ربه جل جلاله ازداد شوقًا لمعرفة المزيد من أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله العظمى، ونعوته الجميلة، وأحكامه المجيدة: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه :١١٤].

الخامسة عشرة: أن المؤمن العارف بالله حقًا حافظ لأوقاته بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فهو بين طاعاتٍ يؤديها، ومعاصي يجتنبها، ونعمٍ يشكر الله عليها، وذنوبٍ يستغفر الله منها، وابتلاءاتٍ يصبر عليها، ويشكر الله عليها: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]

فكل حياة هذا المؤمن عبادةٌ بينه وبين ربه، وعبادةٌ بينه وبين خلقه بمكارم الأخلاق: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

فهذه أهم صفات المؤمنين العارفين بالله ﷻ؛ يذكرونه، ويمجدونه، ويكبرونه، ويعبدونه، ويحمدونه، ويشكرونه، ويصدقون أخباره، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويدعون الناس إليه، ويعلمون شرعه، ويحسنون إلى خلقه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة/ ٧١].

وهذه صفاتهم مع الخلق: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فسل نفسك يا عبد الله هل عرفت صفات المؤمنين العارفين بالله ﷻ؟ وإذا عرفتها فهل أنت منهم؟ وإذا كنت منهم فهل أنت أولهم أو آخرهم، أوْ لست منهم ولا تعرفهم؟:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

المؤمنون الذين اشتراهم الله ﷻ هم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

وهذه أعظم صفات المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

فهذه عشرون صفة زين الله بها المؤمنين، فتجمل بها، وتعبد لله بموجبها، وادع الناس إليها، تسعد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

الثاني: وظائف أهل الإيمان

شرف الله أهل التوحيد والإيمان بوظائف الأنبياء والرسل، وهي أعظم الوظائف، فيجب على أهل التوحيد والإيمان التعبد لله ﷻ بالوظائف الآتية:

الأولى: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦].

وقال ﷻ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الثانية: من وظائف أهل الإيمان إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

الثالثة: طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ ، وطاعة أولي الأمر في غير معصية الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلى المرْءِ المسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ». متفق عليه[1].

الرابعة: الدعوة الى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقال ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

الخامسة: تعلّم العلم الشرعي وتعليمه، والعمل به: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

السادسة: الجهاد في سبيل الله إذا دعا إليه إمام المسلمين: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٩-٤٠].

السابعة: الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم برقم (١٨٣٩)، واللفظ له.

ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣-١٠٥].

الثامنة: الاستقامة على الدين ظاهرًا وباطنًا: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢].

التاسعة: حسن الخُلُق مع الخَلْق: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وقال ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وقال ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

العاشرة: لزوم الاستغفار والتوبة في كل وقت: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود:٣].

الحادية عشرة: لزوم الحمد والشكر على نعم الله الظاهرة والباطنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال ﷻ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ١-٣].

وقال ﷻ: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

الثانية عشرة: حفظ الأوقات بالأعمال الصالحة انفرادية واجتماعية: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

الثالث: جزاء أهل الإيمان

وعد الله أهل التوحيد والإيمان في الدنيا بموعودات كريمة، ومن أعظمها: الفلاح كما قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: ١ - ٤].

والهداية، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والنصر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

والعزة، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨].

والخلافة، والتمكين في الأرض، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: ٥٥].

ومن تكريم الله لأوليائه: الدفاع عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

والأمن، كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

والنجاة كما قال سبحانه: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ [النمل: ٥٣].

وحصول الطمأنينة كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وحصول البركات كما قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وعدم تسليط الكفار عليهم كما قال سبحانه: ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء: ١٤١] .

ومعيّة الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل: ١٢٨].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال: ١٩].

ومحبة الله لهم، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤] .

وغير ذلك من أنواع الكرامات التي وعد الله بها المؤمنين في الدنيا كما في القرآن .

أما في الآخرة: فقد أعد الله للمؤمنين من النعيم المقيم، والملك الكبير، ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٧].

ومن أعظم كرامات أهل التوحيد والإيمان في الآخرة ما يلي:

الأولى: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

الثانية: دخول الجنة، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحج: ١٤].

الثالثة: الخلود في نعيم الجنة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].

الرابعة: رضوان الرب على أوليائه كما قال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

الخامسة: رؤية الرب جل جلاله في الجنة، كما قال ﷻ عن المؤمنين: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

السادسة: القرب من الرب جل جلاله، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

السابعة: سماع كلام وسلام الرب جل جلاله، كما قال ﷻ عن أهل الجنة: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

الثامنة: النجاة من النار، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وقال ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وغير ذلك من كرامات الرب لأوليائه في الآخرة كما ذكر الله في كتابه.

والصفات الموعودة في الدنيا على الإيمان غير موجودة في حياة كثيرٍ من المسلمين اليوم، مما يدل على ضعف إيمانهم، ونقص أعمالهم، ولا سبيل للحصول عليها أو رؤيتها إلا بتقوية الإيمان الموجود بالإيمان المفقود، لنحصل على موعودات الله المذكورة في الدنيا على الإيمان المطلوب، كما حصل للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومن آمن بهم.

بأن يكون إيماننا وأعمالنا وأخلاقنا كإيمان وأعمال وأخلاق الأنبياء والصحابة، بقدر الإمكان: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨].

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦] .

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

الرابع: علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ

جميع ما نراه من المعاصي والمنكرات، والفواحش والكبائر، له سببٌ واحد هو ضعف الإيمان بالله ﷻ، الذي ينشأ عنه ترك الواجبات، واقتراف المحرمات، وارتكاب المنهيات، وترك الهدى، واتباع الهوى، وتجاوز حدود الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠]

وهذه الكبائر والمعاصي والمحرمات وغيرها من المعاصي أعراضٌ لمرضٍ واحد، وهو ضعف الإيمان بالله في القلب: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

وقال النبي ﷺ: «أَلا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ». متفق عليه[1].

ومن صح إيمانه حسنت أعماله، وعظم ثوابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وعلامات ضعف الإيمان بالله ﷻ كثيرة، أهمها:

الأولى: أن جميع مشاكل العالم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها سببها ضعف الإيمان بالله جل جلاله، والجهل بالله وأسمائه وصفاته

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

وأفعاله، ودينه وشرعه، وذلك من أعظم علامات ضعف الإيمان الذي نشأ عنه تقديم الهوى على الهدى، وتقديم الشهوات البهيمية على الأوامر الإلهية، وتقديم محبوبات النفس من الشهوات والملذات على محبوبات الرب من الإيمان والطاعات، وتلك سنّة الله الجارية: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

وقال ﷻ: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء: ١٢٣]

وقال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فكل من عصى الله بمعصيةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ فهو ضعيف الإيمان بالله، لأن من عرف الله أطاعه واتقاه، ومن لم يعرفه عصاه، !!

فالعاصي يعصي، لأنه لم يعرف الرب الذي خلقه، ولم يعرف السميع البصير الذي يسمعه ويراه، ولم يعرف العليم الخبير الذي يعلم سره وعلانيته، ولم يعرف الرزاق الذي يسوق إليه رزقه، لهذا كل من عصى الله فهو جاهلٌ، أو ضعيف الإيمان: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾ [نوح: ١٣-٢٠].

فمن لم يعرف ربه عصاه، ولم يبالِ بمعصيته لجهله به: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

فالعاصي لم يعرف الله حقًا بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولم يعرف يقينًا عقوبة الله لمن عصاه، ولم يعرف حقًا ثواب الله لمن أطاعه، لهذا كل إيمانٍ لا يحرّك العبد لفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، فهو إيمانٌ ضعيف، إيمانٌ ناقص، إيمانٌ مدخول، لهذا لا بد لكل مسلم من تقوية الإيمان الموجود، بالإيمان المفقود، ليصل العبد إلى الإيمان المطلوب، ثم يفوز بالموعود: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

الثانية: من علامات ضعف الإيمان بالله:

عدم أداء العبادات على حقيقتها قلبًا وقالبًا، فمن يدعو الله ويذكره بقلبٍ غافلٍ عن الآمر وأمره، فهو ضعيف الإيمان، ومن يصلي ويصوم ويتصدق بقلبٍ غافلٍ عن ربه، فهو ضعيف الإيمان، وصلاته لا تنهاه عن مخالفة أمر الله خارج الصلاة، ومن يظلم في معاملاته، ويسيء في معاشراته، ويؤذي جيرانه، ويهمل زوجه وأولاده، فهو ضعيف الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٥- ١٧].

الثالثة: من علامات ضعف الإيمان:

التكاسل عن أداء الواجبات، والتثاقل عن الطاعات، من أداء الواجبات في أوقاتها، من الصلوات والزكوات والعبادات، والمبادرة إلى أنواع البر، والإحسان، والإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٧- ٧٨].

فهذه الأمور وأمثالها دليلٌ قاطعٌ على ضعف الإيمان بالله، وقوة حجم الشهوات التي تقعد العبد عن الطاعات: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

والإسلام كله مسابقة ومسارعة إلى فعل الخيرات، وفرار، ومجاهدة، ومبادرة إلى فعل كل طاعة، واجتناب كل معصية:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] .

وقال ﷻ:﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾[الحديد: ٢١].

وقال ﷻ:﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[الحج: ٧٨]

الرابعة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

قسوة القلب، فإذا ضعف الإيمان صار القلب حجريًا قاسيًا، لا يرحم مسكينًا، ولا يطعم جائعًا، ولا يغيث ملهوفًا، ولا يواسي فقيرًا، ولا يعين عاجزًا، ولا يشفق على يتيم:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٢ ﴾[الزمر: ٢٢].

وقال ﷻ:﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤ ﴾[البقرة: ٧٤].

وسبب قساوة القلب الكفر والشرك، والجهل والظلم، وسبب لين القلب الإيمان والعلم، فإذا امتلأ القلب بالإيمان والرحمة التفَّ الناس حوله، وإن

كان قاسيًا نفروا منه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فقساوة القلب من ضعف الإيمان، والقلب القاسي الذي لا يرحم حيوانًا أو انسانًا، أو فقيرًا أو مسكينًا، أو جاهلًا أو ضعيفًا، أو ضالًا أو مستغيثًا، بعيدٌ من الله، بعيدٌ من رحمة الله، وعن دين الله، بُعد الأرض عن السماء: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وقال النبي ﷺ: «لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ». متفق عليه[1].

وقال النبي ﷺ: « الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ». أخرجه أبو داود والترمذي [2] .

الخامسة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

ظهور أمراض القلوب من الكبر والعجب، والفخر والخيلاء، والنفاق والحسد، والشح والبخل، وحب المدح والثناء، والاحتقار للخلق والتهاون بالطاعات، والرياء، وعدم المبالاة بالمعاصي، وغير ذلك من أمراض القلوب.

فهذه الصفات السيئة علامة على ضعف الإيمان الذي ينشأ عنه ترك الواجبات، وفعل المحرمات: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١٩).

(٢) **صحيح**، أخرجه ابو داود برقم (٤٩٤١) والترمذي برقم (١٩٢٣).

السادسة: ضيق الصدر والضجر، والتسخط والحزن، وقلة الصبر، من علامات ضعف الإيمان، وقلة المعرفة بأحكام الله، وأقداره الكونية، فمن ضعف إيمانه ضاق صدره: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

فمن تعلق بغير الله جره ذلك إلى أنواع العذاب في الدنيا والآخرة: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

والإيمان هو الصبر والسماحة، والقناعة والرضا، ومن ضاق صدره من أقدار الله وأحكامه وأفعاله، فهو جاهل بالله، وأحكامه القدرية، والشرعية، والجزائية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

ومن قوي إيمانه بالله اتسع صدره لكل ما أمر الله ورسوله به، ورضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا، وصبر ولم يجزع، ورضي ولم يسخط: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

السابعة: من علامات ضعف الإيمان:

قلة ذكر الله ﷻ، والتثاقل عن أداء الطاعات، والواجبات، والسنن، والتقصير في أدائها، وتأخيرها عن أوقاتها، وعدم المبالاة بفواتها، وذلك كله من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ، والزهد فيما يقرب إلى الله: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الزمر: ٤٥] .

وقال ﷻ عن الكفار: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[النحل: ١٠٧].

وقال ﷻ عن المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢].

وهذا من أجل أن المنافق مستغرق في حب الدنيا والأموال والشهوات، فلا يذكر الله إلا قليلاً بلسانه دون قلبه، لأن قلبه امتلأ بحب الدنيا، فلا يتسع لذكر الله الذي خلقه وأوجده، وأنعم عليه وأكرمه، وهداه ووفقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار: ٦-٨].

ومن قوي إيمانه: أكثرَ من ذكر ربه، وأحسن عبادته، فكل أوقاته في عبادة مولاه، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] .

وقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦].

وقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨ - ٩].

الثامنة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ :

موت القلب، فلا يتأثر قلبه عند ذكر الله، ولا عند تلاوة أو سماع آيات القرآن الكريم، فلا يتأثر ولا يخشى ولا يخشع عند سماع الآيات الدالة على عظمة الله وكبريائه، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وعلى عظمة نعمه وإحسانه، ولا يتأثر من الآيات الدالة على عظمة رحمته، وسعة حلمه، وعلمه، ومغفرته: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

وقال ﷻ عن المشركين: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

فمن ضعف إيمانه ولم يعالجه مات قلبه، فلا يتأثر بأخبار ربه الصادقة، ولا بأحكامه العادلة، ولا بآيات الوعد والوعيد، ولا بصفة الجنة والنار، لأنه لجهله يعيش لهواه وشهواته: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص: ٥٠].

وأعظم صنم معبود من دون الله هو صنم الهوى، فمن امتلأ قلبه بحب الدنيا والشهوات، لم يتسع لحب الله، وامتثال أوامره، فيقرأ القرآن بلسانه، ولا يتأثر به قلبه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف: ١٧٩].

وشتان بين محبوبات النفس، ومحبوبات الرب ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[آل عمران: ١٤ – ١٥] .

التاسعة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

عدم الأمر بالمعروف، وعدم النهي عن المنكر وعدم الدعوة إلى الله، وعدم تعليم شرع الله، فهو يرى الناس في الكفر والشرك، وفي الضلال والفساد، يعبدون غير الله، ويعصون الله بنعمه، ويغشون الكبائر والمحرمات، فلا

يتأثر، ولا يغير، ولا ينكر، ولا يدعو، ولا يُعلِّم، لأنه ضعيف الإيمان، جاهل بقدر الله، جاهل بعقوبة الله لمن عصاه، وجاهل بثواب الله لمن أطاعه، وجاهل بأوامر الله الكونية والشرعية: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقال ﷻ في وظائف المؤمنين: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة/ ٧١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ» .أخرجه مسلم(١).

العاشرة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

القعود عن الدعوة إلى الله، وعن الجهاد في سبيل الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾

[التوبة: ٧٣] .

وقال ﷻ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

[الحجرات:١٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩).

فالدعوة إلى الله من أعظم أسباب تقوية الإيمان، وترك الدعوة إلى الله من أعظم أسباب نزول العقوبات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

والدعوة إلى الله من أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

الحادية عشرة: الشح والبخل، وعدم الإنفاق في سبيل الله، وعدم إخراج الزكاة، وعدم الإنفاق على الأهل والأولاد، كل ذلك من أعراض ضعف الإيمان بالله ﷻ ، فلا يجتمع الشح والإيمان في قلب مؤمنٍ أبدًا: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

وقال ﷻ عن الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر:٩].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ

يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

الثانية عشرة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

حب الظهور، وحب التصدر، وحب الثناء على النفس، وحب السُّلطة، كل هذه أعراض لمرض واحد هو ضعف الإيمان بالله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

وقال ﷻ عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

فكل النعم من الله ﷻ، وواجبنا شكر الله عليها: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

الثالثة عشرة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

النفاق الاعتقادي، والعملي.

فالنفاق الاعتقادي: أن يقول الإنسان ما لا يعتقد محاباةً وتملقًا، وخوفًا وجبنًا: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

والنفاق العملي: أن تفعل ما لا تعتقد: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

الرابعة عشرة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

عدم الغضب إذا انتهكت حرمات الله، وعدم التأثر إذا تجاوز الناس حدود الله، فهو يرى حدود الله تُعَطل، وأوامر الله تُكْسر، والفواحش تُقترف، والأعراض تُدنَّس، والدماء تُسفك، ويرى الناس يتمتعون بنعم الله، ويعصون الله، ولا يتحرك منه قلب ولا قالب، ويرى زوجته وبناته ونساء المؤمنين يتعرون ويتكشّفون أمام الناس ولا يغار ولا يُغير: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

الخامسة عشرة: الفرح بمصيبة نزلت بمؤمن، والحزن على نعم حصلت لمؤمن، إذا فاز فلان تألم، وإذا ربح فلان تكدَّر، وإذا نجح فلان تألم، وإذا نجى فلان تألم، وإذا حصل لفلان مكروه فرح، وإذا خسر فلان انبسط، وإذا أخفق فلان فرح، فهذه كلها من علامات النفاق، ومن علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ

بِهَا ۗ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

لكن المؤمن أخو المؤمن، يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويفرح له بكل خير، ويتألم إذا وقع له مكروه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

السادسة عشرة: رؤية من يطلب العلم في المساجد، أو من يحفظ القرآن، أو من يُكثر الذهاب إلى المسجد، أو من يُكثر البقاء فيه، أو من يقوم بالدعوة إلى الله، أو من يهتم بأمور المسلمين في جل وقته، رؤية هؤلاء صغارًا ضيعوا دنياهم وأولادهم، وإظهار الأسف على أعمالهم، كل ذلك أعراض لمرضٍ واحد هو ضعف الإيمان الذي ينشأ عنه احتقار العامل، وعمله الصالح: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١].

وقال ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

ومن زاد علمه بربه زاد إيمانه، وقويت عبادته وعظم أجره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

وقال ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

السابعة عشرة: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

النظر إلى مسائل الشريعة من زاوية واحدة؛ فهو ينظر إلى الحرام هل هو من الصغائر أم من الكبائر؟ ولا يفكر في أنواع العبادات والطاعات، ولا فيما يرضي الله ويقرّب إلى الله من الأعمال الصالحة، إنما همه فقط الخوف من الحساب، وهذا عرضٌ من أعراض ضعف الإيمان بالله ﷻ .

والتفكر فقط في ترك المنهيات، واجتناب المحرمات، وعدم التفكر في فعل الواجبات والمستحبات، من أنواع الطاعات والقربات التي تقرب إلى الله، ومن ضعف إيمانه خلط العمل الصالح بالسيئ، وفعل ما شاء وترك ما شاء: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الثامنة عشر: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ :

التعلق بالدنيا، والشغف بها، والندم على ما فاته منها، وصرف الجهد والهم للاستكثار منها.

فمن ضعف إيمانه تعلق بالدنيا، ومن تعلق بالدنيا ضعف إيمانه، وضعفت أعماله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر: ٥]

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

التاسعة عشرة: عدم الاهتمام بأمور المسلمين، وعدم الاهتمام بالمصالح العامة التي تنفع الأمة في دينها ودنياها، فهو يعيش لنفسه وشهواته وأهله فقط: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣].

وقال ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

العشرون: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

التوسع في المباحات، وسرعة الملل من الصلاة والفرائض والنوافل، والأذكار والأدعية، وسماع القرآن، وتلاوة القرآن، وتلك أعراض من أعراض مرض القلب بالشبهات والشهوات وهذه من صفات المنافقين والكفار: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠].

وقال ﷻ عن الكفار: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[الزمر: ٤٥].

الحادية والعشرون: من علامات ضعف الإيمان بالله ﷻ:

سوء الظن بالله، وسوء الظن بأحكام الله، وسوء الظن بالناس، وهذه من أعظم أعراض أمراض القلوب، ومن صفات المنافقين: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٦ ﴾ [الفتح: ٦].

وقال ﷻ عن المشركين والمنافقين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾[الحجرات: ١٢].

الثانية والعشرون: السخرية والاستهزاء، والهمز واللمز، واحتقار الناس، وانفصام عرى الأخوة الإيمانية، فالمؤمنون إخوة يحب بعضهم بعضًا، ويحب الواحد منهم لغيره ما يحب لنفسه، وما تفرق اثنان إلا بمعصية أحدهما أو كلاهما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ

﴿ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: ١١].

فهذه الصفات وأمثالها سببها ضعف الإيمان، وعلاجها بتقوية الإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

الثالثة والعشرون: شدة الفزع والخوف والقلق عند وقوع المصائب عليه، فهو لا يحتمل البلاء أو المرض، أو الخبر المكروه، لأنه ركَن إلى الدنيا وحدها، فلِضعف إيمانه أي خبر مكروه يزعجه ويؤلمه، ويؤثر عليه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١] .

والمؤمن حقاً يرى أن كل شيء بقضاء الله وقدره: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١] .

فكل مصيبة فيها جلب نفع، أو دفع ضر، أو رفع درجات، أو تكفير سيئات: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١].

الرابعة والعشرون: كثرة الجدل والمِراء في كل شيء، وكثرة الخصومات والخلافات والنزاعات وما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فمن ضعف إيمانه ضعفت أعماله، وأشغله الشيطان بالجدل والمراء، والطعن، والسب والشتم، وأكل حقوق الخلق، وأشغله بالغيبة والنميمة:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة: ٢].

الخامسة والعشرون: تقديم العقل البشري على النص الشرعي من قرآن أو سنة، فيقدم بعقله الهوى على الهدى، وما يحبه هو لا ما يحبه ربه، إذا تحدث لا تجد في حديثه إلا المعقولات وتجارب الناس، و أحوال الواقع، وكل حديثه وتقريره خال من أدلة الكتاب والسنة، وفي القرآن تبيان كل شيء: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾ [الفرقان: ٣٣]

وقال ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ [النحل: ٨٩].

السادسة والعشرون: كل تقصيرٍ في أنواع العبادات والطاعات، وكل جرأةٍ على المعاصي والمحرمات، وكل تأخيرٍ لما يجب تقديمه، وكل تقصيرٍ في أداء سنةٍ أو واجبٍ أو فريضةٍ، ذلك كله دليل على ضعف الإيمان بالله ﷻ، لأن الإيمان بالله يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ومن زاد إيمانه، قويت

أعماله، ومن قويت أعماله أسعده الله في الدنيا والاخرة:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران: ٥٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

[آل عمران:٨].

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً وحلالاً طيباً، ونسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار.

اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها انت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب السادس

أركان الإيمان

ويشتمل هذا الباب على المباحث الإيمانية الآتية:

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الركن السادس: الإيمان بالقدر.

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ.

القسم الأول

ويشتمل هذا القسم على ما يلي:

١ – أركان الإيمان.

٢ – فقه الإيمان بالله عز وجل.

٣ – عظمة الإيمان بالله عز وجل.

٤ – وجوب الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل.

٥ – حكمة خلق المخلوقات.

٦ – فقه الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٧ – فقه أسماء الله الحسنى.

٨ – معرفة الله أعظم أبواب التوحيد والإيمان.

٩ – غذاء القلوب بمعرفة الله.

١٠ – فقه عظمة الله جل جلاله.

١- أركان الإيمان

الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره، وتعمل بمقتضى ذلك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

فالإيمان قول وعمل، قول بالقلب واللسان ، وعمل القلب واللسان.

وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ويكمل إيمان العبد بمعرفة أركان الإيمان الستة، وفي النظر في الآيات الكونية و التدبر للآيات القرآنية: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[يونس: ١٠١].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤].

وكلما ازدادت تلك المعارف قوي الإيمان بالله، وزاد تعظيم العبد لربه، وزاد حبه له، وخفت عليه الطاعات، وثقلت عليه المعاصي، والمحبة التامة لله ورسوله تستلزم وجود محبوباته ومحبتها والعمل بها وحبها ونشرها وهي الدين الحق .

فإذا كان حب المسلم لله، وبغضه لله، وهما عمل قلبه، وعطاؤه لله، ومنعه لله، وهما عمل بدنه، دل ذلك على كمال الإيمان وكمال المحبة لله ﷻ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ -٤].

والإيمان له ثلاث درجات:

له طعم .. وله حلاوة .. وله حقيقة.

أما طعم الإيمان فقد بينه النَبِيُ ﷺ بقوله: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا». أخرجه مسلم[1].

وأما حلاوة الإيمان فبينها النَبِيُ ﷺ بقوله : «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ؛ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ». متفق عليه[2].

وأما حقيقة الإيمان فتحصل لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين عبادة ودعوة، هجرة ونصرة، جهادًا وإنفاقًا، وصدقًا وصبرًا، وبذلًا وتركًا.

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالإيمان هو تكذيب المشاهدات وتصديق الغيبيات؛ لأن الإيمان عملٌ قلبي: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٦) واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٣).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فهذه درجات الإيمان، له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة، وأعلى درجات الإيمان هو اليقين؛ لأنه إيمان لاشك معه ولا تردد، بأن تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك على حد سواء، فتعبد الله كأنك تراه وهذا هو مقام الإحسان، فإذا صار ما أخبر الله به من الغيب فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و القدر بمنزلة المشاهد فهذا هو كمال اليقين، وحق اليقين، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والإيمان له شعب، وشعب الإيمان كثيرة، تشمل الأقوال الحسنة، وأعمال الجوارح، وأعمال القلوب عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» متفق عليه[1].

والله عز وجل هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله بالنسبة لأركان الإيمان بمنزلة القلب من البدن: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩)، ومسلم برقم: (١٦) واللفظ له.

فالإيمان بالله عز وجل يقوم على ثلاثة أصول هي:

الأول: تنزيه خالق السماوات والأرض عن مشابهة شيء من خلقه الذين هم أثر من أثار قدرته وإرادته، وهذا الأصل هو أساس التوحيد، وهو الحجر الأساس لمعرفة الله على الوجه الصحيح.

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ إيمانًا مبنيًا على أساس ذلك التنزيه.

الثالث: أن نعلم أن العقول مخلوقة واقفة عند حدها لا يمكن أن تحيط علما بخالقها، ولا كيفية ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهي عاجزة عن إدراك كيفية ذات الله وكيفية أسمائه، وكيفية صفاته وكيفية أفعاله، فنقطع الطمع تمامًا عن إدراك كيفية ذلك، فالله لا يشبهه شيء من خلقه في صفاتهم أو ذواتهم أو أفعالهم، كما قال سبحانه:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤].

وأسماء الله وصفاته وأفعاله كلها حق، وصفات المخلوق كلها حق، فنثبت لله السمع والبصر على ما يليق بجلاله و كماله، ونثبت للمخلوق السمع والبصر على ما يليق بعجزه ونقصه وفنائه، وبين سمع الخالق وبصره وسمع المخلوق وبصره من المنافاة كمثل ما بين ذات الخالق وذات المخلوق، على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

فهو السميع الذي ليس كمثله أحد في السمع، القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة وهكذا، فنقطع الطمع تمامًا عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله، فكما لا نعلم كيفية ذاته لا نعلم كيفية صفاته، كما قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

فالله محيط بكل محيط ولا يحيط به محيط، والله عظيم لا يمدح نفسه إلا باسم كريم، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى، ولا يصف نفسه إلا بوصف كريم في غاية الجلال والجمال والكمال وصفا لائقًا بجلال الله وعظمته؛ فهو الموصوف بالكرم والرحمة والعفو والقوة والقدرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧]

وباب الإيمان، وباب التوبة، كلاهما مفتوح في الدنيا إلى يوم القيامة، فإذا عاين الإنسان الموت أو مات كافرًا أو ظهرت علامات الساعة الكبرى، هنالك لا ينفع نفس إيمانها، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧ – ١٨].

وقال عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فإذا جاءت الملائكة لقبض الروح، أو جاء الله لفصل القضاء، أو ظهرت بعض الآيات التي منها طلوع الشمس من مغربها لا ينفع إيمان ولا عمل، فلا يقبل من كافر إيمان، ولا يقبل من عاص توبة، بل يغلق باب التوبة بمصراعيه كأنه لم يكن بينهما فتحٌ قط، وتختم الأعمال على ما كان، وتضع الحفظة أقلامها ولا تكتب شيئًا.

اللهم ثبتنا على الإيمان والقول الثابت حتى نلقاك مؤمنين موحدين .

الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فالإيمان هو التصديق المستلزم لقبول الأخبار، و الانقياد للأحكام، بتصديق جميع ما جاء في الكتاب والسنة تصديقاً يستلزم القول والعمل، والإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعمل بالجوارح.

والدليل على قول اللسان: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦].

والدليل على اعتقاد القلب: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والدليل على أن الإيمان قول وعمل، قول الله عز وجل: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الإيمان هو التصديق، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧]

والمعنى وما أنت بمصدق لنا .

أما الإيمان في الشرع فهو التصديق من جهاته الثلاث:

الأولى: تصديق القلب بالرب والإله.

الثانية: تصديق اللسان بالإقرار والشهادة بذلك.

الثالثة: تصديق الجوارح بالعمل.

فالإيمان قول وعمل واعتقاد، أن تصدق بالله بقلبك، وتشهد بذلك بلسانك، وتعمل بذلك بجوارحك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

والإيمان له شعب كثيرة:

فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويبطل بارتكاب ناقض من نواقضه.

فمن أسباب زيادة الإيمان:

تلاوة القرآن، وسماعه، والتفكر في آيات الله الكونية، وتدبر آياته الشرعية، وزيادة العلم، وكثرة الذكر، وكثرة العمل، والدعوة إلى الله، وتعليم الخلق شرع الله، ورؤية النعم، صحبة الأخيار، والجلوس في مجالس الذكر ونحو ذلك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[الأنفال:٢- ٤] .

ومن أسباب نقص الإيمان:

الإعراض عن التعلم والذكر وتلاوة القرآن، والجرأة على المعاصي، وارتكاب الكبائر، والتسويف في التوبة، وترك الواجبات، وإتباع الشهوات، وعدم توقي الشبهات، ومخالطة الفساق، وهجران مجالس الذكر ونحو ذلك: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨].

ومن نواقض الإيمان:

دعاء غير الله، والاستهزاء بالله ورسوله ﷺ وآياته، والحكم بغير ما أنزل الله، والتحاكم إلى غير شرع الله، وجحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة، وحرمة الزنا والربا ونحو ذلك: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] .

وليس من نواقض الإيمان: الاستفادة من صناعات الكفار وخبراتهم، لأن الإسلام دينٌ كامل فيه مصالح الدنيا والآخرة، فلا مانع في الإسلام من أخذ الحاجات الدنيوية المحضة من كل بر وفاجر حتى لو كان من الكفار، **ومما يدل على ذلك:**

أولاً: استعانته ﷺ في وقت الهجرة بخبرة خبير كافر؛ يدله على الطريق الآمن حتى يصل إلى المدينة بسلام، ولم يمنعه ذلك كونه كافرا، وهو عبد الله بن أريقط الديلي.

ثانيًا: لما حاصرت الأحزاب المدينة استشار النبي ﷺ الصحابة، فأشار سلمان رضي الله عنه بخطة عسكرية ابتكرتها أذهان الفرس، وهي حفر الخندق فأخذ بها، فهي خطة عسكرية فارسية أصلها من الكفار، وانتفع بها النبي ﷺ وهو مرض ربه.

ثالثًا: كذلك وطء المرأة المرضع، كان العرب يعتقدون أنه يضعف عظم الولد، فأخبرته فارس والروم أنهم يفعلون ذلك ولا يضر به فأخذ به .

فنراه ﷺ أخذ بخبرة خبير كافر واستعمله، وأخذ بخطة عسكرية فارسية، وأخذ بخطة طبية فارسية ولم يمنعه أنها من كفار: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

الإيمان أعظم نعمةٍ أنعم الله بها على عباده

والإيمان قوة في القلب واللسان والجوارح، وصاحب اللسان القوي مؤثر في الناس بلا ريب، يجتمع الناس حوله، وينبسطون لحديثه، إن خطب وتحدث أو دعا إلى الله رأيت الإيمان يبرق من عينيه، والإخلاص يشرق من وجهه والصدق يتدفق من خلال صوته، وصدق لهجته، ودمع عينه، وإشارة يده، واضطراب بدنه، كلامه يسري في القلوب سريان الماء العذب في النفوس العطشى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥] .

أولئك الذين هداهم الله، بدعوتهم يهتدي الخلق، وبموعظتهم تخفقالقلوب، وتذرف العيون، وبتذكيرهم يتوب العاصي، ويتعلم الجاهل، ويهتدي الضال: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧].

ومن لم يحصن نفسه بالخشوع ، ويسقي أشجار محبة الله بالدموع، فليس أمامه إلا النكوس والركوع أمام أصنام اللذات، وأوثان الحياة: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الحديد: ٢٠ – ٢١].

٢- فقه الإيمان بالله عز وجل

فقه الإيمان بالله عز وجل:

إذا آمن الإنسان بربه أخذ مفتاح الإيمان الذي يدخله الجنة ، وبمفتاح الإيمان يحصل العبد على مفتاح القرب من الله ، ومفتاح التقرب إليه ، فيكون هو البادي ، وإذا ذكر العبد ربه ذكره ، وإذا أوفى بعهده وفّى الله بعهده له ، وإذا نصر الله نصره الله ، فإذا آمن الإنسان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله سلّم الله إليه مفتاح التقرب إلى ربه، والتودد إليه، بأنواع العبادات والطاعات، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠] .

وقال النبي ﷺ: « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي ملأ، ذَكَرْتُهُ فِي ملأ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » . متفقٌ عليه[1] .

والإيمان بالله هو الإيمان بوجوده ، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه ، فالإيمان بوجوده أن نعلم أن وراء المخلوقات خالقًا ، ووراء الصور مصورًا ، ووراء الأرزاق رازقًا ، وهكذا : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٥).

خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام : ١٠٢ – ١٠٣] .

والإيمان بأسماء الله الحسنى أن نعلم أن الله له جميع الأسماء الحسنى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه : ٨] .

والإيمان بصفاته أن نعلم أن الله متصفٌ بصفات الكمال والجلال والجمال ، منزهٌ عن المثيل والشبيه، والعيب والنقص : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص : ١ – ٤] .

والإيمان بأفعاله أن نعلم أن كل ما سوى الله مخلوق محُدَث ، وكل محدَثٍ لابد له من محدِث، وهو الله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر : ٦٢ – ٦٣] .

والإيمان بأحكامه أن نعلم أمورً أربعة :

الأول : أن أحكام الله عز وجل غير معللة بعلة ، فالله غنيٌ عن العباد وأعمالهم، والخلق كلهم فقراء إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر : ١٥] .

الثاني : أن نعلم نفع الأحكام عائدٌ على العبد ، لا على الرب ، فالله منزهٌ عن جلب المنافع، ودفع المضار ؛ لأنه غنيٌ عن العالمين ، بل كل مخلوق محتاجٌ إلى ربه في كل شيء : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت : ٦] .

الثالث : أن يعلم العبد أن الله عز وجل الإلزام بالأحكام في الدنيا كيف شاء ؛ لأن الخلق كلهم عبيده ، يأمرهم بما شاء ، ويكلفهم بما أراد : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وهو يأمرهم بالأحكام لمصلحتهم :﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٠]

الرابع : أن يعلم العبد أنه لا يجب لأحدٍ على الحق سبحانه بسبب أعماله شيء ، وأنه في الآخرة يغفر لن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله ؛ لأن الخلق كلهم ملكه، ومماليكه، وعبيده: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة : ١٢٠] .

وقال النبي ﷺ: « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وَلَا أَنْتَ ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » . متفقٌ عليه[1] .

فالله عز وجل هو الذي خلق الإنسان ، وهو الذي أمده بالأقوات ، وهو الذي هداه إلى الصراط المستقيم ، وهو الذي اختار له العمل الذي يناسبه ، وضاعف له الأجر ، وأعانه على الطاعة : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الجاثية : ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل : ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٧)، ومسلم برقم: (٢٨١٦)، واللفظ له.

ويحصل الإيمان بالله بمعرفة ذاته ، والإقرار بوجوده ، ومعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعال الحميدة ، فهو سبحانه الخالق وحده، وكل ما سواه مخلوق ، وهو الغني، وكل ما سواه فقيرٌ إليه ، وهو القوي، وكل ما سواه ضعيف ، وهو الملك، وكل ما سواه عبيدٌ له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر : ١٣] .

وهو الرحيم الذي خلق الرحمة في كل رحيم ، وهو العليم الذي خلق العلم في كل عليم :﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة : ٦ – ٧] .

وهو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، وهو القادر الذي خلق القدرة في كل قادر .

فزبدة الإيمان حصول اليقين في القلب بأن الله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء، ولذلك تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وزبدة اليقين حسن الظن بالله ، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

والله سبحانه الإله الحق، المعبود بحق، في السماوات والأرض، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤] .

وهو الإله الحق الذي يعلم السر في السماوات والأرض، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان : ٦] .

وهو سبحانه الملك الحق الرحمن الرحيم الذي استوى على العرش فوق جميع خلقه : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : ٥] .

وهو العليم الخبير الذي يعلم سر العباد وجهرهم في السماوات والأرض، كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام : ٣] .

فهو سبحانه الذي استوى على العرش برحمته فوق جميع خلقه ، فوق السماوات والأرض، والكرسي والعرش : ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام : ١٨] .

ومن زعم أن الله تعالى في كل مكانٍ بذاته، فهذا قد ضل ضلالًا بعيدًا ، وهو أجهل الخلق بالله ؛ لأن جميع الأمكنة الموجودة والأزمنة أقل وأصغر وأذل من أن يحل في شيء منها رب السماوات والأرض، الذي له الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

فالله عز وجل هو العظيم المحيط بكل محيط ، ولا يحيط به محيط ، ولو أحاط به أحد من خلقه كالسماوات والأرض لكان مقدورًا عليه ، لكن الله عز وجل أحاط بكل شيءٍ علمًا ، فهو أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وأعلى من كل شيء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فلا إله إلا الله، ما أجهل الخلق بربهم وما أجهلهم بآياته ومخلوقاته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق : ١٢] .

فهو الرب الكبير العظيم المحيط بكل شيء ، ولا يحيط به شيء، بل هو المحيط بكل شيء ، ولا يكون فوقه شيء؛ لأنه العلي الأعلى فوق كل شيء ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، والسماوات والأرض في يده أصغر من الخردلة في يد أحدنا: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

سبحانه لا نحصي ثناء عليه ، ولا نحيط به علمًا، وهو العليم الخبير : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٤٣ – ٤٤] .

فهو العليم بكل شيء الذي لا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه : ١١٠] .

وهو العليم الذي لا يخفى عليه شيء، يعلم ما كان ، ما يكون ، وما سيكون قبل أن يكون :﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ : ٣] .

فسبحان العليم الذي وسع علمه كل شيء: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

الله ﷻ هو الرب الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه : ٨] .

وقد خلق الله هذا الكون العظيم ، وأنزل كتابه الكريم، ليعرف بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، ليعملوا بدينه وشرعه، لينال الناس ثوابه أو عقابه .

وعظمة الله وعظمة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول لها ولا أخر: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالله سبحانه هو الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، يفعل ما يشاء ، ويخلق ما يشاء ، ويرزق من يشاء ، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

وعظمة أسمائه وصفاته لا بداية لها ، ولا نهاية ، وأعرف الناس بالله هم الأنبياء والرسل ، والملائكة، فالملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لكمال معرفتهم بالله: ﴿ وَلَهُۥ

مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الله عز وجل هو الذي رباهم ، واختارهم ، وعلمهم، وهداهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣ – ٣٥] .

ولكن لا يعرف كمال عظمة الله إلا الله : ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه : ١١٠] .

لهذا أعرف الخلق بربه هو سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ ، الذي كان خلقه القرآن، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣] .

محمد ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا أمره ربه أن يستغفره مع أنه قد غُفر له؛ لأنه ﷺ كلما عرف جانباً من عظمة الله استحيا من المعرفة السابقة، وكلما ارتقت معرفته بالله رأى أنه أذنب في حق الله، حيث عرف أن معرفة الله أقل مما ينبغي، ولهذا قال له ربه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

لهذا ما من أحدٍ من البشر إلا وهو يؤمن بوجود الله إلا شواذ الخلق: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠] .

وهذا فطرة من الله عز وجل فطر عليها جميع عباده : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم : ٣٠] .

لكن الإيمان المطلوب الذي ينجي هو أن تؤمن بالله العظيم وأن تعرف أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى ثم تعمل بموجب ذلك: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

فإذا آمنت بالله العظيم ، وعرفت أسماءه وصفاته وأفعاله، كبرته وعظمته، وأطعته وأحببته ، واستحييت أن تعصيه كالأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

هؤلاء هم الأنبياء الذين عرفوا ربهم، فعبدوه كما يجب ، ودعوا إليه كما أُمروا ، فإذا لم تؤمن بالله العظيم فلن تطيعه ، وسوف تهون عليك معصيته ، فكل من عصى الله إنما هو جاهلٌ بالله كالكافر: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٣ – ٣٧] .

لهذا الذي أنكر الربوبية هم أجهل الخلق بالله ، وهم شواذ الخلق كفرعون الذي قال : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات : ٢٤] .

لهذا من رحمة الله أن فطر عباده على الإيمان به ، ثم أرسل، الرسل ليسقوا هذه الفطرة ببيان عظمة الله ، وخلف هذا الكون العظيم، لينظروا في ملكوت السماوات والأرض، ليؤمنوا بالله العظيم الذي خلق هذا الكون : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس : ١٠١].

فمن آمن أن لهذا الكون العظيم خالقًا ورازقًا ومدبرًا فهذه ضرورةٌ فطرية: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ ﴾[لقمان: ٢٥].

أما الإيمان بالله العظيم ، ومعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، وأفعاله العظمى، فهذا إيمانٌ كسبي نحصله بجهدٍ بشري، بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، وهو مطلوب شرعًا، ليقوى الإيمان ويزيد ، ثم تقوى العبادات والطاعات : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

وهذا الإيمان هو الذي يحمل صاحبه على طاعة الله وعبادته ، وتقواه وخشيته، فالمؤمن يعظم ربه ويكبره، لما يرى من عظمة جلاله وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، فيكبره ، ويحمده ويشكره لما يعلمه من عظمة الله، وعظمة ملكه، وعظمة نعمه وإحسانه ، فيقول الحمد لله رب العالمين: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

وأي إيمانٍ لا يحمل صاحبه على طاعة الله لا قيمة له كإيمان إبليس ، وإيمان الكفار ، وإيمان فرعون ، وهذا الإيمان لا يقدم ولا يؤخر : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

فإبليس عنده إيمان بالله حيث قال : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحجر : ٣٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص : ٨٢] .

لكن هذه المعرفة بالرب ، وهذه الأقوال، لم تغنه شيئًا، فقد عصى الله، وكفر واستكبر حين أمره الله بالسجود لآدم : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

فكل من كفر الله، وكل من لم يستجب لأوامر الله، وكل من اقترف الكبائر وأصر على ذلك فهذا إيمان إبليسي؛ لأن الإيمان بالله يتبعه طاعةٌ لله، ولو آمن بالله العظيم لخشع قلبه لذكر الله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

وأعظم نعمةٍ أنعم الله بها على عباده هي الهداية إلى الإيمان : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

وقلب المؤمن هو أشرف البقاع؛ لأنه مملوء بالتوحيد والإيمان والتقوى، بل قلب المؤمن أحسن من المرآة الصافية في الصفاء ؛ لأن المرآة إن وقع عليها حجاب لم ير فيها شيء ، أما قلب المؤمن فهو مشرقٌ بنور التوحيد والإيمان والتقوى، لا تحجبه عن ربه السماوات السبع، والكرسي والعرش، ولا تحجبه عن ربه ظلمات الأرض، ولا كهوف الجبال، ولا أعماق البحار : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ – ٨٨] .

فنور التوحيد والإيمان يجعل المؤمن يعبد ربه ويناجيه ، ويناديه ويعبده كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، وهذه الحُجب العظيمة قلب المؤمن مع جميع هذه الحجب العظيمة في العالم العلوي ، والعالم السفلي يطالع جلال الربوبية وجمال الألوهية ، ويعبد الله بموجب هذه الرؤية ؛ ولهذا كان القلب محل نظر الله، لما فيه من التوحيد والإيمان والتقوى كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

وإذا كان القلب عرشًا لمعرفة الله ، وجب أن يكون أشرف البقاع « قال النبي ﷺ أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » . متفق عليه[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

لهذا هذا القلب إذا امتلأ بالتوحيد والإيمان والتقوى ؛ فإن الله لا يرضى لهذا القلب الذي آمن بالله إلا أن يكون في جنة سقفها عرش الرحمن الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله ، كما قال النبي ﷺ: « فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ » أخرجه البخاري.(١) .

ولهذا كان القبر روضة من رياض الجنة ؛ لأنه حل فيه هذا القلب المؤمن الذي امتلأ بالتوحيد والإيمان والتقوى ، والأخلاق الحسنة ، ومن جعل قلبه بستانًا لمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وجلاله وكبريائه جعل الله جنته بستانًا له يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

فسبحان الرب الكريم الذي أدخل عبده المؤمن في الدنيا جنة المعرفة ، ويوم القيامة يدخله جنة الزخرفة ، وجنة الآخرة: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ق : ٣٤] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٧٩٠).

٣- عظمة الإيمان بالله جل جلاله

الله ﷻ عظيم، وكتابه عظيم، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم، وفضله عظيم، وبلاؤه عظيم، وعرشه عظيم : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١].

والنفوس جبلت على حب العظيم، وعلى حب الكريم، وعلى حب الجميل، وذلكم هو الله وحده الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٢ – ١٠٣].

والفضل العظيم أن ترى ربك العظيم ، وتعبده كأنك تراه ، وترى الحق حقًا وتعمل به ، وترى الباطل باطلًا وتجتنبه: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١].

والعظيم من الناس من آمن بالله العظيم ، من عظم الله وعظم أوامره ، وعظم ما عظمه الله هم الأنبياء والمؤمنون: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة : ١٥].

والحاكم إذا أكرم أحدًا فتنه ، وإن أقصاه أذله ، وأكرم الخلق وأعظمهم من اتقى الله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ومن عرف الله اتقاه، وفر إليه وحده لا شريك له: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات : ٥٠ – ٥١] .

والقرآن الكريم اعتمد للإنسان فضيلتين فقط :

الأولى : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه ، فقال : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر : ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة : ١١] .

الثانية : العمل الصالح، كما قال سبحانه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف : ١٠٧ – ١٠٨] .

والإيمان بالله مقرون بتعظيمهن وتعظيم أمره : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح : ١٣ – ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

فمن عظم الله ، ولم يعظم أمره، فليس بمعظم الله، ولا يعصي الله إلا من جهل بالله كما قال الله عن الكافرين: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة : ٣٠ – ٣٧] .

والعبادات لها جسدٌ وروح، فلها جسد هو شكلها ، وروحها تعظيم الرب، وخشيته، ومحبته ، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر بطلت ، وبقدر ما تعرف الله تحبه ، وبقدر ما تحبه تعظمه ، وبقدر ما تعظمه تمتثل أمره :﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

فالعلم بالله باب الإيمان، ومفتاح العبادة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق : ١٢] .

فإذا عرف القلب ربه كبره وعظمه، وإذا رأى القلب نعمه وإحسانه أحبه وحمده وشكره، وهذه هي العبادة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وأعظم أنواع التعظيم يجب أن تُصرف للعظيم جل جلاله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

ثم تعظيم أمره جل جلاله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج : ٣٢] .

وتعظيم أوامره تعظيمٌ له جل جلاله ، وتعظيم الأوامر يكون بتصديق أخبار القرآن ، وتطبيق أحكامه ، وأمثال أوامره، واجتناب نواهيه، ابتغاء مرضاة الله فلا إفراد ولا تفريط ، بلا إفراط: ﴿ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ [الطلاق : ١] .

ولا تفريط : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم : ٥٩] .

فالمتشدد ينفر الناس من الدين ، والمقصر المتساهل يضيع هيبة أوامر الله عز وجل بين الناس: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] .

والذي يفتي الناس بالتشدد ، أو يفتيهم بالتساهل، هذا لا يعظم أوامر الله عز وجل ، والاعتدال عند الرخاء نأخذ بالأحوط ، وعند الشدة نأخذ برخصة الشرع : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء : ١١٥] .

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر : ٧] .

ومن شأن المؤمن بربه عز وجل أن يعظم الله، ويعظم أوامر الله ، ويعظم ما عظم الله من المؤمنين والعلماء والصالحين ، والسنن ، ويعظم كتاب الله ، ويعظم رسوله ، ويعظم المساجد والبقاع التي يذكر فيها اسم الله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج : ٣٢] .

علم الإيمان بحر لا ساحل له ، علم لا إله إلا الله علمٌ له بداية وليس له نهاية ، علم لا إله إلا الله أعظم العلوم ، وأساس كل عمل : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

وهذه آية من سورة محمد ﷺ، وسورة محمدٍ صلى الله عليه وسلم مدينة نزلت على النبي ﷺ وهو يجاهد من أجل إعلاء كلمة الله ، وهو يُؤذى من أجل لا إله إلا الله ، وهو يذل نفسه من أجل لا إله إلا الله ، وهو يصبر من أجل لا إله إلا الله فصلوات الله وسلامه عليه .

لقد نزلت هذه الآية في أواخر العهد المدني، يعني نزلت بعد عشرين سنة ، وهو ﷺ يضحى من أجل لا إله إلا الله ، والله يقول له بعد ذلك : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن تعلم لا إله إلا الله تعلم العبودية لله في كل حال من أحوال الحياة ، وتعلم الالتزام بمنهج الله وشرعه قلبًا وقالبًا .

فعلم لا إله إلا الله هو تسليم القلب والقالب لله : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] .

علم لا إله إلا الله يقتضي صبغ الحياة كلها بمنهج الله وشريعته في كل زمان ومكان وحال: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٨] .

فليس علم لا إله إلا الله يقتضي الالتزام بمنهج الله في دقائق في الصلاة ، أو يومًا في الصيام ، أو ستة أيام في الحج ، ثم بعد ذلك نخلع العبودية ، ونتبع أهوائنا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

فسلِّم القلب والقالب لله تعالى وحده: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام : ٧١] .

فلا إله إلا الله توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيد الله بأفعال العباد من صلاةٍ ، وبيعٍ ، ونكاحٍ ، وأكلٍ ولباسٍ ، ولا إله إلا الله تقتضي أن كل حركة لابد أن تحكمها لا إله إلا الله ، وكل سكنه لابد أن تحكمها لا إله إلا الله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم : ٣٠] .

فنفعل الخير، ونستغفر من تقصيرنا ، وتقصير غيرنا من المؤمنين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨] .

لا إله إلا الله تقتضي العبودية التامة داخل الصلاة وخارجها في الأقوال والأعمال والأخلاق، والأموال، والحياة العامة ، والحياة الخاصة لهذا جاء بعدها : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد : ١٩] .

وعلم لا إله إلا الله يزداد بالنظر والتدبر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية والجهد لإعلاء كلمة الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

أما علم فقه الأحكام والمسائل فهو محدود أكتمل في ثلاثٍ وعشرين سنة، فلا يزاد عليه ، ولا يُنقص منه ، ومن زاد فعمله مردودٌ عليه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر : ٧] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨) .

الله عز وجل هو الرحمن الرحيم ، الذي رحمته وسعت كل شيء ، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر : ٧] .

والله عز وجل هو الرب الرحمن الرحيم الذي بطن بذاته، وظهر بصفاته، واستعلن بأسمائه، وتجلى بأفعاله، وله الحمد على ربوبيته وألوهيته وحلمه ورحمته.

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، هو الرحمن الرحيم الذي استوى على أعظم المخلوقات وهو العرش ، بأعظم الصفات وهي الرحمة ليعلم عباده أنه الرحمن الرحيم ، الذي يحب أن يرحم جميع خلقه كما قال سبحانه :﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] .

والله سبحانه أظهر من أسمائه الحسنى ما أظهر لآدم ﷺ لما علمه الأسماء كلها ، فإذا كان يوم القيامة ، أظهر منها قدرًا زائدًا على مقدار ما أظهره من قبل، على مقدار عظمة ذلك اليوم العظيم ، بالإضافة إلى يوم الدنيا ، ثم يظهر الله لسيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ في دار القرار منها قدرًا زائدًا على ما أظهره من قبل، على مقدار عظمة تلك الدار على ما قبلها .

ثم يظهر الرحمن الرحيم لعباده وأوليائه في الجنة من أسمائه المحجوبة والمكنونة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

فسبحان ربنا الرحمن الرحيم ، الذي كتب بمقتضى هذا الاسم على نفسه الرحمة في كتابٍ وضعه عنده فوق العرش كما قال في الحديث القدسي « إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » أخرجه البخاري.(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٤].

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ اللهَّ لمَّا قَضَى الخَلْقَ ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » . متفق عليه(٢) .

فكان هذا الكتاب العظيم المبارك عقدًا لجميع العالم أعلاه وأسفله، ليمتلئ الكون كله بالرحمة ، والأمن والعفو ، والمغفرة ، والحلم والصفح ، والأناة، والتوبة ، والإحسان ، وحسن المعاملة وغيرها من آثار رحمته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر: ٧].

فسبح باسم ربك العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى، الذي حجب ذاته ، وجلاله ، وجماله عن خلقه بحجب النور التي لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

فيهلك كبرياؤه كل كبير ، وتهلك عظمته كل عظمة ، وعزته كل عزة ، وكرمه كل كرم ، وقدرته كل قدرة ، وقهره كل قهر ، فكان لا يقوم له شيء لولا رحمته السابقة باحتجابه عن خلقه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٤٦) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٨٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم(٢٧٥١).

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

وقال النبي ﷺ: « حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » . أخرجه مسلم[1] .

وجميع ما في العالم العلوي ، والعالم السفلي، من حصول المنافع، والخيرات، والبركات ، والمحامد، والمسار، والنعم، فمن آثار رحمة أرحم الراحمين ، كما أن جميع ما صرف عن العباد من المصائب، والمكاره ، والمضار ، والمخاوف ، والنقم، والآلام، فمن آثار رحمة الراحمين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فسبحان الله وبحمده لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يدفع السيئات إلا هو : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر : ٢] .

ومن رحمته جل جلاله أن أوجد العالم كله متواشج الأرحام ، ومتقارب الأصول ، فجعل برحمته المخلوق الأعلى يعطف على الأسفل ، وجعل الأسفل يتعلق بالأعلى ، وأفقر الخلائق كلها بعضها إلى بعض، فأفقر الأعلى إلى الأسفل، ليؤدي إليه ماله عنده ، وأفقر الأسفل إلى الأعلى ليقبل منه ما به وجوده ، ثم أفقر الكل إليه إظهارًا لكمال غناه: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [يونس: ٦٨] .

وقد خلق الرحمن الرحيم مائة رحمة، وأنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض ، لتكون سبيلاً إلى التعاطف والرحمة والرأفة، والمودة والحنان

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٩).

والسكن والتربية والنسل بين المخلوقات كلها من الأنس والجن والحيوان وغيرهم .

فعاش في تلك الرحمة العظيمة الواسعة أهل الأرض كلهم ، وتناسلوا وتعاطفوا وتم عليهم أمر ربهم :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر : ٢٢] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ للهَّ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

متفق عليه[1] .

ورفع الرحمن الرحيم سبحانه أهل الإيمان والتوحيد درجة في ذلك، فتعاطفوا وتراحموا وتحابوا، وتوادوا، من أجل الرحمن ، فتم لهم أمرهم أوله وآخره، وعاجله وآجله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[الفتح : ٢٩] .

فإذا أراد الله فناء هذه الدنيا وأهلها، قبض عنهم معنى اسمه الرحمن حتى لا يبقى في الأرض مسلم ، وأذن بإقامة القيامة على شرار الخلق فمقتهم وقبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض فيومئذ : ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾[الحج : ٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٩)، ومسلم برقم: (٢٧٥٢)، واللفظ له.

ثم يضيف الرحمن الرحيم تلك الرحمة إلى ما أمسك عنده، لتكون مائة رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج : ٦٥].

فما أعظم رحمة الله بخلقه وأوليائه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

من أجل لا إله إلا الله اشترى الله ﷻ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١].

ومن أجل لا إله إلا الله ضحى المؤمن وجاهد، ومن أجلها هاجر وبذل، ومن أجلها ناصر وأنفق ، ومن أجلها أعطى وبذل ، ومن أجلها صبر وتحمل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة : ١٠٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٤].

٤- وجوب الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل

أعظم شيء في خزائن الله هو الهداية إلى الصراط المستقيم ، الهداية إلى الكلمة الطيبة لا إله إلا الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ – ٢٥] .

فهذا القلب يتغذى بالكلمة الطيبة لا إله إلا الله ، ونتبع ذلك بالجهد الطيب بالدعوة إلى لا إله إلا الله ، ودعوة الناس إلى الحق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

الكلمة الطيبة هي بداية الطريق، لنعرف الخالق من المخلوق ، ونعرف القادر من العاجز ، ونعرف الملك من العبد: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والدعوة إلى لا إله إلا الله ، والعلم بلا إله إلا الله، هو أول دروس الإيمان ، وعلم الإيمان زادٌ وغذاء لازمٌ لكل أحد ، فهو حاجة كل مسلم ومسلمة ، أما علم الأحكام فليس يحتاجه كل أحد ، علم الإيمان يولد حب الله ، ويثمر تعظيم الله ، وتكبيره ، وخوف الله ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، وعبادة الله وطاعته : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾ [الأنفال : ٢ – ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون : ١ – ٢] .

وحالنا اليوم يشبه حال أهل الأعراف ، لا حال أهل الجنة ، ولا حال أهل النار : ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ۝٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧ ﴾ [الأعراف : ٤٦ – ٤٧] .

فنحن كأهل الأعراف نسمع عن وصف الجنة وحال أهلها فنقول : اللهم أجعلنا من أهلها ، ونسمع عن وصف النار وحال أهلها ونقول :

اللهم لا تجعلنا من أهلها، فنحن المؤمنين بين الخوف والرجاء ، ونسأل الله أن يعطينا كما أعطاهم، وأن يجعل قلوبنا دائمًا بين الخوف والرجاء ، وما تمكن هذا في قلب مؤمن إلا أمَّنه مما يخاف ، وأعطاه ما يرجو ، والكريم سبحانه إذا أطمعك أعطاك ، وأطعمك الذي يُطعِم ولا يُطعَم ، يطمعك حتى يعطيك: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٦٨ ﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٨] .

ومن عرف الله خافه ورجاه، وفاز برضوانه وثوابه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠ ﴾ [فاطر : ٢٩ – ٣٠] .

فيجب على كل أُذنٍ في العالم أن تسمع لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا الله ؛ لتؤمن بالله عز وجل ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمدٍ رسولًا ، وتذوق طعم الإيمان وحلاوته كما قال النبي ﷺ: « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » . أخرجه مسلم[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

تقول بلسانك لا إله إلا الله في الأذكار ألف مرة أو أكثر، هذا سنة ، وتذكر بها الكافر والغافل هذا فرض : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة : ١٦٣].

فعلم الإيمان بالله وأسمائه وصفاته نحتاجه في كل ثانية تمر علينا ؛ لأنه يثمر الإيمان الكامل ، واليقين الصادق : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

أما علم الأحكام والمعاملات فأنت تاجر تعلم أحكام التجارة لتكون تجارتك عبادة ، رغبت في الطلاق أسأل العلماء ليكون الطلاق صحيحًا ، أردت قسمة ميراث اسأل الفقهاء فلسنا كلنا بحاجة إلى هذا العلم .

أما علم العبادات فكلنا نحتاج إليه ، فنتعلم كيف نتوضأ ؟ كيف نصلي ؟ كيف نصوم ؟ كيف نحج ؟ ونعتمر وهكذا : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٣٤) .

ويقول النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أصدق الناس إيمانًا، وأقواهم توحيدًا، وأحسنهم أعمالًا وأخلاقًا، ودعوة وتعليماً: ﴿ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

الأنبياء والرسل هم قدوة الناس الذين أرسلهم الله عز وجل للناس، والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تعلموا جهد الأنبياء في الدعوة من جهد نبينا محمد ﷺ، تعلموا:

كرم الداعية .. حكمة الداعية .. رحمة الداعية .. صبر الداعية .. حلم الداعية .. يقين الداعية .. صدق الداعية .. تضحية الداعية .

تعلموا هذا وغيره من سيرة النبي ﷺ العملية : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢١]

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

والأمة إذا تركت الدعوة إلى لا إله إلا الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي ، وإذا عظمت الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تسابت سقطت من عين الله، فأكل بعضها بعضاً: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٥٠٢٧) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥] .

فإذا تركت الأمة الدعوة إلى التوحيد حرمت فهم القرآن ، وأصبحت قراءة القرآن للتبرك والأجور لا للتصديق والتطبيق والعلم والعمل :﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء : ٨٢] .

فمن لم يقم على المقصد العظيم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه سقط من عين الله ، وكل من لم يقم على مقصد الدعوة إلى الله من العباد يذم من يقرأ آيات العبادات ولا يطبقها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] .

فالعابد فقط يذم من يخالفه في العبادات، وينكر عليه، ليصحح عمله، وهذا حسن.

أما من يقرأ آيات الدعوة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فيعجب بقراءته ويقال له قارئ متقن ، ولا نذم وننصح من يقرأ آيات الدعوة ولا يطبقها مع إن الدعوة إلى الله أم الفرائض كلها، وأول الواجبات بعد الايمان .

وقد لعن الله من تركها من الأمم السابقة : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة : ٧٨ – ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٩ – ١٦٠] .

صلاة الأنبياء ، وضوء الأنبياء ، صوم الأنبياء ، حج الأنبياء ، كل ذلك منسوخ بشريعة النبي ﷺ ، فلا نفعل ذلك كله إلا على شريعة نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : ٧] .

أما الدعوة إلى الله ، فندعو إلى الله على طريقة نبينا محمد ﷺ، وعلى طريقة مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل : ١٢٣] .

فنتبع الأنبياء بالدعوة إلى الله ، بالدعوة إلى لا إله إلا الله ، بالدعوة إلى التوحيد والإيمان .

فحياة الأنبياء تذكرك بجهد الأنبياء ، وحياة الحكام والرؤساء تجعلك تتعلق بالمناصب ، وحياة الأغنياء تجعلك تتعلق بالشهوات ، لهذا الله عز وجل أمرنا بذكر جهد الأنبياء، ومعرفة جهد الأنبياء، لنقتدي بهم في التوحيد والإيمان وحسن الأخلاق والدعوة إلى الله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم : ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم : ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم : ٥٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم : ٥٦].

وممنوع أن نهتدي بهديهم بالتيمم والوضوء والصلاة والصوم وغيرها من العبادات؛ لأن شرائعهم منسوخة بالإسلام ، فلنهتدي بهديهم في التوحيد والإيمان، والأخلاق، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق، والدعوة إلى مكارم الأخلاق: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام: ٩٠].

أين يزيد الإيمان:

البيئات النافعة ثلاث :

بيئة مكان .. وبيئة أعمال .. وبيئة اجتماع .

وقد أرشدنا الله سبحانه إلى ثلاث بيئات تنور القلب وتملؤه بالتوحيد والإيمان ، وتزين الجوارح بالتقوى والأعمال الصالحة : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ

أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور : ٣٦ – ٣٨] .

فهذه البيئات الثلاث تزيد الإيمان .

بيئة مكان .. وبيئة أعمال .. وبيئة اجتماع .

فبيئة المكان : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ [النور: ٣٦] .

في بيوت ليس في شوارع ، ليس في ملاعب ، ليس في مقاهي ، بل في بيوت المسلمين ومساجدهم ؛ لأن هذه البيئات يذكر فيها الله والدار الآخرة فلها وقار ، فمكانها هذه البيوت ، بيوت المسلمين، ومساجد المسلمين .

وكان آخر دعاءٍ لنوح ﷺ: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح : ٢٨] .

فأول مراكز الدعوة إلى لا إله إلا الله هي بيوت المسلمين ، ولهذا قال أهل الجنة : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الطور : ٢٦] .

فالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كونوا بيئة الإيمان في بيوتهم، فالصحابي يذكر أهله بما علمه من رسول الله ﷺ في المسجد، وأهله يذكرونه، فامتلأت بيوتهم بالإيمان والأعمال الصالحة، وخلت من كثرة الأموال والأشياء الملهية.

ونحن حُرم أكثرنا بيئة الإيمان في بيته، فهو غالبًا مع أهله ضاحكُ أو مازحٌ أو غافل ، فامتلأت بيوتنا نتيجة لذلك بالأموال والأشياء، والقيل والقال، وخلت غالبًا من زيادة الإيمان والأعمال إلا ما رحم ربك .

وفي بيئة الإيمان الله يكرمنا بخمس كرامات :

نتعلم الدين .. ونعمل بالدين .. ونثبت على الدين .. ونترقى في الدين .. وننشر الدين: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

والمؤسف حقًا أننا لو وضعنا جهازًا مسجلًا في بيوت الأنبياء والصحابة لوجدنا أن كل ما يقال فيها، وكل ما يعمل فيها، يصلح للنشر ، ولو وضعنا في بيوتنا هذا المسجل لوجدنا أن أكثر ما نقول ونفعل لا يصلح للنشر :﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وحياة المسلم كلها لربه، فلا يعبث بها بهواه: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] .

فمساجد المسلمين وبيوتهم أحسن البيئات للذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن : ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

فكان في القرن الأول مائة وأربعة وعشرون الف مسلم، بيوتهم كلها مدارس مع المسجد ، أعمال البيت، وأعمال المسجد متطابقة، يذكر فيها الله والدار الآخرة، وقصص الأنبياء، وتملأ بالأعمال الصالحة، والعلم، والذكر، والدعاء :﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام : ١٦١ – ١٦٣] .

والثانية : بيئة الأعمال، فأصحاب النبي ﷺ مشغولون بالأعمال من عبادة لله ، ودعوة إلى الله ، وتعليمٍ لشرع الله ، وذكرٍ لله ، وزياراتٍ تتكون وتخرج من بيوت المسلمين ومساجدهم للدعوة إلى الله، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ، أَنْ: طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا » أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه.(١) .

وقال النبي ﷺ: « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ ، فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ » . أخرجه أحمد والترمذي(٢) .

وقال النبي ﷺ: « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه» . أخرجه مسلم(٣) .

فهذه البيئات الإيمانية تقام في المساجد، وفي بيوت المسلمين، فتزيد الإيمان، وتحسن الأعمال .

ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « وَجَبَتْ محَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالمُتَبَاذِلِينَ، فِيَّ وَالمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ » . أخرجه أحمد(٤) .

والثالثة : بيئة الاجتماع، بيئة الأشخاص: ﴿ **يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا**

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٨) واللفظ له، وابن ماجه برقم (١٤٤٣)، وأحمد برقم: (٨٣٢٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٢٥٤٥) ، والترمذي برقم:(٣٥١٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٠٠) .

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٠٣٠).

تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٨] .

رجال أتقياء في المسجد أو البيت ، فبيئة المسجد كمستشفى عام ، يعالج فيها الناس ، وبيئة البيت كمستشفى خاص ، ولابد للمسلم من بيئتين يحفظ بهما إيمانه وأعماله الصالحة، ويحفظ من الشر ، فلا يدخل الشر بيتك، ولا يدخل مسجدك: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فمن حافظ على هاتين البيئتين حفظه الله من الشر ، وإذا ذهب إلى الناس يؤثر ولا يتأثر بدنياهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر : ١٧ – ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

حاجة كل إنسان إلى الإيمان بالله:

أركان الإيمان ستة وهي :

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

والإيمان بالله أعظم أركان الإيمان ، والإيمان من أعظم نعم الله على عباده ، والله غنيٌ عن العباد وإيمانهم وأعمالهم ، وهو المؤمن قبل أن يخلق أحدًا كما في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ

كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا » . أخرجه مسلم(١) .

فالله هو الغني، وكل ما سواه محتاج إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر : ١٥] .

فالإيمان بالله عز وجل كله من أجل مصلحة العبد :

فأولًا : الإيمان من أجل مصلحة العبد وسعادته في الدنيا والآخرة : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات : ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وثانيًا : أن من لم يؤمن فقد خسر كل شيء ؛ لأنه لم يعرف أنه مخلوقٌ خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفةً في الدنيا في الأرض ، ويوم القيامة جليسه إن آمن بالله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ١ – ٢] .

والله عز وجل جعل هذا الإنسان المخلوق المكرم، المخلوق المكلف، المخلوق الوحيد الذي خلقه الله لجنةٍ عرضها السماوات والأرض، فمن لم يؤمن فقد خسر نفسه، وحقر نفسه، وأعرض عمن أكرمه الله، وأعرض عن الرب الذي أكرمه؛ لأنه غاب عنه أنه المخلوق الأول، وغاب عنه أن الكون

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

كله مسخرٌ له: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

وغاب عنه أن الله خلقه لجنةٍ عرضها السماوات والأرض ، ومن عرف نفسه عرف ربه ، ومن عرف ربه أحبه وكبره ، وحمده وشكره ، وأطاعه وعبده : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد : ١٩].

وقال الله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام : ١٠٢].

فما أشد خسران من كفر بالله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ الكهف: [١٠٣ – ١٠٦].

وثالثًا : أن كل إنسان في هذه الحياة عنده خيار ، إما أن يؤمن، وإما أن يكفر : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف : ٢٩].

إما أن يؤمن وينبني على إيمانه أعمالٌ تسعده في الدنيا والآخرة ، وإما أن يؤمن عند الموت حين لا ينفع الإيمان كما آمن فرعون حين أدركه الغرق : ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس : ٩٠ – ٩٢].

وكل إنسان عند الموت تنكشف له الحقيقة التي جاء بها الأنبياء ، ولكن لا ينفع الإيمان عند الموت ، حين معاينة الموت لا ينفع الإيمان : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ ﴾ [النساء : ١٧ – ١٨] .

٥- حكمة خلق المخلوقات

الله ﷻ خلق الإنسان ليسعده في الدنيا والآخرة .

خلق الإنسان ليرحمه لا ليعذبه .

خلق الإنسان ليهديه لا ليضله .

والإيمان بالله عز وجل يحقق الحكمة من خلق هذا الإنسان : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج : ٦٥] .

فما أرحم الرحمن بخلقه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود : ١١٨ – ١١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

وكل إنسان مفطورٌ في الدنيا على حب العظيم، وعلى حب الكريم، حب العظيم ليحتمي به ويلجأ إليه، وحب الكريم ليستفيد من خزائنه، وكذا الإنسان مفطورٌ على حب الحياة، وحب السلامة في هذه الحياة، وعلى حب الكمال في هذه الحياة .

وهذه الأمور التي جعل الله الإنسان مكرمًا بها وجبله عليها لا تتحقق إلا بالإيمان بالله عز وجل، فمن أجل سعادة الإنسان وسلامة وجوده يؤمن

بالله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

فأنت أيها الإنسان المخلوق الأول المكرم ، الذي قبل حمل الأمانة من ربه ، وهي الإيمان بالله ، والعمل بالدين ، والتزين به ، من أجل ذلك سخر الله لك ما في السماوات وما في الأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

وذلك من أجل أن تتفرغ لعبادة الله ، وتصل من المخلوقات إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور ، ومن الدنيا إلى الآخرة .

وهذا التسخير العظيم له مهمتان عظيمتان :

الأولى : تسخير تعريف، لتؤمن بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

والثانية : تسخير تكريم، لتشكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة .

فكل شيءٍ خلقه الله في الكون لأمرين ، من أجل أن نتعرف على الله من خلاله ، ومن أجل أن ننتفع به ، فالكافر ينتفع بتسخير التكريم كما هو حال الكفار في كل زمانٍ ومكان ، الذين انتفعوا من الجانب الثاني، وهو تسخير التكريم دون أن يعرفوا من سخره: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد : ١٢] .

فكانوا مع المخلوق دون الخالق، ومع النعمة دون المنعم، فهم دائمًا في شقاء وهم، لأن من أحب غير الله عُذِّب به: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٣].

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء : ٢٢].

فهؤلاء الكفار استفادوا من النعمة، وأعرضوا عن المنعم ، فهم في شقاءٍ دائم :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

فالحكمة من وجود جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي أمران :

الأول : أن نعرف الله من خلالها بأسمائه وصفاته وأفعاله، فنؤمن به ونعبده .

الثاني: أن ننتفع بها في الدنيا ونستعين بها على عبادة الله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق : ١٢].

الأول : إذا عرفتم ذلك آمنتم به وعبدتموه وأطعتموه .

والثاني : أن ننتفع بهذه المخلوقات التي سخرها الله لنا .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة : ١٧٢].

فمن آمن بالله العظيم فقد حقق الهدفين معًا ، ومن انتفع بما خلقه الله، ولم يؤمن بالله، فقد عطل أكبر هدفٍ من تسخير هذه الأشياء له ، وأكثر الخلق في هذا الوادي المظلم: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا

لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق : ٦ – ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس : ١٠١] .

فالهدف الإرشادي هو أن الله خلق هذه المخلوقات للدلالة على وحدانيته ، هذا الهدف هو أكبر هدف من خلق المخلوقات التي خلقها سبحانه ، فإذا لم يهتدي الإنسان بها إلى ربه فقد عطّل أكبر هدفٍ له في الحياة، وهو الإيمان بالله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٨] .

فالمخلوقات كلها مسخرةٌ للإنسان تسخير تعريف بربه وبأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليؤمن به ومسخرةٌ تسخير تكريم لهذا الإنسان الذي أكرمه الله عز وجل بأن خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وجعله في الدنيا خليفة، ويوم القيامة جليسه إن آمن به: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

ومقتضى تسخير التعريف أن تؤمن أيها الإنسان ، ومقتضى تسخير التكريم أن تشكر الله الذي خلقك ورزقك، فإذا آمنت بالله عز وجل، وشكرته على نعمه، حققت الهدف العظيم من وجودك : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء : ١٤٧] .

فمن آمن بالله وشكره فقد حقق الهدف الأكبر من وجوده في هذه الدنيا ، ونال السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت : ٣٠ – ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة : ١٧٢] .

درجات الإيمان بالله:

الإيمان بالله عز وجل له درجتان :

الأولى : إيمانٌ مقرونٌ بالاستقامة على أوامر الله، وهذا هو الإيمان المطلوب من كل مؤمن، أن يحمله إيمانه بالله على توحيد الله، وعلى طاعة الله، وعلى الاستقامة على أوامر الله، وفعل كل ما يحبه الله ويرضاه في كل حال، واجتناب ما يغضب الله في كل حال، فهذا هو المؤمن حقًا، من المؤمنين بالله حقًا، وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلون، ثم يليهم من آمن بهم واقتدى بهم :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال : ٢ – ٤] .

وصفات هؤلاء المؤمنين علميةٌ وعملية : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وماذا أعد الله لهم يوم القيامة ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

ثم يلي هؤلاء من آمن بالله ، لكن لم يحمله إيمانه على كمال الطاعة ، ثم يليهم من آمن بالله لكنه لم يستقم على طاعة الله لعدم قناعته بكثيرٍ من أوامر الله ، فالمؤمن الناجي هو من قرن الإيمان بالعمل الصالح : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

فالإيمان الحقيقي، الإيمان المطلوب، تصديقٌ وتطبيق، والكفر تكذيبٌ وإعراض : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢ - ١١٣] .

فاستقم كما أُمرت لا كما اشتهيت .

الثاني : إيمانٌ لا يثمر الاستقامة في كل حال ، فهذا إيمانٌ ناقصٌ، لا يقدم ولا يؤخر ، وهو كإيمان إبليس الذي: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [ص : ٧٩] ، فآمن بالله ربًا .

وقال :﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾ [ص : ٧٦] ، فآمن بالله خالقًا .

وقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص : ٨٢] ، آمن بالله عزيزًا .

وقال : ﴿ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [ص : ٧٩] ، آمن باليوم الآخر .

فإبليس لم ينفعه إيمانه بهذا ؛ لأنه لم يتبع الإيمان بالاستقامة ، بل أبى واستكبر وكفر، وأعرض عن أوامر الله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة : ٣٤].

فهذا الإيمان الصوري الذي لا تقترن به استقامة، ووقوفٍ عند الحلال والحرام ، ولا أثر له في السلوك ، لا ينفع ولا يقدم ولا يؤخر ، ومن تأمل حياة كثيرٍ من المسلمين رأى هذا الإيمان موجودًا اليوم في حياتهم ، ومن تأمل ذلك جيدًا لا يجد أثرًا للإيمان الذي يريده الله من الناس .

فليس لإيمان هؤلاء أثرٌ في استقامتهم وسلوكهم ، ولا في ضبط أكلهم وشربهم، وتجارتهم وإنفاقهم ، ولا في ضبط سلوك زوجاتهم وأولادهم ، ولا في ضبط حياتهم ، فمن لم يجد للإيمان أثرًا في السلوك ظاهرًا ، فهذا إيمانٌ إبليسيّ، لأنه متجردٌ عن الاستقامة والطاعة لله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف : ١٠٦].

وقال الله تعالى عن المنافقين:﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة: ٥٤ – ٥٥]

فأثبت لهم بعض الأعمال الصورية ، لكنهم عند الله كفروا بالله ورسوله .

دلائل الإيمان بالله:

دلائل الإيمان والمخلوقات تُعلم من ثلاث جهات :

الحسيات .. والعقليات .. والاخبارات .

الأول: الشيء الذي ظهرت ذاته، وظهرت آثاره، كالسماء والأرض، والجبال والبحار ونحوهما .

فهذا طريق العلم به الحواس الخمس :

١- السمع .

٢- والبصر .

٣- والشم .

٤- والذوق .

٥- واللمس .

فالأصوات نسمعها بالأذن، والأشياء نبصرها بالبصر، والروائح نشمها بالأنف، والمأكولات والمشروبات نذوقها باللسان، والأشياء المحسوسة نحسها باللمس :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل : ٧٨] .

فدلائل التوحيد والإيمان تُعرف بالتدبر والنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة : ١٦٤] .

الثاني: الشيء الذي غابت ذاته، وبقيت آثاره ، أداة العلم به العقل ، فالخلق يدل على الخالق ، والأرزاق تدل على الرازق ، والأثر يدل على المؤثر ، والبعرة تدل على البعير ، والثمرة تدل على الشجرة ، والحكمة تدل على الحكيم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام : ١٠٢] .

فالعقل مخلوقٌ عظيم من مخلوقات الله ، خلقه الله عز وجل لنعرف به الله، ونعرف به مخلوقاته، ونعرف به أوامره ، ونعرف به ما ينفعنا وما يضرنا :﴿

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ – ٩٠].

الثالثة: الشيء الذي غابت ذاته، وغابت آثاره، أداة العلم به الخبر ، كإخبار الله عن الملائكة، والجنن واليوم الآخر ، فهذه الغيبيات طريق العلم بها، والإيمان بها، الخبر الصادق من الله ورسوله ، فهذه الغيبيات يجب الإيمان بها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء: ٥٩ – ٦٠] .

فهذا إيمانٌ إخباريٌ أو سمعيٌ أو نصي، والأول إيمانٌ حسي، والثاني إيمانٌ عقلي .

فكل شيءٍ محسوس يدل على وجود الله ، وكل شيءٍ معقول يدل على وجود الله ، وكل خبرٍ عن الله ورسوله إيمانٌ خبري ، يجب التصديق به : ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء : ١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء : ٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وكل خبرٍ عن الله ورسوله يجب أن نؤمن به كأننا نراه ، فالمؤمن حقًا من صدق الأخبار من الله ورسوله كأنه يراها ، ثم فعل مقتضى هذه الأخبار من الأعمال الصالحة:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات : ١٥] .

والعالم قسمان :

عالم الغيب .. وعالم الشهادة .

وعالم الشهادة ذرةٌ من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

فعالم الشهادة ما نراه من السماوات والأرض والجبال والبحار ، وعالم الغيب ما أخبرك الله عنه ، وعالم الغيب لا نستطيع أن نضيف عليه شيئًا ؛ لأنه خاصٌ بعلام الغيوب ، فهو الذي يعلم الغيب والشهادة ، فالمؤمن يسكت عما سكت عنه القرآن ، ويصدق بكل ما كان وما يكون وما سيكون من أمور الغيب مما ورد في القرآن والسنة: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩] .

فالله عز وجل هو عالم الغيب والشهادة: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة: ٦ – ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

٦- فقه الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله

الإيمان بالله ﷻ أعظم شيءٍ في خزائن الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١] .

والإيمان نعمة من الله يخص بها طالبها: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس: ٩٩] .

والإيمان بيد الله عز وجل، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:٥٣] .

والله عز وجل أقام الحجة بأن خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ووهبه السمع والبصر والعقل، وأكرمه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

والهداية إلى الإيمان بيد الله وحده: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦ – ٩٧].

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٣].

فلا إله إلا الله، ما أعظم مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي .

والمخلوقات التي خلقها الله عز وجل أربعة أنواع :

الأول : مخلوقات لها عقول بلا شهوات ، وهم عالم الملائكة .

الثاني : مخلوقات لها شهوات بلا عقول ، وهم عالم الحيوانات .

الثالث : مخلوقاتٌ لها عقول ولها شهوات ، وهم عالم البشر .

الرابع : مخلوقاتٌ لا عقول لها ولا شهوات ، وهم عالم الجماد والنبات .

فمن سما بعقله من البشر على شهواته أصبح فوق الملائكة ؛ لأنه جاء إلى عبادة الله وإلى الإيمان بالله اختيارًا ، وأما الملائكة فعبدوا الله تسخيرًا ، فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم: ٦] .

وإن سمت شهوات الإنسان على عقله ، أصبح دون الحيوان: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾[محمد: ١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: ٤٤] .

فالذي سما بعقله ، آمن بالله ، يكون فوق الملائكة درجة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾[البينة: ٧] .

ومن أعرض عن ربه، ولم يستعمل ما أعطاه الله عز وجل من العقل الذي يعرف به ربه، فهو أضل من الأنعام: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف: ١٧٩] .

فالملائكة مخلوقاتٌ نورانية ، خلقهم الله عز وجل مخلوقاتٌ مسخرة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم: ٦] .

وتقوم الملائكة بتدبير أوامر الله في هذا الكون، ويسبحون بحمد ربهم: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

ومع كل إنسان ملكٌ يلهمه الخير ، وشيطانه يوسوس له بالشر ، وليس لكل واحدٍ منهما سلطةٌ على الإنسان، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] .

فالإنسان مخير أن يؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصي: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

فمن آمن بالله فهو أسعد الناس ، ومن كفر به فهو أشقى الناس .

وفي القلب نوايا لا يعلمها الملك ولا الشيطان ، والحكمة من اقتران الملك والشيطان بالإنسان ، أن نعلم بأن الله خلق الإنسان متحركًا ، فهو إما أن يستجيب لإلهام الملك ، أو لوسوسة الشيطان ، فإن استجاب للشيطان فهذا من اختيار الإنسان وصنعه ، فهو اختار المعصية والشيطان زينها له: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] .

وإن أطاع الله فبفضل الله عز وجل، والملك أعانه: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٩] .

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان ، وأحد أركان ضبط حركة الإنسان في تصرفاته ، فمن آمن بالملائكة وبوجودهم استحيا من الله ، واستحيا من الملائكة الذين يسمعونهن ويسجلون كلامه ، فاستحيا من الملائكة أن يعصي الله ، والشيطان يجعل الإنسان مجاهدًا يجاهد نفسه وعدوه ، ويحذر من عدوه دائمًا ، فهو ملازمٌ لإيمانه، ولطاعة مولاه: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ

مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الجميلة والمثل الأعلى .

والإيمان بالله عز وجل يتطلب معرفة سبعة أمور :

١ – معرفة الله .

٢ – ومعرفة أسمائه .

٣–ومعرفة صفاته .

٤ – ومعرفة أفعاله .

٥–ومعرفة خزائنه .

٦–ومعرفة وعده .

٧–ومعرفة وعيد .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

والله عز وجل هو الواحد القهار ، وحده لا شريك له ، فهو الواحد الأحد، القادر على كل أحد ، المالك لكل أحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

فهو سبحانه القاهر فوق عباده ، العالي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله على كل ما سواه : ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨].

هو وحده قاهر العدم بالإيجاد ، وقاهر الموجود بالعدم ، وقاهر النور بالظلام ، وقاهر الظلام بالنور ، وقاهر الليل بالنهار ، وقاهر النهار بالليل: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤ – ٥].

هو سبحانه القهار الذي قهر هذا التراب فجعله إنسانًا يفكر ويعقل ، ويسمع ويبصر ، ويضحك ويبكي .

هو سبحانه القهار الذي خلق كل المخلوقات، وقهرها على ما أراد ، وقهر بعضها ببعض، قهر الرياح بالجبال التي تصدها، وقهر الجبال بالحديد الذي يكسرها، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يطفئها ، وقهر الماء بالهواء الذي يصرفه، وقهر الهواء بأقطار السماوات والأرض التي تحيط به، ثم قهر الكل، لأنه وحده القاهر لكل قاهر ومقهور: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤] .

هو القهار جل جلاله الذي يدمر من أصر على كفره بعد إنذاره: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

فسبحان قاهر الأحياء بالموت ، وقاهر الأرواح في الأجساد ، لا إله غيره، ولا رب سواه ، يفعل بالأسباب ، ويفعل بدون الأسباب ويفعل بضد الأسباب: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

والأسباب عطاءٌ من الله، لا تفعل بذاتها، خلقها الله عز وجل إظهارًا لقدرته، وجعلها تفعل في الظاهر ابتلاءً لعباده، فالله وحده هو الفعال الذي بيده الخلق والأمر والملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك: ١] .

والأسباب مخلوقة ، تأتي المسببات معها لا بها، لأنها مخلوقة، والمخلوق لا يخلق المخلوق، والمفعول لا يكون فاعلاً والله هو الفعال وحده لا شريك له ، والأسباب والمخلوقات مخلوقاتٌ لله ، لا شريكةٍ لله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ومن ظن أن الأسباب بسبب قوتها تفعل ، وغفل عن قوة خالقها ، وأن المسببات تنشأ بها لا معها ، فقد جعلها شريكةً لله في الخلق والأمر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾[الزمر: ٦٢ - ٦٣] .

فالأسباب مملوكة ، تأتي المسببات معها لا بها ، بدليل أن الأسباب تأتي بالمسببات أحيانًا ، وأحيانًا لا تأتي بها ؛ لأن الله لم يُرد ذلك منها ، فقد تمطر السماء ولا تنبت الأرض ، وقد ينكح الرجل زوجته ولا تنجب ، وكذا الشجرة قد تثمر وقد لا تثمر ؛ لأن الأمر كله بيد واحد ، والمفتاح بيد واحد ، هو الله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر:٤].

فسبحان من بيده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى

ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

والله هو القادر على كل شيء ، يفعل بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

فالله يفعل بالأسباب ، كما ينزل المطر على الأرض، فتنبت من كل زوجٍ بهيج ، ويفعل بدون الأسباب: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ – ٧] .

ويفعل بدون الأسباب: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٥٠] .

ويفعل بضد الأسباب كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

والمؤمن يرى الأسباب عطاءً من الله ، والله خالقها، وهو المتصرف فيها: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

والله عز وجل هو العلي وقد ذكر الله عز وجل هذا الاسم العظيم في أعظم آية في القرآن – وهي آية الكرسي كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

والله جل جلاله هو العلي المتعالي ، هو العلي العالي الأعلى فوق كل شيء ، العلي بذاته، العلي بأسمائه، العلي بصفاته ، العلي بأفعاله ، فلا أحد مثله ، تعالى عن كل ما سواه من المخلوقات ، العلي عن الصاحبة والولد وكل ما يحتاجه البشر ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاجه كل أحد: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو سبحانه العلي الأعلى، الذي رفع وأعلى من آمن به، وخفض من كفر به: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

وقال الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

فسبحان العلي الأعلى العالي فوق جميع مخلوقاته ، والعلي والأعلى اسمان من أسماء الله ، دالةٌ على إثبات العلو لله ، والمتعال عن النقائص وعما لا يليق بجلاله، فالله عليٌ على كل أحد ، متعالٍ عن كل نقصٍ وعيب .

والله سبحانه هو الملك الحق ، ومن خصائص الملك الأمر والنهي ، والعطاء والمنع، والتدبير والتصريف، والثواب والعقاب ، والوعد والوعيد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

وأنواع علو الله عز وجل أربعة :

الأول : علو الذات ، فهو سبحانه عالٍ على جميع مخلوقاته ، مستوٍ على عرشه العظيم ، ظاهرٌ فوق كل شيء ، ومع علوه الأعلى فهو قريبٌ من داعيه وعابديه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

الثاني : علو القدر ، عزة الله لا نهاية لها ، وقدر الله لا نهاية له ، وكبرياء الله لا نهاية له ، فله العلو في العظمة والكبرياء ، وله العلو في الجمال والجلال ، وله العلو في العلم والرحمة ، وغيرها من صفات الكمال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

الثالث : علو القهر ، فهو القاهر سبحانه فوق عباده ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا قاهر غيره: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤] .

وكل ما سواه مقهور .

الرابع : علو التعالي : الله متعالٍ عن كل نقص ، وعن كل عيب ، وعن كل شبيه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[الرعد: ٩] .

من أعظم روافد الإيمان وزيادته معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

وأسماء الله عز وجل توقيفية ، وأسماء الله عز وجل أعلامٌ وأوصاف .

فكل أسماء الله عز وجل تدل على ذاته ، ولكل اسمٍ معنىً خاصٌ يُطلق على الله عز وجل ، فكل اسمٍ من أسماء الله الحسنى متضمنٌ لصفة ، ولا عكس ، فليس كل صفة يؤخذ منها اسم ، ولكن كل اسمٍ لله متضمنٌ لصفة

من صفاته ، فالعزيز اسمٌ متضمنٌ لصفة العزة ، والرحمن اسمٌ متضمنٌ للرحمة ، والغفور اسمٌ متضمن للمغفرة، وهكذا . .

والله عز وجل وصف نفسه بأنه ينزل الغيث ، ويمكر، ويكتب ، فيوصف بذلك ولا يسمى به ، وإذا ثبت الاسم لله بالنص ، جاز لنا أن نشتق منه صفةً فقط إن كان لازمًا ، كالواحد والأول ، ونشتق منه صفةً وفعلًا إن كان الفعل متعديًا ، فالرحمن اسمٌ نشتق منه صفة الرحمة ، ونثبت الفعل لله بأنه يرحم ، وإذا كان الفعل لازمًا أخذنا منه صفةً فقط ، فالله واحد ، فنصفه بالوحدانية وهكذا .

وأسماء الله عز وجل نوعان :

مطلقة .. ومقيدة أو مضافة .

فالمطلقة كالعزيز والرحمن والقوي والكبير والخالق وأمثالها .

والمقيدة والمضافة كمالك الملك ، بديع السماوات والأرض ، جامع الناس ، خير الغافرين ، خير الرازقين ، خير الفاتحين ، سريع الحساب ، علام الغيوب وأمثالها .

فما ورد مطلقًا نطلقه على الله عز وجل مطلقًا، وننناديه به ، وما ورد مقيدًا نسمي الله به مقيدًا كما جاء في القرآن .

أما ضوابط إطلاق الاسم على الله فهي ثلاثة :

الأول : أن يكون الاسم واردًا في القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة .

الثاني : أن يكون مفردًا غير مقيدٍ ولا مضاف .

الثالث : أن يتضمن صفة مدحٍ وثناءٍ على الله بنفسه .

وإحصاء أسماء الله الحسنى له أربع مراتب :

الأولى : عدها وحفظها واستحضارها بالقلب .

الثانية : فهم معانيها .

الثالثة : معرفة آثارها في الكون ، فالخالق يدل على أنه خلق جميع المخلوقات .

والرابعة : دعاء الله بها ، والتعبد له بمقتضاها ، وشهود آثارها في الكون .

ودعاء الله بها له مرتبتان :

دعاء حمدٍ وثناءٍ وعبادة ، ودعاء طلبٍ ومسألة . فلا يُثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وكذلك لا يُسأل إلا بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والله عز وجل وترٌ يحب الوتر ، والوتر أفضل من الشفع ؛ لأن الوتر من صفات الخالق ، والشفع من صفات المخلوق ، والشفع يحتاج إلى الوتر ، والوتر لا يحتاج إلى شفع: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » . أخرجه مسلم(١) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٧).

٧- فقه أسماء الله الحسنى

أعظم أركان الإيمان هو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأسماء الله وصفاته كلها حسنى، وهي بالغةٌ في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، فلا أحسن منها بوجهٍ من الوجوه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

فأسماء الله عز وجل أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات، وأقواله أحسن الأقوال، وأفعاله أحسن الأفعال، ومخلوقاته أحسن المخلوقات، وأحكامه أحسن الأحكام، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر، وثوابه أحسن الثواب، وعقابه أحسن العقاب: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥]

وأسماء الله كلها حسنى لأنها تدل على صفات الكمال والجمال والجلال لله عز وجل، فهي أسماء مدحٍ وحمدٍ وثناء، وأسماء تمجيدٍ وتعظيمٍ وإجلال، وأسماء رحمةٍ ولطفٍ وإحسان: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

والله جل جلاله لجلاله وجماله ، وعظمته وكبريائه، وإحسانه وإنعامه، لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات، ولا يحمد إلا بأحسن المحامد، ولا يعبد إلا بأحسن العبادات: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وأسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العلى كثيرة ، ليس لها حصر ، ولا تحُدُّ بعددٍ معين ، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تسمى بها واتصف بها جل جلاله، وتقدست أسماؤه، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وأسماؤه كلها حسنى، ولهذا أمرنا الله بمعرفتها وتوحيد الله بها، والتعبد لله بموجبها، ودعاء الله بها: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[طه: ٨] .

وأسماء الله عز وجل من حيث العلم بها ثلاثة أقسام :

منها أسماء استأثر الله بعلمها، فلم يطلع عليها أحدًا من خلقه، ومنها ما علمه الله بعض خلقه ولم ينزله في كتابه، ومنها ما بينه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ في سنته .

ولله عز وجل من الأسماء الحسنى تسعةٌ وتسعون اسمًا ، مائة إلا واحدة ، من أحصاها وحفظها وعمل بمقتضاها ودعا الله بها ، أدخله الله الجنة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ للهَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » . متفقٌ عليه [1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم(٢٦٧٧)، واللفظ له.

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، ابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً " ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ ، فَقَالَ : بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » . أخرجه أحمد [1] .

معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، في باب التوحيد والإيمان بالله، بمنزلة الرأس من الجسد ، وأسماء الله وصفاته توقيفية ، فنُثبت لله عز وجل من الأسماء والصفات والأفعال ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، وأثبته له رسوله ﷺ في سنته ، وننفي عن الله من الأسماء والصفات والأفعال ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فلا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نقول على الله بلا علم ، ولا نعمل إلا بما أنزل الله ، ولا نقول على الله غير الحق: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل: ١١٦ – ١١٧].

---

(١) صَحِيح/ أخرجه أحمد برقم (٣٧١٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٣] .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن والسنة نؤمن بها كلها، ونعبده بموجبها، وأسماء ربنا أحسن الأسماء، وصفات ربنا أحسن الصفات، وأفعال ربنا أحسن الأفعال، وصفات ربنا أوسع من أسمائه، وأفعاله أوسع من أسمائه وصفاته، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها دالةٌ على ذاته وجلاله وجماله وكماله:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

وأسماء الله عز وجل كلها مترادفة في الدلالة على الذات ، متباينةٌ في الدلالة على الصفات، لدلالة كل اسمٍ منها على معنًى خاصٍ مستفادٍ منه ، كالعظيم والكبير والعزيز والخالق والرزاق والكريم وغيرها من الأسماء الحسنى .

فكل أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله، ويسمى الله بها ، وتدل على الصفات المتعددة للرب ، كالخلق، والتصوير، والعلم، والقدرة، والرزق، والكرم ونحو ذلك ، فأسماء الله الحسنى أعلامٌ وأوصاف ، فهي أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذات .

وأوصافٌ باعتبار ما دلت عليه من المعاني من صفات الجلال والجمال ، فالحي القيوم ، والسميع البصير ، والعزيز العليم ، وغيرها من الأسماء الحسنى كلها أسماءٌ لمسمى واحد وهو الله سبحانه ، لكن للحي معنًى خاص ، وللقيوم معنًى خاص ، وللسميع معنىً خاص ، فالحي يدل على صفة الحياة ، والسميع يدل على صفة السمع ، والعليم يدل على صفة العلم ، والرزاق يدل على صفة الرزق ، وهكذا .

وأسماء الله الحسنى كما أنها متعددة فهي كذلك متفاضلةٌ في المعاني ، وفيها اسم الله الأعظم الذي أخفاه الله عز وجل في أسمائه الحسنى، ليتعبد الخلق بجميع أسماء الله الحسنى، ويدعونه بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقد سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول : « اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ صحيح(١) .

وأسماء الله الحسنى من حيث دلالتها قسمان :

الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية لازمة ، وهي كل اسمٍ لا يتعدى أثره فاعله، ولا يتجاوزه إلى المفعول به ، ومن هذه الأسماء :

الواحد ، الأحد ، العلي ، العظيم ، الكبير ، الوتر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، وأمثالها .

فما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن أمرين :

ثبوت ذلك الاسم لله .. وثبوت الصفة التي تضمنها .

فالواحد مثلًا يتضمن إثبات الواحد اسمًا لله ، وإثبات الوحدانية صفةً له ، والعظيم يتضمن إثبات العظيم اسمًا لله ، وإثبات العظمة صفةً له ، وهكذا في بقية الأسماء .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم(٣٤٧٥)، وأخرجه ابن ماجة برقم(٢٨٥٧).

الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية متعدية من الخالق إلى المخلوق ، ومن الفاعل للمفعول ، ومن الملك إلى المملوك، ومن هذه الأسماء:
الخالق ، البارئ ، المصور ، العفو ، الغفور ، الكريم ، الرحيم ، الرحمن ، التواب ، الرزاق ، السميع ، البصير ، الرب ، الفتاح ، اللطيف ، وأمثالها .

وما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن ثلاثة أمور :

ثبوت ذلك الاسم لله .. وثبوت الصفة التي تضمنها .. وثبوت حكمها ومقتضاها .

فالرحيم مثلًا يتضمن إثبات الرحيم اسمًا لله ، وإثبات الرحمة صفةً لله ، وإثبات مقتضاها وهو أن الله يرحم من يشاء . وهكذا في بقية الأسماء من هذا النوع .

والفرق بين الصفات الذاتية والفعلية :

أن الصفات الذاتية كالحي ، السميع ، البصير ، لا تعلُّق لها بالمشيئة ، فهي صفاتٌ ذاتيةٌ لازمة للرب لا تنفك عنه .

والفعلية هي التي لها تعلقٌ بالمشيئة ، إن شاء الله فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، كالخلق ، والرزق مثلًا .

فالحي صفة ذاتية لا تنفك عن الله أبدًا ، أما الخلق فهي صفةٌ فعلية ، فالله يخلق ما يشاء، متى شاء، على أي صورة شاء، في أي وقتٍ شاء .

وصفة الذات لا يوجد لها مقابل في الأسماء ، وصفات الفعل هي التي يوجد لها مقابل في الأسماء ، فإذا قلنا : الله حي ، فهي صفةٌ ذاتيةٌ لازمة ، وإذا قلنا : الله يحيي ، فهي صفة فعلٍ، لأنها تقتضي أن يكون مميتاً: ﴿ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يونس: ٥٦] .

والله عز وجل هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض:﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[النحل: ٦٠] .

واسم الله مشتقٌ من الإله، فالله مألوهٌ محبوبٌ مستحقٌ للعبادة وحده لا شريك له ، فهو الرب المألوه المعبود الذي تألهه الخلائق وتحبه وتعظمه ، وتخضع له ، وتفزع إليه وحده في جميع حوائجها، لجلاله وجماله وكماله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات:٥٠-٥١] .

والرب هو السيد ومالك الشيء ، ولا يقال الرب مطلقًا إلا لله وحده ؛ لأنه المتكفل بكل مربوب خلقًا وتدبيرًا ورعاية ، فالرب سبحانه هو الذي يربي خلقه بنعمه وإحسانه ، المالك لكل ما سواه ، الذي لا شبيه له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الملك الذي له الخلق والأمر في ملكه وسلطانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤].

والله هو الإله المحبوب المعبود الذي لا تصلح العبادة والذل والحب إلا له وحده لا شريك له: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فهو سبحانه الإله الذي يستحق أن يُؤله ويعبد وحده ، الذي تألهه القلوب وتصمد إليه بالحب والتعظيم ، والخوف والرجاء ، لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨] .

والرب سبحانه هو القائم بالخلق والتدبير في ملكه وملكوته ، الرب الذي خلق الخلائق وأنشأها ، الرب الذي يقوم على هدايتها وإصلاحها وحفظها: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

فالربوبية تقوم على ركنين عظيمين جامعين هما :

الأول: خلق الأشياء وإنشاؤها من العدم .

الثاني: تدبير الأمر في خلقه، بهدايتهم لمصالحهم، وتصريف أحوالهم، والعناية بهم: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى: ١ – ٣] .

فلا إله إلا الله، ما أظهر الربوبية والألوهية لرب العالمين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

فالله وحده هو المستحق للعبادة ، المألوه الذي تحبه القلوب ، وتعظمه وتعبده عن محبة وتعظيمٍ وإجلالٍ، وطاعةٍ وتسليم ، فاجتمع الخلق بصفة الربوبية ، فالله رب كل أحدٍ وخالقه ورازقه ، وافترقوا في صفة الإلهية ، فآمن بالله، وألهه وأطاعه، وأقر له بأنه الإله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، المؤمنون ، وهم الموحدون السعداء ، وأشرك به، وكفر به، الأشقياء ، فصاروا إلى النار ، فالربوبية جمعتهم، لأنه خالقهم ورازقهم وهاديهم جل جلاله .

والإلهية فرقتهم ، لأن من الخلق من يعبد الله ، ومنهم من يعبد الأصنام ، والله لا إله غيره، ولا رب سواه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾[الناس: ١ – ٣] .

فالله هو الرب الذي يربي جميع خلقه وحده بالنعم المادية والروحية ، وهو ملك الناس الذي خلقهم وهم عبيده ، والله عز وجل إله الناس ، إلهٌ لمن آمن به وأطاعه ، فالله يواليه بالنصرة والرحمة والحفاظة ، ومن عصاه وأعرض عنه وكله الله إلى نفسه: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٧] .

واسم الله دالٌ على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، ولهذا أضاف الله إليه جميع الأسماء الحسنى كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٤] .

وقد اقترن اسم الله والإله مع معظم الأسماء الحسنى، لأن الألوهية مستلزمه لجميع معاني الأسماء الحسنى ، واقترن اسم الرب الذي بكثيرٍ من الأسماء الحسنى ، فاقترن معظم أسماء الله الحسنى مع اسم الرب ؛ لأن من صفات الرب يستحق أن يعبد كونه سميعًا بصيرًا، قادرًا خالقًا، حيًا قيومًا، كريمًا رحيماً، لطيفًا محسنًا ، إلى غير ذلك من الصفات التي تستلزم الربوبية خلقًا ورزقًا ورحمةً وهداية .

والإيمان بالله ربًا وإلهاً يثمر للعبد توحيد الله بأفعاله ، وتوحيد الله بأفعال العباد ، وعبادته وحده لا شريك له ، ويثمر محبة الله محبةً عظيمة أحب من النفس والأهل والمال والولد ؛ لأنه الرب الذي يربي عباده بكل نعمة: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣]. ويكرمهم بكل خيرٍ وإحسان فضلًا منه ورحمة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

وذلك يستلزم حب من يحبه الله ، وبغض من يبغضه ، وحمد الله وتعظيمه بما يليق بجلاله وعظمته وسلطانه وإنعامه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

والإيمان بالله ربًا وإلهاً يثمر التوكل على الله في جلب المنافع، ودفع المضار ، ويثمر التعلق بالله وحده ، والشعور بالعزة به ، وسقوط الخوف والهيبة من الخلق ، فلا يعتز إلا بالله ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يتضرع إلا إليه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة: ٢ – ٥] .

وكلما عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، أثر هذا في دعائه ، وقوة رجائه ، والوثوق بقدرته، وكفايته وقضاء حاجته ، ويثمر طمأنينة القلب وسعادته وأنسه بالله وحده:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وليس في الدنيا نعيمٌ يشبه نعيم الجنة إلا نعيم معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والإيمان به، ومحبته، وتوحيده، وتكبيره، وحمده، والثناء عليه:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

والله عز وجل هو الملك الحق ، الذي له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة : ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٨٩] .

وله ما في السموات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٩] .

وله غيب السموات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[هود: ١٢٣] .

وله جنود السموات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الفتح: ٧] .

وله خزائن السموات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المنافقون:٧].

وله ميراث السموات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[آل عمران: ١٨٠] .

وله مقاليد السموات والأرض: ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر: ٦٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر: ١٣ – ١٤] .

فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، هو جل جلاله الإله الحق ، المعبود بحق: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

واسم الله علمٌ على ذات الله ، وعلمٌ على أسمائه وصفاته ، علمٌ على الملك، وعلمٌ على الخالق ، وعلمٌ على الرب ، وعلمٌ على العزيز ؛ وعلمٌ على الرحمن: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

هو جل جلاله الإله العظيم الذي لا أعظم منه ، حارت في عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الألباب والعقول ، فالملك العظيم ملكه ، والخلق العظيم له ، والأمر كله بيده:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فسبحان من لا نهاية لعظمته ، ولا نهاية لجلاله ، ولا نهاية لجماله ، ولا نهاية لقوته ، ولا نهاية لعلمه ، ولا نهاية لرحمته ، ولا نهاية لملكه ، سبحانه هو الواحد القهار . فلا يعطي ولا يمنع إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يعز ولا يذل إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

فاسم الله مستلزمٌ لجميع معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى ، ولهذا كان اسم الله أكثر الأسماء ورودًا في القرآن ، فقد ورد قريبًا من ألف مرة ، وأضيفت الأسماء الحسنى إليه ، واقترنت به عامة الأدعية والأذكار كسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وغيرها .

فالله هو الاسم الأعظم للرب ، وجميع الأسماء الحسنى تعود إليه ، وجميع القلوب مفطورةٌ على التوجه إليه، والإقرار بعظمته، والحب له، والفزع إليه، والذل بين يديه، والافتقار إليه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وهو الإله المحبوب، الودود ، المطاع ، المعبود ، الحي القيوم ، الذي تألهه القلوب وتحبه وتفزع إليه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

وكلمة التوحيد " لا إله إلا الله " مشتملةٌ على اسم الله الأعظم ، وهي الدين كله ، من أجلها خلق الله الخلق ، وخلق السماوات والأرض ، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب ، وشرع الشرائع ، وخلق الجنة والنار ، ونصب الصراط والميزان ، ولا إله إلا الله أحسن ما نطق به اللسان ، وأعظم ما وقر في القلب ، وأفضل ما تعبد به الخلق .

ولا إله إلا الله أقوى من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، وأثقل من كل شيء ، فلو أن السماوات السبع والأراضين السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن وضعت في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السماوات السبع والأراضين السبع كن حلقةً مبهمة ، لفصمتهن لا إله إلا الله .

وما قال لا إله إلا الله على الحقيقة التامة أحدٌ قط سوى الله جل جلاله، لعلمه بنفسه ، وكبر شهادته ، ثم الملائكة، لأنهم أقرب خلقه إليه ، ثم الأنبياء والرسل، لأنهم أعرف الخلق بالله ، ثم العلماء لأنهم ورثة الرسل ، ثم عامة المؤمنين: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

فلا إله إلا الله العظيم ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته ، ما ذُكِر اسم الله جل جلاله على قليلٍ إلا كثّره ، ولا عند كربٍ إلا كشفه ، ولا عند خوفٍ إلا أزاله ، ولا عند همٍ إلا فرجه ، ولا عند ضيقٍ إلا وسعه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر: ٦٢] .

وما تعلق بالله ضعيفٌ إلا أفاده القوة ، ولا ذليلٌ إلا أناله العزة ، ولا مغلوبٌ إلا أيده ونصره ، ولا تعلق به مضطرٌ إلا كشف ضره ، ولا جاهلٌ إلا علمه ، ولا مريضٌ إلا شفاه ، ولا فقيرٌ إلا أغناه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

هو الإله الحق الذي خضعت الرقاب لعظمته ، وخشعت الأصوات لهيبته ، وفطر القلوب على تعظيمه ومحبته والذل له: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

٨- معرفة الله أعظم أبواب التوحيد والإيمان

الله عز وجل هو رب العالمين ، له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الحمد كله ، وإليه يُرجع الأمر كله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥] .

الله عز وجل هو رب العالمين ، هو رب كل شيء ، وخالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، ومقدر كل شيء ، ومدبر كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وهو سبحانه الرب العظيم الذي له السؤدد والعزة والعظمة، والعلو والكبرياء، والجبروت والملكوت: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

وهو سبحانه الرب الذي أصلح خلقه، ورباهم بنعمه، الكافل لهم، القائم بمصالحهم، المواليهم بنعمه، كثير الخير والإحسان، فلا إله إلا الله كيف ينصرف العاقل عنه إلى غيره: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤] .

هو الرب العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى ، هو الرب العظيم الذي يربي عباده بنعمه المادية والروحية ، فله الحمد : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وقال الله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف: ١] .

وهو سبحانه الرب الكريم، الذي يمد أجسامنا وعقولنا وجوارحنا وقلوبنا بما تحتاج إليه من الأقوات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣] .

هو سبحانه الرب الخالق الرازق ، الذي منه نعمة الخلق والإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية والإسعاد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

خلق الإنسان ولم يكن شيئًا من قبل ، وأمده بالنعم التي لا تعد ولا تحصى ، ثم هداه إليه ، من أطاعه كافأه ، ومن عصاه أدبه ، ومن دعاه استجاب له ، ومن استغفره غفر له، فلا تتعلق بأحد سواه: ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٧ – ٨٢] .

هو سبحانه الرب الحافظ لكل شيء، القريب من كل شيء، الرقيب على كل شيء، البصير بكل شيء، السميع لكل شيء، العليم بكل شيء، الذي له جميع الأسماء الحسنى، وله جميع الصفات العلى، وله المثل الأعلى، لا إله غيره، لا رب سواه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الرب العظيم الذي له الخلق والأمر، فهو الرحمن الذي استوى على عرشه العظيم، وتفرد بتدبير ملكه الكبير، وتولى تربية خلقه بكل حال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

فالخلق كله له، والرزق كله منه، والتدبير كله بيده، ومصير الأمور كلها إليه، ومراسيم التدبير كلها نازلة من عنده، تنفذها وتقسمها ملائكته بأمره، بالعطاء والمنع، والبسط والقبض، والرفع والخفض، والتحريك والتسكين، والإحياء والإماتة: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

هو سبحانه الرب القوي العزيز الكريم، الذي يكشف الكروب، ويرفع البلاء، ويجيب المضطر، ويغيث الملهوف، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩].

فسبحان ربنا العظيم الذي لا إله غيره، ولا رب سواه.

الله عز وجل هو الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا مثيل ولا نظير، الذي توحد بجميع الكمالات وحده لا شريك له، وهو الأحد الذي لا شبيه له ولا مثيل ولا شريك، وهو الوتر الفرد الذي لا شريك له ولا مثيل، فهو

الوتر وجميع خلقه شفع ، خلقوا أزواجًا: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٩] .

سبحانه هو الله الواحد القهار ، فالقهر ملازمٌ للوحدانية ، فالقاهر لا يكون إلا واحدًا ، والواحد لا يكون إلا قاهرًا ، فالذي يقهر جميع المخلوقات هو الواحد الذي لا نظير له ، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، لأنه الواحد الأحد القاهر القهار وحده لا شريك له: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

هو جل جلاله الواحد الأحد بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، هو الواحد الأحد الذي لا قسيم له ، هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه وسلطانه ، فلا إله غيره، ولا رب سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، سبحانه هو الله الواحد القهار ، هو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا مثيل ولا شبيه ولا نظير له: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] .

والمؤمن حقًا من يرى أن الله وحده بيده الخير ، وبيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء ، وهذا هو التوحيد المطلوب من البشر ، توحيد الرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بأفعال العبد من صلاةٍ ودعاءٍ وذكرٍ وغيرها: ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

ومن خرج عن هذا التوحيد وقع في آلامٍ وهمومٍ لا تحتمل ، وفتح على نفسه أبواب شقاءٍ لا نهاية له: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

والتوحيد هو الذي فيه الفوز والنجاة فقط ، ألّا ترى مع الله أحدًا فتعبده وحده ، ولا تلتفت إلى أحدٍ سواه ، وأن ترى كل شيءٍ في أقداره وأحكامه ينتهي إلى خير: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

والله جل جلاله هو الواحد الأحد الذي ليس له شريك ، فهو واحدٌ في ذاته لا شريك له ، واحدٌ في أسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له ، واحدٌ في إلوهيته وعبوديته فلا شريك له: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

والتوحيد أن تؤمن بالله ربًا وإلهًا واحدًا لا شريك له ، وتتيقن أن الله وحده بيده كل شيء وغيره ليس بيده شيء فتعبده وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

واعلم أيها العبد أن نهاية العلم التوحيد ، والتوحيد أفضل ما تعلمه العبيد ، وأوجب شيءٍ على المخاليق: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥] .

والتوحيد مأخوذٌ من اسم الله الواحد ، وهو قسمان :

الأول : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، بأن تؤمن أن الله وحده لا شريك له ولا مثيل له في أسمائه وصفاته وأفعاله ،

واحدٌ لا شريك له في خلقه وتدبيره وأمره وملكه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

الثاني : توحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد ، بأن تؤمن أن الله وحده هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وتعبده بما شرع ، ولا تعبد معه أحدًا غيره ، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فلا إله إلا الله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

فسبحان الواحد الأحد الذي تناهى في عظمته وسؤدده ، فلا شريك له ولا مثيل ، الواحد الذي يكفيك من كل أحد ، وكل أحد لا يكفيك من الواحد الأحد ، الأحد الذي يحتاجه كل أحد ، الواحد الذي لا يحتاج إلى أحد: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فلا تدع مع الله إلهاً أخر: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩] .

تطيع الله مرة وتطيع هذا الإله مرة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ١٦٤] .

الله واحدٌ أحد لا ثاني له ، لا شريك له ، لا مثيل له ، هو الغني وحده لا شريك له ، فتوجه إليه واعبده وحده لا شريك له: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ

ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥١ – ٥٣] .

فاعبد الواحد الأحد الذي بيده جميع الأمور وحده لا شريك له: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣] .

ودلائل وحدانيته جل جلاله شائعةٌ في مخلوقاته في السماوات والأرض وشواهدها ظاهرةٌ، ورسومها بينةٌ ناطقة: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦–٨].

اللهم ارزقنا كمال التوحيد والإيمان: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣] .

الله ﷻ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، هو الأول الذي ليس قبله شيء ، الذي لا ابتداء لوجوده ، الآخر الذي ليس بعده شيء ، الذي لا نهاية لوجوده ، الظاهر فوق كل شيء الذي ليس فوقه شيء ، الأعلى فوق كل شيء، الباطن دون كل شيء، العليم بكل شيء: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣] .

هو الأول فليس قبله شيء ، لم يزل كذلك أولًا، ولا يزال كذلك أبدا ، له سبحانه أولية الشرف والسؤدد ، وله أولية الجمال والجلال ، وله الأولية في المراتب والمعالي كلها ؛ لأنه العظيم الذي له جميع الأسماء الحسنى

بحقائقها ، وجميع الصفات العلى بكمالها: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

هو سبحانه الخالق الأول ، الرازق الأول ، المحبوب الأول ، المطلوب الأكبر ، المبتغى الأعلى ، الكبير الذي إليه المنتهى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم: ٤ – ٥] .

هو سبحانه الأول قبل الأشياء ، الباقي بعد فناء الأشياء ، الذي كتب كل أولٍ وآخر، وخلق كل أولٍ وآخر ، وملك كل أولٍ وآخر، وأعطى كل أولٍ وآخر . قال رسول الله ﷺ: « كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ » . أخرجه البخاري(١) .

هو سبحانه أول الأولين فلا شيء قبله ، وهو آخر الآخرين فلا شيء بعده ، وهو سبحانه الأول الذي ابتدأ خلق كل شيء ، الأول الذي أوّل الأول من المخلوقات ، والآخر الذي أخّر الآخر من المخلوقات ، وهو إله الأولين والآخرين ورب الخلق أجمعين: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الأول بلا بداية ، وهو الآخر بلا نهاية ، ليس كمثله شيء في جميع ما يوصف به من كل شيء يليق بجلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] .

هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى ، الأول والآخر في الصفات العلى ، الأول والآخر في الجمال والجلال ، الأول والآخر في الإحسان والإنعام ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٧٤١٨).

الأول والآخر في العدل والإحسان ، الأول والآخر في الإيجاد والإمداد ، الأول والآخر في التصريف والتدبير: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد: ٣] .

هو الأول والآخر في القوة ، الأول والآخر في العلم ، الأول والآخر في الملك ، الأول والآخر في الرحمة ، هو الأول في العظمة والكبرياء ، الآخر في العظمة والكبرياء ، هو الأول في الجلال والجمال ، والآخر في الجلال والجمال ، هو الأول بإحسانه ، الآخر بإحسانه ، هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه: ٨] .

هو الأول والآخر الذي أحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده ، فسبق كل شيءٍ بأوليته ، وبقي بعد كل شيءٍ بآخريته ، وهو الظاهر والباطن الذي أحاط بكل ظاهرٍ وباطن ، فما من ظاهرٍ إلا والله فوقه ، وما من باطن إلا والله دونه ، الذي علا فوق كل ظاهر ، ودنا من كل شيءٍ باطن ، الظاهر بعلوه وعظمته ، الباطن في قربه ودنوه .

هو الأول والآخر الذي أحاطت أوليته وآخريته بالزمان كله ، الظاهر والباطن الذي أحاط بظاهريته وباطنيته بالمكان كله .

فسبحان المحيط الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا ، المحيط بجميع الزمان والمكان: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد: ٣].

هو الأول والآخر الذي لا ابتداء لوجوده ، الآخر الذي لا انتهاء لوجوده ، الظاهر الذي علا كل شيء ، الباطن الذي دنا من كل شيء ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده ، وما من ظاهر إلا والله فوقه ، وما من باطن إلا والله دونه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

الله وحده هو الأول، والآخر، لأن الأمر منه ابتدأ وإليه يرجع، فما أسعد من آمن بالله، وأخلص عمله لربه، وسارع إلى السبق في كل فضيلة ، وابتعد عن كل معصية ورذيلة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١] .

هو سبحانه الأول والآخر الذي جميع الخيرات والبركات جاءت منه ، والغايات والنهايات كلها تنتهي إليه ، وليس له سبحانه غاية ولا نهاية ، لا في وجودٍ، ولا مزيد فضلٍ ، ولا نهاية لحمده وعطائه: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢ ﴾ [النجم: ٤٢] .

كلما ازداد العبد له شكرًا زاده فضلًا ، وكلما ازداد له طاعة زاده مثوبة ، وكلما ازداد العبد لله قربًا اقترب منه أكثر ، وكلما ازداد له ذكرًا ذكره ربه أكثر ، عظيمٌ كريمٌ لا يقف على غايةٍ ولا نهايةٍ أبدًا ، فالمؤمنون في الدنيا والآخرة في مزيد فضله الدائم بلا انتهاء : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ ﴾ [ق: ٣٥] .

هو جل جلاله أول كل شيءٍ وآخره ، هو المبتدئ بالفضل والإحسان حيث لا سبب ولا وسيلة ، وكما أن الله هو رب كل شيءٍ وخالقه وبارئه ، فهو إلهه وغايته التي لا صلاح ولا فلاح إلا بأن يكون الله وحده غايته ونهايته ومقصودة : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢] .

فالتوحيد أصل كل خير، والشرك أصل كل شر: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

إن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم روافد الإيمان، وأفضل السبل لزيادة الإيمان، وذوق حلاوته ، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد والإيمان، وصدق العبودية: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وأحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه هم أهل هذه المعرفة ؛ لأنهم في رياض معرفته حاضرون ، وإلى جماله وجلاله ناظرون، وبأوامره الملكية الشرعية يعملون ، إن نظروا إلى صفات جلاله هابوه، وإن نظروا إلى صفات جماله أحبوه ، وإن نظروا إلى شدة نقمته خافوه، وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

والله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، فمن سار إلى الله باسمٍ من أسمائه الحسنى وصل إليه ، ومن تعلق بصفةٍ من صفاته العلى أخذت بيديه حتى تدخله عليه بكمال الحب والتعظيم والذل له ، فحياة القلوب في معرفته ومحبته وتعظيمه ، وحياة الجوارح في التقرب إليه بالعبادة بما شرع ،

وحياة اللسان بدوام ذكره وشكره والثناء عليه والدعوة إليه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ومن أيقن أن الله عز وجل هو الأول فوض الأمور كلها إليه، وتوكل عليه وحده ، ولم يلتفت إلى غيره ، ومن أيقن أن الله هو الآخر أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه، وترجع إليه ، فلا يلتفت إلى أحدٍ سواه .

وهذان الاسمان الأول والآخر يوجبان للعبد الاضطرار إلى الله، ودوام الافتقار إليه ، فهو الأول المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة ، وهو الآخر الذي ينتهي به كل شيء .

ومن أيقن أن الله هو الظاهر قصده وصمد إليه في جميع حوائجه ، ومن أيقن أن الله هو الباطن علم قربه منه فاستحيا منه ، لكثرة نعمه عليه، وكثرة معصيته له، وأحبه وخافه ورجاه لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣].

لهذا معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله في باب التوحيد، وباب الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد، فالله عز وجل له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ومن أسمائه الحسنى الكبير جل جلاله، فهو الكبير الذي كل شيءٍ دونه، ولا شيء أعظم منه ، الكبير الأكبر في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي صغر دون جلاله كل كبير: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨] .

هو الكبير الذي كبر وتكبر عن التشبه بالمخلوقين ، وكبر عن المثيل والشبيه والنظير ، وكبر عن صفات النقص والعيب: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ

﴿ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطوياتٌ بيمينه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

والكبرياء لله تتضمن العظمة، والكبرياء أعظم منها ، واسم الله الكبير الصفة المشتقة منه هي الكبر: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

ومن عرف أن ربه هو الكبير أكثر من تكبيره ، وعظم أوامره ، وخاف منه وخشع له ، وأحبه ومجده، وأفرده بالعبادة، وأطاع أمره، واجتنب نهيه ، وانقاد لحكمه، وعظّم أوامره وحرماته: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١] .

فسبحان العلي الكبير الذي كبر وعلا في ذاته فلا أكبر ولا أعظم منه ، وسبحان الكبير في صفاته ، فصفاته كلها صفات كمالٍ وعظمةٍ وجلالٍ وجمال ، وسبحان الكبير في أفعاله ، فعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧] .

هو جل جلاله الكبير العلي العظيم ، ذو الجلال والكبرياء ، الذي صغر دون جلاله وعظمته كل كبير ، فلا إله إلا الله الكبير الذي له العظمة والجبروت، والإكبار والإجلال، والملك والسلطان، في السماوات والأرض: ﴿ فَلِلَّهِ

﴿ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

هو الكبير الذي كبر وتعالى عن جميع النقائص والعيوب والمساوئ ، الكبير الذي كبر وعلا عن عبادة ما سواه ، فلا يقبل أن يعبد معه غيره ، الذي كبر عن الشبيه والمثيل ، الكبير المصرف عباده على ما يريد من خلقٍ وتدبير وأمرٍ ونهي ، لا يقضى دونه أمر ولا يرد حكمه أحد: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

هو الكبير الذي كبر عن كل سوءٍ وشرٍ وظلم ، والكبير في علوّه ، العلي في كبريائه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦١ – ٦٢] .

وجلا الله وكبرياؤه لا يعلمه إلا هو، ولا يدرك كنه ذلك أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فالعز إزاره، والكبرياء رداؤه فمن نازعه فيهما عذبه كما قال النبي ﷺ: « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ » . أخرجه مسلم[1] .

فالله هو الكبير المتكبر الذي له الكبرياء في العالم العلوي والعالم السفلي ، الكبير الذي لا نهاية لكبريائه وعظمته، فهو سبحانه الكبير وحده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والكبير الأكبر من كل شيء ذاتًا وقدرًا وشأنًا وعزةً وجلالًا وجمالًا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم(٢٦٢٠) .

فالله عز وجل هو الكبير وحده لا شريك له ، العظيم وحده لا شريك له ، ولا حظ للعبد في هذه الاسماء الكبير والعظيم والعزيز، والكبرياء والعظمة والعزة لله وحده ، وحظ العبد من ذلك الذلة والافتقار والصغار للكبير وللعظيم وللعزيز، وأن يتصاغر العبد لكبريائه، ويخضع لعظمته، ويذل لعزته، ويسارع إلى طاعته، ولا يستكبر عن عبادته ، ويلازم التسبيح والتحميد والتكبير والإجلال لربه الكبير الأكبر المتعال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد: ٩] .

ومن عرف ربه الكبير خلع عن نفسه أوصاف الربوبية ، ولبس رداء العبودية، ومن تكبر عن الحق، وتكبر على الخلق، شقي في الدنيا والآخرة واستغنى الله عنه: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٨].

ثم حُرم دخول جنة الخلد كما قال النبيﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٧) .

٩- غذاء القلوب بمعرفة الله جل جلاله

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أبواب التوحيد، وأول العلوم، وأوجب العلوم، وأشرف العلوم، لأنه أساس العبودية، والعلم به يدعو العبد إلى محبة الله، وتكبيره، وتعظيمه، وتوحيده، وخشيته، وتقواه، وإخلاص العمل له، ولتحصل للعبد معرفة المعبود قبل العبادة ، ومعرفة المطاع قبل الطاعة ، ومعرفة المسئول قبل السؤال ، ومعرفة الآمر قبل معرفة الأوامر .

فتستقر في القلوب عظمة الرب وجلاله ، وتمتلئ بمحبته وإجلاله ، وتطمئن بذكره وعبادته ، ويجتمع باطن الإنسان وظاهره على طاعة مولاه ، ويتفق سر الإنسان وعلانيته، على حسن الثناء على ربه، وحمده وشكره، والافتقار إليه ، والانكسار بين يديه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

لهذا أمرنا الله عز وجل أولًا بمعرفته قبل كل شيء ، فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم نفعًا، وأحسنها ثمرة ، وأحلاها طعمًا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

وغذاء القلوب في هذا العلم الذي يثمر التوحيد والإيمان الصادق .

والله عز وجل هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته ، والكبير في قوته ، وكل ما سواه مخلوقٌ صغيرٌ ضعيفٌ عاجزٌ محتاج، فإذا تسلط عليك أحد ، فاعلم أن الله أرسله إليك ليؤدبك به، لتعود إليه .

ثم الله عز وجل ينتقم منه ، فالطغاة عصيٌ بيد الله ينتقم الله بها من الظالمين، ثم ينتقم منها، كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل، لما خالفوا أمر الله، ثم أغرق الله عز وجل فرعون وجنوده في اليم .

والأسباب بيد الله ، وهي من جنود الله ، والله له سنةٌ يفعلها، أو يعطلها، أو يعكسها، فالله أنجى إبراهيم ﷺ من النار وهي تشتعل ، ودمر فرعون مع ملكه ، وخسف بقارون مع ماله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠] .

والأمر كله بيد الكبير وحده لا شريك له ، هو الكبير الذي في يده كل شيء ، فأن نأخذ بالأسباب، ونتوكل عليها، فهذا شرك ، وأن نعطل الأسباب ولا نأخذ بها هذه معصية ، وأن نأخذ بالأسباب، ولا نتوكل إلا على الله ، فنعمل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا، فهذا هو الإيمان بالله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

والله عز وجل هو الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض ، هو الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١٢] .

والله عز وجل كبيرٌ في ذاته ، ولا يعرف كبرياءه إلا هو: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وهو جل جلاله الكبير في قدرته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وهو الكبير في كلامه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٧ – ٢٨] .

هو الكبير الذي خلق كل شيء ، وقدر كل شيء ، وعلم كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو جل جلاله الكبير في ملكه وسلطانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

وهو الكبير سبحانه في حكمه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وهو الكبير في علمه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] .

فمن هذا شأنه، وهذا جلاله وكبرياؤه، وهذه قدرته، وهذا علمه، وهذا حكمه، وهذا سلطانه، يجب أن نؤمن به ولا نكفره، ويجب أن نطيعه ولا نعصيه، ويجب أن نذكره ولا ننساه ، ويجب أن نحبه ونعظمه ونعبده وحده

لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾[الزمر: ٦] .

الذي يجب أن نحب هو العظيم الكبير ، الكريم الرحيم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر: ٢٢] .

فأعلى الحب أن تحب من يستحق الحب الكامل، وتطيع وتعبد من يستحق الطاعة والعبادة الكاملة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وبقدر المعرفة لله بأسمائه وصفاته وأفعاله تكون المحبة لله، وبقدر المحبة تكون الطاعة والعبادة ، وبقدر الطاعة والعبادة تكون السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧١].

الله ﷻ هو الكبير الذي يجب أن يطاع ، هو الكبير الذي يجب أن يعبد ، فمن أطاع المخلوق، وعصى الخالق، فما قال الله أكبر ولا مرة ، ولو قالها بلسانه ألف مرة ، ومن كذب على الله ورسوله ودينه والمؤمنين فما قال الله أكبر ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة .

ومن أعرض عن ذكر الله ، أو رضي بشرعٍ غير شرع الله، فما قال الله أكبر ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة ، ومن حلل الحرام أو حرم الحلال فما قال الله أكبر ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة ، فلابد من تطابق القلب والقالب واللسان في الإيمان بالله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾[الصف: ٢].

ومن حكم بغير ما أنزل الله فما قال الله أكبر ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المائدة: ٤٤].

ومن أكل الربا أو فعل فاحشة الزنا أو اقتحم المحرمات فما قال الله أكبر ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة .

وكمال الإنسان أن يكمل غيره ، كمال الإنسان أن يكون صالحًا ومصلحًا ، يكون صالحًا ويصلح غيره ، كمال الإنسان أن يكون عالمًا معلمًا لغيره ، كمال الإنسان أن يأخذ من ربه ويحسن إلى خلقه ، كمال الإنسان أن يحب لغيره كما يحب لنفسه ، كمال الإنسان أن يكون ذاكرًا مذكرًا لغيره ، كمال الإنسان أن يكون مؤمنًا يأمنه غيره، هذا هو الكبير من العبيد في أقواله وأعماله وأخلاقه ، وحتى يحبك الله كن كبيرًا بكل ذلك: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

فالله عز وجل هو الكبير في وجوده لم يسبقه عدم ، ولا يلحقه زوال ، وكل ما سواه من الموجودات سبقه عدم، ويلحقه زوال ، فكل ما سوى الله مخلوقاتٌ سبقها عدم، وسيلحقها الزوال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

فالإنسان خلقه الله الكبير، ورزقه الكبير، وأنعم عليه الكبير، وهداه الكبير، فلا يليق بالإنسان إلا أن يعبد الكبير، ويشكر الكبير، ويؤمن بالكبير جل جلاله: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧] .

ولا يليق بالإنسان أن يتعلق بما سواه من المخلوقات التي هي دونه ، أو مثله من المخلوقات ، لأن الإنسان خُلِق لعبادة الله ، فالتراب للنبات ، والنبات

للحيوان ، والحيوان خُلق للإنسان ، والإنسان لله، خلقه الله لعبادته: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

أي يوحدون ، فلا يليق بالإنسان أبدًا أن يكون لغير الله، وأن يعبد غير الله ، فسعادته في عبادة ربه وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

وغذاء القلوب سبعة أمور :

١ – معرفة الله .

٢ – ومعرفة أسمائه .

٣– ومعرفة صفاته .

٤ – ومعرفة أفعاله .

٥ – ومعرفة خزائنه .

٦ – ومعرفة وعده .

٧– ومعرفة وعيده

هذا غذاء القلوب الذي يثمر الإيمان الكامل، والتقوى الكاملة .

والله عز وجل هو العظيم ، عظيم الذات، والأسماء، والصفات، والأفعال ، عظيم الشأن ، كبير القدر ، واسع الرحمة ، واسع العلم ، عظيم القدرة .

والتعظيم لله جل جلاله يكون بأمرين :

أحدهما : وصفه بصفات الكمال من العلم المحيط، والقدرة النافذة، والرحمة الواسعة، والكبرياء والعظمة، وتنزيهه عن صفات النقص والعيب:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني : تعظيم الله وتكبيره بالقلوب والألسن والجوارح وحده لا شريك له ، فهو المستحق لكل ذلك وحده من جميع خلقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

ويحصل ذلك للعبد ببذل الجهد في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وذلك يثمر محبة الله وتعظيمه ، والذل له، والانكسار بين يديه ، والخضوع لعظمته وكبريائه ، والخوف منه، والخشية له ، وتحريك اللسان بحمده والثناء عليه ، والاستغفار له ، وقيام الجوارح واللسان بشكره وعبادته: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

والله جل جلاله هو العلي العظيم ، العلي الكبير ، العزيز الجبار المتكبر ، الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض ، العظيم ذو الجلال والإكرام والعزة والجبروت ، العظيم الذي تضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة ، وتصاغرت بجانب جلاله وكبريائه أنوف الملوك القاهرة ، وذلت لعزته جميع العبيد في الدنيا والآخرة: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٣] .

هو العظيم المالك القادر القاهر لكل شيء ، نواصي العباد بيده ، وقلوبهم بيده ، فلا يتصرفون ولا يعملون إلا بإذنه ومشيئته ، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإرادته: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦] .

هو جل جلاله العظيم الواحد الأحد ، الذي له الكبرياء والعظمة وحده لا شريك له ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الملك كله ، ومنه الفضل كله ، وإليه يُرجع الأمر كله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢].

والكبرياء لله أكمل من العظمة ؛ لأنه يتضمنها، ويزيد عليها ، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الأذان والإقامة والصلاة بقول « الله أكبر » ، فذلك أكمل من قول « الله أعظم » ، فالكبرياء رداؤه جل جلاله ، والعظمة إزاره ، والرداء أشرف من الإزار وأعلى وأكبر .

« قال اللهُ تبارك وتعالى: « الكبرياءُ ردائي ، والعظمةُ إزارِي ، فمن نازَعَني واحِداً منهما قذفتُه في النَّارِ » . رواه أبو داوود بسندٍ صحيح[1] .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى، واسم الله العظيم يشتق منه صفة العظمة، وهي من صفات الله الذاتية الثابتة في القرآن والسنة: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

وفي السنة نقول في الصلاة : « سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ » أخرجه أبي داود[2] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم(٤٠٩٠).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم(٨٧٣) .

والله سبحانه هو العظيم الحليم ، الذي على عظمته وكبريائه وجلاله وجبروته وقوته غفورٌ حليم ، رءوفٌ رحيمٌ بخلقه ، وحلمه وعفوه ومغفرته عن قوةٍ وعظمة ، ليس عن عجزٍ وحاجة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فسبحان من عظمته يزينها الحلم والرفق والعفو والرأفة، أما عظماء البشر وملوكهم فالغالب عندهم ضعف الحلم، وقلة العفو ، لأنهم يغترون بعظمتهم ويبطشون بمن خالفهم، لضعف الرحمة في قلوبهم، وعظمة الكبر في نفوسهم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤] .

فسبحان الله العظيم الكبير المجيد الذي له الكبرياء والعظمة، والمجد والجلال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٣] .

هو العظيم المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، المجيد في أقواله وأفعاله ، العظيم في ملكه وسلطانه ، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء ، الكبير الذي تكبر عن صفات النقص والعيب ، وتكبر عن الشريك والمثيل ، وتكبر عن كل ما سواه: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

ومن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، آمن بكتابه العظيم ، وامتثل أمره العظيم ، ونال ثوابه العظيم: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن آمن بالله العظيم، صدق ذلك بجوارحه ، وأوجب له هذا الإيمان بربه العظيم الخوف من الله ، والحب لله ، والحياء منه ، والخضوع له ، والتذلل لعظمته ، والخشية له ، والتوكل عليه، والاستعانة به، وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له ، والمسارعة إلى طاعته، والبعد عن معصيته ، وإخلاص العمل له ، وتعظيم أمره وكتابه والانقياد لحكمه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن عظّم الله عظّم شعائره وحرماته ، فحقق الطاعة الكاملة بامتثال أوامر الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والأذكار وغيرها وسائر الأركان والواجبات، والسنن والمستحبات: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

ومن عرف العظيم عظّم حرماته ، فاجتنب ما نهى الله عنه وحرمه من الاعتقادات والأقوال والأعمال والأخلاق، من الشرك والنفاق ، وترْك الواجبات، وفعل المحرمات كالزنا والربا وشرب الخمر ، والسرقة ، واجتنب الكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة وغيرها .

فتعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾[المؤمنون: ١ – ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨ ﴾[الزمر: ١٧ – ١٨] .

فمن عظم الله ولم يعظم أمره ونهيه فما عظم الله بقلبه مرة، ولو عظمه بلسانه ألف مرة: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ ﴾[نوح: ١٣ – ٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن عرف العظيم حقًا كبّره حقًا، وحمده حقًا، ووحده حقًا، ومجده حقًا، وعبده حقًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

١٠ - فقه عظمة الله جل جلاله

قال النبي ﷺ: « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » . متفقٌ عليه[١] .

هذا القلب لابد أن يعرف العظيم ليعظّمه ، ويعرف الكبير ليكبره ، ويعرف الكريم ليشكره ، ويعرف القادر ليستعين به ، ويعرف الرحمن ليسترحمه ، ويعرف الغفور ليطلب المغفرة منه ، فالله جل جلاله هو العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الرحمن الذي لا أرحم منه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

واسم الله العظيم من أسماء الله الحسنى التي ظهر أثرها في هذا الكون العظيم .

والعظيم اسمٌ يطلق على أمرين :

الأول: عظمة الذوات والأجسام المحسوسة كالسماء والأرض، والجبال والبحار .

الثاني: يطلق ويراد به عالي القدر والمنزلة والشأن ، ومنه عظيم القوم الذي حكمهم فلا يقدرون على مخالفته .

والله جل جلاله هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومن عظمة الله العلي الكبير أن السماوات والأرض في قبضة الرحمن أصغر من الخردلة: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

فلا إله إلا الله العلي العظيم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

والعرش العظيم محيطٌ بالكرسي الكريم ، والكرسي محيطٌ بالسماوات السبع ، والسماوات السبع محيطةٌ بالأراضين السبع .

كما قال النبي ﷺ : « آيَةُ الْكُرْسِيُّ ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الحَلْقَةِ » . أخرجه ابن أبي شيبة وابن حبان(١) .

فإذا كانت هذه عظمة السماوات والأرض ، وعظمة الكرسي والعرش ، وهي من مخلوقات الله العظيم ، فكيف بعظمة العظيم الذي خلقها وأمسكها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١] .

فهذه عظمة ذاته جل جلاله وهو العظيم في صفاته، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فهو العظيم في كل شيء، عظيمٌ في قدره وشأنه، عظيمٌ في كبريائه ، عظيمٌ في علوه، عظيمٌ في علمه، عظيمٌ في رحمته، عظيمٌ في قدرته، عظيمٌ في حلمه، عظيمٌ في عطائه وإحسانه، عظيمٌ في عقوبته وانتقامه، عظيمٌ في جلاله، عظيمٌ في جماله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن أبي شيبة برقم (٨٥) وأخرجه ابن حبان برقم(٣٦١) .

وهو سبحانه العظيم في أفعاله ، وله المثل الأعلى في كل شيء ، وأفعاله في غاية الحكمة والعدل والرحمة والإحسان ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء ، ويبسط ويقبض ، ويعطي ويمنع، ويخلق ويرزق، ويحيي ويميت:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

يفعل ما يشاء ، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود: ١٠٧] .

هو العظيم وحده لا شريك له ، عظيم الرزق ، عظيم العطاء ، عظيم الأجر ، عظيم الثواب: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾[الطلاق: ٥].

هو العظيم الغني عن كل ما سواه ، بيده كل شيء ، ولا يحتاج إلى أحد ، بل يحتاج إليه كل أحد ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[الأنعام: ١٠١] .

هو سبحانه العظيم في ملكه وسلطانه ، العظيم في خلقه وأمره ، العظيم الذي لا تتعاظم عليه المسائل مهما كبرت وعظمت وكثرت ، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العظيم الذي لا يعطي إلا العطاء العظيم لأنه يعطي على قدر شأنه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال النبي ﷺ: « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المُسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ» . أخرجه مسلم[1] .

هو العظيم الموصوف بصفات الكمال ، الذي نزه نفسه عن كل صفة نقصٍ وعيب وعجز، وقدس نفسه عن المثيل والشبيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] .

هو العظيم في علوه ، العظيم في عظمته ، له العلو بأنواعه ، وله العظمة بأنواعها ، وله الكبرياء بأنواعه ، وله الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤] .

هو العظيم الذي نزه نفسه عن النقائص والعيوب ، والمثيل والكفء ، وعن كل شرٍ وسوء ، لأنه العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، ولهذا قرن رسول الله ﷺ بين تسبيحه وتعظيمه فقال: « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ » . متفقٌ عليه[2] .

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أول العلوم، وأعظمها، وأنفعها، وأولها وأوجبها:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

فمن عرف العظيم عظّمه وعظّم أمره ، والله جل جلاله هو العظيم المحيط بكل عظيم ، فالملك كله بين يدي العظيم أصغر من الخردلة ، هو العظيم الذي يمسك الأجرام العظيمة فلا تقع ولا تميد ولا تزول: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٩٤).

لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢] .

وفي الحديث: « أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا المَلِكُ » . متفق عليه[1] .

فما أعظم السماوات والأرض وما فيهما ، وإذا كان العظيم سبحانه يجعلها بين أصابعه فكم تكون عظمته وجلاله وكبرياؤه ؟ !:

قال الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

فسبحان ربنا الملك العظيم الذي أحاط بكل شيء، ولا يحيط به شيء ، العظيم الذي خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضًا ، فمن الناس من يُعَظِّم لسلطان ، ومنهم من يُعظم لمال ، ومنهم من يعظم لعلم ، ومنهم من يُعظم لقوة ، ومنهم من يُعظم لجاه ، وكل واحدٍ من الخلق إنما يعظم لمعنىً دون معنى والعظمة المطلقة لله وحده لا شريك له: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

والله العظيم يعظم بكل صفة كمال ؛ لأن الله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤١٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧٨٦).

هو سبحانه العظيم، وكتابه عظيم ، وثوابه عظيم وعقابه عظيم: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

هو سبحانه العظيم ذو الفضل العظيم ، فلا يقدر أحدٌ من الخلق إحصاءه ، ولا الإحاطة بمقداره: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤] .

هو سبحانه العظيم الذي يملك كل عظيم ، ذو الفضل العظيم الذي لا يعطي إلا كل عظيم ، يعطي جل جلاله بلا حد ولا عد: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨] .

وجعل العظيم سبحانه جزاء الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، إلى أضعافٍ مضاعفة: ﴿ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠] .

وهو سبحانه العظيم بالعطاء كمية وكيفيةً: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

وأما في المكان فهو ما عظمه العظيم من البقاع ، كالمساجد الثلاثة في مضاعفة الأجور ، والبيت المعمور ، والعرش والكرسي .

وأما في الزمان فهو ما عظمه العظيم من الساعات والأيام والليالي والشهور ، كرمضان والأشهر الحُرم ، وليلة القدر ، وساعة الجمعة ، وغير ذلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٥٢].

والعظيم من صفات الله الذاتية والفعلية ، فالذاتية ، الله هو العظيم وحده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه وسلطانه وأحكامه: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وأما الفعلية ، فالعظيم سبحانه يعظم الأجور والأرزاق والنعم والعطايا بإرادته ومشيئته التي هي من صفات أفعاله التي لها سببٌ معلوم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠] .

فمتى حصلت من العبد التقوى وصلة الرحم ، أو الجهاد ، أو أنواع الطاعات ، أو الصبر ، وجد من ربه التعظيم الذي ليس له مثيل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الطلاق: ٥] .

فمن عرف ربه العظيم وجب عليه أن يعظمه التعظيم كله ، بقلبه ولسانه وجوارحه ، وفي جميع أقواله وأعماله ، وفي جميع الأحوال ، وفي جميع الأماكن ، وفي جميع الأوقات: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

فتواضع لربك العظيم ، ولأوليائه المؤمنين ، وسبح باسم ربك العظيم ، ومجّد ربك العظيم: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٧] .

الله ﷻ هو الملك الحق الواحد الأحد ، هو العظيم الذي هو أعظم من كل عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ووجوده ، فهو دائم الوجود وغيره

ليس كذلك ، وهو أعظم من كل عظيم في كبريائه وعلمه ، وقدرته وقهره، وملكه وسلطانه ، وغناه وكرمه ، وسمعه وبصره: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

هو العظيم الذي لا أعظم منه ، فالعقول لا تصل إلى كنه صمديته ، والأبصار لا تحيط بعظمة ملكه وسلطانه ، والبصائر تقف عن إدراك أنوار عزته ، فإليه المنتهى ، وكل مخلوقٍ بالنسبة لجلاله وجماله وكماله كالعدم المحض: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] .

هو سبحانه العظيم الذي كل ما في الكون من المخلوقات العظيمة تدل على عظمته، فالعرش والكرسي، واللوح والقلم، والأنوار والظُّلم ، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والماء والهواء، والجبال والبحار، كل ما خلقه الله من هذه المخلوقات العظيمة، وما سيخلقه إلى قيام الساعة، وأضعاف أضعاف ذلك ، كل ذلك بالنسبة لعظمة الله كالذرة بالنسبة إلى العرش العظيم ، بل هذه النسبة باطلة ؛ لأن المخلوقات كلها كبيرها وصغيرها متناهية، والرب العظيم لا بداية له ولا نهاية، ومقدوراته غير متناهية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

ولا نسبة للمخلوق المتناهي إلى الخالق غير المتناهي البتة ، وكبرياء الله وعظمته لا نهاية لها ، وقدرته لا نهاية لها ، فلا فرق عند العظيم القادر على كل شيء بين خلق مليار عالم من العوالم ، وبين خلق ذرةٍ أو بعوضة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

هو العظيم القادر ، لا فرق عنده بين إزالة العرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، وبين إزالة بيت عنكبوتٍ أو بعوضة: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[لقمان: ٢٨].

الله جل جلاله هو العظيم الذي لا أعظم منه ، وكل ما سواه حقيرٌ بالنسبة إليه ، صغيرٌ بالنسبة إليه ، ضعيفٌ بالنسبة إليه ، فقيرٌ بالنسبة إليه ، بل كل عظمةٍ وقوةٍ في المخلوقات فمنه جل جلاله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

فلا إله إلا الله، ما أجهل الخلق بربهم؟:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

والإنسان يدرك ببصيرته أن كل شيءٍ اشترك في أمرٍ، من الأمور وفي صفةٍ من الصفات، وكان أحدهما كاملًا فيه، والآخر ناقصًا فيه ، فإذا وصل الناقص إلى الكامل فني الناقص في الكامل بالكلية .

فالقطرة من الماء إذا وقعت في البحر فنيت فيه ، والشعلة من النار إذا وُضعت في خندقٍ عظيم من النار فكأنها فنيت فيه ، وصوت البعوضة إذا حصل مع صوت الصاعقة فني فيه ، فكذلك من كان ناقصًا في الملك ، فإذا وصل إلى من كان كاملًا في الملك فني وصار كالعدم: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الحج: ٧٤] .

فسبحان الله العظيم، والحمد لله العلي العظيم حمدًا لا يُعد ولا يحُد ولا يُرد ، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما بينهما، على عظمته وعظمة ملكه وسلطانه ، وجميل أسمائه وصفاته: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

فهو سبحانه العظيم الذي يحمد بكل لسان ، الذي لا يزيده تعظيم الخلق عظمة ، ولا يزيده تكبيرهم له كبرياء ، هو الغني العظيم ، الذي يحتاجه البشر ، وليس بحاجةٍ إلى البشر إن شكر أو كفر .

هو العظيم الذي رفع السماء بلا عمد ، وفجر الماء من الحجر ، وقهر كل أحد ، الواحد الأحد الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

هو العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

هو العظيم الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض، وله ما بين السموات والأرض وله خزائن السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله جنود السماوات والأرض ، وله ميراث السماوات والأرض: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

هو العظيم في ذاته ، فلا أحد أعظم منه ، العظيم في أسمائه ، فله وحده الأسماء الحسنى ، العظيم في صفاته ، هو العظيم في ربوبيته ، العظيم في إلوهيته ، العظيم في كبريائه ، العظيم في قدرته:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

إن المؤمن حقًا هو من آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٧ – ١٣٨] .

والله عز وجل هو العظيم الذي يحتاج إليه كل عظيم ، وكل صغير وكل كبير ، هو جل جلاله العظيم العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، الحفيظ لكل شيء ، المحيط بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] .

الله عز وجل هو الواحد الأحد الصمد ، الذي لا يحتاج إلى أحد، والذي يحتاج إليه كل أحد ، هو الغني عن الفروع والأصول، والشركاء والأنداد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

هو سبحانه العظيم الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، الذي تكاد السماوات والأرض يتفطرن من فوقهن إجلالاً لعظمته: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الشورى: ٥] .

فما أخسر وما أشقى من كفر بربه العظيم ، وما أشد عذابه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ

﴿ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ٣٧ ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٣٧] .

فسبحان الرب العظيم الذي أظهر عظمته في آياته ومخلوقاته، وفي ملكه وسلطانه، وفي كتبه وأحكامه، وفي تدبيره وتصريفه، فسبح باسم ربك العظيم .

وكل ما نراه من المخلوقات، وما لا نراه من المخلوقات كله دال على عظمة الله وسعة علمه ، وعظمة قدرته: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ ﴾ [الحاقة: ٣٨ – ٣٩] .

هو سبحانه العظيم القادر على كل شيء ، الخالق لكل شيء ، خلق الإنسان من ماء مهين ، وخلق قوته من الزروع والثمار ، وخلق الماء الذي يشربه وخلق النار التي ينتفع بها: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [الواقعة:٥٧-٧٤] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ.

القسم الثاني

ويشتمل هذا القسم على ما يلي:

١ – مقتضيات الإيمان بالله جل جلاله.

٢ – أصل الإيمان بمعرفة الله عز وجل.

٣– من عرف الله حقاً آمن به حقاً.

٤ – أقسام أسماء الله الحسنى.

٥ – فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٦ – معرفة الله أعظم سبب للإيمان بالله.

٧– فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٨– معرفة الله أعظم أبواب الإيمان بالله وتوحيده.

٩– طريق الإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

١٠ – فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله.

١ - مقتضيات الإيمان بالله جل جلاله

الله عز وجل هو العظيم الذي خلق المخلوقات العظيمة، واختار منها آدم وذريته، وجعلهم خلفاء الأرض، وأعطاهم الدين، والكتاب العظيم، وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له ، ووعدهم على ذلك الأمن في الدنيا والجنة في الآخرة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وشأن الرب جل جلاله أنه العظيم الذي لا أعظم منه ، وشأن العبد ، أنه الضعيف الذي لا أضعف منه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨] .

فشأن العبد التواضع لربه العظيم ، والتصاغر لربه الكبير ، والافتقار إلى ربه الغني ، فالله عز وجل له الكبرياء، وله العظمة ، فمن نازعه واحد منهما عذبه كما قال النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه قال : « الكبرياءُ ردائي ، والعظمةُ إزارِي ، فمن نازَعَني واحِدًا منهما قذفتُه في النَّارِ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٢٠).

ومن استكبر عن عبادة ربه العظيم أهلكه الله، وأدخله النار يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقوم عاد أعظم من تكبر عن عبادة الله ، وكل أمة دمرهم الله لكفرهم، واستكبارهم وقد ذكرهم بما حصل لمن قبلهم من العذاب ، وأنه سبحانه أهلك من هو أشد منهم قوة: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٧].

وسنة الله أن من أصر على الكفر أهلكه الله، لأن الله لا يرضى لعباده الكفر: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فقوم عاد لما استكبروا، وافتخروا بقوتهم أخبر الله عز وجل أنه أهلك من هو أشد منهم قوة ، فما كان فوق عاد إلا الله ، عاد تفوقت في كل شيء ، تفوقت في البنيان ، وتفوقت في القوة العسكرية ، وتفوقت في الصناعة، وتفوقت في القوة العلمية ، فماذا فعل الله بهم مع هذه القوة والكفر والكبر: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٥ – ١٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ

طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤] .

فالإيمان الذي ينجي العبد هو الإيمان بالله العظيم ، الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، أما الإيمان الذي لا يتبعه عمل ، ولا ينشأ عنه محبة وتعظيم لله فلا ينفع صاحبه ، فإبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [ص: ٧٩].

وفرعون قال حين أدركه الغرق: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠].

فلم ينفعهما ذلك، لأنه لم يُقرن الإيمان بالعمل ، بالحب لله ، بتعظيم الله، بعبادة الله، فالمؤمن حقًا، من آمن بالله العظيم حقًا ثم عبده بموجب هذه المعرفة العظيمة، فمن آمن بوجود الله، ولم يؤمن به ربًا عظيمًا قديرًا، بيده كل شيء، وعبده وحده، فما آمن بالله العظيم: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

ومن عصى الله بمعصية من زنا أو سرقة أو شهادة زور، وقال يا رب ، فليس بمؤمن حقًا، وإيمانه لا يقدم ولا يؤخر، لأنه إيمان لم يحجزه عن معصية الله ، فكفى بالمرء علمًا أن يخشى الله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وكفى به جهلًا أن يعصي الله ، أو يعجب بنفسه أو يعجب بعمله ، أو يعجب بعلمه .

قال النبي ﷺ: « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ »متفق عليه [1] .

وإذا نقص الإيمان وقع الإنسان في المعصية ثم عوقب فورًا: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء: ١٢٣] .

والطريق إلى معرفة العظيم النظر والتفكر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤].

الإيمان الذي يريده العظيم جل جلاله، الإيمان الذي ينجيك من النار ، الإيمان الذي يدخلك الجنة ، الإيمان الذي أمر الله رسله أن يبلغوه إلى الناس ، هو الإيمان الذي يحمل العبد على طاعة الله، يحمله على حب الله ، على تعظيم الله ، على تكبير الله ، على الذل لله، ويمنعه من معصية الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

---

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم:(٦٧٨٢) وأخرجه مسلم برقم:(٥٧).

الإيمان حقًا، الإيمان المطلوب الذي فيه الفوز والنجاة هو ما وقر في القلب يقينًا، وتبعته تقوى الله، فلا يفقدك الله حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤] .

الله عز وجل هو العظيم الذي جاوزت عظمته حدود العقول ، فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ، ولا يعرف الله بعظمته حقًا إلا الله وحده، والملائكة والأنبياء والرسل والمؤمنون إنما يعرفون من أسمائه وصفاته ما علمهم الله فقط: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠] .

الله عز وجل هو الإله الحق، هو الرب العظيم ، الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

وإذا امتلأ القلب بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ازداد نوره، فإن القلوب إذا امتلأت بالإيمان بالله العظيم ، تحركت الألسن والجوارح بالأعمال الصالحة ، المقرونة بالحب لله، والتعظيم له، والذل له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] .

والله جل جلاله هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة صفاته أن الله عز وجل له علو الشأن، وعلو الصفات ، وقد وصف الله العرش بأنه عظيم وأنه كريم ، فكم تكون عظمة وكرم من خلقه ؟ ! .

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فسبحان العظيم في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله ، يقول للشيء كن فيكون ، يخلق ما يشاء ، عظيم يفعل ما يريد: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٠] .

فهذا الرب العظيم، وهذا الإله الكبير ، وهذا الملك الحق، أيليق به أن يعصى ؟ أيليق به أن نستهين بأوامره ؟ أيليق به أن نعصيه في ملكه ؟ أيليق به أن نعصيه بنعمه ؟.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٣ – ١٦] .

هذا الرب العظيم الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير ، ألا نسعى لرضاه ؟ ألا يطاع أمره ؟ ألا تشكر نعمته ؟ ألا تجب تقواه ؟ ألا يرجو العبد جنته ؟ ألا يخاف ناره ؟ ألا نحذر سخطه ؟.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة: ٦٢] .

الملك كله لله العظيم ، والخلق كله لله العظيم ، والأمر كله بيد الله العظيم ، وليس بيد أحد سواه شيئًا ؛ لأنه ما كان شيئا حتى يفعل شيئًا ، ومن أساء فإنما يسيء إلى نفسه، ولا يضر الله شيئاً ، فمن سب الله أو رسوله أو دينه أو استهزأ أو استكبر عن عبادة ربه ، وطاعة رسوله، فإنما يضر نفسه: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء: ١٥].

والله سبحانه هو العلى العظيم القوي القادر القاهر ، مظهر دينه ولو كره الكافرون: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة: ٣٣] .

ومن أثار الغبار من الأرض فإنما يثيره على نفسه ، ومن أثار الغبار على هذا الدين فإنما يثيره على نفسه ، لأن الدين يظهره ويحفظه العظيم جل جلاله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر: ٩] .

ومهما أنفق الكفار والملاحدة وبذلوا جهودهم المختلفة ، فلن يستطيعوا إفساد هداية الله لخلقه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال: ٣٦].

والله عز وجل بصير بالعباد، فمن آمن به وأطاعه نجا وأفلح، ومن كفر به وعصاه هلك وخسر: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٣ – ١٤].

خلق الله في كل إنسان ثلاث أواني :

١- آنية المعلومات والمعارف وهي العقول، ونشترك فيها مع الكفار .

٢- وآنية التوحيد والإيمان وهي القلوب، ونشترك فيها مع الملائكة .

٣- وآنية الطعام والشراب وهي المعدة، ونشترك فيها مع البهائم .

والمؤمنون أسعد الخلق بهذه النعم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

والله سبحانه هو العظيم الذي لا يقف له شيء وأي نفس، وأي دولة، وأي حكومة بنت مجدها على سحق الشعوب وبنت غناها على إفقار الشعوب ، وبنت عزها على إذلال الشعوب ، وبنت حياتها على موت الشعوب ، وبنت أمنها على إخافة الشعوب ، إلا دمرها الله ؛ لأن العظمة والعزة والكبرياء لله وحده لا شريك له، فمن نازعه في هذه الصفات هلك ، كما قال سبحانه: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٣٨ – ٤٠] .

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي : « الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزارِي، فمن نازَعَني واحِدًا منهما قذفتُه في النَّارِ » . أخرجه أبو داود[1] .

والله لا يرضى بالطغيان أبدًا، ولا يرضى بالاستكبار أبدًا ، ومن أذن الله له بالطغيان من البشر فإنما يوظف الله الطغيان لإظهار دينه، وإعزاز أوليائه ، والله لم يأمره بذلك، ولكنه اختار الطغيان فسوف يحاسب عليه .

ثم يهلك الله هذا الطاغية، ويجعله مع الطغاة أثراً بعد عين ، كما وظف الله طغيان فرعون، وسلطه على بني إسرائيل، عقوبة لهم ثم أغرقه وجنوده في البحر، وكما فعل الله بقوم عاد وثمود وسبأ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: ١ – ١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ – ١٧].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٩٠).

فالله عز وجل بالمرصاد ، لكل طاغ وظالم ومفسد: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: ٤] .

فالعظيم سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، وليس لقدرته وعظمته بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

هو العظيم الذي أعطى الحياة لكل حي ، وأذن لكل حي أن يبقى حيًا ، كما قال النبي ﷺ في دعاء الاستيقاظ: « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ » أخرجه ابن السني.(١) .

فطعام كل يوم، وحياة كل يوم، وهداية كل يوم، وعمل كل يوم، هو من فضل الله العظيم على العبد: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

هو سبحانه العظيم في ملكه، العظيم في علمه، العظيم في قدرته، العظيم في خلقه ، العظيم في عطاؤه، العظيم في ثوابه: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

الله عز وجل عظيم قبل أن يعظمه الخلق ، وكبير قبل أن يكبره الخلق ، وحميد قبل أن يحمده الخلق ، ورازق قبل أن يرزق الخلق ، فإن عظمت ربك تولاك ، وإن عظمت نفسك وكلك إليها: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) صحيح/ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: (٩).

بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾[الأحزاب: ٢٥] .

فالمؤمن يعيش في الدنيا مع المنعم، وينسب النعم إلى الله، والكافر يعيش في الدنيا مع النعمة، وينسب حصولها لنفسه ، ويكفر بالمنعم سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾[إبراهيم: ٢٨ – ٢٩] .

وإذا عرفت العظيم بأسمائه وصفاته، وأفعاله، فعظمه بقلبك ولسانك وجوارحك، وعظم كتابه، وعظم رسوله، وعظم دينه، وعظم أولياءه، وعظم شعائره: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢] .

هو سبحانه العظيم الذي لا أعظم منه، فمهما عرفت من عظمته وكبريائه فهو أكبر مما عرفت .

هو مما لم تعرف، هو العظيم قبل أن نعظمه، والعظيم أبدًا سواء عظمته أو لم تعظمه، هو العظيم الذي لا بداية لعظمته، ولا نهاية، له ما في السماوات وما في الأرض ، وهو العلي العظيم: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

هو العظيم الكبير المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط ، القادر المحيط بكل قادر ، العظيم الذي لا أول له ولا آخر ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣] .

والإيمان بأن لهذا الكون خالقًا ضرورةٌ فطرية، فطر الله الناس عليها ، أما الإيمان بالله العظيم ، الإيمان الكسبي الناشئ عن معرفة العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة

دينه وشرعه ، فهذا الإيمان المطلوب ، الذي يخشع به القلب، وتخضع له الجوارح ، بالطاعة والعبادة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

من عرف العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن بالله العظيم ، وأطاع أمره العظيم ، وامتثل أمره العظيم ونال ثوابه العظيم: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن رأى بقلبه ربه العظيم يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، تلاشت عظمة نفسه ، فكبر الله، وحمد الله، وأطاع الله ، وأحب الله ، وذل لله، وخضع لله ، وبتعظيم العظيم، وتكبير الكبير، والذل للعزيز، يرفع الله مقام هذا العبد ، وكلما ازداد العبد ذلًا وافتقارًا رفع الله ذكره وقدره: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[الضحى:٦–٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح: ١ – ٣] .

هو جل جلاله العظيم في رحمته ، وأرحم الخلق بالخلق هم الأنبياء والرسل ، وأعظمهم رحمة هو محمد ﷺ الذي دخل مكة متواضعًا ، مطأطئ الرأس، تكاد عمامته أن تمس عنق راحلته ، لأنه آمن بربه العظيم، وملأ قلبه علماً ورحمة وإيمانًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

ومن توكل على العظيم كفاه كل شيء، وأعانه، ومن أعتمد على نفسه أو علمه أو ماله أضله الله من جهة ما اعتمد عليه ، ومن آثر طاعة الله على معصيته أفلح وربح ، ومن آثر معصية الله على طاعته هلك وخسر ، فمن ابتغى أمرًا بمعصية الله كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ ﴾[التوبة: ٢٥ – ٢٧] .

وأفضل أحوال العبد أن يعظم ربه العظيم ، وأن يتواضع لربه الكبير، ويمتثل أمره، فهذا هو العظيم عند الله، فكم من خامل في الأرض أمام الناس، عظيما كبيرًا في السماء:﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾[النجم: ٣٢]

ومن تيقن أن ربه هو العظيم وحده لا شريك له فينبغي أن يعظم كتابه، ويعظم شعائره وأولياءه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾[الحج: ٣٢] .

ومن عظم الله بقلبه ولسانه وجوارحه استوى عنده التراب والذهب، واستوى عندهم مدح الناس وذمهم، وكانت عبادته في الخفاء أقوى منها في العلانية لكمال معرفته بالله: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾[الزمر: ٩] .

وليس من سنة الله العظيم أن يكون السارق كالمسروق، والظالم كالمظلوم والكافر كالمؤمن ، ولا المتقي ربه كالفاجر ، وعظمة العظيم تأبى التسوية بينهما، فلابد من حساب وثواب وعقاب لكل واحد: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨ – ٩٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠] .

٢- أصل الإيمان معرفة الله عز وجل

الله عز وجل هو العظيم في ذاته ، العظيم في علوه وقدره وشأنه، هو العظيم الذي أثنى على نفسهن وأثنى عليه خلقه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وصفة العظمة لله عز وجل تبدو ظاهرةً جلية فيما خلقه من عظائم المخلوقات ، كالعرش والكرسي ، والسماوات والأرض وما عليهما وما بينهما من عالم الجماد وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الطير، وعالم الإنسان، وعالم الجن ، وعالم الملائكة: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[الشورى: ٤] .

هو سبحانه العظيم الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه وقدرته وعلمه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك عرفتم العظيم ، وكبرتم الكبير وعبدتموه ، وذكرتموه وشكرتموه .

هو العظيم العزيز الجبار ، القادر القاهر وحده لا شريك له ، العظيم الذي لا يمتنع عليه شيء أبدًا ، القادر الذي لا يعجزه شيء أبدًا ، العظيم الذي لا يمكن أن يعصى كرهًا ، أو يخالف أمره قهرًا: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٨] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم ملكه وسلطانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

هو العظيم الذي خلق الأجسام العظيمة ، وأحاط بالأجرام العظيمة وخلق الأنوار العظيمة، وكلها تحت أمره وقهره: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢] .

هو العظيم الذي أظهر عظمته في أفعالٍ يحدثها فتهابه مخلوقاته ، كتجليه للجبل فصار دكًا من جلاله ، وكتقليب الليل والنهار ، والحر والبرد : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ ﴾[النور: ٤٤] .

ومن المخلوقات التي خلقها العظيم ، من يُعظم بنفاسة الذات، وشرف الصفات ، كالعرش والكرسي، ومن الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ومن الناس الأنبياء والرسل والمؤمنون ، وأعظم هؤلاء قدرًا وشأنًا، وإيمانًا وأخلاقًا سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم: ٤] .

ومن عرف الله العظيم تواضع لعظمته، وخضع لعزته ، فلا كرب إلا بذنب ، ولا مصيبة إلا بمعصية الله العظيم: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾[الشورى: ٣٠] .

ومعصية العظيم جل جلاله عظيمة مهما صغر الذنب، لأن المعصية للعظيم عظيمة ، لما فيها من مقابلة العظيم، ورد أمره: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾[الزمر: ٦٧] .

وجميع الكروب بسبب الذنوب في حق العظيم ، ومعصية العظيم من الخلق يحذرها الخلق ، فكيف بمعصية العظيم الخالق جل جلاله، الذي لا أعظم منه ؟ !.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦] .

فمن أصابه كرب فليسارع إلى توحيد العظيم الذي عصاه الإنسان بجهله فيقول : لا اله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا اله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فلا يزيل الكرب إلا هذا الدعاء بالاعتراف للعظيم بالتوحيد، والاعتذار للعظيم من ذلك الذنب: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

والعظيم سبحانه أمرنا أن ندعوه وحده ، ووعدنا على الدعاء بالإجابة : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

لابد لقلب المؤمن أن يمتلئ يوميًا بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليقوى على عبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن: ٨] .

فالله عز وجل هو العظيم الكبير وحده لا شريك له ، ولا حظ للعبد في هذين الاسمين ، وهاتين الصفتين، لا حظ له في الكبرياء ، ولا حظ له في العظمة ، وفي الصلاة يعظم، العبد العظيم ويكبر الكبير، ويخضع بقلبه وبلسانه وجوارحه للعظيم الكبير جل جلاله فأكبر في الصلاة وأقول "الله أكبر" وأركع للعظيم ، وأسجد للعظيم وأقول في الركوع "سبحان ربي

العظيم" وفي السجود "سبحان ربي الأعلى" فالصلاة أقوالًا وأفعالًا تخلص الإنسان من شوائب العظمة والكبرياء وتدربه على الخضوع والطاعة للعظيم الكبير الأعلى جل جلاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ – ٢] .

وقد وصف الله الأنبياء بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

ولهذا فرض الله على المؤمنين خمس صلوات في اليوم والليلة رحمة بهم ، وأمرهم بالمحافظة عليها حضرًا وسفرًا: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وجميع تكاليف الدين شفاء ودواء، ولهذا أمرنا الله بتعظيم حرمات العظيم فعلًا أو تركًا، أمرًا أو نهيًا: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] .

وهذا التعظيم للشعائر والحرمات ناشئ عن تعظيم العظيم سبحانه ، وذلك يكون بمعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج: ٣٢] .

واسم الله الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سأل به أعطى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨] .

واسم الله أضيفت إليه أسماء الله الحسنى كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ

لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فاسم الله متضمن لصفات الجلال والجمال والكمال لله عز وجل، واسم الله أول اسم افتتح الله به كتابه كما قال سبحانه: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة: ١ – ٢] .

ثم هو آخر اسم ذكر في القرآن: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٣] .

وهو أكثر أسماء الله ورودًا في القرآن حيث ورد قريبًا من ألف مرة، فما أعظم الله ، وما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله، وما أعظم ملكه وسلطانه، وما أعظم دينه وشرعه وما أعظم جلاله وجماله وكتابه : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٤] .

إن أعظم علم أمر الله به هو العلم بـ "لا إله إلا الله": ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

واسم الله اسم انفرد الله به ، فهو غير مشتق كأسماء الأعلام ، وما سوى هذا الاسم من أسماء الله سبحانه فهو من باب الصفات المشتقة، ولهذا أضيفت إلى اسم الله الأسماء الحسنى، كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وهذا هو الصواب، فليس في الوجود شيء يسمى الله إلا الله وحده:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[مريم: ٦٥] فابحث كيف شئت، في أي وقت شئت، في أي مكان شئت، فلن تجد أحدًا يسمى الله إلا الله ، والأسماء الحسنى كلها صفات لذاته ، فهي تدل على الذات، وكل اسم منها يدل على صفة ، كالعلم والقدرة والعفو وغير ذلك، واسم الله علم على الذات ، وقيل أن اسم الله مشتق إما من " أله" إذا فزع إلى غيره ليجيره من أمر نزل به .

أو مشتق من "وله" "يوله" إذا أحبه فالله مألوه يحبه العباد، لما له من الأسماء الحسنى، والأفعال الكبرى، والصفات العلى، والنعم العظمى .

أو من "وله" الخالق فإن الله بالناس رءوف رحيم يحب عباده ويحبونه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة: ٥٤] .

فالله جل جلاله يحتجب عن خلقه بكمال قدرته، فهو الذي قهر العقول عن الوصول إلى كنه سرمديته ، وقهر الأبصار عن الانتهاء إلى جلال عظمته:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فالله هو الإله هو الموصوف بصفات استحق بها أن يعبد وحده، استحق بها أن يعبده جميع الخلق ؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة ، فهو خالق الخلق ومالكهم ، وللملك أن يأمر وينهى بما شاء ، وأعظم أوامره، وأول أوامره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

وأعظم أوامره جل جلاله: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

لهذا فطاعات العباد لا توجب على الله شيئًا ؛ لأنهم ملكه وعبيده ، هو الذي خلقهم ورزقهم ، ولكنه جل جلال كريم يتبع العطاء بالعطاء ؛ لأن العطاء أحب إليه من المنع ، ونعم الله على الخلق لا تعد ولا تحصى ، وجميع طاعات العباد لا يليق منها شيء بنعمه وأصناف كرمه جل جلاله ؛ لأن هذه الطاعات من العباد ممزوجة بالجهل والتقصير، والغفلة والرياء، وشهوات النفس ، فلهذا صارت نهاية معارف العارفين ، الاعتراف بالتقصير، وكثرة التوبة والاستغفار من الذنوب:﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح: ١٠ – ١٤] .

وقال آدم وزوجه: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

فاللهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

الله جل جلاله هو الملك الحق، الذي له ملك الكون كله ، فمن أراد معرفة الملك ، فلينظر في عظمة ملكه وسلطانه:

فالله عز وجل له ملك العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب ، وعالم الشهادة وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك السماوات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله ملك ما في السماوات والأرض ، وله جنود السماوات والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله ميراث السماوات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وجميع المخلوقات والموجودات كالذرة الصغيرة في ملك الله العظيم ، لأن الله ملك قادر على ما لا نهاية له من المقدورات وجميع الموجودات والمخلوقات في ملكه متناهية ، والمتناهي لا نسبة له إلى غير المتناهي: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

وملك الله عز وجل في العالم العلوي والعالم السفلي لا يحيط به الخلق ، وملكه وملكوته ومماليكه ، لا يحيط بذلك أحد ولا يعلم ما في الملك والملكوت إلا مالكه وخالقه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

ومعاقد ملك الله لا يمكن عدها، لكن هذه أصولها :

الأول : ملك الخلق والإيجاد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

الثاني : ملك التدبير والتصريف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

الثالث : ملك بقاء الملك ونزعه، سواء كان ملك الدين، أو ملك الدنيا ، فملك الدين يهدي الله من يشاء، ويضل من يشاء: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧] .

وأما ملك الدنيا فهو الذي جعل البعض خادمًا، والبعض مخدومًا ، وجعل البعض ملكًا والبعض مملوكًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥] .

فمن كان متمردًا عوقب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] .

ومن كان مطيعًا فثوابه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥] .

فبيد الله الملك كله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] .

الرابع : ملك الإعزاز والإذلال: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨] .

الخامس : ملك تقليب الأزمان والأحوال: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران: ٢٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢ ﴾ [الفرقان: ٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ ﴾ [النور: ٤٤] .

السادس : ملك الإحياء والإماتة في جميع المخلوقات فالله هو الحي الذي يملك الإحياء والإماتة: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

وبيده وحده الإحياء والإماتة في عالم النبات والحيوان والإنسان وكافة المخلوقات: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ [الملك: ١ – ٢] .

السابع : ملك الأرزاق: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

فهو الملك الذي يملك جميع الأرزاق ، وجميع المرزوقين ، ويملك إيصالها إلى كل مرزوق: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [هود: ٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ ﴾ [الذاريات: ٢٢] .

الثامن : ملك البقاء والفناء، فجميع المخلوقات باقية بأمره ، ولو رفع عنها أمر البقاء لزالت وفنيت وانتهت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١] .

وإذا شاء الله أفناها بأمره: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧] .

والله عز وجل له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، ولهذا استحق وحده أن يكون ربًا وإلهاً، واستحق أن يعبد ويطاع، ويشكر ويذكر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فمن هذا ملكه ، وهذه عظمته، وهذه كبرياؤه وهذا خلقه، هو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤] .

٣- من عرف الله حقاً آمن به حقاً

الله عز وجل هو الملك الذي لا يزول ملكه أبدًا ، فمن أطاع الله وحده لا شريك له، واجتنب عبادة ما سواه، جعله الله عز وجل ملكًا يوم القيامة في ملك لا يزول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وقال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢١].

هو جل جلاله الملك الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون ، فمن أطاعه جعله الله يومًا يقول للشيء كن فيكون ، وذلك في الجنة: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق: ٣١ – ٣٥] .

والله عز وجل هو الحي الذي لا يموت أبدًا ، فمن أطاعه جعله حيًا لا يموت أبدًا ، في نعيم أبدي: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

والمؤمن في الدنيا يربح ويخسر، أما يوم القيامة فيفوز ولا يخسر أبداً: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

ومتى يكون الإنسان في الدنيا ملكًا ؟ .

يكون المؤمن ملكًا بأمرين :

الأول : إذا انقطعت حاجة العبد عن غير الله ، كان ملكًا مطلقًا ، لأنه ملك نفسه ، وحملها على طاعة الله ، وملك شهواته فأخذ منها بقدر الحاجة وأعطى للدين بقدر الطاقة ، وملك جوارحه ، فسخرها في طاعة الله ، وجعل الكل في طاعة مولاه ، فمن كان لله في الدنيا ، كان الله له في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

وفي أعلى هذا المقام ، محمد ﷺ ، الذي كان أعبد الخلق لربه ، وأعرفهم به، وأتقاهم له، وأحسنهم أخلاقًا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

الثاني : أن القلب شبه المملكة ، وسلطانه هو الروح وخصم هذا السلطان هو النفس ، والحرب قائمةٌ بينهما ، والملائكة مع الروح ، والشياطين مع النفس، فإذا أشرقت في القلب شمس الهداية والإيمان استولى سلطان الروح على سلطان النفس ، وقهره وأباد جمعه، وفرق شمله، وخلصت له هذه المملكة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وإن جاءت إلى هذا القلب ظلمات الخذلان من مغرب القهر والكبرياء ، استولى سلطان النفس على الروح ، وقهره وأخرجه من المملكة ، وامتلأت المملكة من رايات الشياطين ، وأعلام المبتلين: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] .

فمن عرف ربه جل جلاله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة، آمن به وأحبه ، وعظمه وكبره، وامتلأ قلبه بنور التوحيد والإيمان، وانقادت الجوارح واللسان لطاعة الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] .

إن من أعظم روافد الإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه ، ومعرفة عظمة دينه وشرعه ، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

هو سبحانه الملك القدوس الذي له الملك كله، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، ومنه الفضل كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته ، وتنزهت عن الآفات صفاته: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

هو الملك القدوس الذي تنزه عن العيوب والأنداد ، وتقدس عن مكان يحويه، وعن زمانٍ يبليه ، فهو الحي القيوم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو الملك القدوس ، الذي قدس نفسه عن الحاجة إلى غيره ، وقدس قلوب أوليائه عن السكون إلى غيره: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

والله جل جلاله هو اللطيف الخبير ، هو اللطيف ؛ الذي لا يراه أحد في الدنيا لطفًا وحكمة ، ويراه المؤمنون يوم القيامة إكرامًا ومحبة ، فالإنسان خلقه وقدراته لا تحتمل رؤية الله العظيم الكبير ذو الجلال والإكرام في الدنيا ، أما في يوم القيامة فيراه المؤمنون لكن لا يحيطون به: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وقال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

ولو أدركه الخلق لأحاطوا به ، والله عز وجل أعز وأجل من أن يحيط به أحد ، بل هو المحيط بكل أحد ، الذي لا يحيط به أحد: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠] .

ولو رأى الناس ربهم في الدنيا لبطلت التكاليف ، وبطل العمل بالأمر والنهي ، وبطل أمر الثواب والعقاب ، لأن كل ذنب وراءه عقاب مباشر: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

فالكل يستقيم على طاعة الله ، قهرًا وخوفًا لا حبًا، لأنهم يرون عظمة الله وجلاله فلا يعصونه ، والله يريد أن تكون علاقة العباد بربهم علاقة حب لا علاقة قهر ، فالملوك والسلاطين إذا كانوا في مجامع الناس تطاع ولا تعصى ، لما يرون من سطوتهم وكثرة جنودهم .

وكذلك الله ، ولله المثل الأعلى يرانا ولا نراه في الدنيا، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، ويعلم من يأتيه محبة واختيارًا، لا إجبارًا وخوفًا ، فإذا تم الابتلاء في الدنيا، ومات المؤمن ، رأى ربه إكرامًا منه، ومحبة له: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

الكبرياء والتكبر والكبر صفة كمال لله ﷻ، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى:﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

والكبر والتكبر صفة نقص في الإنسان، وكمال الإنسان بالإيمان بالله، بالتواضع للكبير، والتذلل للعزيز ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه، وقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وأكبر أنواع الكبر أن يتكبر الإنسان عن عبادة الله الذي خلقه ورزقه: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

وعقوبة الكفر والكبر نار جهنم: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر: ٦٠] .

وأفضل صفات المؤمن التواضع لربه الكبير الذي خلقه وصوره، وأنطقه وأسمعه ، فعليه أن يعبده كما أمره:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].

وصلاح قلب المؤمن في أربع خصال :

الأولى: التواضع لله .

الثانية: الفقر إلى الله .

الثالثة: الخوف من الله .

الرابعة: الرجاء لله .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة ، كالشجرة الطيبة المثمرة للثمار الطيبة ، والقلب محل التوحيد والإيمان ، فإذا صلح بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، صلح الجسد كله بأنواع الطاعات والعبادات، إما في الحال بالأقوال والأعمال والأخلاق الحسنة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وإما في المآل فبنعيم الجنة، ورضوان الرب جل جلاله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢].

وإذا فسد القلب بالكفر والضلال ، فسد الجسد كله ، أما في العاجل ، فبالشقاء بسبب الغفلة والمعاصي: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه: ١٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وأما في الآجل فبعذاب النار، وغضب الجبار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء: ٥٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤] .

فشجرة التوحيد في القلب ، أصلها معرفة الذات ، ومعرفة فروعها التي هي الأسماء والصفات .

- **فهذه الشجرة الإيمانية لها ثلاثة فروع :**

الأول : معرفة أسماء وصفات الذات ؛ كالحي والقادر والعليم والسميع والبصير والقوي، وصفة الخلق والرزق والقدرة وأفعالها .

الثاني : معرفة صفات السلب ؛ التي تسلب عن الله ما لا يليق بجلاله ، من العيب والنقص والمثيل والشبيه، كسلب السنة والنوم والظلم عن الله عز وحل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[الإخلاص: ١ – ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ۝٤٩﴾[الكهف: ٤٩] .

الثالث : معرفة صفات الله الفعلية ، كالخلق والرزق، والنفع والضر ، والغفر والستر ، والأنعام ، والإكرام ، والإعزاز ، والإزلال والإحياء والإماتة: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٣٢ ﴾[يونس:٣١–٣٢] .

وتثمر هذه المعارف العظيمة الثمار العظيمة التي تستقر في القلب يقينًا وحبًا لله، وتعظيمًا له ، وتظهر على اللسان ذكرًا وتحميدًا، وتسبيحًا وتكبيرًا ، وتمجيدًا لله عز وجل ، وتنطلق من الجوارح عملًا صالحاً .

قال النبي ﷺ: « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[1] .

وثمرات هذه المعارف العظيمة أفضل نعم الله على العبيد ، فعارف جمال الله محب ، وعارف جلال الرب هائب ، وعارف سعة رحمة الرب راغب ، وعارف شدة نقمة الرب خائف، وعارف الواحد في أفعاله مفوض أمره إلى الله، وعارف عظمة الرب فانٍ عن كل ما سواه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

وأفضل الأحوال ما نشأ عن أشرف المعارف ، وأشرف المعارف معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فشجرة التوحيد في القلب كشجرة النبات في الأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٞ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

الله جل جلاله هو الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، والله عز وجل هو الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الغني عن جميع العالمين ، فهو غير محتاج إلى طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين:﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت: ٥ – ٦].

وهو سبحانه المحمود قبل أن يحمده أحد ، فالله سبحانه غني في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ما سواه ؛ لأنه لو كان محتاجًا إلى غيره لكان مستكملًا بذلك الفعل ، والمستكمل بغيره ناقص بذاته ، وذلك على الله محال سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧].

ومع كونه غنيًا عن العالمين ، فإن رحمته عامة شاملة، ولا سبيل إلى ترتيب هذه الأرواح البشرية، والنفوس الإنسانية ، وإيصالها إلى درجات السعداء الأبرار ، إلا بترتيب الترغيب في الطاعات ، والترهيب من المحرمات والمعاصي ، ومن رحمته على خلقه ترتيب الثواب على الطاعات وترتيب العقاب على المعاصي: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٠] .

هو سبحانه الغني وحده ، وكل ما سواه فقير إليه، محتاج إليه: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الكهف: ٥٨] .

فكل ما في الوجود من الخيرات والبركات، والنعم والراحات ، والكرامات والسعادات ، فذلك كله من رحمة أرحم الراحمين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والخير في المخلوقات غالبٌ على الشر ، فالمريض وإن كان كثيرًا ، فالصحيح من الناس أكثر منه ، والجائع من الناس وإن كان كثيرًا فالشبعان أكثر منه ، والأعمى من الناس وإن كان كثيرًا فالبصير أكثر منه .

فالخير أغلب من الشر ، والراحة أغلب من الشدة ، والعافية أغلب من الآلام ، فلا غنى إلا من الله ، ولا علم إلا من الله ، ولا رحمة إلا من الله ، ولا شفاء إلا من الله ، وكل رحمة من الخلق فمن آثار رحمة الله ، وكل رحمة في الكون فمن آثار رحمة الله، فانظر إلى آثار رحمة الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩] .

ومن كان غنيًا عن الكل ، فإنه لا يستكمل بطاعات المطيعين ، ولا ينتقص بمعاصي المذنبين .

وإذا ثبت أن الله وحده هو ذو الرحمة الكاملة العامة ، ثبت أنه ما رُتب العذاب على الذنوب، ولا الثواب على الطاعات، إلا لأجل الرحمة والفضل والكرم والإحسان إلى خلقه كما قال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧] .

فلله الحمد والمنة على جزيل العطاء والإحسان: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨] .

٤ - أقسام أسماء الله الحسنى

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

أقسام أسماء الله الحسنى من حيث الإطلاق:

أسماء الله الحسنى تنقسم إلى قسمين :

الأول : ما يسمى به الرب مفرداً أو مقترن بغيره .

وهو غالب الأسماء الحسنى كالسميع والبصير ، والقدير والعزيز ، والحكيم والعليم ، وغيرها فنقول مثلاً ، يا سميع ، يا كريم ، يا حليم ، ونقول يا سميع يا بصير ، أو يا عزيز يا حكيم ، وهكذا .

الثاني : ما لا يطلق على الرب مفرداً ، بل مقروناً بمقابله ، لأن الكمال في اقتران الاسمين معاً ، ومن دعاه بواحد منها لم يكن مثنياً على ربه، ولا حامداً له ، وهذه الأسماء تجري مجرى الاسم الواحد ، فلا يذكر إلا مقترناً بغيره ، كالمقدم والمؤخر ، والقابض والباسط ، فلا نقول يا قابض ، يا مقدم فقط ، بل نقول يا مقدم يا مؤخر ، ويا قابض يا باسط ، وهكذا .

والله عز وجل هو الملك الحق ، الذي له الملك التام ، الواسع الشامل لكل ما في الكون ، وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩] .

والإيمان بأن الله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، وما فيهما ، له فائدتان عظيمتان:

الأولى : الإيمان بقضاء الله وقدره ؛ فلو قضى الله عليك مرضاً أو فقراً أو بلاءاً فلا تعترض ، لأنك ملكه، يتصرف فيك كما يشاء ، كما يتصرف

سبحانه في السحاب والشمس والقمر والرياح والبحار وغيرها من المخلوقات ، فإن شاء أعطاك صحة، وإن شاء سلبها منك ، وإن شاء أعطاك عقلاً، وإن شاء سلبه ، وإن شاء أعطاك مالاً، وإن شاء سلبه ، فإذا آمنت بهذا رضيت بقضائه .

الثانية : الرضا بشرعه، وقبوله والقيام به ؛ لأنك ملكه، فإذا قال لك افعل فافعل ، وإذا قال لك لا تفعل فلا تفعل ، فمقتضى العبودية التامة أن تخضع لشرعه وتقبله ، كما أنك قابل لقضائه وقدره .

ومقتضى الإيمان بأن الله ملك الإيمان بقضائه ، والرضا بشرعه ، فمن أطاع ربه بفعل الأوامر ، واجتناب المناهي ، فقد حقق العبودية التامة .

ومن عصى ربه بفعل المحرمات، وترك الواجبات ، فقد خرج عن مقتضى العبودية التامة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

والله ﷻ هو الرحمن الرحيم ، فإذا ذكر الرحمن وحده، كما في قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[الإسراء: ١١٠] .

أو ذكر الرحيم وحده، كما في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

فمعناهما واحد ، وهو ذو الرحمة الواسعة الشاملة ، وإذا اجتمعا معاً في آية واحدة، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

فالرحمن باعتبار الوصف لله بالرحمة الواسعة الشاملة ، والرحيم باعتبار الفعل ، أي موصل الرحمة إلى من يشاء من عباده .

والله عز وجل هو العليم الخبير ، هو العليم بظواهر الأمور ، الخبير بالبواطن ، وإذا اجتمع العلم والخبرة صار هذا أبلغ في الإحاطة، وفي الخبرة معنى زائداً على العلم ، وكلاهما صفة مدح وكمال لله عز وجل، ولهذا يقرن الله بينهما في القرآن وهذا كمال آخر: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التحريم: ٣] .

أقسام أسماء الله وصفاته:

أسماء الله وصفاته أربعة أقسام :

الأول : ما هو صفة كمال لله ، لكن قد ينتج عنه نقص ، فهذا يوصف الله به ولا يسمى به ، مثل المريد والمتكلم ، فيصح أن يوصف الله بأنه متكلم، كما قال سبحانه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤] .

ويوصف بأنه مريد على سبيل الإطلاق، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧] .

لكن لا يسمى بذلك، لأن الكلام والإرادة قد يكون بخير أو بشر ، بصدق أو بكذب ، بعدل أو بظلم .

الثاني: ما هو كمال على الإطلاق ولا ينقسم ، فهذا يسمى الله به، ويوصف، وهو جميع أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن والسنة ، مثل الرحمن ، الرحيم ، السميع ، البصير ، الغفور ، الكريم ، ونحوها .

الثالث : ما لا يكون كمالًا عند الإطلاق ، لكن هو كمال عند التقييد ، هذا لا يسمى الله به، لكن يوصف به مقيدًا ، مثل الخداع والاستهزاء والمكر والكيد والانتقام ، فلا يسمى الله به فلا نقول :

الله ماكر على سبيل الإطلاق، ولكن نقول: إن الله ماكر بمن يمكر به وبرسله وهكذا: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] .

وقال الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

الرابع : ما يتضمن النقص على سبيل الإطلاق ، فهذا لا يوصف الله به أبدًا ولا يسمى به ، مثل الخائن ، العاجز ، الضعيف ، الأعور ، لأن الله لا يجوز أن يوصف بصفة عيب مطلقًا، لأن أسماءه كلها حسنى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

فليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨] .

والله عز وجل هو الملك ، الواحد الأحد ، الغني عن كل أحد ، هو الغني الذي له ملك السماوات والأرض ، ومن زعم أن لله ولداً فقد سب الله مسبة عظيمة ، وقد قال هذه المقالة ثلاث طوائف من الناس ، اليهود والنصارى والمشركون: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرُۢ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة: ٣٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦ – ١١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].

وقد أبطل الله هذه الدعوى الكاذبة من ستة أوجه :

الأول : تنزيه الله أن يكون له ولد، لأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، فلا يحتاج لأحد: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨] .

الثاني : أن الله سبحانه مالك لكل مخلوقاته ، وعموم ملكه يستلزم استغناءه عن الولد: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦] .

الثالث : أن كل ما سوى الله مخلوق ، مملوك ، والمخلوق والمملوك لا يمكن أن يكون ولدًا للخالق: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٩] .

الرابع : أن العباد كلهم خاضعون لله، مربوبون له، عابدون له، والعبد لا يكون ولدًا لربه: ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦] .

الخامس : أن الله مبدع الخلق كلهم ، والقادر على خلق السماوات والأرض ، قادر على أن يخلق إنسانًا بلا أب: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

السادس : أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن كانت هذه هي قدرته فلا يستحيل عليه أن يوجد ولد بدون أب: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ

قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦ – ١١٧] .

أقسام أسماء الله الحسنى من حيث المعنى:

أسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام :

الأول : الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته مثل:

الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنى .

الثاني : الأسماء الدالة على الملك والقدرة مثل :

الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر وأمثالها .

الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد ، مثل :

الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت وأمثالها .

الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة ، مثل :

السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط وأمثالها .

الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة ، والعفو والمغفرة ، مثل :

الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، التواب، وأمثالها .

السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان ، مثل :

الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل وأمثالها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والله عز وجل هو الواحد الأحد الذي لا مثيل له، الأحد الذي لا أجزء له ، فالله واحد لا ند له ، أحد لا أجزاء له : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤] .

والمخلوق كله ليس واحدًا ، لأن له مثل ، وليس أحدًا لأن له أجزاء ، الشمس واحدة، لكنها ليست أحداً، لأنها مركبة من أجزاء والإنسان ليس واحداً لأن له مثل ، وليس أحداً، لأن له أجزاء ، والله وحده هو الواحد الأحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾[الشورى: ١١] .

والله عز وجل هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فالله عز وجل هو القوي الذي ليس كمثل قوته أحد، القوي الذي لا أحد أقوى منه، القوي الذي كل قوة في العالم من قوته، فهو الذي خلق القوة في كل قوي، وهو القوي الذي وهب القوة لكل قوي .

هو القوي الذي يملك خزائن القوة كلها، هو القوي المحيط بكل قوي، القوي القادر القاهر لكل قوي، القوي الذي له القوة المطلقة، وكل ما سواه ضعيف القوة، هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، ولو رفعها عنه لعاد ضعيفاً .

هو جل جلاله القوي الذي يمسك السماوات والأرض أن تزول، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤ ﴾[الحج: ٧٤] .

وهكذا في سائر الأسماء ، فليس كمثله أحد ، في العظمة ، في الكبرياء ، في الرحمة ، في الكرم ، في الحلم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] .

والله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، وللمخلوق من الأسماء الحسنى ما يليق به، فالله هو الحي الأعلى ، وهو الكريم الأعلى ، وهو الرحيم الأعلى ، وهو القادر الأعلى، والمخلوق هو الحي الأدنى ، الذي يهلك ويموت .

والمخلوق هو الكريم الأدنى الذي تكرم بما تكرم الله به عليه ، وهو الرحيم الأدنى الذي رحمه الله ، فرحم برحمة الله خلقه ، وهكذا في بقية الأسماء لابد للقلب أن يعرف هذا عن ربه ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله .

ومقصود الله من خلقه في الدنيا ، تحصيل معاني أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى، والتعبد لله بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

الله ﷻ هو الملك الحق وحده لا شريك له، فهو ملك عظيم ، غني ، كريم ، رحيم ، لا يشبه ملوك البشر ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض ، وله جنود السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ملك العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك عالم الغيب والشهادة: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ

﴿ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

فملكه جل جلاله لا يشبه ملوك البشر، لأنهم إن تصدقوا بشيء نقص ملكهم، وقلت خزائنهم وملكهم محدود، وحياتهم محدودة ، أما الله جل جلاله فهو الملك الذي لا ينقص ملكه بالعطاء والإحسان، بل يزداد ملكه مع كثرة العطاء ، فكلما أعطى الله من الأموال والأولاد والنعم ، كان حكمه وتكليفه لازمًا على الكل، وكلما كان الخلق أكثر عطاءً كانوا أوسع ملكًا ، وأكثر عبادة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

والله سبحانه الملك المالك لكل شيء ، فهو الملك المطلق الذي كل شيء ملكه ، فهو واسع الملك، له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك عالم الغيب والشهادة:﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

أما ملوك الدنيا فهم عبيده، يؤتي الملك منهم من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وهم عبيد في صورة ملوك ، لأنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم موتًا ولا حياةً ، ولا نفعًا ولا ضرًا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

والملك الحق سبحانه ملك رحمن رحيم ، سلام ، مؤمن ، لا يجور ولا يظلم أحدًا ، ومن رحمته أن جعل الملك له ، وحده يوم القيامة ، حتى لا يظلم أحد: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦] .

أما ملوك الدنيا فمنهم العادل، والظالم ، وقلما يخلوا ملك من ظلم وقسوة .

والملك من البشر تجب على الرعية طاعته ، فإن لم يطيعوه وقع الهرج والمرج في العالم ، واضطرب الأمن، وسفكت الدماء ، بمخالفة الملك المجازي ، فبمخالفة الملك المجازي يفضي ذلك إلى تخريب العالم، وفساد الأحوال، واضطراب الأمن ، فكيف بمخالفة أوامر ملك الملوك ؟ كم يكون تأثيرها في زوال المصالح ، وحصول المفاسد ؟ ! .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

والله سبحانه ملك ومالك ، فالملك يرجى منه العدل والإنصاف ، والمالك يطلب منه العبد حوائجه من الطعام والشراب والكسوة وغيرها ، والملك يطمع فيك، ويريدك له ، والمالك أنت تطمع فيه، ويريدك أن تطلب منه المغفرة والرحمة والأرزاق والجنة .

والملك له هيبة وسياسة، والملك به رحمة ورأفة، وحاجتنا إلى العطاء والرحمة والرأفة أشد: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

٥- فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله

الله عز وجل هو الملك العظيم الذي له ملك الدنيا والآخرة، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وهو سبحانه القدوس الذي قدس نفوس الأبرار عن المعاصي، القدوس الذي تقدس وتنزه عن مكان يحويه ، وعن زمان يبليه ، القدوس الذي قدس قلوب أوليائه عن السكون إلى غيره ، وأعانهم على معرفة الحق لذاته ، ومعرفة الخير لأجل العمل به .

وهو سبحانه القدوس البريء من جميع العيوب والنقائص: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

هو السلام، السليم من الآفات والعيوب ، والنقائص، السلام الواهب للسلامة ، الذي سلم الخلق من ظلمه ، فلا يظلم أحدًا ، السلام الذي يسلم على أوليائه يوم القيامة: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨] .

وأما حظ العبد من هذا الاسم الكريم، فهو أن العبد له سلامة في الدنيا، وسلامة في الدين .

أما سلامته في الدنيا فهي أن يتخلص من المؤذيات، ويظفر بالحاجات النافعة .

وأما السلامة في الدين فهي على ثلاث مراتب :

الأولى : السلامة في مقام الشريعة وهي أن يسلم دينه من البدع والشبهات وتسلم أعماله عن متابعة الهوى والشهوات .

الثانية : السلامة في مقام الطريقة، وهي أن يكون عقله أمير شهواته ، فلا يصدر منه إلا كل قول وعمل وخلق سليم .

الثالثة : السلامة في مقام الحقيقة ، فلا يكون في قلبه التفات إلى غير الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

والسلام ضد الوحشة ، وأوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن:

يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ، ويوم يبعث فيجد نفسه في محشر عظيم مخيف .

وقد أكرم الله نبيه عيسى فخصه بالسلامة في هذه المواطن الثلاثة ، كما قال سبحانه عن نبيه عيسى ﷺ: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٣ – ٣٦] .

والله سبحانه هو المؤمن ، الذي صدق في الشهادة لنفسه ، بالوحدانية ، فقال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

وصدق أنبياءه بإظهار المعجزات على أيديهم ، وشهد لهم بالرسالة، وصدق عباده فيما وعدهم به من الثواب ، في الدنيا والآخرة ، والأمن والرزق في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وهو سبحانه المؤمن الذي يجعل عباده آمنين في الدنيا والآخرة من المكروهات ، أما في الدنيا فبما وهبهم من الأسماع والأبصار، والعيون والجوارح، فالإنسان ضعيف في أصل فطرته ، فهو عرضة للآفات، وتأتي المخافات تارة من الآفات المتولدة في باطنه ، كالجوع والعطش ، وتارة من خارجه كالغرق، والحرق ، والأسر ونحوها ، ولا يؤمنه من ذلك إلا ربه المؤمن جل جلاله :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وأما في الآخرة فالله يؤمن أولياءه من العذاب لما آمنوا به ، فلا أمن في العالم إلا من الله وحده .

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يأمن الخلق كلهم جانبه ، بل يرجو كل خائف الاعتضاد به، بدفع ما يضره ويؤلمه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

والله جل جلاله هو العزيز .

والعزيز يطلق على من اتصف بأربع صفات :

الأولى : العزيز الذي لا مثل له ، ولا نظير ، وليس ذلك إلا لله وحده: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] .

الثانية : العزيز الغالب الذي لا يغلب أبدًا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] .

الثالثة : العزيز القوي الشديد الذي لا يضعف أبدًا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦] .

الرابعة : العزيز الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

والله سبحانه هو العزيز الذي لا مثل له ، ولا شريك له ، العزيز الذي جمع جميع المخلوقات ، العزيز الذي جميع المخلوقات محتاجة إليه ، العزيز الذي يصعب الوصول إليه لعظمته وجلاله وعلوه ، فلا قدرة لأحد عليه، بل هو القادر على كل ما سواه: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨] .

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن العزيز من العباد من يحتاج إليه الخلق، ليرشدهم في دنياهم وأخراهم ، وهم الأنبياء، ثم العلماء ، ثم الملوك الذين يحكمون بشرع الله ، وعزة كل أحد بقدر علو مرتبته في الدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨] .

الله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى ، فهو جل جلاله الخالق البارئ المصور ، هو الخالق لكل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي ، وفي عالم الدنيا وفي عالم الآخرة ، هو الخالق الذي قدر كل شيء في علمه بالمقدار النافع المطابق للمصلحة في جميع مخلوقاته ، البارئ الذي أبدع تلك الأجسام ، وأخرجها من العدم إلى الوجود ، المصور الذي صور كل مخلوق بصورة تميزه عن غيره: ﴿

هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

هو سبحانه الخالق الذي بدأ الخلق بلا مشير ولا معين ، الخالق الذي أظهر المخلوقات من العدم بقدرته ، وقدر كل واحد منها بمقدار معين بإرادته ، وصورها بصورة حسنة بمشيئته : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي بيده الخلق والبرء والتصوير، والرزق، والهداية، وكل نعمة لك رب العالمين: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٢] .

هو سبحانه الخالق، البارئ ، المصور ، الذي خلق البشر في أحسن تقويم ، وزين ظواهرهم بالصورة الحسنة ، وزين بواطنهم بالسيرة الحسنة : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: ٤ – ٦] .

والله عز وجل له أسماء الجلال ، وأسماء الجمال ، ومن أسماء جماله أنه الغفور و الغفار ، والغفور والغفار مشتقة من المغفرة ، والآيات الواردة في المغفرة كثيرة جداً ، منها ما ورد بلفظ الماضي إشارة إلى أن كل من استغفر ربه غفر له ، كما قال سبحانه عن داود عليه السلام: ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص: ٢٤] .

ومنها ما ورد بلفظ المستقبل ، كقوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

ترغيباً للعباد في استغفار الغفور .

ومنها ما ورد بلفظ الأمر ، تعليماً للعباد لطلب المغفرة من الغفور، كما قال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

ومنها ما ورد بلفظ المصدر كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وآدم ﷺ أظهر الذلة، ثم طلب المغفرة ، فغفر الله له: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

وموسى ﷺ أظهر الذلة ثم طلب المغفرة، فغفر الله له: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦].

فلله الحمد حمداً طيباً كثيراً مباركاً لا نهاية لعدده ، لربنا الغفور الغفار ، الذي أظهر الجميل ، وستر القبيح ، وهذا الستر إما في الدنيا أو في الآخرة .

أما الدنيا ففي أحوال النفس والبدن ، أما النفس فالله سبحانه جعل مستقر الخواطر والإرادات القبيحة في قلب العبد، وسترها حتى لا يطلع أحد عليها ، ولو كشف هذا للخلق لمقتوا هذا العبد ، وسعوا في إهلاكه ، لكن الله هو الستير ، الذي ستر ذلك على عبده .

وأما البدن فالله جعل محاسن البدن ، من العيون، والشعور ، وملاحة الوجه مكشوفة ، وجعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه .

وأما في الآخرة فالله الغفور الرحيم، يغفر ذنوب من استغفر، ولا يطلع المذنب ولا غيره عليها، صوناً له عن ألم الخجل من الله: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ

أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

هو سبحانه غافر الذنب إكراماً، وقابل التوب إنعاماً ، وشديد العقاب عدلاً ، وذي الطول إحساناً وفضلاً ، لا إله إلا هو، واحد أحد إليه المصير: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر: ٣] .

هو سبحانه الرب الغفور الرحيم ، الغافر الذي يزيل معاصيك من ديوانك ، الغفور الذي ينسي الملائكة أفعالك ، الغفار الذي ينسيك ذنوبك حتى كأنك لم تفعلها: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١ – ٢] .

واعلم أنه لا يخلوا مخلوق من حسن أو قبح، فمن تغافل عن قبائح الخلق ، وذكر محاسنهم ، فله حظ ونصيب من اسم الله الغفور، فاغفر غفر الله لك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[التغابن:١٤].

والله عز وجل هو الوهاب ، والهبة هي التمليك بغير عوض .

هو الوهاب الذي كل شيء في الكون من هباته في العالم العلوي والعالم السفلي ، والواهب من الخلق إنما وهب لأن الوهاب وهبه ، فوهب مما أعطاه الله لغيره: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] .

فالله سبحانه هو الوهاب وحده لا شريك له ، فالعبد ملك الله ، والعبد لا يهب إلا لعوض ، والله هو الوهاب الذي جميع خلقه من هباته: ﴿وَءَاتَىٰكُم

مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

أما الله عز وجل فهو الملك ، الذي يملك من شاء من خلقه ما شاء من فضله ، وهو سبحانه الغني عن كل ما سواه ، المنزه عن الحاجات والأعراض ، فهو الوهاب الذي يعطي بلا حد ولا عوض، لأنه لا تنقص خزائنه أبداً: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤] .

هو سبحانه الوهاب جزيل العطاء والنوال، كثير المن والإفضال، يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد في أي حال: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦] .

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يبذل ما أعطاه الله في سبيل مرضاة مولاه، وأن يقتصر على عبادة مولاه ، ويبعد عمن سواه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

والله عز وجل هو الرزاق ، الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق .

ورزق الله نوعان :

الأول : رزق الأبدان: بالأطعمة والأشربة ونحوهما .

والثاني : رزق القلوب بالتوحيد والإيمان والمعارف الإلهية ، وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد وثمرة الظاهر إلى مدة قريبة الأمد: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

وقد أمر الله عز وجل الرزق بطلبك ، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وأجلها ، ورزقك يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه، ورزقك لن يأخذه غيرك، كما أنك لن تأخذ رزق غيرك، فالله قسم الأرزاق كلها ، مكاناً، وزماناً، وكمية ، ونوعية ، فقد أمر الله عز وجل الرزق بطلبك، وأمرك بطلب رضاه ، والجنة ، فلا تشتغل بما ضمن الله لك ، عما أراده الله منك: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٠] .

فلا إله إلا الله، خالق الأرزاق وتوصيلها إلى المخاليق: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] .

فيجب على العبد عبادة الرب الخالق الرازق الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

أقسام أسماء الله الحسنى:

أسماء الله الحسنى ثلاثة أقسام :

الأول : ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله ﷺ، فيجب علينا إثباته كالسمع والبصر، والحياة والقدرة فأمثالها .

الثاني : ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ، فيجب علينا نفيه كالظلم والغفلة ، وكذا ما نفاه عنه رسوله ﷺ: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

الثالث : ما سكت الله عنه ، فيجب أن نسكت عنه ، فإن كان دالاً على نقص محض فيجب علينا نفيه ؛ لأن الله منزه عن كل نقص وعيب: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

أقسام صفات الرب عز وجل:

صفات الرب عز وجل قسمان :

الأول : الصفات الثبوتية وهي كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الجلال والجمال كالقدرة والعلم ، والقوة والرحمة، والحياة والعزة .

الثاني : الصفات المنفية وهي كل ما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص كالنوم والغفلة ، ونحوهما .

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين :

الأول : صفات الذات : وهي التي لا تنفك عن الله بحال من الأحوال ، كالحياة والعلم والقدرة والوجه واليدين والعينين .

الثاني : الصفات الفعلية: وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته ، إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، كالخلق والرزق ونحوهما كالضحك والفرح والعجب، والرضا والسخط، والإحياء والإماتة، وكل صفات الأفعال صادرة عن صفات ثلاث، القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة ، والحكمة الشاملة .

والصفات الفعلية نوعان :

الأولى : صفات فعلية لها سبب معلوم، كالرضا والفرح ونحوهما، كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ اللهَّ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » أخرجه مسلم(١) .

الثانية: صفات فعلية، ليس لها سبب معلوم كالنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر .

وجميع الصفات الفعلية ترجع إلى الصفات الذاتية، فهي راجعة إلى مشيئة الله وإرادته، وقد تكون الصفة ذاتية من جهة، فعلية من جهة كالعلم، فالله عليم يعلم، ورحمن يرحم وكريم يكرم وهكذا، وعلم الله عز وجل صفة ذاتية لله لازمة لا تنفك عنه أبداً، فهو الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون .

والصفات المنفية كذلك قسمان :

الأولى : صفات منفية متصلة ، وهي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال كالنوم المنافي لكمال القيومية ، والظلم المنافي لكمال عدل الله ، والجهل المنافي لكمال علم الله وهكذا .

الثانية : صفات منفية منفصلة ، كنفي الشريك لله في ربوبيته وألوهيته، ونفي الصاحبة والولد عنه، ونفي الند والمثل ، فيجب تنزيه الله عن كل ذلك: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٩/ ٢٧٣٤).

والله عز وجل مالك الملك والملكوت، كامل العلم والإحاطة، كامل القدرة والقهر، كامل التكوين والإعدام، والموصوف بهذه الكمالات يجب على الخلق أن يعبدوه، وينقادوا له، ويخضعوا لأمره: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

فقوله سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

إشارة إلى أنه كامل الملك والملكوت .

وقوله جل جلاله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

إشارة إلى أنه كامل العلم والإحاطة .

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

إشارةٌ إلى أنه كامل القدرة .

والله سبحانه كما أنه الكامل في الملك والعلم والقدرة فهو كذلك الكامل في الرحمة والكرم ومضاعفة الحسنات وغفران السيئات: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] .

٦- معرفة الله أعظم سبب للإيمان بالله عز وجل

الله عز وجل هو الرب الواحد الأحد الصمد ، الذي تكامل سؤدده ، وشرفه، وعظمته، وعلمه، وحكمته .

هو الصمد الذي يلجأ إليه عند الشدائد، الصمد الذي يلجأ إليه الخلق عند الحوائج والعظائم والشدائد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الصمد الذي تنزه وتقدس عن مشابهة خلقه، الذي لا جوف له، ولا يحتاج إلى الطعام؛ لأنه سبحانه هو الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ ﴾ [الأنعام: ١٤ – ١٥] .

فالله عز وجل هو الغني عن كل ما سواه ، هو الغني بذاته وصفاته وأفعاله سبحانه، هو الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض وكل ما سواه فقير إليه ، ومحتاج إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فيجب على الفقير أن يقف بباب الغني ، ويجب على الصغير أن يق بباب الكبير ، ويجب على المخلوق أن يقف بباب الخالق ، فيحمده ويمجده ويسأله ويستغفره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والله ولي المؤمنين، والشيطان ولي الكافرين، والولي هو من انعقد بينك وبينه سبب يواليك وتواليه به، فالإيمان سبب يوالي به المؤمنون ربهم بالطاعة، ويواليهم به ربهم بالثواب والنصر والإعانة، فالله ولي المؤمنين والمؤمنين والمؤمنون أولياؤه، بالتوحيد والإيمان والطاعات، وهو يواليهم بالأجر والثواب والعون، كما قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

والمؤمنون بعضهم أولياء بعضٍ بالحب والأخوة والرحمة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] .

والله مولى المؤمنين ينصرهم ويثيبهم دون الكافرين كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١] .

والله سبحانه مولى الخلق كلهم بالملك والقدرة ونفوذ المشيئة ، كما قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١ – ٦٢] .

والله جل جلاله عالم بخفايا الأمور، وما تنكشف عنه الغيوب ، وما تجري به الأقدار ، فلا يفعل فعلاً ولا عملًا، ولا تكليفًا ولا جزاءًا إلا وهو في غاية الحكمة، وغاية الإحسان، وغاية العدل، وغاية الرحمة ، فالله عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء، قدير على كل شيء .

والعلم بأن الله عليم بكل شيء يقتضي أن الله لا يدعوك إلا لما فيه الخير والعواقب الحسنة ، لأنه يعلم عواقب الأمور، وما تؤول إليه، وما تنكشف عنه الغيوب، وما تجري به الأقدار، فلا يأمرك إلا بما هو خير مؤكد بيقين: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة: ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٩] .

فسبحان من وسع علمه كل ذرة في ملكه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩] .

وكون الله عز وجل حكيمًا يدل على أنه لا يأمرك إلا بالخير، ولا ينهاك إلا عن الشر ، فإذا كان الله عز وجل كافي الأسماء والصفات، كان ذلك مدعاة لأن يطاع ويُتبع في كل ما يأمر به، وكل ما ينهى عنه ، لأنه عليم حكيم لا يضع الشيء إلا في موضعه ، وذلك يبعث العبد إلى إحسان العمل، ومراقبة الله عز وجل في جميع أحواله وأقواله وأعماله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١-٢٢] .

فالعبد مخلوق لأجل أن يختبر في إحسان العمل ، الذي من نجح فيه إخلاصًا ومتابعة دخل الجنة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود: ٧].

فنحن خلقنا الله في هذه الدنيا من أجل الاختبار في إحسان العمل ، وإحسان العمل لا يتم إلا بمراقبة الله ، وإخلاص العمل له ، وإتباع رسوله في كل ما جاء به ، بأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وأعظم واعظ للعبد أن يعلم أن الله رقيب عليه، مطلع عليه ، يحصي عليه جميع أحواله وأقواله وأعماله ، ويعلم جميع نياته وأقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، بل لا يعزب عنه سبحانه مثقال ذرة في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس: ٦١].

وإذا علم العبد أن ربه رقيب عليه، شهيد عليه، وسميع لأقواله، وبصيرًا بأفعاله أحسن عبادة ربه، واتبع رسوله ﷺ.

والمراقبة هي الواعظ الأعظم ، لا تكاد تخلوا منها ورقة في المصحف ، والمراقبة والعلم أعظم واعظ وأعظم زاجر: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك:١٣-١٤].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[آل عمران: ٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[ق: ١٦] .

الإيمان بالله عز وجل أساس تبنى عليه الأعمال الصالحة، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله من أعظم روافد الإيمان، وعلامة الإيمان أن المؤمن يحصل له وجل القلب عند سماع ذكر الله خوفًا من الزيغ عن الهدى، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] .

وتحصل كذلك للمؤمنين الطمأنينة، وانشراح الصدر، عند ذكر الله كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

فالقلب يتغذى بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه، ومعرفة وعده ووعيده ، فيمتلئ القلب بالإيمان، وتتحرك الجوارح بأنواع الطاعات والله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فهو جل جلاله القيوم والقيم والقيام والقائم على ملكه العظيم، فهو سبحانه القائم بالقسط وهو العدل ، وقائم على كل نفس بما كسبت: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقال النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ » متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠)، ومسلم برقم: (٧٦٩) .

فالله جل جلاله قيوم السماوات والأرض، وكل مخلوق له نصيب من القيام ، فهو قائم بالقيم القيوم الذي أقامه على ما يريد، وعدل الله يستلزم الإحسان فكل ما يفعله هو إحسان إلى العباد، والقيام يقتضي القوة، والثبات، والاستقرار، ويقتضي العدل والاستقامة ، وقيام الله على كل نفس بالعدل يستلزم قدرته العظيمة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وإذا علمتم ذلك آمنتم به، وأحببتموه، وعظمتموه، وعبدتموه وحده، فهو جل جلاله القادر القدير المقتدر ، خالق كل شيء وحده، القدير على كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

فكل ما يقدر الله عز وجل فإما أن يكون موجودًا في الأعيان، أو في الأذهان ، فهو سبحانه خالق الموجودات العينية كالسماء والأرض ، ومعلم الصور الذهنية فلا يخلو شيء أصلًا عن تخليقه أو تعليمه ، فهو خالق هذا ومعلم هذا: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ – ٥] .

فالله خالق كل شيء وقيوم كل شيء، وكل ما أقامه القيوم فله قيام، ولكل مخلوق قدرٌ ممن خلقه يحدد نوعه، وشكله، وحركته، وزمانه، ومكانه، وحياته، وموته ، فلكل مخلوق من هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي قدرٌ ممن خلقه يحدد نوعه وشكله وحركته: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١ – ٣].

والله عز وجل هو الملك الحق الذي استوى على العرش برحمته، كما قال سبحانه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

بائن من خلقه، لا يحتاج إلى أحد من خلقه لا العرش ولا غيره ، بل جميع المخلوقات محتاجةٌ إلى الله، مضطرة إليه، في وجودها وبقائها وحركتها وسكونها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤] .

والله سبحانه جعل الأعلى من المخلوقات مستغنيًا عن الأسفل ، فالعرش فوق السماوات، وليس محتاجًا إليها ، والكرسي فوق السماوات، وليس محتاجًا إليها ، والسماوات فوق الأرض، وليست محتاجة إلى الأرض لتحملها ، والله فوق العرش، ليس محتاجًا إلى العرش ، بل العرش محتاجٌ إليه سبحانه، والشمس فوق الأرض وليست محتاجة إليها: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١] .

فالله عز وجل استوى على العرش بقدرته ورحمته وعظمته وجلاله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] .

فهو العلي الأعلى العالي فوق جميع مخلوقاته ، ومع علوه فهو قريب من عباده، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ويعلم سرهم وجهرهم: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

وصفات الرب عز وجل ليست كصفات خلقه، فالله مستو على العرش، وليس مفتقرًا إليه ، واستواء الله على العرش ليس كاستواء الملك المخلوق على سريره، الملك المخلوق مفتقر إلى سريره ليحمله، ولو زال سريره عنه لسقط، لأن هذا فقير محتاج إلى فقير، والفقير محتاج إلى الغني، القادر، القاهر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[فاطر: ١٥] .

سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض، فالله عز وجل غني عن العرش ، وكل ما سواه، بل العرش مفتقر إلى ربه، وهو سبحانه خالق العرش، وممسك العرش، وحملة العرش ، فالله خلق المخلوقات عاليًا وسافلًا، وجعل العالي غنيًا عن السافل، كما جعل الهواء فوق الأرض، وليس محتاجاً إليها، وجعل السماء فوق الهواء، وليست مفتقرة إليه ليحملها ، فالله عز وجل في علوه أعظم وأجل أن يحتاج إلى من دونه من خلقه من العرش وغيره: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يونس: ٦٨] .

الله ﷻ هو الخلاق العليم الذي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض ، وخلق سبع أراضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام ، وخلق الله عز وجل الماء فوق السماء السابعة العليا، وعرش الرحمن فوق الماء، والله فوق العرش: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود: ٧] .

وكرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض، وهو عز وجل مستو على العرش العظيم الذي أحاط بجميع المخلوقات: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

والله عز وجل عليم بكل شيء، يعلم ما في السماوات السبع، والأرضين السبع، وما عليهما وما بينهما، ويعلم ما تحت الثرى، وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة، وزرع ونبات ، ويعلم مسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار، وأعمال العباد، وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٧] .

هو العليم السميع البصير الذي يعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه مثقال ذرة من ملكه العظيم ، حجابه النور الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصرهم من خلقه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] .

وهو الغني الذي لا شريك له، وكل ما سواه فقير إليه في خلقه وإيجاده وإمداده وهو جل جلاله العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] .

والله عز وجل هو العليم الخبير ، والذي دعا عباده إلى معرفة علمه العظيم، وملكه الواسع، وقدرته الشاملة ، والتعبد لله بموجب ذلك ، فإذا عرفوه بكبريائه وعظمته، وإنعامه وإحسانه، أمنوا به وعظموه، وأحبوه وعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

والله عز وجل هو الحكيم العليم ، أخفى اثنين في اثنين:

أولًا: أخفى رضاه في طاعته ، وأخفى سخطه في معصيته ، فلا نعلم في أي طاعة يرضى عنا ربنا ، ولا نعلم في أي معصية يسخط علينا ربنا .

ثانيًا : أخفى الله عز وجل أولياءه في عباده ولا يعلم أولياءه من أعدائه إلا هو، لأنه هو العليم الخبير: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

ولحكم عظيمة أخفى الله أمورًا، وأظهر أخرى .

فأظهر المخلوقات من سماء وأرض وجبال وبحار وغيرها وأخفى نفسه ، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح ، وأظهر السنن الكونية ، وأخفى القدرة الإلهية : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢–١٠٣].

٧- فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله

الله عز وجل عليم بكل شيء، بصير بكل شيء، خبير بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فهو عز وجل مع عباده أينما كانوا في برٍ أو بحرٍ أو جو ، في ليل أو نهار، في نور أو ظلام ، فهو معهم في أي مكان كانوا، وفي أي زمان كانوا، وفي أي حال كانوا: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس: ٦١] .

وذلك لكمال علمه وإحاطته بالخلق علمًا وقدرة، وسلطانًا وتدبيرًا ، لكنه عز وجل ليس معنا في نفس المكان الذي نحن فيه؛ لأنه سبحانه هو الكبير المتعال فوق كل شيء ، مستو على عرشه، عالٍ على خلقه ، ولا يمكن أن يحيط به شيء من خلقه ، لأنه هو المحيط بكل محيط ، ولا يحيط به محيط جل جلاله، ولا يمكن أن يسعه شيء من مخلوقاته ، بل: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

لكنه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١] .

فهو العلي في دنوه، والقريب في علوه جل جلاله .

فلا إله إلا الله، ما أعظم علمه وقدرته: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ

مَعَكُمۡۚ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد: ٣ – ٥] .

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨] .

فيجب أن نعلم أن الله ليس في الأرض بذاته ، لأننا لو توهمنا هذا لكان فيه إبطال لعلو الله سبحانه، وإحاطة خلقه به، وسعة خلقه له، وهذا باطل، فالله هو الكبير المتعال، المحيط بكل محيط، وكل ما سواه صغير ودونه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

هو الله العلي الأعلى، الذي أحاط بكل خلقه، وهو الواسع الذي: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]

فالله مع الخلق، لكنه فوق عرشه ، لأن الله ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولا منافاة بين العلو والمعية ، حتى في المخلوق، فنحن نسير على الأرض والقمر معنا ونسير على الأرض والشمس معنا ، فنحن في الأرض والشمس والقمر معنا، وهما في السماء؛ لأن كلاً منهما معنا، لأنه ما غاب عنا، والله أعظم من ذلك وأعلى وأجل:﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨] .

وهو العلي العظيم، وهو العلي الأعلى ، فالله سبحانه فوق عرشه، فوق جميع مخلوقاته ، مع جميع خلقه أينما كانوا، يحيط بهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم ، وثمرة هذه المعية أن تراقب الله، وتخاف منه ، وتعبد الله وكأنك تراه ، وتقوم بطاعته، وتحذر من معصيته: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا

يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤] .

أقسام المعية:

المعية التي أضافها الله إلى نفسه تنقسم إلى أقسام :

فتارة يكون مقتضاها الإحاطة بالخلق ، علمًا وقدرة، وسلطانًا ، وتدبيرًا، وسمعا وبصرًا كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧] .

وتارة يريد الله بها التهديد والإنذار، كما قال سبحانه: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨] .

فهذا تهديد لهم يظنون أن الله لا يعلم بعملهم والله بكل شيء عليم .

وتارةً يراد بالمعية النصر والتثبيت والتأييد .

وهذا القسم ينقسم إلى قسمين :

الأول : تارة يضاف إلى المخلوق بالوصف كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

فأي مؤمن يكون متقيًا محسنًا فالله معه .

الثاني: وتارة يضاف إلى المخلوق بالعين ؛ أي الشخص نفسه ، كما قال سبحانه عن النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ

وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكما قال سبحانه عن موسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦].

فهذه معية خاصة مقيدة بالشخص، والتي قبلها مقيدة بالوصف .

والله عز وجل له أسماء الجلال والجمال ، فهو العزيز الجبار، وهو الرحمن الرحيم ، ففي مقام التهديد والوعيد يقدم الله صفات الجلال كما قدم ذكر شدة العقاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩٩].

وإذا تحدث الله عز وجل عن نفسه ليبين صفاته ، قدم صفات الجمال على صفات الجلال كما قال سبحانه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٣] .

وهو جل جلاله الرحمن الرحيم، والرحمن ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقين في الدنيا من مسلم وكافر وحيوان ، فنعمه على الخلائق لا تعد ولا تحصى ، لأنه لا خالق غيره، ولا رازق سواه ، والرحيم هو الذي

يرحم عباده المؤمنين في الآخرة ، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فالله ذو رحمة واسعة، حيث أمهل البشر في الدنيا مع معاصيهم، وأغدق عليهم نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨] .

وأعطاهم الأمن والعافية، وهم يكذبون رسله، ويرتكبون مساخطه، ويخالفون أوامره ، ويعصونه بنعمه: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] .

وربوبية الله عز وجل لعباده نوعان :

الأول : ربوبية عامة لجميع الخلق ، كما قال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢] .

فهو رب جميع العوالم، هو الذي خلقها، وهو الذي أبقاها، وهو الذي يحركها ويسكنها .

الثانية : ربوبية خاصة لمن شاء من عباده، وهي تقتضي عناية خاصة من الله لعبده المؤمن كما قال سبحانه عن موسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦] .

وقال عن موسى ﷺ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٢] .

وقد اجتمع النوعان في قول سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢١ – ١٢٢] .

أقسام أسماء الله الحسنى:

أسماء الله ﷻ كلها حسنى كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

وأسماء الله عز وجل تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الأسماء الحسنى المطلقة

كالعزيز ، القوي ، الرحمن ، الرحيم .

الثاني : الأسماء الحسنى المقيدة

كغافر الذنب، وقابل التوب، وفاطر السماوات والأرض، وفالق الإصباح ونحوها .

الثالث : الأسماء المتقابلة :

كالمقدم والمؤخر ، والقابض والباسط ونحوها .

والله عز وجل بيده ملكوت السماوات والأرض ، فبيده العطاء والمنع، والبسط والقبض ، فالعطاء من الله خير، والمنع منه خير ، والبسط خير، والقبض خير ، والإعزاز خير، والإذلال خير: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

فهذه الأسماء المتقابلة والصفات لا تذكر وحدها، بل تذكر مقترنة بما يقابلها ؛ لأن الكمال في الاتصاف بهما معًا ، لأن الله متصف بهذا وهذا .

الله سبحانه حكيم عليم ما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما قبض إلا ليبسط، لأنه الرب الرحيم الحكيم الذي يربي عباده بما يصلحهم .

فسبحان ربنا العلي الأعلى الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣] .

أقسام أسماء الله الحسنى:

أسماء الله الحسنى أربعة أقسام :

الأول : اسم ذات، وهو اسم الله .

الثاني : أسماء تنزيه كالقدوس والسبوح .

الثالث : أسماء صفات كالقوي والرحمن والرحيم وأمثالها .

الرابع : أسماء أفعال كالعزيز والرزاق والخالق ، فالعزيز الذي لا مثل له من أسماء التنزيه، والعزيز الذي لا يغلب من أسماء الصفات ، والعزيز القوي من أسماء الصفات ، والعزيز الذي يعز من شاء من أسماء الأفعال وهكذا في بقية الأسماء نتعلمها، ونتعبد لله بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فالله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى ، لهذا استحق العبادة لجلاله وجماله وكماله، فالله جل جلاله هو الخالق لكل شيء القادر على كل شيء، العليم بكل شيء ، المالك لكل شيء: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

والعالم العلوي، والعالم السفلي، كله في قبضته ، وتحت قهره، فكل ذرة في الكون لا توجد إلا بأمره، ولا تبقى إلا بأمره ، ولا تتحرك إلا بأمره، ولا

تسكن إلا بأمره، ولا تنفع إلا بإذنه، ولا تضر إلا بإذنه ، ولكل ذرة في الكون سجل عند العليم الخبير: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] .

والكون كله مظهر لقدرة الله ، فيه جميع المخلوقات العلوية والسفلية ، ومظهر لقدرة الله في كل وقت: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فسبحان الملك القادر الذي يحرك مليارات الذرات والنجوم والذوات في آن واحد ، ويبقي هذا الملك العظيم بقدرته، ولو شاء الله عز وجل لرفع عنه أمر البقاء ففني كله في لحظة واحدة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

فهو سبحانه الخالق الذي خلق هذه الخلائق العظيمة شاهدة له بالوحدانية ، ومسبحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨] .

والله عز وجل هو المعبود بحق ، والله وحده هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ؛ لأنه الخالق البارئ المصور، الملك القدوس، الرحمن الرحيم ، فهو الإله العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، القوي الذي لا أقوى منه ، القادر الذي لا أقدر منه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿ ۞ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[لقمان:٢٦–٢٨].

هو الرب العظيم الذي حارت في عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الألباب والعقول والأفئدة فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ، فلا يعطي ولا يمنع إلا الله ، ولا يعز ولا يذل إلا الله ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٠] .

ومن أيقن أنه لا اله إلا الله وحده ، عبده وحده، وأطاعه وحده، ورجاه وحده وخافه وحده ، وأحبه وحده: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فلا إله للرغبة إلا الله، ولا اله للرهبة إلا الله ، فإذا رغبت فلا ترغب إلا في الله ، وإذا خفت فلا تخاف إلا من الله، هو وحده الذي يزيل الغمة، ويكشف الكربة ، ويعطي النعمة، والموحد حقًا من أيقن أن أمره كله بيد ربه، لا بيد غيره : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤] .

فإذا أردت أن تحب فالحب الذي يدفع الإنسان للتذلل والانكسار بين يدي الله هو حب الله، فلا تحب إلا الله ، وإذا أردت أن تثق بأحد فلا تثق إلا بالله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨] .

وإذا أردت أن تتوكل فلا تتوكل إلا على الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣] .

والإنسان قد يغره منصبه أو ماله أو أعوانه، فيعرض عن ربه ، فإذا وقع في محنة مهلكة، عاد إلى فطرته، وفزع إلى ربه بالتوحيد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وكما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ﴾ [يونس: ٩٠] .

فنهاية العلم الإلهي التوحيد ، ونهاية العمل التقوى .

وعبادة الله سبحانه وتعالى لا تسمى عبادة إلا مع كمال الحب والتعظيم وكمال الذل لله ﷻ ومن أحب أحدًا، أو شيئاً، وعصى الله من أجله، فقد عبده : ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾ [الإسراء: ٢٢] .

وعبادة الشيطان هي طاعته: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

٨- معرفة الله أعظم أبواب الإيمان بالله وتوحيده

الله عز وجل نور السماوات والأرض، هو النور الظاهر بنفسه، المبين الذي هو أبين من كل بين، هو النور المظهر لغيره من ظلمة العدم إلى نور الوجود. هو الظاهر بذاته المظهر لكل ما سواه من مخلوقاته وآياته، هو النور الهادي الذي يرشد بهدايته كل أحد، هو النور الهادي الذي يرشد بهدايته من يشاء من عباده، فيبين له الحق، ويلهمه إتباعه، هو النور الظاهر الذي ظهر به كل ظهور: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

فسبحان النور الذي نور الكون بنوره الذي وسع كل شيء، ونور المخلوقات الظاهرة كالشمس والقمر، والنجوم والكواكب ، ونور القلوب بالتوحيد والإيمان: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

والله عز وجل هو نور السماوات والأرض ، إن اتصلت به أعطاك من نوره بما يدلك عليه ويعينك على عبادته، ويهديك إلى سبل مرضاته: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

هو جل جلاله النور الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته، وأحيا نفوس العابدين بنور عبادته: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

وإذا ملأ الله قلب عبده بنور التوحيد والإيمان أبصر الطريق ، وأحسن التصرف، وقال القول الحسن ، وعمل العمل الصالح، وتخلق بالأخلاق الحسنة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وإذا خلا قلب العبد من نور الإيمان ، خبط خبط عشواء، لأنه أعمى، فأساء التصرف، وأساء القول، وأساء العمل: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٢] .

واعلم أن الرؤية الحسية أساسها نور الشمس والقمر ، مع نور العين ، فلترى الأشياء والذوات فلابد من هذا وهذا ، أما الرؤية القلبية فأساسها نور الله عز وجل، فمن اتصل بالله ظهر على وجهه نور الإيمان ، وامتلأ قلبه بنور الإيمان ، فعبادة الله عز وجل تكسب القلب نورًا : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

والله عز وجل هو الحفيظ لجميع ما في ملكه ، فاحفظ الله يحفظك ، وافعل الأسباب المشروعة لحفظ الصحة والمال والأهل، وتوكل على الحفيظ وحده في حفظها: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧] .

قال النبي ﷺ: « احْفَظْ اللهَ يحَفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تجِدْهُ تجُاهَكَ، تَعَرَّفْ إلَى الله فِي الرَّخَاءِ ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنفَعُوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوْكَ إِلَّا

بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضَرُّوْكَ إِلَّا بشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفعَتِ الأَقْلامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » أخرجه أحمد[1] .

وما عند الله لن يناله العبد إلا إذا اتبع منهج ربه، حفظ الجوارح بطاعة الله ، وحفظ العين بالبكاء من خشية الله، والغض عن محارم الله ، وحفظ اللسان بالكف عن كل شي، وترك ما لا يعني، وإشغاله بالذكر والحمد، والدعاء والدعوة وحفظ المال بتأدية الزكاة، والكسب المشروع، وحفظ الوقت باستعماله فيما يرضي الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣] .

واعلم بأن الله حفيظ عليم لا ينسى شيئًا ، فكل أعمال الإنسان وأقواله ومواقفه وعطائه، وخيره وشره، كل ذلك محفوظ عند الحفيظ سبحانه في كتاب مرقوم يستحيل أن يضيع منه كلمة أو صفحة: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ: ٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢] .

فالله سبحانه يرى كل أحد، ويعلم بكل أحد، ولا ينسى أبدًا: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥١ – ٥٢] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٨٠٣).

وهو سبحانه حفيظ لا يضيع المؤمن ، بل يحفظ له عمله، ويكافئه عليه في الدنيا والآخرة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨] .

وكذلك يحفظ للعبد نتائج عمله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فأسأل الحفيظ أن يحفظ لك دينك وتوحيدك وإيمانك، وأن يحفظ قلبك من الرياء والشرك والشبهات ، وأن يحفظ جوارحك من المعاصي والآثام، وأن يحفظ أموالك من الشبهات والمحرمات، وأن يحفظ دنياك وأهلك وبدنك من كل سوء .

اللهم احفظنا بحفظك التام يا ذا الجلال والإكرام .

فسبحان الحفيظ الذي تكفل بحفظ كل شيء حفظ السماوات والأرض أن تزولا، وحفظ السماء أن تقع على الأرض وحفظ كل إنسان من البلايا، وحفظ كل مخلوق من شر ما خلق، وحفظ القرآن من التحريف والزيادة والنقص ، وحفظ الدين من البدع والضياع : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢] .

أقسام القلوب:

القلوب أربعة أنواع :

الأول: قلوب بهيمية .

الثاني: قلوب سبعية .

الثالث: قلوب إبليسية .

الرابع: وقلوب ملكية .

كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[1] .

فلابد من الجهد على هذه القلوب، لتمتلئ بالتوحيد والإيمان والتقوى ، ولا تنحدر إلى الحياة البهيمية أو السبعية أو الإبليسية .

وأعظم غذاءً للقلوب هو معرفة الله بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، ودينه وشرعه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والله عز وجل هو ولى المؤمنين، ومن لم يكن الله وليه كان الشيطان وليه: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢).

فسبحان الولي الحميد الذي تولى عباده بالصحة والعافية، والتربية والتعليم، والأمن، والهداية، والنصر والرزق، فإذا خالف عبده منهج صحته واستقامته فأجهزة الإنذار تنبهه، فالآلام والهموم أجراس إنذار مبكرة توقظ المؤمن من رقدته وتذكرة من غفلته، ليتوب إلى ربه ، ويطيع مولاه: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦] .

والله عز وجل هو العليم بكل شيء، أحصى جميع الأقوال، والأعمال، والحركات، والسكنات، هو العليم بدقائق الأمور ، الخبير بأسرار الأقدار ، البصير بالظواهر ، الخبير بالبواطن: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة: ٦] .

أحصى الطاعات والمعاصي، وأحصى الذرات والأنفاس، وأحصى الأجسام والأرواح، وأحصى الكلمات والأحرف، وأحصى الأرقام والأشكال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] .

وإذا علم المؤمن أن ربه عليم بكل شيء ، بصير بكل شيء ، سميع لكل شيء، وأيقن أن الله يحصى جميع أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته ، عبد ربه كأنه يراه ، وأقبل على طاعته ، وأجتنب معصيته ، وسارع إلى مرضاته ، وابتعد عما يسخطه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] .

والبشر عاجزون عن إحصاء منافع وبركات نعمة واحدة كالسمع أو البصر، وعاجزون عن شكرها من باب أولى ، فكيف بإحصاء نعم الله على العباد ؟، وكيف لهم القيام بشكرها ؟

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ [النحل: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

فالله عز وجل هو العليم المحيط بكل ذرة في ملكه العظيم، المحيط الذي أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددًا: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ ﴾ [مريم: ٩٣ – ٩٤] .

فيجب على الإنسان أن يراقب قلبه ، كما يراقب بدنه، فكما يسارع لوقاية أي عضو منه إذا أصيب بمرض ، عليه كذلك أن يتعهد قلبه بألا يرى فيه ربه شيئاً لا يرضيه ، والقلب محل نظر الرب ، والبدن محل نظر الخلق .

فلا يليق بالعبد أن يتجمل للخلق ، ولا يتجمل للرب ، ولا يليق بالعبد أن يُطهر منظر الخلق من الأنجاس والأدناس ، ولا يطهر منظر الرب من الشرك والشك، والبدع والمعاصي: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

اللهم أكشف عن قلوبنا الحجاب، حتى تشهد أنفسنا أنه لا إله أنت، ولا رب سواك ، ونراك تعطى وتمنع، وتعز وتذل ، وتحيي وتميت ، ونعبدك كأننا نراك .

اللهم أرزقنا نور المراقبة، حتى نعبدك كأننا نراك ، وامنحنا حسن معرفتك، حتى نحمدك ونخشاك ، وبصرنا بأعمالنا، حتى لا نفعل إلا ما فيه رضاك: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

الله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى ، وكمال الله جل جلاله مطلق ، وكمال الإنسان مقيد ، فالله عليم والإنسان عليم ، وعلم الإنسان هبه من العليم ، لكن علم الله مطلق ليس له بداية ولا نهاية ، وعلم المخلوق مقيد محدود له بداية ونهاية: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

فسبحان الخبير الذي أخبر عباده بأحسن الكلام وهو القران، الخبير الذي يعلم كل شيء، ولا يعزب عن علمه صغيرة ولا كبيرة ، الخبير الذي يعلم كنه كل شيء، وحقيقة كل شيء مهما دق أو خفي ، الخبير الذي يعلم كل شيء، يعلم الحق والباطل ، ويعلم الظاهر والباطن ، ويعلم الخير والشر ، ويعلم الداء والدواء ، والسر والعلن: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

هو الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا إله إلا الله وحده، هو العليم الخبير بالظواهر والبواطن ، والبواعث والخواطر ، والأسرار والخفايا: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠] .

أما الإنسان فهو مخلوق ضعف، عاجزٌ محتاج، لا يعلم إلا ما علمه الله، والإنسان مكشوفُ أمام ربه الخبير العليم بكل شيء، لا تخفى عليه منه خافية ، علانيته كسره ، وجهره كصمته ، وظاهرة كباطنه: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

ومن عرف أن الله خبير بأقواله وأفعاله وسائر أحواله ، تأدب في سلوكه، وراقب ربه في جميع أعماله ، واستقام على ما يرضى ربه، و أيقن أن ما قسمه الله له لن يفوته ، وما لم يقسم له لن يدركه:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ومن عرف ربه هو الخبير العليم بكل شيء ناداه نداءًا خفيًا ، وناجاه في سره ، ودعاه في سره لعلمه بقربه منه ، وكمال علمه بحاله: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم: ٢ – ٤] .

فيجب على العاقل أن يكون خبيرًا بعالمه ، وعالمه هو قلبه وبدنه ، وجوارحه ولسانه ، و أفعاله ، وأخلاقه ، وأفكاره ، ويتفقد قلبه هل يطوف حول العاجلة أم حول الآجلة ؟ هل يستأنس بربه ويستوحش من غيره؟، ويعرف الفرق بين الهامات الرحمن، وخطوات الشيطان ؟ .

اللهم أنت العليم الخبير بالدقائق والبصائر، وأنت المطلع على المعلنات والسرائ، يسر لي أمري في جميع أحوالي، حتى أكون خبيرًا بما ينفعني ويضرني ، بصيرًا بما يسعدني ويشقيني، إنك أنت العليم الخبير: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣].

الله عز وجل هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت ، الملك الذي ينفذ أوامره في مملكته على جميع مخلوقاته ، متى شاء، وكيف شاء، على من شاء: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فالله عز وجل بيده الخلق ، وبيده الأمر، وبيده الملك، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، خلقًا وإيجادًا ، وحياة وموتًا ، وعزة وذله ، وعطاءَ ومنعًا ، وتصريفًا وتدبيرَ من غير مشاركٍ ولا ممانع: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١] .

والكون كله مملكة واحدة، لمالكَ واحد هو الله وحده لا شريك له: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

فسبحان مالك الملك والملكوت، كل شيء وقع في هذا الكون أراده الله عز وجل ، وكل شيء أراده الله عز وجل ، فلابد أن يقع، لأنه لا يقع في ملك الله شيء لا يريده: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

وما يقع في ملكه إما محبوبٌ له، أو مكروه له، فالمحبوب له هو التوحيد والإيمان والتقوى ، والمكروه له هو الشرك والكفر والبدع والمعاصي .

وإذا أعطى الله الملك لأحد أعطاه الهيبة ، فكل الناس يخافونه ويرجونه ، وإذا أراد نزعها من أحد أسقط هيبته من قلوبهم، فكلهم يجترئوا عليه، ويكشر في وجه، حتى يسقطه ويخلعه .

ومن أراد الغنى والعزة فليكثر من ذكر هذا الاسم الكريم ، فالله جل جلاله هو الملك الحق ، وكل ما سواه عبيد له، يشهدون بوحدانيته ، ويسبحون بحمده ، ويخضعون لإرادته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦] .

فالإنسان عبد ضعيف لا يملك نفسه ، ولا سمعه ، ولا بصره ، ولا عقله ، ولا قوته ، ولا أعصابه ، ولا خلاياه ، وإنما مالك ذلك كله هو الله وحده مالك الملك الذي أنت ذرة منه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

فسبحان الملك الحق الذي يدعو عباده ليكونوا ملوكاً، وخلفاء في الدنيا ، ويوم القيامة ملوكًا في الآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢١] .

فسبحان الملك الحق الذي يدعو عباده ليكونوا ملوكاً في الدنيا والآخرة، الحي الذي يدعوهم ليكونوا أحياء لا يموتون أبداً يوم القيامة ، القادر الذي إذا أراد شيئًا كان ، الذي يدعوهم إلى الدين الحق الذي إذا أمنوا به ثم أرادوا شيئًا كان لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

وأعلم أيها المسلم أنك إذا أطعت الملك كنت في معية الملك ، وإذا أطعت الكبير كنت في معية الكبير ، وإذا أطعت الغنى كنت في معية الغنى ، وإذا أطعت العزيز كنت في معية العزيز ، وإذا أطعت القوى كنت في معية القوى جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٦].

٩- طريق الإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله

الله جل جلاله له صفات الجلال، وله صفات الجمال، فهو سبحانه ذو الجلال والإكرام، الجلال له في ذاته، والإكرام فائض منه على عباده، فلا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا إكرام ولا إحسان إلا وهو فائض منه على خلقه ، وجميع أسماء الله وصفاته وأفعاله دالة على جلاله وجماله وكماله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

وكل أفعاله تجاه خلقه إكرامٌ ظاهرٌ جلي ، أو إكرامٌ باطنٌ خفي: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

فما أعظم نعم الله على الإنسان ، خلق له عقلًا يدرك به الأشياء ، وعينًا ينظر بها إلى الأشياء ، وأذنًا يستمع بها الأصوات ، ويعرف جهة الصوت ، ويعرف نوع الصوت: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

وجعل له يدًا يأكل ويشرب ويمسك به، وأنفًا يشم بها الأشياء، ولسانًا يتكلم به ، وأسنانًا يطحن بها الطعام، وأرجلاً يمشي بها إلى ما يشاء، كل هذا إكرامٌ من ذي الجلال والإكرام: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨] ومن أجل الله وعظمه وآمن به، جعل له هيبة في قلوب الناس ، فأجلوه وهابوه ، ومن عصى الله، وتهاون بأوامره، نزع الله هيبته من قلوب الناس، فاحتقروه: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

فمن كان عبدًا للعزيز فهو عزيز ، ومن كان عبدًا للقوى فهو قوى ، ومن كان عبدًا للمخلوق الضعيف فهو ضعيف ، ومن كان عبدًا للذليل فهو ذليل: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فالإنسان إما عابد لله ، وإما عابد لعبد الله من شجر أو حجر أو صنم: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

ونعم الله على عباده لا تعد ولا تحصي: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

فالصحة إكرامٌ من الكريم سبحانه ، والرزق إكرامٌ من الرزاق ، والزوجة والأولاد إكرامٌ من ربك الكريم ، والجاه إكرام ، والشرف إكرام ، وكل نعمة يعيش فيها هذا الإنسان فهي إكرامٌ من الله وحده: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

فكل جلال وعظمة وكبرياء لله وحده، وكل إكرام منه وحده لا شريك له ، والله وحده دون سواه هو ذو الجلال والإكرام ، وكل الجلال والإكرام له،

ومنه، وبه ، فإذا تمتعت بهيبة ومكانةٍ عالية، فأذكر أن الله هو الذي رفع لك ذكرك فتواضع له، وانكسر بين يديه، وأشكره على نعمته: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[الضحى: ٦ – ١١]

وإذا أفقدك هيبتك، وجاء أحد الناس فتطاول عليك ، فإنما يريد الله أن يعلمك أن الجلال والهيبة منه، لا بسبب مالك أو جاهك أو قوتك: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

وإن تمتعت بنعمةٍ وإكرامٍ من ربك، فأعلم أن الله أكرمك به، فأكرمت به، أعطاك سبحانه فأعطيت، وأغناك فأغنيت، لأنه وحده ذو الجلال والإكرام: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[النحل: ٥٣] .

وإذا كان الله وحده هو ذو الجلال والإكرام، فيجب أن تؤمن به، وأن تشكروه، وأن تعبده وحده لا شريك له ، وإذا كان الله وحده ذو الجلال والإكرام، فيجب أن تحبه وتكرم عباده، وتعظمه، وتجل كتابه، ورسوله، وعباده، وبيوته، وشعائره، وأوامره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢]

فسبحان ذي الجلال والإكرام ، ذو الطول والإنعام، عظمه بقدر ما تحبه وتعرفه، وأقبل عليه، ولا تلتف لأحد سواه: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣] .

الله عز وجل هو ذو الجلال والإكرام ، فإذا حلت بك مصيبة ، أو نزلت بك ملمة ، أو أصابتك نكبه، فالجأ إلى ذي الجلال والإكرام، إلى الرحمن

الرحيم ، فإنه لا يقدر على رفعها إلا هو كما قال النبي ﷺ: « أَلِظُّوا بيَا ذا الجَلاَلِ والإكْرامِ » .أخرجه أحمد[1] .

فسبحان من جلاله قهر كل شيء ، وجماله فتح باب القبول والوصال ، وجماله وجلاله أظهر من كل شيء .

قال النبي ﷺ: « لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المُدْحُ مِنَ الله، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ». أخرجه مسلم[2] .

والله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو القادر على كل شيء، الحكيم في أفعاله في ملكه العظيم ، يذل ليعز ، ويمنع ليعطي ، ويبتلى ليعافي ، ويخفض ليرفع ، ويقبض ليبسط ، ونعم الله في الشدائد أعظم من نعمه في الرخاء .

وذروة الإيمان الصبر على الأقدار، والرضا بالأقدار ، فمن أستوي عنده المنع والعطاء ، والقبض والبسط، فقد رضي عن الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢] .

والامتحان للعباد لا يكون في الرخاء ، إنما الامتحان في الشدائد، فلا يظهر توحيد العبد وإيمانه إلا في الشدة ، ولا يزيد ويرقى عند الله إلا بالشدة: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٢ – ٣] .

وقال النبي ﷺ: « أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسْبِ دِيْنِهِ » .أخرجه الترمذي[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٧٥٩٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٧٦٠).

فكل شِدة ورأها شَدةٌ إلى الله، وكل محنة ورأها منحه ، وكل شيء وقع في ملك الله العظيم فإنما أذن به ، ووقع بالحكمة المطلقة، المتعلقة بالخير المطلق ، وإذا أصاب الله عبده بالضر، فإنه في الضر دواؤه والله رءوفٌ رحيم لن يسلم عبده ، ولن يتخلى عنه، لأن الطبيب الجراح إنما يجرح المريض، لينزع منه الداء ليتمتع بالعافية بعد البلاء: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وكذلك الله عز وجل يبتلى عبده بالمكروه، ليوصله إلى المحبوب، ويذكره بمولاه، ليتوب إليه، ويتوجه إليه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

فصفه الضر، والقبض، والمنع، والخفض، والابتلاء تفهم هكذا ، وأي فهم أخر يعد كفرًا وإلحادًا في أسماء الله الحسنى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فالبلاء كالضيف، ولكنه ضيف مؤلم، يدخل ويخرج وقد حمل الإنسان على التوبة ، أو يرفع به درجة ، فمن ظن أو توهم أن الله يسوق البلاء والشدائد تشفيًا من العباد ، فقد تنكب سبيل الإيمان، وساء ظنه بالله الرحمن الرحيم: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٠٠) .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥] .

اللهم ألهمنا صفاء التوحيد، ونور الإيمان، حتى لا نطلب دفع الضر والبلاء إلا من جنابك، ولا نقف إلا عند أعتابك، ولا ننكسر إلا بين يديك: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

ومن أعتقد أن أحدًا سوى الله يستطيع أن يضر أو ينفع، فقد أشرك بالله عز وجل ، والإنسان عندما يستقيم على منهج الله يهديه الله سبل رضاه، ويمنحه الأمان ، ولا يُرضي الله عز وجل أن يعذب الإنسان أو يذله أو يفقره أو يمرضه أو يحزنه ، لكن الله يحكمنه البالغة لابد أن يسوق لعبده العاصي بعض الشدائد التي تحمله على الرجوع إلى ربه ، والتوبة إليه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١] .

وكل ما كان انحراف العبد أشد، كانت الضربة عليه قاسية: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣] .

وقال الله تعالى عن فرعون وجنوده: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥] .

فمن الناس من يتوب بالكلام الناصح ، ومن الناس من يتوب بالوعظ القاسي ، والآخر لا يرجع إلا بضرب العصا ، والآخر بالعذاب الشديد ، فلا نفع ولا ضر ، ولا عطاء ولا منع ، ولا خير ولا شر إلا بإرادته الله ومشيئته وقدره وإذنه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١] .

فالنفع من الله، والضر من الله، والعاصي هو السبب، والعطاء من الله إكرامًا، والمنع من الله ابتلاءًا، والعاصي هو السبب، والعافية من الله إكرامًا، والمرض من الله عقوبة وتربية، والإنسان هو السبب، فالحسنة من العبد فعلًا، ومن الله تفضلا، والسيئة من الله فعلًا، ومن العبد كسبًا وسببًا : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٨ – ٧٩] .

فجميع المخلوقات تفعل فعلها بمشيئة الله، لا بقوة فيها، فالله وحده هو الذي يملك النفع والضر ، والعطاء والمنع ، والحياة والموت: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فسبحان الهادي الذي يهدى من يشاء للهداية ، ويضل من أصر على الضلال ، فمن طلب الهدى هداه ، ومن طلب الضلال أضله: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧] .

فهو سبحانه الهادي الذي يهدى من يشاء، ويضل من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، ومن استسلم لربه عاش في راحة وطمأنينة ، ومن أبى وقع في كل آفة وعذاب: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، وبيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

ومن عرف أن الله وحده ربه ومولاه لم يلتفت لأحد سواه، وفوض أموره كلها إليه : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾[غافر: ٤٤] وقال الله تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود: ٥٦] .

الله عز وجل هو الرقيب الشهيد ، الذي يعلم جميع أحوال الخلق في العالم العلوي والعالم السفلي ، في الدنيا والآخرة، في عالم الغيب والشهادة ، ويعد كلماتهم وأنفاسهم، ويعلم أعمالهم وأحوالهم : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[المجادلة: ٧] .

فأنت أيها الإنسان في بيئتك مراقب، وفي سوقك مراقب، وفي عملك مراقب، وفي حضرك مراقب، وفي سفرك مراقب، وفي خلوتك مراقب، وفي اجتماعك بغيرك مراقب، وإذا علم العبد أن ربه العليم الخبير السميع البصير يراقبه، استحى منه ، ولزم أمره، وأحسن عمله، فسعد في دنياه وأخراه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون: ١ – ٢] .

وهو سبحانه الحفيظ الذي لا يغفل ، والرقيب الذي لا يغيب ، والعليم الذي لا يخفى عليه شيء ، وإذا علم العبد أن ربه يراقبه وصل إلى مقام الإحسان ، فعبد ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

ومن علم أن الله العليم الخبير ، الرقيب الشهيد، يراقبه، لم يكذب، ولم يظلم، ولم يسرق ، ولم يغتب ، ولم يعصي، ولم يغش أحد ، ولم يزني : ﴿

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

فكل مخلوق مكشوف لربه في ظاهره وباطنه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] .

والمؤمن الصادق يرى أن الله معه ، يراقبه ويراقب عمله ، إكرامًا له، ويحفظه ويحفظ أعماله ، وأحواله مع ربه لا توصف ، ومناجاته مع ربه لا تنقطع ، يتزين لربه قبل أن يصلي، لأنه سوف يقف بين يدي ربه الجميل عز وجل ويحسن صوته بالقرآن ؛ لأنه يعلم أن الله أول من يسمعه، ويكرم الناس؛ لأنه يعلم أن هؤلاء عبيد ربه العظيم، ويستحي أن يكون في حال يعتذر منها ؛ لأنه يعلم أن ربه يراه، ويعلم ما في قلبه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وكلما ازداد العبد مراقبة لله كان أكثر ورعًا، وأكثر تقوى، وأكثر حياء، وأكثر حبًا وتعظيما لربه عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

والمؤمن حقًا من أيقن أن الحق سبحانه مراقبٌ لأحواله، مبصر لأفعاله، سامع لأقواله ، مطلع على أسراره ، فهذا لعلمه أن الله الرقيب قريب شهيد ، عليم ، خبير، يهاب جلاله، ويخاف من عقابه في كل حال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١] .

وأفضل الطاعات مراقبة الله على الدوام كل الأوقات ومن راقب ربه أكثر من ذكره وشكره وأخلص له العمل، وأحسن له العبادة: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] .

اللهم إملاء قلوبنا بالإيمان، وامنحنا عيونا تراقب نعمك الظاهرة وبصائر تتعظ بأنوارك الباهرة، يا ذا الجلال والإكرام .

الله عز وجل هو الحسيب الكافي عباده ؛ لأنه القوي القادر على كل شيء العليم الخبير بكل شيء ، الرحمن الرحيم بجميع خلقه ، الغني الحميد ، الحليم الكريم ، فمن اعتمد على الله كفاه ، ومن اعتمد على نفسه ضل ، ومن اعتمد على عزه ذل ، ومن اعتمد على ماله قل ، ومن اعتمد على الله فلا ضل ولا ذل ولا قل ، ومن كان مع الله، كان الله معه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

الله هو الحسيب الذي انتهى إليه كل شرف في الوجود ، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى ، ويكفي العبد شرفًا أن ينتسب إلى الله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤] .

وهو سبحانه الحسيب الذي يحاسب العباد على أعمالهم ، يحاسب من أطاعة، ويثيبهم على طاعته الجنة ، ويحاسب من عصاه، ويجازيهم على معاصيهم بالنار، فكل إنسان مرهون بعمله .

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »أخرجه مسلم [1] .

وحسابه جل جلاله دقيق لا يترك مثقال ذرة منه: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: ٦ – ٨] .

ومن أيقن من الخلق أن الله سوف يحاسبه فلابد أن يخاف منه ، ومن خاف منه استقام على أمره، ثم فاز برضوانه وجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢ ﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

هو سبحانه الحسيب، الرؤوف، الرحيم، المجازي على الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة ، ويجازي على السيئة بمثلها أو يغفرها: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾[البقرة: ٢٦١] .

فسبحان الحسيب الذي يحاسب عباده في الدنيا ليربيهم، ويحاسبهم في الآخرة ليجازيهم : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠ ﴾[الأنعام: ١٦٠] .

---

(١) صحيح / أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

فعلى العبد أن يحفظ قلبه ولسانه وجوارحه ، ويحفظ ماله ووقته، من كل ما لا يرضي الله ، لأن الله سيحاسبه على كل ذلك ، لكن المؤمن حسابه يسير، والكافر حسابه عسير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ ﴾ [الانشقاق: ٦ – ١٢] .

فسبحان الحسيب الذي يكفي بفضله، ويصرف الآفات بطوله، إذا رفعت إليه الحوائج قضاها ، وإذا حكم بقضيةٍ أمضاها: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك: ١] .

هو العليم الخبير الذي يعلم النيات والأسرار، وأدق الأعمال ، وأدق الذرات، ويعلم النقير والقطمير والفتيل ، الله يعلم كل ذلك، ويحاسب على كل ذلك ، ولا يظلم مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣] .

١٠- فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله

الله عز وجل هو الرزاق، الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وأوصلها إليهم، فالله عز وجل هو المقيت القادر على كل شيء، خلق الإنسان وخلق له قوته من الطعام، وخلق له توافقًا بين الطعام وجسمه، وخلق له أجهزه تهضم الطعام، وتستفيد منه ، وتحوله إلى طاقة يعمل بها، ويعبد الله عز وجل بها.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة: ١٧٢] .

والله سبحانه هو المقيت الذي خلق جميع الأقوات، وساق لكل مخلوق قوته الذي يصلحه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾[هود: ٦] .

هو سبحانه المقيت الذي تكفل بقوت الأجساد من الطعام والشراب ، وقوت القلوب من التوحيد والإيمان، والعلم والأعمال الصالحة، فهذا يولد الطمأنينة والسكينة في القلوب، وذاك تصح به الأبدان، وتقوى على العمل:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٤] .

فالنفوس قوتها بالاتصال بالله، بالإيمان بالله، ومعرفتها به، وسكونها إليه، وشعورها بأن الله راض عنها، وبالعمل الصالح الذي تتقرب إلى الله به:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فسبحان ربنا المقيت الذي ساق جميع الأرزاق، وسمع كل دعاء فأجاب ، وعلم البلوى فكشف واستجاب ، المقيت الذي خلق قوتًا يناسب الجسد ، وجسدًا يناسب القوت ، فأقوات الله كثيرة لا يحصيها إلا المقيت ، ومخلوقاته كثيرة ، لا يحصيها إلا من خلقها: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾[النحل: ١٨] .

وقوت القلوب هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه ووعده ووعيده:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

وقوت القلوب هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، قوت القلوب هو معرفة علام الغيوب ، والإيمان به، والعمل بشرعه ، وهذا القوت يملأ القلب بالإيمان ، ويملأ النفس بالسكينة:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وإشباع الجسد لا يغني الروح شيئًا ، فقر الروح إلى قوت القلوب أعظم من فقر الأجساد إلى الطعام والشراب .

فسبحان مالك الأقوات ، واهب الأرزاق ، حافظ جميع الأعمال:﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ٨٥ ﴾[النساء: ٨٥].

فكل نصيحة تؤدي إلى طاعة الله، إلى رضوان الله ، فهي شفاعة حسنة ، وكل نصيحةٍ تؤدي إلى معصية الله، إلى غضب الله، فهي شفاعة سيئة .

فسبحان واهب أقوات العباد وهي الأطعمة ، وأقوات القلوب وهي المعرفة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

ومن أدب الانتفاع بالقوت المادي ألا نأكل غير الحلال الطيب ، ليرتفع عند الله ذكرنا، ويعظم أجرنا ، وإذا جلسنا على الطعام نسمي الله ، ونذكر المنعم، من خلال النعمة ونذكر الخالق من خلال ما خلق ، ونذكر من خلقه وساقه إلينا ونستعين به على طاعته، ونحمده بعد الفراغ: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [النحل: ١١٤] .

فالمؤمن إذا جلس للأكل انتقل بفكره من النعمة إلى المنعم ، ومن القوت إلى المقيت ، ومن أنواع الإكرام إلى من أكرمه بها فحمده وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

فيا أيها العبد لا تطلب جميع حوائجك إلا من الله وحده، لأن خزائن كل شيء بيده وعنده: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١] .

والمقيت جل جلاله جعل أقوات العباد مختلفة .

فمنهم من جعل الله قوته الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها، وهم الحيوانات .

ومنهم من جعل قوته الطاعات، والتسبيح، والتحميد، وهم الملائكة .

ومنهم جعل قوته المادي بالطعام والشراب ، وقوته الروحي العلم والمعارف الإلهية، وهؤلاء هم أولو الألباب والعقول ، وفي مقدمتهم الأنبياء والمؤمنون .

فمن اشتغل بطاعة ربه ، سخر الله له من يقضي حوائجه ، ومن انشغل بشهواته، وكله الله إلى ذاته ، فمن شغله الحصول على قوت الأبدان، عن تحصيل قوت القلوب خسر دنياه وأخراه:﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥]

والمؤمن حقاً من أخذ من الدنيا بقدر الحاجة، وأعطى لله بقدر الطاقة .

قال النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ اجْعَل رزق آل محُمَّد قوتا »متفق عليه[1] .

فعلى المسلم أن يهتم بتحصيل أقواته، وأكبر إثم أن يضيع الإنسان من يقوت من أولاده وبهائمه ، ويضيع أقوات أولاده فلا يعرفهم بربهم ، ولا يوفر لهم أقواتهم من الطعم والشراب .

قال النبي ﷺ: « كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّع من يقوتُ » أخرجه أبو داود[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٤٤١).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم(١٦٩٢).

الله عز وجل هو ذو الجلال والإكرام ، ذو الجلال الذي له الجلال والعز والقوة والغنى والجمال والكمال وكل ما في الكون من جلال وحسن وبهاء ، فمن أنوار ذاته، وآثار صفاته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

هو ذو الجلال الذي جل قدره ، وعظم في قلوب العارفين به ، الذي عظم قدره، وتنزه عن ما لا يليق به ، ذو الجلال والجمال الذي جل في علو صفاته ، وتعذر أن يحاط بنعوت جلاله وجماله وكماله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو سبحانه ذو الجلال والعظمة والكبرياء، الذي تعذر على الخلق أن يحيطوا بعظمته وكبريائه وجلاله وعلمه وقدرته ، وملكه وملكوته .

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

له سبحانه صفات الجلال ، وله صفات الجمال ، وله صفات ظاهرها جمال ، وباطنها جلال، فإذا أعطاك ربك عطاء فهذا شيء جميل ، لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء استقامة منك فسيكون بعده عقوبة وتأديب بالجلال: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥] .

وله سبحانه صفات ظاهرها جلال، وباطنها جمال، فإذا أوقع الله عقوبة بإنسان فهذا جلال ، فإذا أفضت هذه العقوبة إلى التوبة والإقبال على الله، فهذا جمال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

والله عز وجل لا يعاقب ويبتلي إلا لينفع ، ولا يأخذ إلا ليعطي ، ولا يقبض إلا ليبسط ، ولا يبتلي إلا ليعافي، وهذه الدنيا دار التواء، لا دار استواء: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

وهو سبحانه ذو الجلال الذي جعل بلاء الدنيا سببًا لعطاء الآخرة، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضًا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

فسبحان الحكيم الذي يمنع ليعطي، ويبتلي ليجزي ، فالله عز وجل له الأسماء الحسنى، مرة يكاشف القلوب بأسماء جلاله ، ومرةً يكاشفها بأسماء جماله ، فإذا تجلى الله على عبده باسم الجلال امتلأ القلب خشية لله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

وإذا تجل الله على عبده باسمه الجميل امتلأ القلب فرحة وطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

فسبحان مقلب هذا القلب البشري بين الخوف والخشية ، وبين السرور والطمأنينة: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠] .

فلا إله إلا الله، ما اعظم أمره، وما أعظم حكمته، وما أعظم علمه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وكل إنسان عاقل قريب من الله يدرك أنه بعد كل كبر أذنب منه تأديب من ربه ، وبعد كل افتقار وانكسار عطاء من ربه ، فالمفتقر إلى الله ينعم باسمه الجميل ، والمعتد بنفسه يعاقب بصفة الجلال .

والله حكيم عليم قد يحوج الإنسان لعبد لئيم فيرده هذا اللئيم، ليعرف إحسان ربه إليه ، وهؤلاء الذين يُذلون ويُهانون ويسوق الله لهم من الشدائد ما لا يطيقون، هم غالبًا هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، ونسوا الله فنسيهم ، وتسلط على غيرهم فسلط الله عليهم من يهينهم، ليعودا إليه، ويحسنوا الظن به: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] .

والله عز وجل رءوف بالعباد ، يجل عبده المؤمن أن يذله أو يقهره أو يحوجه إلى لئيم ، بل للمؤمن كرامة عند ربه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وهؤلاء الأشرار والطغاة الذين يذلون الناس هم عصيٌ بيد الله، يسلطهم الله على من أساء من عباده، فإن تابوا كفهم الله عنهم ، فسبحان ذي الجلال والإكرام ، الذي أكرم عباده بأنواع الكرامات والعطايا في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

ومن لم يكن عنده ورع يصده عن معصية الله، إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله فركعتان خالصتان لله من ورع خير من ألف ركعة من مخلط فاستقم كما أمرت، ولا تفعل ما لا يليق بجلال مولاك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

الفقه الأكبر، والعلم الأكبر، هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ، ووعده ووعيده .

فإذا امتلأت القلوب بهذا العلم الإلهي العظيم امتلأت نورًا ، وحركت الألسن والجوارح بعبادة الله ، والتقرب إليه بأنواع الطاعات:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والله عز وجل مجيب ينعم قبل النداء ، ويتفضل قبل الدعاء: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة ، ويقابل سؤال السائلين بالإسعاف ، ويقابل ضرورة المضطرين بالكفاية ؛ لأنه الرحمن الرحيم الذي لا أرحم منه ، العزيز الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١] .

يعطي سبحانه قبل الدعاء، وإذا تأخر العطاء إلى ما بعد الدعاء فإنما يريد الله أن تدعوه ، وتناجيه، وأن تلجأ إليه ، وأن تتصل به، وأن تمرغ وجهك في أعتابه، ويحب أن يسعدك بداوم الاتصال به، ويجعل حاجتك وسيلة لهدف إلى دعائه، والاتصال، والتعبد بين يديه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي قد يحوج عبده إلى شيء ، وقد يخيفه من شيء، من أجل أن يسأل ربه، ويفزع إليه ، ويتصل به ، ويستعين به ، ويلوذ بحماه ، ويعبده ويدعوه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

وسؤال الله النصر، والحاجات، والتضرع إليه هو الهدف ، والحاجات هي الوسيلة ، فالله خلق عباده ليسعدهم ، وجعل الحاجات والمصائب وسائل ، والاتصال به، والشكوى إليه، هو المقصود ؛ لأنه سبحانه يعلم حاجة المحتاجين ، ويعطيهم إياها قبل سؤالهم ، فإذا أخرها فإنما يحب أن يسمع دعاءهم ، ويسعدهم بالاتصال به: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١]

فهو سبحانه خلق الخلق ، ووفر حاجتهم قبل أن يخلقهم ، وساقها إليهم قبل أن يسألوه ، وأمدهم بالنعم التي لا تُعد ولا تحصى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾[إبراهيم: ٣٢ – ٣٤] .

والله جل جلاله له في ملكه ومخلوقاته حكمٌ وأحكام ، وسر وأسرار ، وخلق وأمر ، وبسط وقبض ، ورفعٌ وخفض .

فسبحان الحي القيوم الذي يقابل الدعاء بالإجابة ، ويقابل السؤال بالعطاء، تدعوه فيجبك، وتسأله فيعطيك .

هو الذي يفرج كرب المكروبين ، ويجيب دعاء المضطرين : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ ﴾[النمل: ٦٢] .

وإذا أراد الله عز وجل رفع درجة عبده المؤمن ساق إليه المصائب ، ثم دعا ربه فكشفها ، فأكرمه بسبع كرامات، فزاد إيمانه بربه ، وزاد حبه له ، وزاد ذكره له، وزاد حمده له، وزاد تعظيمه له ، وزادت طاعته له ، وزاد سوق النعم إليه .

فسبحان ربنا الحكيم العليم بعباده ، الذي أمرنا بدعائه ؛ لنقف بين يديه ، ونسبحه ، ونحمده ، ونكبره ، ونسأله، ونستغفره : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥ – ٥٦] .

فإذا مسك الضر فاسأل ربك القادر على كل شيء فإنه قريبٌ مجيب ، فهو وحده أهل أن تسأله، وتدعوه ، وترجوه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] .

وإياك أيها العبد أن تنزل حاجتك بإنسان ، أو تضع ثقتك في غير الله ، فإن فعلت ذلك، فمن محبة الله لك، وإكرامه لك، أن يلقي في قلب من وثقت به من الخلق الاعتذار إليك ، ويخيب ظنك فيه، تأديبًا لك لتعود إلى ربك: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

والدعاء الذي يجيبه الله ما كان بتضرع ، وكان خُفية، وتجنب صاحبه الاعتداء في الدعاء، وتجنب أكل الحرام: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وأعلم رحمك الله أن الميت الحقيقي من البشر، هو الذي يتمتع بأعلى درجات الصحة، لكن قلبه ميت ، لا يعرف ربه، ولا يذكره ، ولا يشكره ، ولا يعبده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢٤] .

فلا إله إلا الله، ما أخطر الجهل والغفلة:﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٩] .

فسبحان الرب الرحيم بعباده ، أحيانًا يعطيك قبل أن تسأله ؛ لتقبل عليه، وتستجيب لطاعته ، وأحيانًا تدعوه فيعطيك، فتحبه وتشكره ، فهو إما أن تدعوه فيعطيك ، وإما أن يعطيك لتدعوه وتشكره ؛ فإن كان الدعاء قبل العطاء، فالمبادرة منك ، وإن كان العطاء قبل الدعاء، فهذه نعمة أراد الله أن يمتحنك بها ، فأنت إما أن تطيعه فيكرمك ، أو يكرمك لتطيعه وتذكره وتشكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

اللهم كما صنت وجوهنا عن السجود لغيرك، فصن وجوهنا عن سؤال غيرك فإنه لا يقدر على كشف الضر، وجلب النفع، سواك يا ولي العطاء والإحسان: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[يونس: ١٠٧] .

الله عز وجل بيده الملك وهو على كل شيءٍ قدير ، هو الوكيل القائم بجميع أمور خلقه ، القيم الكفيل بأرزاق الخلق، وما ينفعهم، وما يصلحهم : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

ومن أجل أن تتوكل على الله وحده، وتفر إليه ، وتعتمد عليه، ملأ سبحانه هذه الدنيا بالهموم والمخاوف ، والقلق على الرزق والأهل والأولاد ، والعمل وكسب الرزق، لتكون عبدًا له، وافقًا بباب عبوديته ، فارًا منها إليه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم: ٣٠].

ففي الحياة الدنيا الأمور مشوبة بالنعم والمصائب ، والأمن والخوف ، والعز والذل ، والمحبوب والمكروه: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٢ – ٣] .

أما الآخرة فهي خير محض ، حياة بلا موت ، وشباب بلا هرم ، ونعيم بلا شقاء ، وسعادةٌ بلا بؤس ، وعافيةٌ بلا مرض ، وأمنٌ بلا خوف: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥] .

ولا يتوكل على الله حقًا إلا من عرفه حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف أنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء ، الخبير بكل شيء ، المحيط بكل شيء : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

هو سبحانه القوي الذي كل شيءٌ في قبضته ، وجميع أمور الخلائق بيده ، وجميع القلوب والخواطر بيده ، يصرف قلب هذا ليكرمك ويخدمك، وقلب هذا ليهينك ، ويربيك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » . أخرجه مسلم(١) .

فالله وحده مقلب القلوب، فاللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧]

ولن يستطيع أحدٌ من الخلق أن يتوكل على الله إلا إذا عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا عرفه توكل عليه ، وفوض أمره إليه، ووكل أمره إليه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٤).

وكلما عظم إيمان العبد قوي توكله على ربه ، وشكا همومه إلى ربه لا إلى غيره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عن يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف: ٨٦] .

وكلما ضعف إيمانه ضعف توكله على ربه ، فتجده كثير الشكوى إلى كل من يلقاه ، فيشكو القوي سبحانه إلى الضعيف العاجز من خلقه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فمن توكل على ربه كفاه وأغناه، وأرضاه وأثابه ، ومن توكل على غير الله ضل وقل، وحُرم وخسر: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ.

القسم الثالث

ويشتمل هذا القسم على ما يلي:

١ – أقسام أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٢ – قواعد إثبات أسماء الله الحسنى.

٣– فقه الإيمان بالله عز وجل.

٤ – الإيمان بين معرفة الرب، ومعرفة العبد.

٥ – التدبر والتفكر يزيد الإيمان بالله عز وجل.

٦ – معرفة الربوبية طريق العبودية.

٧– أصل الإيمان معرفة الله عز وجل.

٨– أصل الإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

٩ – فقه زيادة الإيمان بالله عز وجل.

١٠ – كيف يزيد الإيمان بالله في قلوبنا.

١ - أقسام أسماء الله وصفاته وأفعاله

الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وقيمة الإنسان بإيمانه وصفاته لا بذاته وأمواله : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ – ٣] .

والإيمان إذا وقر في القلب لابد أن يعبر عن وجوده في الخارج بكلمة طيبة ، أو عملٍ صالح ، أو خلق حسن ، أو بدعوةٍ إلى الله ينشرها ، أو بتعليم أحكام الله يعلمها، أو بصدقةٍ يحُسن بها ، أو بولاءٍ أو براء ، وذلك بفعل ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فالإيمان يعبر عن وجوده في القلب بحركة اللسان ، وحركة الجوارح : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

فالعلم هو إدخال العلوم من الخارج إلى الداخل ، والعمل إخراج هذا العلم على شكل عمل إلى الخارج أقوالًا أو أفعالًا ، وكذا الكفر يعبر عن وجوده في القلب بحركة جوارحه ، ونطق لسانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ

أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦] .

هذا في الفعل .

أما في القول : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ [فصلت: ٢٦] .

فالمواد الأولية من خشب أو حديد أو غيرها لا قيمة لها إلا إذا صنعت، فتكون سيارة ، أو بابًا ، أو نوافذ ، أو مقاعد ، وكذا الإنسان يجب عليه أن يسقي فطرته بالتدبر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية لتأتي فيه الصفات التي يحبها الله من الإيمان والتقوى ، وذلك بالدعوة إلى الله فتأتي الصفات التي يحبها الله، ويثيب عليها: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

فهذه الصفات إنما جاءت بسبب الدعوة إلى الله عز وجل ، فالقلوب كالأرض ، فالأرض ينزل عليها الماء من السماء، فتنبت من كل زوجٍ بهيج ، والقلوب تقبل الإيمان، فتنتج المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وغيرها مما يحب الله عز وجل من الصفات مثل: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] .

أقسام صفات الله عز وجل:

تنقسم صفات الله عز وجل إلى قسمين :

الأول : الصفات الثبوتية ، وهي كل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الجلال والجمال كالعلم والقدرة، والكرم والرحمة وأمثالها.

الثانية : الصفات المنفية، وهي كل ما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص كالنوم والغفلة ونحوها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وصفات الله الثبوتية تنقسم إلى قسمين :

الأول : صفات الرب الذاتية، وهي التي لا تنفك عن الله عز وجل بحالٍ من الأحوال ، كالحياة والعلم ، والقدرة ، والسمع والبصر ، والوجه ، واليدين ونحو ذلك .

الثاني : صفات الرب الفعلية ، وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته، إن شاء الله فعلها ، وإن شاء لم يفعلها مثل : الخلق والرزق ، والرضا والسخط ، والعطاء والمنع .

وصفات الرب الفعلية نوعان :

الأول : صفات فعلية لها سبب معلوم كالرضا والسخط، والفرح والغضب ، والعُجب ونحو ذلك .

الثاني : صفاتٌ فعلية ليس لها سببٌ معلوم كالنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر .

وكل صفات الرب الفعلية صادرةٌ عن صفات ثلاث :

القدرة الكاملة .. والمشيئة النافذة .. والحكمة البالغة .

وجميع صفات الرب الفعلية ترجع إلى صفات الرب الذاتية فهي راجعة إلى مشيئة الله وإرادته، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبدًا : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود: ١٠٧] .

وقد تكون الصفة الواحدة ذاتية من جهة ، فعلية من جهة كصفة العلم والرحمة ، والكرم ، فالله عليمٌ يعلم خلقه ، رحمنٌ يرحم عبيده ، كريمٌ يكرم من يشاء .

أما الصفات الرب المنفية فهي كذلك قسمان :

الأول : صفات منفية متصلة، وهي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال والجلال لله عز وجل كالظلم المنافي كمال عدل الله : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف: ٤٩] .

والجهل المنافي كمال علم الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[العنكبوت: ٦٢] .

والنوم المنافي كمال قيومية الله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

الثاني : صفاتٌ منفيةٌ منفصلة كنفي الشريك لله في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وعبادته، ونفي الصاحبة والولد، ونفي الند والمثل، فيجب تنزيه الله عن كل ذلك : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤] .

والله سبحانه ليس كمثله أحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته ، وأفعاله ، فكما لا نعلم كيفية ذاته كذلك لا نعلم كيفية صفاته كما قال سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى: ١١] .

فالله قوي ليس كمثله أحد في القوة، والله رحمن ليس كمثله شيءٌ في الرحمة.

ثبوت الصفة لله ﷻ بالكتاب والسنة له ثلاثة أوجه :

الأول : التصريح بالصفة كالعزة والرحمة ، والقوة والوجه واليدين ، والعينين ونحو ذلك من الصفات الخبرية والفعلية التي ذكرها الله في القرآن والسنة .

الثاني : تضمن الاسم للصفة فالحي اسمٌ متضمن للحياة ، والسميع اسم متضمن للسمع ، والرحمن اسم متضمنٌ للرحمة ونحو ذلك .

الثالث : التصريح بالفعل أو الوصف الدال على الصفة كالاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة ، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة ونحو ذلك .

وجميع صفات الله عز وجل صفات مدحٍ وتمجيدٍ وكمال، وجلالٍ وجمال، لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه كالحياة، والقدرة والقوة والعلم والعظمة، والسمع والبصر ونحو ذلك: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[طه: ٨]

وجميع صفات الله الفعلية كالخلق والرزق ، والرحمة ، والحلم ، والعفو، والمغفرة ، ونحوها كلها صادرةٌ عن صفاتٍ ثلاث : القدرة الكاملة ، والمشيئة النافذة ، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ

مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

فالخير كله بيديه ، والشر ليس إليه .

والله سبحانه له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، وليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته ، وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

وهو سبحانه المنزه عن جميع صفات البشر ، جميع صفات النقص والعيب: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

والسلب عن الله ثلاثة أنواع :

إما أن يكون السلب عائدًا إلى الذات .. أو إلى الصفات .. أو إلى الأفعال .

فالسلوب العائدة إلى الذات:

فالله ليس كمثله أحد في ذاته كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]

أما السلوب العائدة إلى الصفات.

فالله سبحانه قد نزه نفسه عن جميع صفات النقص ، والعيب كما ورد في القرآن والسنة ، فيجب علينا تنزيه الله ﷻ عن تلك الصفات سواء كانت من باب أضداد العلم ، أو أضداد القدرة ، أو أضداد الوحدانية ، أو أضداد الحياة ، أو أضداد الاستغناء أو غيرها .

فنفي أضداد العلم أقسام :

أحدها : نفي السنة والنوم عن الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

الثاني : نفي النسيان كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٤] .

الثالث : نفي الجهل كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦١ ﴾ [يونس: ٦١] .

فالله سبحانه بكل شيء عليم لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، فهو يرى ويسمع ويعلم كل ذرةٍ في آنٍ واحد : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦١ ﴾ [يونس: ٦١] .

وأما السلوب العائدة إلى صفة القدرة فأقسام :

أحدها : أن الله سبحانه منزهٌ في أفعاله عن التعب والنصب، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ ﴾ [ق: ٣٨] .

الثاني : أن الله سبحانه في أفعاله لا يحتاج إلى شيء : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ [يس: ٨٢] .

الثالث : أنه لا تفاوت في قدرته بين فعل القليل والكثير ، أو الصغير والكبير ، أو العالي أو السافل ؛ لأنه على كل شيءٍ قدير : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك: ١] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨] .

وأما السلوب العائدة إلى صفة الوحدانية فمثل نفي الشركاء والأنداد ، فالقرآن مملوء منه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وأما السلو ب العائدة إلى صفة الاستغناء فأقسام :

أحدها : نفي الحاجة إلى أحد كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦] .

الثاني : عدم الاستعانة بأحد كما قال سبحانه : ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف: ٥١] .

وأما السلوب العائدة إلى الأفعال، وهي أن الله لا يفعل كذا وكذا، فالقرآن مملوء منه وهو أقسام كثيرة منها:

الأول : أن الله لا يحب الباطل .

الثاني : أن الله سبحانه لا يحب العبث .

الثالث : أن الله سبحانه لا يخلق اللعب .

الرابع : أن الله لا يحب الفساد والاعتداء .

الخامس : أن الله لا يحب ولا يأمر بالفحشاء .

السادس : أن الله لا يرضى لعباده الكفر .

السابع : أن الله لا يحب ولا يريد الظلم .

الثامن : أن الله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين .

التاسع : أن الله لا يعاقب من غير سابقة جرم .

العاشر : أن الله لا يعذب أحدًا لم تبلغه الرسالة .

الحادي عشر : أن الله يفعل ما يشاء في ملكه .

الثاني عشر : أن الله لا يخلف وعده ووعيده : ﴿ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد: ٣١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

دلالة أسماء الله الحسنى:

أسماء الله عز وجل كلها حسنى ، وأسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة كلها أعلامٌ وأوصاف ، فكلها تدل على الذات ، وكل اسمٍ يدل على صفةٍ، لله سواء كانت أسماء مطلقة كالعليم والقدير ، أو أسماء مقيدة أو مضافة كفاطر السماوات والأرض، وفالق الحب والنوى ، وغافر الذنب ، أو كانت مركبة كالمقدم والمؤخر، فكلها تدل عل الذات ، وكل اسم يدل على صفة لله كالعليم والكريم ، والسميع والبصير وأمثالها .

أما أسماء غير الله عز وجل فهي أعلامٌ فقط إلا أسماء الأنبياء والرسل والقرآن والملائكة فهي أعلامٌ وأوصاف .

أما أسماء البشر فهي أعلامٌ مجردة ، فقد يسمى الإنسان كريمًا وهو من أبخل الناس ، أو يسمى حليمًا وهو من أسفه الناس وهكذا .

وأسماء الله عز وجل كلها حسنى كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

وهي بالغة في الحسن والكمال منتهاه ، متفاوته في الحسن والكمال والجلال والجمال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

فمنها كامل وأكمل، وحسن وأحسن، وعظيم وأعظم، منها ما يدل على اسم الله الأعظم مثل: الله، الرب، الحي، القيوم، ومنها أسماءٌ تدل على عدة صفاتٍ جامعة كالحي، والمجيد ، والكريم، والواسع ، والصمد، والغني .

ومنها ما يدل على معنيين فأكثر كالبصير بمعنى الرؤية، والعلم، والخبرة ، والودود بمعنى المحب لعباده ، المحبوب عند عباده ، ومنها ما يدل على صفةٍ واحدة كالعليم والغفور ونحوهما .

ومنها ما جاء بصيغة التفضيل التي تدل على المفاضلة كالعلي والأعلى ، والكريم والأكرم ، والخالق الخلاق ، والرحمن والرحيم ، ونحو ذلك : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وأشرف اللذات البشرية لذة العلم والمعرفة ، وأشرف العلوم العلم الإلهي ، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه ، لشرف معلومه، وشدة الحاجة إليه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

٢- قواعد إثبات أسماء الله الحسنى

يثبت الاسم لله عز وجل إذا توفرت فيه خمسة شروط :

الأول : ثبوت الاسم بالنص

لأن أسماء الله الحسنى توقيفية لا تؤخذ إلا من الوحي، من القرآن أو السنة الثابتة، وما لم يرد فيه من الأسماء فليس بوحي، حتى لو كان معنى الاسم صحيحًا يدل على الكمال، فلا يسمى الله مثلًا بالواجد والماجد، ولا بالمفضل والمنعم، ولا بالمعز والمذل، ولا بالنافع والضار، ولا بالأعز والحنان وأمثالها؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في القرآن ولم تثبت في صحيح السنة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٣] .

وواجبنا في الأسماء الحسنى، والصفات العلى، العد والإحصاء فقط، فما كان موجوداً في القرآن والسنة نثبته لله عز وجل ، فدورنا في إثبات أسماء الله الحسنى العد والإحصاء مما هو موجود في القرآن والسنة .

ثم الذكر والدعاء وعدم الاختراع والإنشاء كما قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

الثاني : أن يكون الاسم علمًا على ذات الله ، ليس فعلًا أوصفًا، فلابد من الرجوع إلى الوحي لإحصاء أسماء الله الحسنى ، والنبي ﷺ أخبر أمته، أو دعا أمته، إلى إحصاء الأسماء المنصوص عليها في القرآن والسنة، فلا تؤخذ

من غيرهما، والإحصاء يكون من شيء معلوم كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» . رواه مسلم[1] .

والاسم علم ذات الله ، ويدل بالتضمن على الوصف والفعل .

والاسم غير الصفة والفعل ، فلا نشتق لله أسماء من الصفات ، والأفعال ؛ لأن الأسماء توقيفية تثبت بالنص عليها بالاسم بالقرآن أو السنة ، فلا يسمى الله بالخافض والرافع ، ولا الباعث ، ولا المحصي ولا المبدئ ، ولا المعيد ، ولا المقسط ولا العدل ، ولا الجليل ، ولا المغني ، ولا المعز ولا المذل ، ولا الباقي ، ولا الرشيد ، ولا الصبور والمانع ، وأمثالها ، ولو كانت هذه الأسماء تتضمن كمالًا لله ؛ لأنها لم ترد في نص القرآن أو السنة ، وإنما اشتقت من صفات الله وأفعاله .

ولا يجوز لنا أن نشتق من كل فعلٍ اسمًا لله عز وجل ، ولم يأذن الله لنا بذلك ، ولم يخولنا الله أن نسميه بما نشاء ، وإنما أمرنا بإحصاء أسمائه الحسنى من كتابه وسنة رسوله ﷺ، ثم حفظها ودعاء الله عز وجل بها كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

وأمرنا النبي ﷺ بالعد والإحصاء للأسماء ، ولم يأمرنا بالاشتقاق والإنشاء والاختراع : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٧).

وقد أخبرنا الله عز وجل عن أسمائه وصفاته وأفعاله ، فنسميه بما سمى به نفسه ، أو سماه به رسوله ﷺ، ونصفه عز وجل بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ، ونقف عند حد النص ، ولا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نلحد في أسماء الله وصفاته ، ولا نقول على الله غير الحق: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] . .

الثالث : الإطلاق فما ورد من أسماء الله مطلقًا

كالملك والحي والرحمن وأمثالها نؤمن به ونذكره به، ونسمي الله به مطلقًا كما ورد .

ما ورد من أسماء مقيدًا كغافر الذنب، وعالم الغيب ، وفاطر السماوات والأرض وأمثالها ، نؤمن به ، ونذكره مقيدًا كما ورد .

وما ورد مركبًا نسمي الله به كما ورد كالمقدم والمؤخر .

فالاسم المطلق لو قيدناه لا يحتمل نقصًا ، أما الاسم المقيد لو أطلقناه فإنه يوهم نقصًا ؛ ولأننا أمرنا بذكره كما هدانا لا على هوانا ، فلا نطلق المقيد من أسماء الله الحسنى ، ولا نفصل المضاف منها ؛ لأن أسماء الله جل جلاله توقيفية نتعبد لله بها كما وردت مطلقة أو مقيدة ، أو مضافة أو مركبة .

فلا نسمي الله بالماكر، والكائد، والخادع، والغالب، والقائم، والفعال، والجاعل، والمقلب، والمصرف، والكاشف، والفالق، والفعال، والفاطر والمخرج، والشديد ، والهازم، والصاحب، والخليفة، بل نذكر هذه الأسماء مقيدة كما وردت به في القرآن والسنة الثابتة فنقول: الله غالبٌ على أمره، الله

قائمٌ على كل نفس، الله فعالٌ لما يريد، فاطر السماوات والأرض، اللهم نور السماوات والأرض ، الله مقلب القلوب ، وهكذا .

وكذا اسم الزارع والمنزل، والمنشئ، والماهد، والموسع، والكاتب، والمبتلي وغيرها من الأسماء المقيدة لا نذكرها إلا مقيدة بما قيدها الله ورسوله به في القرآن أو السنة الثابتة ، فمن أراد أن يجمع أسماء الله الحسنى المطلقة فليحصها من القرآن والسنة الثابتة ، وهي تزيد على مائة اسم .

ومن أراد أن يجمع أسماء الله المقيدة فليحصها من القرآن والسنة الثابتة وهي تزيد على مائة اسم ثم يدعو الله بها كما وردت بصيغتها مطلقة أو مقيدة ، أو مركبة ، وإلا كان ممن قال على الله غير الحق ، وقال عن الله غير الحق ، وقال على الله ما لا علم له به: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] .

الرابع : دلالة الاسم على الوصف

فأسماء الله لا تكون حسنى وهي بلا معنى ؛ لأن أسماء الله عز وجل أعلام وأوصافٌ، فالعليم يدل على ذات الله ، ويدل على إثبات صفة العلم لله ، والحي يدل على ذات الله ، ويدل على إثبات صفة الحياة لله ، والخالق يدل على ذات الله، ويدل على إثبات صفة الخلق لله وهكذا .

فلا يسمى الله بالأسماء الجامدة التي لا مدح فيها ولا ثناء كاسم الدهر ؛ لأن الدهر مخلوق ، وهو وصفٌ جامد لا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه ، فليس اسمًا لله ، وإنما هو اسم لمدة زمان الدنيا ، وكذا لا يسمى الله بالأسماء التي هي من إضافة المخلوق إلى خالقه .

الخامس : دلالته الوصف الذي تضمنه الاسم على الكمال المطلق

كاسم الملك، فأنه يدل على كمال ملك الله ، وأن الله ملك قبل أن يخلق أحدًا ، وأن كل ما سواه ملكه وعبيده ، فإذا كان الوصف عند التجرد منقسمًا إلى كمال ونقص فلابد من تقييد الاسم بموضع الكمال دون النقص ، فيكون من باب الأسماء المقيدة مثل :

اسم المرسل، في قوله سبحانه : ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدخان: ٥] .

واسم المبتلى، في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٠] .

واسم المبرم، كما في قوله سبحانه: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٩].

فنتعبد لله عز وجل بهذه الأسماء ونقيد هذه الأسماء وأمثالها بموضع الكمال ؛ لأنها تنقسم عند الإطلاق إلى ما يمدح عليه الفاعل أو يذم ، فنتقيد بموضع الكمال فقط .

الله ﷻ هو الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، هو الحي القيوم بذاته ، وكل حيٍ سواه فهو حيٌ لا بذاته بل بإمداد الله له بالحياة ، فإذا قطع عنه الإمداد صار جثةً هامدة : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧] .

والله وحده هو الحي بجميع صفات الجلال والجمال والكمال، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي، هو الحي الذي لا يموت أبدًا، وحياته لا بداية

لها ولا نهاية ، ولا أول ولا آخر:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر: ٦٥] .

والحي هو الله وحده ، فهو دائم الحياة ، دائم البقاء ، دائم الملك ، أما الإنسان فمهما عاش لابد أن يموت ، وحياته مقيدةٌ بعمره ، وحياته موهوبةٌ من ربه ، ومستمدةٌ من خالقه الحي الذي وهب الحياة لكل حي: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وحياة الإنسان دائمة ، والموت في الدنيا كثوبٍ خلعته لتلبس غيره في الآخرة ، والموت معبر لانتقال الحي من دارٍ إلى دار .

فسبحان الحي القيوم الذي ليس لحياته موتٌ ولا فناءٌ ولا زوالٌ ، ولا أول ولا آخر: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر: ٦٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

والدين ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق .

والمؤمن يحترم الناس جميعًا ، ويعاملهم بالإحسان، أما قلبه فلا يعلقه إلا بالله وحده، والله يغار إن رأى قلبك مع غيره، ومن ضايقك فإنما ألهمه الله لتفك ارتباطك معه ، وتفر منه إلى ربك الحي القيوم :﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وإحسانه، هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

ومن عرف الله حقاً فر إليه وحده: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

لهذا يجب علينا معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتعبد لله بها : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فنسمي الله بأسمائه الحسنى ، ولا نلحد في أسمائه، والإلحاد هو الميل عن الطريق المستقيم، وقد حذرنا الله عز وجل من الإلحاد في أسمائه وصفاته وآياته، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فصلت: ٤٠] .

والإلحاد في أسماء الله الحسنى خمسة أنواع :

الأول : أن ينكر الإنسان شيئًا من أسماء الله التوقيفية ، أو ينكر ما دلت عليه من الصفات الذاتية والفعلية ، لأن الله أوجب علينا الإيمان بالأسماء، وبما دلت عليه من الصفات والأفعال .

الثاني : أن يجعل أسماء الله الحسنى دالة على صفاتٍ تماثل أو تشابه صفات المخلوقين ، وهذا إلحاد، لأن الله ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه

وصفاته وأفعاله ، كما قال سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] .

الثالث : أن يشتق من أسماء الله الحسنى أسماء للأصنام والأوثان كما اشتق المشركون اسم العزى من العزيز ، وصنم اللات من الإله ، لأن أسماء الله عز وجل مختصةٌ به ، وكما أفرد الله نفسه بالربوبية والعبودية والألوهية ، أفرد نفسه بالأسماء الحسنى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] فتسمية غيره بها ميلٌ بها عما يجب فيها ، وهذا هو الإلحاد في أسمائه، كما قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

الرابع : أن يسمي الله تعالى بأسماءٍ لم يسمِّ الله بها نفسه في كتابه ، ولم يسمه بها رسوله ﷺ في سنته ، كتسمية النصارى لله بالأب ، وتسمية الفلاسفة له بالعقل الفعال ؛ لأن أسماء الله الحسنى توقيفية ، وتسمية الله بما لم يرد فيه نصٌ شرعي من قرآنٍ أو سنة ثابتة إلحادٌ في أسمائه ، وقد نهينا عن الإلحاد في أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

الخامس : أن يشتق من كل فعلٍ اسمًا لله ، لم يرد به النص من قرآنٍ أو سنة ، أو يسمه بما لم يسم به نفسه ، كتسمية الله بالنافع والضار ، والمعز والمذل ، ونحو ذلك .

فقه الأحوال والأعمال:

الله جل جلاله هو الخلاق العليم ، وهو الحكيم الخبير ، خلق الأموال والأشياء والأحوال للابتلاء :﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف: ٧] .

فالأموال النقود ، والأشياء المخلوقات من كل جنس ، والأحوال الغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والأمن والخوف ونحوها .

فخلق الله الأشياء والأموال للابتلاء، وجعل الأيمان والأعمال الصالحة للنجاة

فليست رسالتنا في الدنيا الترقي بالأموال والأشياء والأحوال والجاه والمناصب ، بل رسالتنا الكبرى الترقي في الإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة ، والثبات على ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج : ٧٧] .

ومن أراد الترقي في إيمانه وأعماله فليجلس في بيئة الإيمان والأعمال الصالحة، ويفر من بيئة الأموال والأشياء: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨] .

فمن عاش في بيئة الأعمال ترقى في الأعمال ، ومن عاش في بيئة الأشياء ترقى في معرفة الأشياء التي تشغله عن ربه والتي حذر الله منها بقوله: ﴿

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩] .

وأعمال الدين كلها جواهر وزينة وأرباح وطمأنينة، وبجهد الحق تكون خليفة الحق في الأمة، وبجهد الباطل تكون خليفة الشيطان في الأمة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

والايمان والكفر، والحق والباطل، لا يجتمعان ولا يستويان: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ ﴾ [الإسراء: ٨١] .

ومن سنة الله في الدنيا عدم ثبات الأحول على الإنسان ابتلاء، فالله يقلب الأحوال على الخلق كما يقلب الليل والنهار على الأرض ، فيجري على عبده فقرًا بعد غنى ، ومرضًا بعد عافية ، وذلةً بعد عزة ، وخوفًا بعد أمن : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ ﴾ [النور: ٤٤] .

فالدنيا دار الابتلاء والعمل، والأخرة دار الثواب والعقاب: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

ومن سنة الله في الدنيا : أن ثبات الأحوال على العبد محال .

والسنة الثانية : الترقي بالأحوال والأموال والأشياء والمناصب محال .

والسنة الثالثة : الترقي والنجاة والفلاح فقط بالإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢] .

فالأموال والأشياء والأحوال في الدنيا تتغير ، والأحوال في الآخرة تثبت أبد الآباد للمؤمنين والكافرين، فحياةٌ بلا موت ، وصحةٌ بلا سقم ، وشبابٌ بلا هرم ، ونعمةٌ بلا بأساء كما قال النبي ﷺ في أهل الجنة : « يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٣] » . أخرجه مسلم[1] .

فهذه سنة الله في المؤمنين .

---

(١) صحيح مسلم برقم: (٢٨٣٧).

وكذا سنة الله في الكافرين بالعكس : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] .

والشفاء والغنى والعافية في هذه الدنيا هي حاجاتنا ، والهداية، وعبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه هي مقصدنا، والمقصد مقدمٌ على الحاجة، فنأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم ملكه، وما أعظم سلطانه، وما أعظم خلقه .

الله عز وجل هو الملك الحق ، وكل ما سواه عبيدٌ له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦] .

والله عز وجل هو الملك حقًا ، الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فالله جل جلاله هو الملك المالك لكل شيء، الذي بيده الملك والملكوت .

له ملك العالم العلوي والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة ، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك السماوات والأرض ، وله ملك ما في السماوات وما في الأرض، وله ملك ما بين السماوات والأرض، وله ملك غيب السماوات والأرض ، وله ملك خزائن السماوات والأرض ، وله ملك جنود السماوات والأرض ، وله ملك مقاليد السموات والأرض، وله ملك ميراث السماوات والأرض:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣] .

فسبحان الله ما أعظم ملكه ، وما أعز سلطانه: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

والله عز وجل هو الخلاق العليم ، خلق العرش العظيم ، وجعله محيطًا بالكرسي الكريم ، وخلق الكرسي وجعله محيطًا بالسماوات السبع ، وخلق السماوات السبع وجعلها محيطةٌ بالأراضين السبع ، وهو سبحانه الواحد الأحد المحيط بكل محيط : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦] .

السماوات السبع ظرف ، وفي داخلها مظروفاتٌ عظيمة ، أعظمهم الملائكة والروح ، والأراضون السبع ظرفٌ عظيم ، وفي داخل هذا الظرف مخلوقاتٌ عظيمة من عالم الجماد والنبات والحيوان ، والإنس والجن والملائكة؛ ومظروفات السماوات والأرض ظاهرةٌ وخفية، والمظروف أهم من الظرف ، وأفضل مظروفات السماوات السبع هم الملائكة ، وأفضلهم جبريل ﷺ، وأفضل مظروفات الأرض هم بنو آدم الذين أفضلهم محمدٌ ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠] .

فلله الحمد على نعمة الإيجاد ، وعلى نعمة الإمداد ، وعلى نعمة الإسعاد .

هو الرحمن الرحيم، الذي هدانا لما يحبه ويرضاه ، الذي إن أُغلقت الأبواب لا يغلق بابه، وإن انقطعت الأسباب جاء مداده ، وإذا قست القلوب لينها برحماته: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

٣- فقه الإيمان بالله عز وجل

كل عبدٍ سائرٌ لا واقف ، وكل عبدٍ صاعدٌ أو نازل ، فإما إلى فوق ، وإما إلى أسفل ، وإما إلى أمام وإما إلى خلف ، وإما إلى يمين وإما إلى شمال ، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوفٌ البتة ؛ فالإنسان شجرةٌ تثمر الحلو والمر ما دامت حية .

فالإنسان ماكينة الأعمال ، والأشجار ماكينة الثمار ، فكل عبدٍ ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي حسب العمل إلى الجنة أو إلى النار ، فمسرعٌ من الخلق ومبطئ ، ومتقدمٌ ومتأخر ، وليس في الطريق واقفٌ البتة ، إنما يتفاوتون في جهة المسير ، وفي السرعة والبطء ، وفي الربح والخسارة : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ – ٣] .

والكل يقيد في الصحف: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨] .

فمن لم يتقدم إلى الجنة بالإيمان والأعمال الصالحة، فهو متأخرٌ بلا شك إلى النار بالكفر والأعمال السيئة ، والدين كله : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر: ٣٦ – ٣٧] .

وأهل الإيمان متفاوتون فيه تفاوتًا عظيمًا ، فإيمان الأنبياء ليس كإيمان غيرهم ، وإيمان الصحابة رضي الله عنهم ليس كإيمان غيرهم ، وإيمان المؤمنين الصالحين ليس كإيمان الفاسقين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وهذا التفاوت العظيم حسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وما شرعه لعباده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

وخشية الله وتقواه تكمل لمن كمل إيمانه ، وتفاوت نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وأعرف الخلق بالله أشدهم حبًا له، وأشدهم تعظيمًا له ، ومحبة الله لذاته وإحسانه، وجماله وجلاله، أصل العبادة ، وكلما قويت المحبة كانت الطاعة أتم، والتعظيم أوفر، والسرور والأنس بالله أكمل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا ، ويقينًا صادقًا ، وقلبًا خاشعًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وحلالًا طيبًا يا ذا الجلال والإكرام .

وكل ما يقع في العالم العلوي والعالم السفلي من تحريكٍ وتسكين ، وتدبيرٍ وتصريف ، وإحياءٍ وإماتة ، وخيرٍ وشر ، كل ذلك واقعٌ بمشيئة الله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

والكفار يقولون إن كفرهم، وتحريم ما أحل الله، واقعٌ بمشيئة الله ، والله قادرٌ على أن يمنعنا منه ، ولما تركنا عليه ولم يمنعنا منه عرفنا أنه راضٍ عنه ، إذ لو كان لا يرضيه لمنعنا منه ، وهذا فيه حقٌ وباطل ، فكون الكفر والتحريم واقعٌ بمشيئة الله هذا حق ، وكون ذلك يدل على رضاه فهذا باطل ، وهذا محل الكفر منهم ، لأن الله لا يرضى لعباده الكفر ولا الشرك ، ولا يحبه كما قال سبحانه: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر: ٧].

والله قد يريد ما لا يرضاه لحكمة ، لأنه لا يرضيه سبحانه إلا الإيمان والعمل الصالح ، ولا يقع في ملكه إلا ما أراده وقدره وأذن به من خلقٍ أو قولٍ أو فعلٍ أو خيرٍ أو شر ، كما قال سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٨ – ١٤٩] .

والعبد مخلوق لا يمكن أن يخلق أفعاله بدون مشيئة الله وإذنه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] .

فالله خالق الإنسان، وخالق أفعاله ، وخالق كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ومن ظن أنه يقع في ملك الله شيءٌ بدون مشيئته فهذا أعظم الكفر والقدح في ربوبية الله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]

وقال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والله عز وجل يعم جميع الخلق بدعوتهم إلى الدين، ثم يخص بالتوفيق والهداية من شاء، فالدعوة إلى الخير عامة، والتوفيق خاص: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

والله عز وجل هو خير الفاتحين، وهو خير الماكرين، والمكر هو إخفاء الكيد ليوصل الشر إلى غيره في خفاء، وهذا في حق بني آدم، وخير الماكرين هو الله جل جلاله؛ لأن مكر الله بالغٌ من الجلال والجمال والحسن ما لا يخفى؛ لأنه سبحانه لا يوصل الشر إلا لمن يستحق الشر، ولا يدفع الشر إلا عمن هو أهلٌ أن يدفع عنه الشر؛ لأنه هو الحكيم العليم بعباده: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠].

أما الكفار والمنافقون فكيدهم أشر شيء، وأقبح شيء، لأن مكرهم يوصل الشر إلى من استحق الخير، ويدفع الخير عمن يستحق الخير كما قال الله عنهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠].

وكل ماكر، الله محيطٌ به وبمكره: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦].

والله عز وجل هو الملك الحق ، الذي له ملك الدنيا والآخرة ، ورؤية الله جل جلاله في الدنيا جائزةٌ عقلًا ، غير واقعةٍ شرعًا .

أما جوازها عقلًا، فلأن موسى ﷺ طلبها من ربه كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

فرؤية الله في الدنيا جائزةٌ عقلًا ، والذي منع منها عجز الآدميين عن تحملها، لأن الله لما تجلى للجبل العظيم الصلب اندك الجبل وتفتت ، فكيف يتحملها اللحم والدم ؟ ولهذا نفاها الله في الدنيا ، فقال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

أما في الآخرة فهي واقعةٌ شرعًا، وجائزةٌ عقلًا ، ولكن رؤية الله بلا إحاطة ، لأن الله محيطٌ بكل شيء، ولا يحيط به شيء: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

وقال النبي ﷺ لأصحابه حين سألوه هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ، قَالُوا : لاَ ، قَالَ : وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ : قَالُوا : لاَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ». متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦/ ٢٩٦٨).

أفعال الله ﷻ نوعان :

النوع الأول: أفعالٌ لازمة تتعلق بذاته، كالاستواء والنزول والمجيء والإتيان ونحوها ، كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾[الفجر: ٢٢] .

فهذه نثبتها لله بما يليق بجلاله، ولا نعلم كيفيتها ، فكما لا نعلم كيفية ذاته ، كذلك لا نعرف كيفية صفاته ، ولا كيفية أفعاله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝١١٠﴾[طه: ١١٠] .

الثاني: أفعال متكررة تتعلق بخلقه، مثل الخلق والرزق، والهداية، والإضلال ونحوها : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾[الزمر: ٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾[سبأ:٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[النحل: ٩٣] .

فهذه كذلك نثبتها لله على ما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ، فكما لا نعلم كيفية ذاته لا نعلم كيفية صفاته وأفعاله جل جلاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى: ١١] .

فالله يقلب الليل والنهار ، والحر والبرد ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، والسلم والحرب ، والأمن والخوف ، لإظهار كمال قدرته، وكمال علمه، وقوة سلطانه ، فإذا عرف العبد ذلك كان أقرب إلى خشية الله، والتضرع إليه، والانكسار بين يديه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فإذا عرفتم ذلك عبدتموه وحده، لما ترون من عظيم جلاله وجماله، وعظيم نعمه وإحسانه، وعظمة ملكه ، وسلطانه، وخلقه وأمره .

ومن وجوه الحكمة أن الله عز وجل يبتلي عباده بالطاعات ، والأوامر، في مختلف الأحوال من أمن وخوف، وغنى وفقر ، وصحة ومرض ، لتتجلى عبوديتهم لله في حال السراء والضراء: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

والله ﷻ له وحده الخلق والأمر وأمر الله سبحانه نوعان :

الأول : أمرٌ كوني قدري تعلقت به مشيئته الكونية، كأوامر الخلق، والتدبير والتصريف في الكون: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فما قدره الله لابد أن يكون، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه .

الثاني : أمرٌ دينيٌ شرعي تعلقت به محبته ، فكل ما حصل من طاعات العباد تعلقت به مشيئة الله الكونية ، وتعلقت به كذلك محبة الله الشرعية ، فهو

محبوب للرب، واقع بمشيئته ، وما لم يحصل من الطاعات تعلقت به محبة الله الشرعية، دون مشيئته الكونية فلم تقع ؛ لأن الله لم يشاءه كونًا .

وما وقع من المعاصي تعلقت به مشيئة الله الكونية، دون محبته الشرعية ، فالله لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، وما لم يقع من المعاصي تعلقت به محبة الله الشرعية، فإن الله لا يحب المعاصي، ولا يحب الكفر، دون مشيئته الكونية .

وأفعال العباد تنسب إلى الله خلقًا، وتنسب إلى العباد كسبًا، لأمرين :

الأول : أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية، وقدرة بدنية، والذي خلق ذلك هو الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .

الثاني : أن فعل العبد من صفاته ، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] .

فما فعله العبد من خير أو شر فهو كسبه ، ليتعرض لجزائه من الثواب أو العقاب ، لأنه فعله، مسندٌ إليه شرعًا وعقلًا وحسًا، فعله بمحض اختياره على علم بعاقبته، مستعملًا القدرة التي منحه الله إياها ، فإذا أطاع الله فطاعته وثوابه من فضل الله عليه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

ومن عصى فمعصيته باختياره، وعقوبته من عدل الله فيه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

الفرق بين صفات الله الذاتية والفعلية :

الصفات الذاتية كالحي لا تعلق لها بالمشيئة .

والفعلية هي التي لها تعلق بالمشيئة إن شاء الله فعلها وإن شاء لم يفعلها ، كالخلق والرزق ونحوها .

فالحي صفة ذاتية، لا تنفك عن الله أبدًا ، أما الخلق فهي صفة فعلية، إن شاء خلق، وإن شاء رزق، وإن شاء منع، وإن شاء أعطى .

وصفة الذات لا يوجد لها مقابل في الأسماء ، وصفات الفعل هي التي يوجد لها مقابل في الأسماء ، فإذا قلنا الله حي فهي صفة ذات ، وإن قلنا الله "يحيي" فهي صفة فعل ، يحيي هذا، ويميت هذا ، لأنها تقتضي أن يكون مميتًا : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

وكل شيء لا يكون إلا بمشيئة الله وحده، ومشيئة الإنسان تحت مشيئة الله، والناس أحرار في اختيارهم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣١] .

ومن ظن أن له مشيئة من دون الله فيقال له أخلقك الله كما شئت أو كما شاء ؟ أخلقك الله لما شاء أو لما شئت؟، أرزقك الله كما شئت أو كما شاء؟، ويوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء ؟ .

والله عز وجل خلق الكون كله، وجعل فيه سنناً تستجيب للمؤمن والكافر، وذلك عطاء الربوبية لكل الخلق في الخلق والرزق ونحوهما: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١] .

ثم أنزل الله تكليفًا هو الشرع، بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ودعا الناس إليه، ورغبهم فيه، وحذرهم من مخالفته، وقال أنا أحب كذا، وأكره كذا، وافعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا ، فالذي يحبني يطيع أمري، ويفوز بثوابي، ومن عصاني نال عقوبتي: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ

كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۢ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

فمناط الربوبية خلق ورزق، وإحياء وإماتة ، وعطاء ومنع، ومناط الإلوهية تكليف وتشريف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

فالله هو الفعال لما يشاء، والإنسان يوجه الطاقة التي وهبها الله له فإن وجهها إلى خير أثابه الله ، وإن وجهها إلى شر عاقبه الله والكل مسجل : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨] .

فالفاعل الحقيقي لكل شيء هو الله ، والمخلوق يوجه الفعل بما وهبه الله من الاختيار ، فثواب الإنسان وعقابه لا على إنه فعل، بل لأنه وجه الفعل إلى كذا أو كذا، فاليد مثلا مخلوقة إن عملت بها خيرًا أثابك الله، وإن سرقت بها عاقبك ، واللسان مخلوق إن شهدت به أنه لا إله إلا الله أثابك الله، وإن اغتبت به عاقبك الله وهكذا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .

٤- الإيمان بين معرفة الرب، ومعرفة العبد

الله ﷻ هو الملك الحق، وكل ما سواه عبيد له ، والله ﷻ غني عن كل أحد، والإنسان محتاج إلى كل شيء ، وإرادة الإنسان هي نزوع نفسه إلى شيء يكمل ضعفه ، وحاجته ونقصه، بأكل أو شرب أو ركوب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

وخلق الله الإنسان ضعيفًا، ليستعين بربه الخالق القوي، وإرادة الله هي حكمه على الشيء، فإذا حكم فلا راد لحكمه ، ولا راد لقضائه، فكل شيء في ملكه، وكل شيء من مخلوقاته، مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، وخاضع لأمره: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] .

وكل المخلوقات مسخرة، والإنس والجن مخيرون، وإرادة الله مع المسخرات أمر ، ومع المخيرات سماح بالفعل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

فسبحان الحكيم الخبير القدير، الذي يسوق بإرادته ظالمًا لظالم ، ومنحرفًا لمنحرف ، ويسوق من لا يعرفه إلى من يعرفه، إذا عصاه ليؤدبه .

وإرادة الله مع الإنس والجن إرادة سماح بالفعل، فيسمح للإنسان أن يفعل عندما تعلو الشهوة والإصرار، ويصرفه عن الشهوة المنحرفة رحمة به إذا لم يكن هناك إصرار، وإذا أطلق الله هذا الإنسان يفعل ما يشاء يطلقه على من

يستحق التسليط ليؤدبه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[الأنعام: ٤٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام: ٤٣] .

وإذا أراد الله هداية أحد أو إضلاله فتلك هي الإرادة الجزائية المبنية على إرادة الإنسان الاختيارية: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٥] .

فمن أراد الهداية واختارها أعانه الله، وشرح صدره للإسلام: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨]

ومن أراد الضلال ضيق الله عليه نفسه، وعسر أموره، وهذا كله من رحمة الله بالعبد ليفوز ويتوب إلى ربه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٤٣]

وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء ، يقلب القلب لصالح العبد ، فإذا شاء العبد الهدى شرح الله صدره للهدى، وإذا شاء الضلالة ضيق الله صدره، ليكف عن الشر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢٤] .

فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي يريد بعباده كل خير ، ولهذا جعل القلوب كلها بيده لشدة رحمته بعباده: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٦ – ٢٨] .

والله ﷻ هو الهادي الذي أعطى للإنسان حرية الاختيار ، فمن شاء الهدى هداه الله إلى صراط يؤدي إلى دار السلام: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥] .

وهو جل جلاله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۚ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣] .

هو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء عن طريق آياته ومخلوقاته في هذا الكون العظيم ، وعن طريق أسمائه وصفاته ، وعن طريق نعمه وآلائه ، وعن طريق كتبه المنزلة ، وعن طريق رسله المرسلة: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥٢ – ٥٣] .

وباب الكون أوسع أبواب الهدى، فبالخلق نهتدي إلى الخالق ، وبالصور نهتدي إلى المصور، وبالرزق نهتدي إلى الرزاق: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٧] .

ففي الكون نرى الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم ، والقهار يقهر ، والكريم يحسن، والتواب يتوب ، فالهدى عن طريق المخلوقات أقرب طرق الهدى، ولهذا أمرنا الله عز وجل بالنظر والتفكر والتدبر في الآيات الكونية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

هو سبحانه الهادي إذا هداك بخلقه ، فالهادي اسم من أسماء الأفعال وإذا هداك بكلامه فهو اسم من أسماء ذاته: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١] .

فالكون باب إلى معرفة الله عز وجل، والقرآن هادي إليه ، لكن الكون لغة عالمية يراه ويقرؤه ويفهمه كل إنسان ، ومن آياته السماء والأرض، والشمس والقمر، والماء والنار، والجبال والبحار، والنبات والحيوان وغيرها: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ

وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧] .

لكن القرآن لا يقرؤه إلا العربي وهو باب عظيم من أعظم أبواب الهدى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ١ – ٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] .

ولابد للمسلم من الاهتداء بهذا، وهذا ، فالكون كتاب الآيات والمخلوقات العظيمة ، والقرآن كتاب العلوم والأخبار، والأوامر والنواهي: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩].

فبالكون تعرف ربك، وبالقرآن تعبده ، فالكون دله عليك، والقرآن يبين لك منهجه وأمره ونهيه: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

هو سبحانه الهادي بخلقه، الهادي بكلامه ، الهادي بأفعاله ، فأنفق ينفق عليك ، وارحم الناس يرحمك الله ، وأحسن يحسن الله إليك .

فسبحان من يهدي إليه تارة بخلقه، وتارة بكلامه، وتارة بأفعاله ، وتارة بالفطرة ، وتارة بالإلهام، وتارة بالرؤية، وتارة بالأشخاص، وتارة بالانشراح، وتارة بالتيسير، وتارة بالتعسير: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧] .

كلمات الله ﷻ نوعان :

الأولى : كلماتٌ قدرية ، وهي الكلمات التي بها يخلق ويرزق ، ويرفع ويخفض ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] .

الثانية : كلماتٌ شرعية ، وهي ما أنزل الله على رسله من الكتب والأوامر والنواهي: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥] .

والكلمات الشرعية كلها صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام، فهي خيرٌ محض .

أما الكلمات القدرية فهي خير في ذاتها والشر معها يتعلق بالمخلوقات لا بها: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١ – ٦] .

فالخير كله بيد الله عز وجل والشر ليس إلى الله، فأفعاله سبحانه كلها خيرٌ لا شر فيها، وإنما الشر في مخلوقاته التي خلقها في غاية الحكمة والرحمة،

والعدل والإحسان: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وما خلق الله قسمان :

الأول : مخلوقات لا شر فيها ، كالملائكة والأنبياء والرسل والجنة .

الثاني : مخلوقات فيها شرٌ وضرر ، كالهوام والسباع، والجن والإنس والشياطين، والنار والرياح ، فهذه المخلوقات التي فيها خير وشر نستعيذ بالله من شرها .

ففي سورة الفلق استعاذة برب الناس من الشر الخارجي ، وهو أربعة شرور، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق: ١ – ٥] .

ولم يذكر الله من أسمائه في هذه السورة إلا اسم الرب ، وفي سورة الناس استعاذة بثلاثة أسماء من أسماء الله هي الرب ، والملك ، والإله، من شرٍ واحد هو الشيطان ، الذي هو الشر الداخلي، والذي هو سبب كل شر، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦] .

وفي هذا بيان أن الشيطان أخطر عدو ، فمن آمن بالله فلا يخاف ما سواه ، فهو رب بيده ملكوت كل شيء ، ملك يحميه من كل عدو ، وإله يحبه ،

ويسأله ما يريد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

والله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت ، وله ملك الملوك ، وما يملكون: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

والملك من البشر هو الذي يحكم ولا يملك، والمالك هو الذي يملك ولا يحكم، والله سبحانه هو الملك المالك المليك، الرحيم اللطيف بعباده ، فالله سبحانه مالك الملك والملكوت فهو يملك كل شيء ويملك التصرف فيه ، ومصير كل شيء إليه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦] .

فكل شيء فيك أو لك أو عندك هو ملك لله عز وجل، سمح لك في هذه الدنيا أن تتصرف فيه في حياتك، ثم يعود إليه فمالك ودارك وسيارتك وكل ما في دارك لله في يدك: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

والملك الحق هو الله الذي استغنى بذاته وصفاته عن كل موجود سواه ، ويحتاج إليه كل موجود ، ففي الكون اثنان ، ملك وعبيد ، وكل مخلوق مفتقر إلى ربه في خلقه وبقائه، وإمداده وتدبيره، وحركته وسكونه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] .

والملك الحقيقي من البشر هو الذي يملك هواه، ولا يملكه هواه، هو الذي ملك نفسه وسخرها في طاعة الله، هو الملك الذي أُعتق من أسر نفسه، وليس ملكًا لنفسه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١] .

والملك نوعان :

الأول: مَلك يؤتيه الله من يشاء من عباده وهذا ملك زائل .

الثاني : ملك الحقيقي هو أن يملك الإنسان نفسه عن الهوى والمعاصي، ويحملها على الإيمان والتقوى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ – ١٠] .

فإذا ملكت نفسك وهواك، وشهواتك وجوارحك ، فأنت ملك .

وإذا قادتك نفسك وهواك، وشهواتك وجوارحك، إلى معصية الله فأنت مملوك لمملوك مخلوق:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وشتان بين الملك والمملوك، ولن ينفع الإنسان ملك العالم كله إذا لم يملك نفسه، ويحملها على طاعة مولاه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥] .

وكل إنسان تقف له مدمرتان مهلكتان هما المال والنساء ، وكل إنسان إما أن يكون عبدًا لله ، أو عبدًا لعبد الله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

والملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء، ولا ينازعه معارض ولا يمانعه ناقد: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

هو الملك الذي يدور بحكمه الفلك ، وله الملك والملكوت ، والمؤمن من أعظم ملوك الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥].

فمن كان مؤمنًا مستقيمًا مالكًا لهواه وشهواته ، فقد وعده الله في الدنيا بالخلافة في الأرض: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ

بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦] .

أما في الآخرة فهو ملك من ملوك الدار الآخرة في ملك كبير بجوار الملك الحق: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥].

فالله جل جلاله هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت .

والملك أنواع :

١-ملك النبوة والرسالة .

٢-ملك العلم .

٣-ملك العقل .

٤-ملك العافية .

٥- ملك الجاه .

٦- ملك الأموال .

٧- ملك القدرة .

٨- ملك الجمال .

٩- ملك القوة .

١٠- ملك العزة .

وأعظم أنواع الملك ملك النبوة والرسالة.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤] .

فأعظم الملك ملك النبوة والرسالة ؛ لأن الأنبياء والعلماء لهم أمر على بواطن الناس وظواهرهم، أما الجبابرة فلهم أمر على ظواهر الناس لا بواطنهم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤] .

والله سبحانه يؤتي ملكه من يشاء ، فالله جعل النبوة والملك في بني إسرائيل ، فلما نقضوا العهد نقلها إلى نسل إسماعيل ، لمحمد ﷺ، ونزعها منهم، وسلط عليهم فرعون، حتى نقل هذا الملك العظيم وهذه النبوة العظيمة إلى هذه الأمة:: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فسبحان الملك الحق الذي يُملك من يشاء ملك الدنيا، أو ملك الآخرة، أو ملك الدنيا والآخرة ، لا اله غيره ولا رب سواه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

٥- التدبر والتفكر يزيد الإيمان بالله عز وجل

الله ﷻ خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وجميعها تحت أمره: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

ومن هذه المخلوقات العظيمة ما هو مسخر، ولا خيار له ، وهو عام الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الملائكة:: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤] .

ومنها ما هو مختار يفعل ما يشاء، وهما الثقلان الجن والإنس:﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣ ﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣] .

والإنس والجن هم الذين أرسل الله إليهم الرسل بالحق ، فمن اختار الحق دخل الجنة ، ومن اختار الباطل دخل النار: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا

لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

وقد سخر الله جميع ما في الكون للإنسان، لأنه يحمل الأمانة :﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [لقمان: ٢٠].

فالجماد خاضعٌ خادمٌ لمن فوقه ، من النبات والحيوان والإنسان ، والنبات خاضعٌ وخادمٌ لمن فوقه من الحيوان والإنسان ، والحيوان خاضعٌ وخادمٌ لمن فوقه وهو الإنسان ، فكل مخلوق يخضع ويطيع من هو أعلى منه ، وكذلك الإنسان يجب أن يخضع لربه الذي خلقه ورزقه، وهداه واجتباه، وكرمه واصطفاه:﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] .

فكما أخضع الله له المخلوقات التي تخدمه ، فيجب عليه أن يخضع لربه الذي خلقه وهداه، ورزقه واجتباه، وكرمه واصطفاه ، فكما أخضع الله له المخلوقات التي تخدمه فيجب عليه أن يخضع لربه الذي خلقه وهداه ورزقه واجتباه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وإذا كان خلق اليد أو الرجل أو السمع والبصر وكل عضو له حكمة يؤديها، فكذلك خلق كامل البدن له حكمة وغاية وهي عبادة الله عز وجل،

والخضوع له، وامتثال أوامره، وطاعته وطاعة رسوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

والله عز وجل لا يجري شيء في ملكه إلا بإذنه ، وعلمه وأمره .

وإذن الله تعالى نوعان :

الأول : إذنٌ كوني قدري، وهو المتعلق بالخلق والتكوين ، وهذا لابد من وقوعه كما قال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

الثاني : إذن شرعي، وهو ما يتعلق بالشرع والعبادة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[يونس: ٥٩] .

والفرق بين الإذن القدري، والإذن الشرعي أن المأذون به شرعًا قد يقع وقد لا يقع من العبد ، أما المأذون به قدرًا فواقع لا محالة:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس: ٨٢ – ٨٣] .

ومن جهة أخرى فالمأذون به شرعًا محبوب لله عز وجل، والمأذون به قدراً قد يكون محبوبًا، وقد يكون مكروهًا كالإيمان والكفر والخير والشر والنعم والمصائب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨] .

أقسام حكم الله عز وجل:

حكم الله الذي يجريه في هذا الكون ثلاثة أقسام :

الأول : حكمٌ كوني قدري ، كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٠] .

الثاني : حكمٌ شرعي كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٠] .

الثالث : حكمٌ جزائي، وهو ثمرة الحكم الشرعي ، لأنه مبني عليه إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر ، ويكون يوم القيامة، وهو في حقوق الله بالفضل ، وفي حقوق العباد فيما بينهم بالعدل ، والحكم يوم القيامة لله وحده العلي الكبير: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١١٣] .

أقسام آيات الله :

آيات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :

الأول : آيات شرعية، وهي ما جاءت به الرسل من الله من الشرع .

الثاني : آيات كونية، وهي الكائنات التي خلقها الله في السماوات والأرض من الشمس والقمر، والجماد والنبات، والبحار والجبال، والحيوان والإنسان .

وكون ما جاءت به الرسل من الآيات آية أنه لا يمكن لأحدٍ من البشر أن يأتي بمثلها: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وكون جميع المخلوقات التي خلقها الله آية أنه لا يمكن لأحد من البشر أن يخلق مثلها: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٢] .

وإرادة الله ﷻ نوعان :

الأولى : إرادة كونية بمعنى المشيئة ، ويلزم منها وقوع المراد ، سواء كان مما يحبه الله أو مما لا يحبه الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

الثانية : إرادة شرعية بمعنى المحبة ، ولا يلزم منها وقوع المراد ، ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله ، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٧ – ٢٨] .

والفرق بين الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية، من ثلاثة أجه:

الأول : من حيث المعنى، الإرادة الكونية بمعنى المشيئة، والإرادة الشرعية بمعنى المحبة .

الثاني : من حيث المتعلق، الإرادة الكونية تتعلق فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه ، والإرادة الشرعية تتعلق فيما يحبه الله فقط ، فالله أراد الكفر كونًا، ولم يرده شرعًا ، لأنه لا يحبه ، فالله لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر به، ولا يحبه ، وكذا الله لا يحب الفساد، ولا يحب الظلم .

الثالث : من حيث الأثر الإرادة الكونية لابد فيها من وقوع المراد ، لأن الله لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه ، والإرادة الشرعية قد يقع المراد، وقد لا يقع ، فإن الله قد أمر بالإيمان، وبالعبادة له وحده لا شريك له، ومن الناس من آمن، ومنهم من كفر: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[النحل: ٣٦] .

فالإرادة الشرعية قد يقع المراد ، وقد لا يقع ، فإيمان أبي بكر مراد كونًا وشرعًا ، وإيمان أبي طالب مراد شرعًا لا كونًا، ولذلك لم يقع ، وفسق الفاسق، وكفر الكافر، مراد كونًا لا شرعًا ، ولذلك وقع: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان: ٢ – ٣] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي يدبر الأمر في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي، وفي الدنيا وفي الآخرة ، والله جل جلاله هو الذي بيده الملك

كله ، وله الأمر كله، وله الخلق كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣] .

والتدبير هو النظر في عواقب الأمور ، والتفكر في نتائجها ، والإنسان العاقل هو الذي يخاف بعقله، والإنسان الغافل هو الذي يخاف ببصره والحيوان كله يخاف بعينه ، والعقل يريك النتيجة قبل أن تصل إليها: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

والله سبحانه وحده هو الذي يدبر الأمر في ملكه وملكوته ، يدبر الأمر في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، وفي العالم العلوي وفي العالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ قال الله تعالى: عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

يدبر الرياح، ويدبر المياه ، ويدبر الذوات ويدبر النطفة في الأرحام، ويدبر النجوم في السماء ، ويدبر الكلام في اللسان، ويدبر السمع في الأذن: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس:٣١–٣٢].

فسبحان الملك الحق الذي يدبر الأمر ، ويوفق بين أوائل الأمور وعواقبها ، ويصل المقدمات بالنتائج ، فهذه الشمس في المشرق، ثم صارت في المغرب ، وهذا نهار جاء بعده ليل، وهذا حر جاء بعده برد، وهذه عافية جاء بعدها مرض ، وهذه حبة صارت شجرة ، وهذه شجرة أخرجت ثمرة ، وهذه نطفة صارت إنسانًا ، وهذا الإنسان صار عاقلًا عالمًا، سميعًا بصيرًا ، وهذه رغبة في الزواج ، والنتيجة زوجة وبنين وبنات ، وهذا عمل بشري والنتائج تجارةٌ رابحة أو خسارةٌ فادحة .

يدبر الأمر جل جلاله في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٥ – ٧] .

فسبحان الملك الحق الذي يدبر الأمر في جميع ملكه ، بيده التدبير المادي فهو الذي يمد خلقه بما يحتاجون من الطعام والشراب، والهواء والماء، والنور والظلام، وبيده التدبير الروحي فهو الذي يهدي عباده إلى الحق ويوصلهم إليه بما شاء فأحيانًا يبعث إلى العاصي من ينصحه، وأحيانًا يبعث إليه من يضغط عليه .

وأحيانًا يسوق له شدة ويخيفه، وأحيانًا يجمعه بمن يعطف عليه ، وأحيانًا يرزقه من فضله كي يستحي منه ، وأحيانًا يقتر عليه ليفر إليه ، وأحيانًا يبتليه بمرض ثم يشفيه ليبين له فضله عليه:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

هو الله الذي يدبر الأمر وحده ، فيعطي هذا الإنسان ذكاء، وهذا علمًا، وهذا جاهًا، وهذا خلقًا ، يعطي كل إنسان ما ينفعه ويناسبه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فهو الحكيم الذي يدبر الأمر، ويعطي الإنسان الشيء المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب، من النوع المناسب: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: ١] .

هو القادر على كل شيء، وكل ما يقع في الكون من خلق، أو حركة، أو سكون ، أو حياة، أو موت، فهو واقعٌ بإرادة الله ومشيئته لأنه وحده الذي يدبر الأمر كله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

وقال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] .

فسبحان الرب القوي القادر الذي يدبر الأمر كله، فأرسى الأرض بالجبال، ورفع السماء بلا عمد ، وملأ الشمس بالنور بلا حطب ، وأنبت الحب في الثرى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١] .

وسبحان الرب العظيم الحق، الذي ينطق كل شيء في ملكه بحسن تدبيره، وتصريفه، وجمال خلقه، وإبداعه وتصويره ، ويشهد له بوحدانيته، ويسبح بحمده، ويخضع لأمره: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وإذا جعلك الله خليفة في الأرض، فيجب عليك أن تدبر أمورك حسب توجيه ربك ، فتدبر نفسك بالاستقامة على أوامر الله: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

فأنت كأب يجب عليك أن تدبر أمر أسرتك وأولادك وأعمالك بما أمرك الله به ، وأنت كحاكم عليك أن تدبر أمر رعيتك بما أمرك الله به ، وأنت كطبيب يجب عليك أن تدبر أمر مرضاك حسب معرفتك، وأنت كعالم يجب عليك أن تدبر أمر عباد الله بالشرع .

فالله وحده هو الذي يدبر الأمر ، وأنت خليفة في الأرض، وكلك بتدبير أمور الناس حسب أمره: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود: ١٢٣] .

والله وحده مدبر الكون ومن فيه، وقد جعلك خليفة في الأرض، فإذا وكلك بأسرة فكن لها مدبرًا، وإذا وكلك بطلابٍ فكن لهم مدبرًا، فالله يدبر كل من دونه ، وقد وكلك أن تدبر من دونك:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص: ٢٦] .

الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له ما في السموات وما في الأرض من المياه ، والرياح، والنور، والجماد، والنبات، والحيوان، والمسخُر له أكرم من المسخَر، والمسخر له وهو الإنسان ، والمسخرَ له هو كل ما في السموات وما في الأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

فالإنسان لما قبل حمل الأمانة كرمه الله ، وسخر له المخلوقات كلها، فالجبال مسخرة له ، والمياه مسخرة له ، والبحر مسخر له ، والحديد مسخر له ، والنبات مسخر له ، والأرض مسخرة له ، وقد سخر الله جميع الثمار للإنسان فجعل طعمها طيبًا ، وشكلها جميلاً، ورائحتها عطرة ، ومذاقها حلوًا ، وملأها بالمنافع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

والله عز وجل سخر لنا الشمس والقمر ، وما في البر والبحر ، وما في السماء والأرض: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤] .

وتسخير الله للكون نوعان :

أحدهما: تسخير تعريف يثمر الإيمان بالله ويزيده .

الثاني: تسخير تكريم يوجب الشكر لمن سخره .

فما نراه في الكون من السموات والأرض، والجبال والبحار ، والشمس والقمر، والماء والهواء، والجماد والنبات والحيوان آياتٌ كونية تدل على عظمة الله ، وتزيد الإيمان: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا

وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ – ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] .

وتسخير التكريم ما نراه من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، والتي كلها مسخرة من الله للإنسان وبين يديه يفعل بها ما يشاء .

فتسخير التعريف يجلب الإيمان ويزيده ، وتسخير التكريم يوجب على العبد الشكر لمن سخره له، كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] .

فسبحان من سخر لنا كل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٢ – ١٣] .

وصفة التسخير تدور معنا في كل ثانية من حياتنا: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: ٤ – ٥] .

فسبحان الرب الكريم الذي سخر لنا ما في السموات وما في الأرض، لنتفرغ لعبادته ، وذكره ، وشكره ، وحمده: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل: ١٠ – ١٥] .

فهذا التسخير العظيم لعلكم تعرفون ربكم، وتعبدون ربكم ، وتتقونه ، وتحمدونه ، وتشكرونه ، وتكبرونه ، وتعظمونه: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾

[النحل: ١٧ – ١٨] .

٦- معرفة الربوبية طريق العبودية

في الوجود اثنان :

الأول : واجب الوجود لذاته، وهو الله عز وجل، الغني عن كل ما سواه .

والثاني : ممكن الوجود، وهو كل ما سوى الله من العوالم في العالم العلوي ، والعالم السفلى ، وكل ما سوى الله خلقه الله محتاجاً إلى الله، فوجود كل شيء سوى الله يدل على وجود الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

وكل ما سوى الله إما أن يكون مخلوقاً متحيزًا كالأجسام ، والسموات والأرض ، والجبال ، أو صفة للمتحيز من طولِ وعرضِ كصفات الأجسام ، أو لا يكون متحيزًا ، ولا صفة للمتحيز، كالأرواح العلوية، وهم الملائكة ، والأرواح السفلية الخيرة كصالحي الجن، أو الأرواح السفلية الشريرة، الشياطين .

وكل ما سوى الله عبدً لله في خلقه وقوته ، وكل ما سوى الله محتاجٌ إلى الله الذي لا يحتاج إلى أحد:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والمربى على قسمين :

أحدهما : رب يربى غيره ليربح عليه المربى، وهو المخلوق .

الثاني : رب يربى غيره ليربح عليه المربىَ، وهو الله سبحانه .

فالأول تربية الخلق، لأنهم إنما يربون غيرهم، ليربحوا عليه ثوابًا أو ثناءً أو مالًا .

والثاني وهو الحق سبحانه، الذي يربى خلقه ، ويحسن إليهم لمصلحتهم لا ليربح عليهم، لأنه الغنى عن كل ما سواه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والله عز وجل لأنه هو الرب المربى الذي لا يربح على غيره شيئًا ، أثنى على نفسه قبل أن يثنى عليه خلقه فقال: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] .

وتربية الله تختلف عن تربية غيره من البشر من وجوه :

الأول : أن تربية الرب لعباده لا لغرض نفسه، بل لمصلحتهم ، وغيره يربى لغرض نفسه، لا لغرض غيره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

الثاني : أن الله يربى ، ولا تنقص خزائنه ، وغيره يربى وتنقص خزائنه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤] .

الثالث : أن الله يفرح بإلحاح الفقير بسؤاله ويحبه ، وغيره من المحسنين من البشر إذا ألح عليه الفقير أبغضه ، وحرمه .

الرابع : أن الله عز وجل يعطى عبده قبل السؤال وبعد السؤال ، فهو الذي رباك حين كنت جنينًا في بطن أمك، ورزقك ، وأحسن إليك مع أنك ما سألته، أما غيره من المحسنين فلا يعطيك شيئاً إلا إذا طلبته منه غالبًا .

الخامس : أن الله عز وجل أوصل إحسانه إلى عموم خلقه في كل آنٍ ومكان:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

أما غيره من المحسنين فيخص إحسانه بقوم دون قوم، فمن يرجو نفعه، أو دفع شره .

السادس : أن إحسان الله إلى خلقه لا ينقطع أبدًا ، أما غيره من المحسنين فينقطع إحسانه إما بسبب الفقر أو الغيبة أو الموت .

فلهذا كله ثبت أن الله عز وجل هو رب العالمين الذي يربيهم بالنعم المادية ، والنعم الروحية ، والمحسن إلى خلقه أجمعين برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، ولهذا استحق الحمد وحده ، والعبادة وحده لا شريك له : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧]

جهات التعظيم :

الله عز وجل هو العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى في السموات والأرض .

وجهات التعظيم بين البشر أربع، فالذي يحمد، ويعظم، ويشكر، ويكبر من الخلق في الدنيا يعظم لأربعة أمور :

١ –أما لكونه كاملًا في ذاته وصفاته ، منزه عن النقائص والآفات .

٢ –وإما لكونه محسنًا إليك وإلى غيرك .

٣ –وأما لأنك ترجو وصوله إحسانه إليك في المستقبل .

٤-وإما لأنك خائف من قهره ، وسطوته في المستقبل .

فهذه هي الجهات الموجبة للتعظيم بين الخلق ، ولا يستحق التعظيم المطلق على وجه الكمال إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فكأن الله عز وجل يقول لعباده : إن كنتم ممن يعظمون الكمال الذاتي فاحمدوني فإني أنا الله رب العالمين: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] .

وإن كنتم ممن يعظمون الإحسان والإنعام فأنا رب العالمين: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وإن كنتم ممن يعظمون للطمع في المستقبل فأنا الرحمن الرحيم ، وإن كنتم تعظمون للخوف فأنا مالك يوم الدين ، فسبحان الله على عظمة كلام الله عز وجل: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٥] .

والله سبحانه وجوه تربيته لخلقه كثيرة غير متناهية، فالله رب العالمين، ورب كل مخلوق يربيه ظاهرًا ، وباطنًا ، إيجادًا ، وإمدادًا ، وإسعادًا: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ

ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة: ٦ – ٩] .

فالإنسان خلقه الله من نطفه نزلت من صلب الأب، إلى رحم الأم، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم تولد منها بإذن ربها أعضاءٌ مختلفة من العظام ، والأعصاب ، والعروق، والأوردة ، والشرايين .

ثم اتصل البعض بالبعض، ثم حصل في كل عضو نوع خاص من أنواع القوى فحصلت القوة العاقلة في الدماغ ، وحصلت القوة الباصرة في العين ، وحصلت القوة السامعة في الأذن ، وحصلت القوة الناطقة في اللسان ، وحصلت القوة الهاضمة في المعدة وهكذا ، وكل ذلك يدل على عظمة تربية الله تعالى للإنسان: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٦]

هذا بالنسبة للإنسان، أما النبات فالحبة الواحدة منه إذا وقعت في الأرض، وسقيت بالماء، انتفخت ، وانشقت من أعلاها وأسفلها ، أما الشق الأعلى من النبات فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة ، فيحصل منه الساق، ثم الأغصان، ثم الأوراق، ثم الثمار المختلفة الحجم ، واللون ، والطعم .

وأما الجزء الأسفل فيخرج منه العروق التي تغوص في الأرض ، والله يربيها في كل الأحوال من أجل الإنسان: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم خلقه لعالم النبات بأنواعه وألوانه، وأحجامه، وطعومه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٩] .

أما خلق العالم العلوي فالله عز وجل خلق السموات والأرض، والنجومَ ، والأفلاك ، والشمس ، والقمر لحصول مصالح الخلق، فخلق الليل والنهار ، الليل للراحة والسكون ، والنهار للمعاش والحركة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

فأسماء الله وصفاته وأفعاله وأقداره في منتهى الحكمة ، والرحمة ، والعدل والإحسان ، ومنتهى الجلال والجمال ، وكل أحد ينظر إلى أفعال الله بحسب الإيمان أو الكفر .

فالمؤمن يستقبل كل ما يأتي عن الله بحسب ما في قلبه من الإيمان بالله عز وجل، فيرى جميع ما يأتيه من الله من ثمرات الإيمان بالله، من علم نافع ، ورزق واسع ، وعمل صالح ، لأنه أمن بالله ربًا يربيه أحسن تربية يعطيه ما ينفعه ، ويصرف عنه ما يضره ، ويأمره بما يسعده ، وينهاه عن ما يشقيه ويؤذيه ، ويقبل كل ما جاء عن طريقه، ويراه حقاً جاء من حق ، فهم ذلك أو لم يفهمه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

أما الكافر فالوحي واحد، ولكن القابل مختلف ، والقابل هو القلب ، والله هو الفاعل جل جلاله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

فالقرآن واحد، والقلب مختلف وهو القابل ، فالكافر يستنكر كل شيء من الأقدار ، والمخلوقات، والدين، والقرآن:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ

مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦ – ٢٧] .

وقال الله عز وجل عن الكافر: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾ [العاديات: ٦ – ٧] .

والله ﷻ هو الرحمن الرحيم بعباده ، هو ذو الرحمة الواسعة العامة الشاملة لجميع خلقه، الرحيم بعبادة ، القاضي لحاجتهم ، اللطيف بتربيتهم ، والرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من الناس ، والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من الناس من أنواع الإحسان ، فالرحمن خاصُ بالله لا يطلق على غيره: ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] .

والرحيم يطلق على الله وعلى غيره ، فالرحمن أعظم، لأنه واسع الرحمة، كثير الرحمة، عظيم الرحمة: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

والرحمن الكبير العظيم يطلب منه العظيم ، ولا يطلب منه الشيء الحقير اليسير ، لأنه عظيم لا يعطى إلا العظيم كما قال النبي ﷺ« إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ

فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » . أخرجه البخاري[1] .

فمن عرف الرحمن بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وعرف عظمة خزائنه ، وعظمة وعده ووعيده ، طلب منه الأمور العظيمة، فالعظيم نطلب منه الأمور العظيمة ، وأعظم شيء هو طلب الهداية:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة: ٢ – ٧] .

فهو جل جلاله رحمن فاطلب منه الأمور العظيمة ، وهو أيضًا رحيم فاطلب منه الأمور اليسيرة، مثل شراك نعلك، ومثل قدرك ، فهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يرحم عباده في الدنيا والآخرة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

ولحاجة العباد إلى رحمة الرحمن الرحيم أمر الله بذكرها في الصلاة المفروضة ثمانية وستين مرة، فنقول ونكرر بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم في كل ركعة من الصلوات الخمس، التي عدد ركعاتها سبع عشرة ركعة في كل ركعة تقرأ الفاتحة ، فسبحان الرحمن الرحيم الذي تسلم إليه نطفه نتنة فيسلمها إليك صورة حسنه: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[المؤمنون: ١٤] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٢٧٩٠).

وسبحان الرحمن الرحيم الذي تسلم إليه طاعة ناقصة فيسلم إليك جنة خالصة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

فما أعظم رحمة الله بخلقه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

الله جل جلاله بيده الملك والملكوت ، بيده ملكوت كل شيء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطى من يشاء، ويمنع من يشاء وهو الحكيم الخبير: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

هو سبحانه العليم الذي يحمى الإنسان مما يضره ، ويؤذيه ، ويمنع وليه من عدوه ، ويمنعه من المرض ، ويمنعه من الشر ، ويحفظه مما يؤذيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

هو العليم الحكيم الذي يمنع من يستحق المنع ، ويحفظ من يستحق الحفظ من المؤمنين ، ويعرض عن من لا يستحق المنع، فينكشف ويصل إليه عدوه، فإذا لم يستقم المؤمن على دين الله عز وجل يُفتن بالكفار، فينالون منه، لأن الله لم يمنعه ، ولم يستحق المنع لانحرافه، فقهره وأذله عدوه .

فمن سلم من المرض أو المصيبة ، فالله عز وجل هو الذي منعها عنه ، ومن أصابه ذلك فالله أذن بذلك ليربيه أو يؤدبه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

هو جل جلاله الرحمن الرحيم الذي يمنع من يحب من التقصير ، كلما قصر ابتلاه ربه بمصيبة، ليتوب إلى ربه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] .

هو العزيز الرحيم الذي يمنع البلاء حفظًا وعناية من أطاعه ، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحماية ، ومن فتح الله له فهم باب المنع والعطاء رأى المنع عين العطاء: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠] .

ومن كشف الله له الحقيقة سارع إلى ربه في جميع أحواله ، وقال قلبه لو علمت أن غدًا أجلى ما قدرت أن أزيد في عملي ، لأنه عرف ربه، وعلم أنه رحمن رحيم لطيف خبير:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والدنيا لصغرها وحقارتها لم يشأ الله أن يجعلها علامة رضوانه ، ولا علامة سخطه، لهذا يعطى الله الدنيا لمن يحب ، ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطى الدين إلا من يحب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٢ – ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] .

فإذا أعطى الله الإنسان صحة وعافية ، وسعة في المال، فلا يظن أن الله يحبه ، وإذا كانت صحته معلولة وهو فقير، فلا يظن أن الله لا يحبه :﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٧]

فليس العطاء إكرامًا ، ولا المنع حرمانًا، بل العطاء ابتلاءًا، والمنع دواءً: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى: ١٢] .

فسبحان الحكيم الرحيم الذي يمنع عن عباده ما يضرهم، أحيانًا بالأسباب كالدواء ، وأكل الطيبات ، وأحيانًا بضد الأسباب كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وأحيانًا بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢] .

هو سبحانه المعطى ، وهو الذي يمنع عن عباده ما يضرهم ، وهو الحافظ لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، فلا تلتفت إلى غيره ، ولا تتعلق إلا به: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١] .

والمخلوق إذا أعطى فهو معطٍ صورى ، وإذا منع فهو مانع صورى، لأن العطاء والمنع كله بيد الله وحده أما الله فعطاؤه ومنعه كله على الحقيقة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن

قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤] .

واعلم أن الذي يعطى ويمنع على الحقيقة هو الله وحده لا شريك له ، وهو الحكيم القادر، قد يعطى ويمنع مباشرة ، وقد يعطى ويمنع عن طريق خلقه ، وهو المحمود على عطائه ومنعه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣] .

هو سبحانه المعطى الذي يعطيك ما ينفعك ، وهو الذي يمنع عنك كل ما يؤذيك ، ويمنعك من كل ما يطغيك، ويمنعك تأديبًا لك: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢] .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا أرحم الراحمين

٧- أصل الإيمان معرفة الله عز وجل

الملكُ والملكوت كله بيد الله وحده لا شريك له ، والعطاء والمنع كله بيد الله وحده لا شريك له ، والتصريف والتدبير كله بيد الله وحده لا شريك له: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٣] .

والعطاء والمنع بيد الله، والله وحده هو العليم بمصالح عباده، يعطيهم ما ينفعهم، ويمنعهم ما يضرهم ، فلا تسأله إلا ما تعلمه أنه خير لك ، والإنسان بجهله قد يسأل ما يضره : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١] .

فبجهله قد يحب أشياءً تضره، وبجهله قد يكره أشياء تنفعه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

فلا تسأل ربك شيئًا خيرته مغيبًا عنك، وإذا لم تجد بدًا من سؤاله فعلقه على علم الله سبحانه، واستخر الله في طلبه ، بقولك اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب .

ولتكن استخارتك لربك استخارة من لا علم له بمصالحة ، ولا قدرة له عليها ، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وإذا أعطاك ربك ما أعطاك بلا سؤال، فاسأله أن يكون عوناً لك على طاعته، وبلاغًا إلى مرضاته، وباعثاً لك على مرضاته، وألا يكون قاطعًا لك عنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

ولا تظن أن ما أعطى الله عبده لكرامته عليه، ولا منعه له لهوانه عليه، ولكن عطاؤه ومنعه ابتلاء:﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٦] فالعطاء والمنع ابتلاء وامتحان، لا إكرام ولا إهانة ، فالعطاء والمنع كله ابتلاء من الرب لعبده أيشكرني إذا أعطيته فأزيده، أم يكفرني فأسلبه إياه: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧] .

فكل عبد إما مبتلى بالغنى ليشكر ربه، أو مبتلى بالفقر ليصبر، وإنما إكرام الله لعبده بطاعته، وإهانته بمعصيته، إكرام الله لعبده بإيمانه، وإهانته بإعراضه عنه:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] .

جهة النصر واحدة وهى من عند الله النصير العزيز الحكيم:﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٩ – ١٠] .

والبشر يقدرون على بعضهم إذا ابتعدوا جميعًا عن منهج الله ، فإن أتصل المخلوق بخالقه بالإيمان نصره الله على عدوه: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] .

وإذا اتصل هذا وهذا بالله لم يحصل بينهم خلاف ولا قتال، لأن الجميع موصولون بالله العزيز الحكيم:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

فالنصر لا يكون إلا من الناصر وحده لا شريك له ، وكل نصر تحقق فأن كان للمؤمنين فهو من الله ، وإن كان للكفار فهو بإذنه، لحكم يريدها ثم تكون عاقبة النصر للمؤمنين:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] .

ونصر الله للمؤمنين يكون بحسب إيمانهم ، والقيام بالدين قولًا وعملاً : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

ونصر الله عز وجل لرسله وأتباعه في الدنيا يكون بإعلاء كلمة الله ، وقهر أعدائه ، وإظهار دينه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

وفي الآخرة يكون بإعلاء درجات المؤمنين ، والانتقام ممن كذبهم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١] .

فالله عز وجل هو الناصر النصير الذي بيده النصر ، فالنصر ينزل من السماء إلى الأرض ، كما ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، كل من عند الله ، فالله هو الناصر القوى الذي لا أحد أقوى منه ، الناصر الغنى الذي يملك خزائن النصر كلها ، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر ، الناصر وحده لا شريك له ، الناصر الذي بيده النصر كله: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] .

والله سبحانه هو الناصر القوى الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، النصير الذي لا يغلبه أحد، قهر بقوته جميع الأقوياء، وأهلك جميع الطواغيت، وأذل بجبروته جميع الجبابرة، إن ربك هو القوى العزيز .

وهو سبحانه الناصر النصير الذي ينصر من يشاء، في أي وقت شاء ، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم ، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم ، ويلقى الرعب في أعدائهم:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] .

وهو سبحانه الناصر الحق الذي بيده النصر وحده لا شريك له ، ينصر كل من أمن به ، وتوكل عليه، ولاذ به: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم: ٤ – ٥] .

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور ، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعًا بما عندهم من العددِ والعُددِ ، نصر الله المؤمنين عليهم، لأن الله لا غالب له:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[المجادلة: ٢١] .

وهو سبحانه الناصر البالغ مراده من خلقه ، القوى الذي لا يغلبُ ولا يقهر، لكمال قدرته، وعظمه سلطانه: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤] .

وسبحانه هو الناصر النصير الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء ، ولا يرد حكمه راد ، الذي يفعل ما يشاء ، وأمره نافذ كيف شاء: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف: ٢١] .

فسبحان الملك القادر، النصير الناصر الغالب القاهر، الذي أمره نافذ في جميع ملكه، الذي لا يملك أحداً أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أمضى، الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا رد لقضائه، ولا معقب لحكمه .

والنصر بيد الناصر الحق، فمن نصره الله فلا خاذل له ، ومن خذله الله فلا ناصر له: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٠] .

وفعل الأسباب من أسباب النصر المطلوبة ، ولكن النصر بيد الناصر وحده لا شريك له كما قال سبحانه للمؤمنين في بدر حين أمدهم بالملائكة: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٢٥ – ١٢٦].

فاسأل ربك العزيز الحكيم أن ينصرك على نفسك، لتستقيم على طاعته ، وأن ينصرك على هواك لتستقيم على هداه ، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين ، فلا ناصر إلا هو جل جلاله، كما قال نوح ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٦] .

كتابة المقادير:

الله عز وجل على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء .

والكتابة من الله ﷻ أنواع :

الأول : الكتابة لكل شيء في اللوح المحفوظ ، وهذه الكتابة لا تبدل ولا تغير، كما قال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ: ٢٩] .

الثاني : الكتابة على بني آدم ، وهم في بطون أمهاتهم ، فإذا نفخت في الجنين الروح بعث الله إليه ملكًا يكتب رزقه، وأجله، وعمله ، وشقي أو سعيد. **متفق عليه** (١) .

الثالث : كتابة حولية كل سنة ، وهى الكتابة التي تكون ليلة القدر ، لأن الله يقدر في تلك الليلة ما يكون في تلك السنة كما قال سبحانه: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الدخان: ٤] .

الرابع: كتابة يومية وهى كل ما تكتبه الملائكة من أقوال وأعمال بني آدم: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠ –١٢]

---

(١) **متفق عليه، أخرجه البخاري** برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٣).

وهذه الكتابة تكون بعد العمل، والكتابات الثلاث السابقة تكون قبل العمل ، ثم يوم القيامة يعطى الإنسان هذا الكتاب، ليحاسب نفسه: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣ – ١٤] .

فسبحان ربنا العظيم الذي كتب كل شيء ، وقدر كل شيء، وعلم كل شيء ، ومن كتابته عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

ومن كتابته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ومن كتابته جل جلاله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

ومن كتابته جل جلاله: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] .

ومن كتابته جل جلاله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢١] .

ومن كتابته جل جلاله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] .

أفعال الله عز وجل في منتهى الحكمة والرحمة ، وفي منتهى العدل والإحسان ، فالخير مرادٌ من الله لذاته، أما الضر فغير مراد لذاته ، إنما هو علاج يحقق للعبد مصلحة، والكل بيد الله، لا يأتي بالحسنة إلا هو ، ولا يدفع السيئة إلا هو ، ولا يكشف المرض ويأخذه إلا هو: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ

بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧] .

هو الرحمن الرحيم، آياته الكونية تذكرك بعظمته ، فتكبره، وتعظمه، وتطيعه ، وتؤمن به: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

ونعمه الظاهرة والباطنة توجب عليك محبته ، وحمده ، وشكره: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

والمصائب والآلام والأمراض، والقهر والزلازل والبراكين ، من أجل أن تخافه فلا تعصيه: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩] .

فالآيات الكونية من أجل أن تعظم ربك ، والنعم من أجل أن تحب ربك ، والمصائب من أجل أن تخافه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

والله سبحانه يعرض على نبينا محمد ﷺ المحاسن والمساوي ، والطاعات والمعاصي، من أعمال الأمة ، فرأى ﷺ عند العرض أن من المحاسن إماطة الأذى عن الطريق ، فهو من محاسن الأعمال ، وصدقة للعبد ، ومن خصال الإيمان ، ومن شعب الإيمان كما قال النبي ﷺ« الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالحْيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان » . متفق عليه[1] .

وعن أبى ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺقال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا قَالَ : فَوَجَدْتُ فِي محَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي المُسْجِدِ لا تُدْفَنُ »أخرجه مسلم [2] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٥٥٣).

٨- أصل الإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله

الله عز وجل له الملك والخلق والأمر كله ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك:١].

فكل شيء واقع بمشيئة الله ؛ لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما أذن به ، أو أمر به فأفعال الإنسان كلها خيرًا أو شرًا واقعةٌ بمشيئة الله ، فإن كانت طاعات فقد أمر الله بها، وأذن الله بوقوعها، ورغب فيها ، وأثاب عليها ، وإن كانت معاصي فقد أذن الله بوقوعها، وحذر منها، ولم يأمر بها ، وفاعلها مستحق للعقوبة: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾[الأعراف: ٢٨ – ٣٠] .

وقد قال على ﷺ لرجل جاهل بالقدر : إني سائلك عن ثلاث ، فإن قلت في واحدة منهن لا، كفرت ، وإن قلت نعم فأنت أنت ، فقال له على ﷺ : أخبرني عنك أخلقك الله كما شاء أم كما شئت ؟ فقال : بل كما شاء الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾[آل عمران: ٦] .

فقال له : أخلقك الله لما شاء أو لما شئت ؟ فقال : بل لما شاء: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فقال له : يوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء ؟ قال : بما شاء: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

قال : قم فلا مشيئة لك: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

والله سبحانه أنعم على الخلق بنعم لا تعد ولا تحصى ، ونعم الله لا تؤخذ بذاتها منفصلة عن حكمة من أرسلها، المتصرف بها ، ولكن تؤخذ النعم بتوجيهات القادر عليها، فالأصل في الماء أنه سببٌ للحياة ، والأصل في النار أنها سببٌ للهلاك .

فالماء الذي خلق الله فيه أو منه كل شيء حي، إذا أراد سبحانه أن يجعله هلاكًا ودمارًا جعله طوفانًا يغرق الأرض ومن عليها كالذي حدث في عهد نوح حينما كفر به قومه كما قال سبحانه: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [القمر: ١٠ – ١٥] .

وأغرق الله عز وجل بذلك الماء قوم نوح الذين كفروا به ، فأهلك الله به الكافرين، ونجَّا به المؤمنين، لأنه القادر الذي يفعل بالأسباب، وبضد الأسباب، وبدون الأسباب .

والطوفان الذي حدث في عهد نوح ﷺ عام ، والطوفان الذي حدث في عهد موسى خاص بالقبط الذين كفروا بموسى ، حيث بلغ إلى نهاية رقبة

الإنسان ، وأغرق بيوت أل فرعون ومزارعهم ، وسلمت منه بيوت بنى إسرائيل: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٣٠] .

وقال الله ﷻ عن فرعون وقومه: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٣٢ – ١٣٣] .

فلما لم يؤمنوا بموسى وأذوه ومن معه، أغرقهم الله بالماء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف: ٥٥] .

والنار طبعها الإحراق لكن الله جعلها بردًا وسلامًا على خليله إبراهيم : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس: ٨٢ – ٨٣] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة المثل الأعلى، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣] .

هو الشافي جل جلاله وحده لا شريك له ، وأصل المرض الخروج عن منهج الله ، ومرض الأجسام والقلوب أصله الخروج عن منهج الله ؛ لأن الله عز وجل كامل الذات والصفات فإذا خلق شيئًا خلقه كاملًا : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى

بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك: ١ – ٤] .

فالله عز وجل هو الذي خلق، ورزق، وأطعم وأسقى، وأمات وأحيا: ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٧ – ٨٢] .

أما الإنسان فهو الذي يخطئ ويصيب ، ويصلح ويفسد ، ويستقيم وينحرف، ويحسن ويسيء، ويعدل ويظلم ، ويؤمن ويكفر بما أعطاه الله ﷻ من حرية الاختيار: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .

والإنسان مخلوق أودع الله فيه الشهوات ، وابتلاه بالمصائب القدرية، والشهوات الحيوانية ، والأوامر الشرعية ، وإذا لم يكن هذا ا لمخلوق متصلًا بالله عز وجل، ولم يسر على منهج الله، فسد وأفسد .

وقد أودع الله في الإنس والجن حب الشهوات، وحرية الاختيار ، فإذا سار الإنسان دون مقودٍ ولا ضابط وهو الإيمان والعمل الصالح، فالدمار والهلاك واقع له لا محالة ، لا محالة: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٦] .

والذي يحرك الإنسان حب الشهوات ، فإذا تحرك دون اتصال بالهادي هلك وفسد: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

فالإنسان فيه شهوات ، وفيه حرية الاختيار ، ومع هذه الحرية أعطاه الله عز وجل عقلًا بمنزلة ميزان دقيق: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

وأعطاه فوق هذا الميزان الدقيق ميزانًا مهيمنًا هو الشرع ، ومع هذا ترك أكثر الخلق هذا الدين وراء ظهورهم، وانطلقوا مع شهواتهم، بلا هدى ولا كتاب منير فحصل الفساد، وعم البلاء: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

ومن رحمة الله بالإنسان أن هيأ له شفائين :

شفاء لروحه وهو القرآن الكريم .. وشفاء لجسده ، وهو الأدوية التي أمر الشرع بها .

والشفاء لا يكون إلا من مرض ، والمرض في الأصل خروج عن منهج الله، وشفاؤه باتباع منهج الله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

فإذا أعرض القلب عن منهج الله، ظهرت فيه أعراض هذا المرض من الكفر، والشرك، والكبر ، والحسد، والظلم ، والغش ، وغيرها من المعاصي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

وسبب ذلك أن هذا الإنسان تعلق بالشهوات ، وأعرض عن منهج الله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]

ثم حلت به عقوبة الله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥] .

وكذلك الجسم يصاب بالعلل إذا خالف منهج الله في الأكل والشرب والعمل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] .

قال النبي ﷺ: « مَا أنزل دَاء إِلَّا أنزل لَهُ شِفَاء علمه من علمه وجهله من جَهله »أخرجه أبو داود[1] .

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٥٥).

وأمراض القلب أخطر من أمراض الجسم؛ لأن أمراض الجسد تنتهي بالموت ، والموت ينهي كل ما له علاقة بالجسم ، أما أمراض القلب فتبدأ خطورتها وآثارها بعد الموت ، كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

فالقلب محل نظر الرب، فإن كان متصلًا بربه انفسح وانشرح ، وأشرق بالتوحيد والإيمان والطاعات، والصدق والصفات الحسنة ، وكلما طهر القلب من الشرك والكبر والحسد وغيرها من الصفات السيئة تجلى عليه الرب واطمئن بذكر الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

فسبحان الشافي الذي يشفي الأجساد والقلوب من جميع الأمراض القلبية والبدنية: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

اللهم رب الناس اذهب البأس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقمًا .

وقال النبي ﷺ: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » . أخرجه مسلم[1] .

وهذا الحديث أصلٌ في الشفاء من الأمراض قاطبة، فهو يدفع العلماء والأطباء إلى البحث عن الدواء ، ومعرفة الأحكام ، ويملأ قلوب المرضى بالأمل بالله أن يشفيهم من الداء الذي أصابهم، فما من داء خلقه الله إلا خلق له دواء يشفي به بإذن الله .

والله عز وجل هو الشافي وحده لا شريك له ، والدواء والطبيب أسباب قد تشفي وقد لا تشفي ، ومن أراد الشفاء من كل داء فليتصل بالشافي من كل داء: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه: ٨] .

الله عز وجل هو البصير الذي يبصر الأشياء كلها ظاهرها وباطنها ، كبيرها وصغيرها ، وسع سمعه الأصوات ، ووسع بصره الذوات ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، هو البصير الذي تنكشف له صفات الأشياء ، وحقائقها ، البصير الذي يبصر جميع المبصرات، ويشاهد الأشياء كلها ظاهرها وباطنها: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ [الإسراء: ١] .

هو سبحانه البصير بكل شيء، يعلم النيات ، ويعلم ما في الصدور، ويعلم المقاصد ، ويعلم خائنة الأعين ، ويعلم سر الأقوال والأعمال ، ويعلم ما في

---

(١) صحيح مسلم برقم: (٢٢٠٤).

القلوب من الإرادات والنيات ، هو البصير الذي يرى كل ذرة ، وكل نية ، وكل خاطرة ، وكل خافية: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [الملك: ١٩] .

ومن علم أن الله عز وجل يبصره ويراه عبد ربه كأنه يراه ، وخاف منه ، ورجاه ، واستحيا منه ، وتتلذذ بمناجاته ، وسارع إلى طاعته وفر من معصيته، كالأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

والإنسان الذي أكرمه الله بنعمة البصر يجب أن يبصر به آيات الله الكونية الدالة على عظمته ، وآيات الله الشرعية الدالة على كمال علمه وعدله وإحسانه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٨] .

فالمؤمن حقًا صمته فكرًا ، ونطقه ذكرًا ، ونظره عبرة .

وأعلم بأن ربك السميع البصير، الذي خلق لك السمع والبصر يبصرك في جميع أحوالك ، ويسمع كلامك، فأطعه ولا تعصه ، ولا تجعله أهون الناظرين إليك ، فاتق الله أن يكون هو أهون الناظرين إليك ، وأعلم أن من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله، فقد استهان بنظر الله إليه ، فاستح من الله على قدر قربه منك ، واشكره على قدر نعمه عليك ، وخف منه على قدر قدرته عليك: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ

مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧] .

فيا من عصيت ربك في خلوتك، إن كنت ظننت أن الله لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت أيقنت أنه يراك فقد اجترأت، فزين باطنك بالمراقبة ، وزين ظاهرة بالمحاسبة ، وإتباع السنة ، وإذا أردت أن تعصي ربك فاعصه في مكانٍ لا يراك فيه ، أو أخرج من سلطان ملكه ، وهذا محال حتى في الخيال: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

إلهي أنت البصير بعيوبي ، الخبير بذنوبي، مطلع على سري ، وبيدك زمام أمري، أجعل في قلبي نورًا حتى أعبدك كأني أراك .

الله ﷻ هو الشهيد الرقيب الذي لا تخفى عليه خافية ، وكل ذرات العالم مكشوفة له: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣] هو الشهيد القريب من كل مخلوق ، الشهيد العليم بكل مخلوق ، الشهيد الذي يُعلم خلقه بما يشاء، الشهيد الذي شهد لنفسه بالوحدانية: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١ – ٥] .

فالأمور كلها بيد الشهيد سبحانه ، لا بذكاء الناس ، ولا بأموالهم ، ولا بأحسابهم ، فالله مع المحسن ينصره ويعزه ، وينتقم من المسيء ويذله ، فسبحان الشهيد الذي لا يغيب عنه شيءٌ في ملكه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣] .

هو الشهيد البصير الذي يعلم المؤمن من المنافق ، والصادق من الكاذب ، ويفوت على أهل المكر مكرهم ، ويحفظ للناس حقوقهم: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] .

وعلامة المخلص لله عز وجل في عمله أنه لا يبحث عن تقدير الناس ، ولا عن إعجابهم بعمله، ولا ينتظر حمدهم وشكرهم ؛ لأنه يعلم أن الله على كل شيءٍ شهيد: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

هو سبحانه الشهيد لما ظهر ، الخبير لما بطن، العليم بما ظهر وبطن .

هو الشهيد الذي يُشهد العباد أعمالهم يوم القيامة: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ – ١٤] .

وإذا علمت أن ربك عليم بكل شيء، قدير على كل شيء، فاستقم كما أمرت ؛ لأنه سوف يحاسبك: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢] .

والله عز وجل أعلن أسماءه وصفاته في ملكه العظيم ، فأنت ترى في الكون الخالق يخلق والمصور يصور ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم: ﴿ ٱللَّهُ

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فسبحان الشهيد الحق ، العليم بكل ذرةٍ في ملكه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] .

هو سبحانه الشهيد العليم بما ظهر وبطن ، الخبير بالنيات والأسرار: ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد: ٨ – ٩] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي يجب الإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

٩- فقه زيادة الإيمان بالله عز وجل

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى ، وله الأسماء والصفات المتقابلة كالمقدم والمؤخر ، وله الأسماء المطلقة كالعزيز والرحمن ، وله الأسماء المضافة كفاطر السماوات والأرض ، وفالق الحب والنوى، وغافر الذنب: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

وأسماؤه جل جلاله كلها حسنى، وصفاته وأفعاله كلها عليا، فهو الرب الكريم الرحيم الذي يقبض ليبسط، ويمنع ليعطي، ويخفض ليرفع، ويذل ليعز، ويبتلي ليصطفي:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧] .

هو البديع الذي ابتدع خلق هذا الكون على غير مثال سابق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

هو المبدئ الذي ابتدأ العباد بالفيض والإمداد، الذي أظهر الخلائق من العدم إلى الوجود :﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

الله سبحانه وتعالى هو الحافظ الذي يثبت أوليائه، على الطريق البين المستقيم، هو الحافظ الذي يحفظ كل شيء، هو حافظ السماوات

والأرض، وحافظ ما بينهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١] .

وهو سبحانه حافظ الأقوال والأعمال والأحوال ، وحافظ الخلق من كل سوء قال النبي ﷺ: « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تجِدُهُ تجُاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِالله ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنفَعُوْكَ بِشَيْءٍ لمَ يَنْفَعُوْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوْكَ بِشَيْءٍ لمَ يَضَرُّوْكَ إِلَّا بشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفعَتِ الأَقْلامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » أخرجه أحمد (١) .

هو جل جلاله خير حافظًا من كل حافظ، هو وحده الذي يحفظ الصحة ، والأهل، والمال، والدار ، ويحفظ سمعك، وبصرك، وعقلك ، ووقتك ، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين ، فاحفظ الله يحفظك .

وحفظ الله إنما يكون لك إذا استقمت على أوامره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فاستقم كما أمرك الله الاستقامة، والحفاظة من الله عز وجل ، والاستقامة من العبد تكون بالإيمان بالله عز وجل ، وفعل الأوامر، واجتناب النواهي ، والصبر على كل شيء، ابتغاء مرضاة الله:﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٨٠٣).

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور: ٤٨ – ٤٩].

ومن كان الحفيظ معه فلن يضره أحد، ومن تخلى عنه الحفيظ استلمه عدوه، وخذله من جهته: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فاعتمد على الحفيظ القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، البصير بكل شيء ، ولا تعتد بقوتك وعلمك، وذكائك ومالك، فيتخلى الله عنك:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥ – ٢٦].

واظهر الضراعة لمولاك العزيز يعزك وينصرك: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

فكن لربك العظيم كما يريد يكن لك كما تريد ، وسلم لله في ما يريد يكفيك ما تريد ، فإن عصيته فيما يريد تعبت فيما تريد: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

فإن عصيته فيما يريد تعبت فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما يريد هو سبحانه ، وذلك رحمة بك لتعود إليه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥] .

فقه الغيب:

الله سبحانه هو عالم الغيب والشهادة ، والغيب كل ما غاب عن الحواس ، فكل ما غاب عن علم الإنسان ، أو بصره ، أو سمعه فهو غيب .

والغيب أنواع :

الأول: نوع من الغيب استأثر الله بعلمه كعلم الساعة ، وموت الإنسان .

الثاني: نوع أطلع الله عليه بعض أنبيائه كأشراط الساعة التي بينها النبي ﷺ ، وأحوال اليوم الآخر، كما جاءت في القرآن والسنة .

وهذا الغيب ثلاثة أنواع :

غيب الماضي .. وغيب الحاضر .. وغيب المستقبل .

والله وحده هو عالم الغيب والشهادة: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة: ٦ – ٨] .

وكلما ارتقى الإنسان بفكره خاف بعقله ، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

ومن يعبد ربه عالم الغيب والشهادة فلا خوف عليه ؛ لأن الله يسوقه إلى ما ينفعه مما يجهله ، ويدفع عنه ما يضره مما يجهله ، فإذا كنت مع الله ألهمك وسددك، وألهمك الخلاص من عدوك الشيطان، وألهمك تدبيرًا مضادًا لتدبيره، وألهمك سلوكًا يعطل عليه فكره ؛ لأن الله وحده الذي يعلم الغيب:

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

وحين يكون الإنسان منحرفًا مع الشيطان تخلى عنه عالم الغيب والشهادة ، فتفكر وأجهد نفسه في أمر من الأمور ، ثم جعل الله تدميره في تدبيره كما فعل بفرعون حين جمع السحرة ، فأبطل الله كيده ، وكما فعل بفرعون وجنوده حين تبع موسى وقومه ، فأغرقه الله في البحر : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥] .

ففي بحر واحد، وبأمر واحد، وفي وقت واحد، أنجى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وجنوده .

فسبحان عالم الغيب والشهادة الذي يعلم ما كان، وما يكون ، وما سيكون ، فكن مع عالم الغيب يلهمك رشدك ، ويحفظك مما يضرك: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] .

والله عز وجل لا تخفى عليه خافية في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، وكل ما هو واقع هو من عالم الشهادة ، وكل ما لم يقع فهو من عالم الغيب .

ومن الأشياء ما يغيب عنا لبعد زمانه ، ومنها ما يغيب عنا لبعد مكانه ، والله وحده عالم الغيب والشهادة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

فسبحان العليم بكل شيء ، العليم بالذرات والمجرات، العليم بالظواهر والبواطن ، العليم بالأقوال والأفعال ، العليم بالكلمات والحروف ، والأرقام ، العليم بما يجري وما لم يجر في كل زمانٍ ومكان: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

زيادة الإيمان :

الإيمان بالله يزيد بالنظر والتدبر ، يزيد بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، ويكمل بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

وأساس الدين هو الإيمان بالله عز وجل ، واليقين على ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ، والعمل بموجب ذلك .

فهذا هو الإيمان الحق ، الإيمان المطلوب: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وجميع العبادات مبناها وقبولها مبني على هذا الأصل العظيم .

وإذا ضعف هذا الإيمان ونقص ضعفت الأعمال والعبادات، فساءت الأحوال ، ثم جاء سخط الله ، ثم نزلت عقوبته: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟

وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

والإيمان بالله أفضل الأعمال .

ولتحصيل هذا الإيمان وزيادته في القلب لابد من أربعة جهود :

الأول: جهد على تحصيل الإيمان .

الثاني: ثم جهد على حفظه .

الثالث: ثم جهد على الاستفادة منه

الرابع: ثم جهد على نشره بين الناس .

ومن قام بهذه الجهود هداه الله إلى سبل رضاه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئِلَ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ الجِهَادُ ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ » . متفق عليه[1] .

والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٥١٩)، ومسلم برقم (٨٣) .

وقال النبي ﷺ: « لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . متفق عليه[1] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺقال : « يخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً » .متفق عليه [2] .

وكلما عرف العبد ربه أكثر زاد إيمانه، وقويت عبادته لربه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٤٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم(٢٠٢) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٤٤)، ومسلم برقم(١٩٣) .

١٠- كيف يزيد الإيمان بالله في قلوبنا

حتى يأتي الإيمان في حياتنا ويزيد في قلوبنا لابد من العلم بأمور :

الأول : أن نعلم ونتيقن أن خالق كل شيء هو الله ، ظاهرًا كان أو باطنًا ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، فخالق السماء هو الله ، وخالق الأرض هو الله ، وخالق العرش هو الله ، وخالق الملائكة هو الله ، وخالق النجوم هو الله ، وخالق البحار والجبال هو الله ، وخالق الإنسان والحيوان، والنبات والجماد هو الله ، وخالق الجنة هو الله ، وخالق النار هو الله:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

فالعرش شيء، والسماوات شيء، والأراضون شيء، والقمر شيء، والشمس شيء، والهواء شيء، والماء شيء، والبحار شيء، والجبال شيء، والناس شيء، والملائكة شيء، والجن شيء، والحيوانات شيء، والطيور شيء، والذرات شيء، والله خالق كل شيء ، القادر على كل شيء العليم بكل شيء: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فنتكلم بذلك ، ونسمعه ، ونفكر به ، ونكرره ، وننظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية، نظر اعتبار وتفكر، حتى يرسخ الإيمان في قلوبنا ، ويزيد، وقد أمرنا الله بذلك بقوله:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس: ١٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]

الثاني : أن نعلم ونتيقن أن الله خلق المخلوقات، وخلق فيها الأثر ، فخلق العين وفيها الأثر وهو البصر ، وخلق الأذن وخلق فيها الأثر وهو السمع ، وخلق اللسان ، وخلق فيه الأثر وهو الكلام ، وخلق الشمس وخلق فيها الأثر وهو النور ، وخلق النار وخلق فيها الأثر وهو الإحراق ، وخلق الشجر وخلق فيه الأثر وهو الثمر وهكذا: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

فالمخلوق لا يخلق المخلوق، فالله خلق الشجرة، وخلق فيها الثمرة، وجعل الشجرة ممر لقدرة الله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

الثالث : أن نعلم ونتيقن أن الذي يملك جميع المخلوقات، ويتصرف فيها ويدبرها هو الله وحده لا شريك له ، فكل ما في السماوات والأرض من المخلوقات كبيرهم وصغيرهم ، كلهم عبيد فقراء إلى الله ، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولا نصرًا ، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا .

فالله مالكهم ، والله خالقهم ، وهم محتاجون إليه وهو الغني عنهم ، وهم فقراء إليه، سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

وهو سبحانه الملك الذي يصرف الكون، ويدبر أمر جميع خلقه ، فالذي يتصرف في السماوات والأرض ، وفي المياه والبحار هو الله وحده، والذي يتصرف في النار والرياح ، وفي الأنفس والنباتات ، وفي الكواكب والجمادات هو الله وحده، والذي يتصرف في الرؤساء والوزراء ، وفي الأغنياء الفقراء ، وفي الأقوياء والضعفاء وغيرهم ، هو الله وحده لا شريك له ، وهم جميعًا في قبضته خاضعون لأمره: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

الله عز وجل يتصرف في جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي بقدرته وحكمته وعلمه كيف شاء، متى شاء ، فقد يخلق الشيء ، ويسلب أثره بقدرته ، فقد توجد العين ولا تبصر ، وقد توجد الأذن ولا تسمع ، وقد يوجد اللسان ولا يتكلم ، وقد يوجد البحر ولا يغرق ، والنار ولا تحرق ، وقد فعل ذلك سبحانه ؛ لأنه الذي يتصرف في الخلق كيف شاء لا إله إلا هو الواحد القهار وهو على كل شيء قدير: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

وبعض القلوب تتأثر بالشيء أكثر من خالق الشيء ، فتتعلق بالشيء وتغفل عن خالق الشيء سبحانه، والواجب أن نصل بهذا العلم، وبهذا النظر من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور الذي خلق كل شيء وصوره، فنعبده وحده لا شريك له، ولا نلتفت لأحدٍ سواه: ﴿ قُلْ مَن

﴿ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢]

الرابع : أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأشياء عند الله وحده لا شريك له ، فكل شيء في الوجود فخزائنه عند الله وحده، خزائن العلم عند الله ، وخزائن الهداية عند الله ، وخزائن النور عند الله ، وخزائن الكلام عند الله ، وخزائن الأخلاق عند الله ، وخزائن الطعام والشراب والحبوب والثمار ، وخزان المياه والرياح ، وخزائن الأموال والبحار ، وخزائن الجبال وغيرها كلها عند الله: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون: ٧] .

فكل ما نحتاجه نطلبه من الله وحده، ونسأله إياه ، ونكثر من العبادات والطاعات التي أمر الله ورسوله بها: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فهو سبحانه قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، وهو خير المسئولين، وخير المعطين، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع وكل ما تحتاجه في خزائنه: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١] .

فالله عز وجل كما يرزق الخلق جميعاً، عليهم أن يعبدوه جميعاً: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

والله عز وجل له القدرة المطلقة في كل شيء أحيانًا يعطي ويرزق بالأسباب كما جعل الماء سببًا للإنبات ، ووطء الأنثى سببًا للإنجاب، ونحن في دار الأسباب فنأخذ بالأسباب المشروعة امتثالًا لأمر الله ، ولا نتوكل إلا على الله وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون: ٥١] .

فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣] .

وأحيانًا يعطي الله ويرزق بدون الأسباب يقول للشيء كن فيكون ، كما رزق مريم طعامًا بلا شجر ، وابنًا بلا ذكر:﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧ ﴾ [آل عمران: ٣٧] .

وأحيانًا يستعمل قدرته سبحانه بضد الأسباب كما جعل النار وسلامًا على إبراهيم ﷺ، وكما نجا موسى ﷺ، وأغرق فرعون وقومه في البحر بأمر واحد، وبحر واحد، في وقتٍ واحد ، وكما نجا الله يونس في ظلمة بطن الحوت والبحر: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

فالله أظهر قدرته لخلقه بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك: ١] .

هذا بالنسبة للمخلوقات .

أما بالنسبة للأحوال، فعلينا

أولاً: أن نعلم ونتيقن أن خالق جميع الأحوال هو الله وحده من الغنى والفقر، والصحة والمرض ، والفرح والحزن، والضحك والبكاء، والعزة والذلة، والحياة والموت، والأمن والخوف، والبرد والحر، والهداية والضلالة، والسعادة والشقاوة، فهذه وغيرها من الأحوال خلقها الله وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢].

ثانياً: ان نعلم ونتيقن أن الذي يدبر الأمر، ويصرف هذه الأحوال، هو الله وحده لا شريك له ، فلا يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله ، ولا يتبدل المرض بالعافية إلا بأمر الله ، ولا تتغير الذلة بالعزة إلا بأمر الله ، ولا يتغير الضحك بالبكاء إلا بأمر الله ، ولا يموت حي إلا بإذن الله ، ولا يتغير البرد بالحر إلا بأمر الله ، ولا تتبدل الضلالة بالهداية إلا بأمر الله ، وهكذا في جميع الأحوال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

فتأتي الأحوال بأمره سبحانه، وتزيد بأمره وتنقص بأمره، وتبقى بأمره وتنتهي بأمره، فعلينا أن نطلب تغيير الأحوال ممن يملكها بالتقرب إليه وحده بما شرع:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ثالثاً: أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأحوال السابقة وغيرها عند الله وحده لا شريك له ، فلو أعطى الله سبحانه الصحة أو الغنى أو غيرهما كل الناس لم ينقص ما في خزائنه سبحانه مثقال ذرة ؛ لأن ما عند الله لا ينقص أبدًا مهما أعطى منه أبدًا ، فسبحان الغني الحميد: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦] .

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

درجات الإيمان:

الإيمان في القلوب على ثلاثة درجات :

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب .

والإيمان هو مراد الله من خلقه ، والإيمان له أركان وشعب ، والمؤمن مأمور أن يجتهد لزيادة إيمانه كما يجتهد لزيادة ماله، ليضيف إلى الإيمان الموجود الإيمان المفقود، وبذلك يصل إلى الإيمان المطلوب الذي يحصل به الموعود من الله عز وجل .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

والإيمان المطلوب هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

فإذا أضفنا إلى الإيمان الموجود الإيمان المفقود وصلنا إلى الإيمان المطلوب ، والذي تتحقق به موعودات الله عز وجل في الدنيا والآخرة .

لهذا قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] .

والمسلمون يتفاضلون في الإيمان ، فإيمان الخلق درجات متفاوتة :

الأول : إيمان الملائكة، وهذا الإيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فهم مجبولون على الطاعة كما جبلت الشمس على الإنارة: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

الثاني : إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد ولا ينقص ؛ لكمال معرفتهم بالله ، وهم درجات ، وأعلاهم وأعظمهم إيمانًا سيد الأنبياء والمرسلين محمدٍ ﷺ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ١١٣ ﴾ [النساء: ١١٣] .

الثالث : إيمان سائر المسلمين يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم درجات في الإيمان، فأول درجات الإيمان تجعل المسلم يحب الله ويعظمه ويؤدي العبادة لله عز وجل، ويتلذذ بها ، ويحافظ عليها:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢– ٤].

ولحسن المعاملة مع من فوقه ، أو مثله من الناس يحتاج إلى إيمان أقوى يحجزه عن الظلم لنفسه ، والظلم لغيره .

ولحسن المعاشرة لمن دونه من الخلق كالحاكم مع رعيته ، والرجل مع أهله يحتاج إلى إيمان أقوى يحجزه عن الظلم لمن دونه .

وكلما زاد الإيمان زاد اليقين ، وزاد العمل الصالح ، وصار العبد يؤدي حق الله، وحقوق عباده، فهو حسن الخُلق مع الخالق ومع المخلوق ، فهو حسن الخلق مع الخالق يؤدي العبادة لله عز وجل خالصة له ، وحسن الخلق مع الخلق فيبذل الندى، ويكف الأذى، وينصحهم فيما ينفعهم في دنياهم وأخراهم فهذا في أرفع المنازل في الدنيا والآخرة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وقلبا خاشعا، ولساناً ذاكر، يا أرحم الراحمين.

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

ويشتمل هذا الركن على ما يلي:

١ – فقه الإيمان بالملائكة.

٢ – صفات وخصائص الملائكة.

٣ – صفات خلق الملائكة.

٤ – أصناف الملائكة.

٥ – عظمة خلق الملائكة.

٦ – وظائف الملائكة.

٧ – ثمرات الإيمان بالملائكة.

١ - فقه الإيمان بالملائكة

الإيمان له ستة أركان :

وهي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، والقدر خيره وشره .

والإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأن لله ملائكةً موجودين ، نؤمن بمن سمى الله منهم كجبريل ﷺ، ومن لم نعلم أسمه منهم فنؤمن بهم إجمالًا، ونؤمن بما علمنا: من صفاتهم وأعمالهم الواردة في القرآن والسنة الصحيحة .

والملائكة من حيث الرتبة عبادٌ مكرمون ، عابدون لله سبحانه ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، وهم عالم غيبي خلقهم الله سبحانه وتعالى من نور ، كما خلق آدم من تراب .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:« خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ». أخرجه مسلم[1] .

والملائكة من حيث العمل يعبدون الله ويسبحونه، ويفعلون ما يؤمرون : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٩-٢٠] .

وهم من حيث الطاعة لله عز وجل منحهم الله عز وجل الانقياد التام لأمره ، والقوة على تنفيذه ، وهم مجبولون على الطاعة كما جبلت الشمس على الإنارة : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم:٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٩).

عدد الملائكة :

الملائكة خلق كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى ، منهم حملة العرش، وخزنة الجنة، وخزنة النار، والحفظة والكتبة وغيرهم ، يصلى منهم كل يوم في البيت المعمور سبعون ألف ملك ، فإذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم .

ففي قصة المعراج أن النبي ﷺ لما أتى السماء السابعة قال : « فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ » . متفقٌ علية[1] .

أعمال الملائكة :

الملائكة عبادًا مكرمون خلقهم الله عز وجل لعبادته، وطاعته، وتنفيذ أمره ، منهم من اختص الله بعلمهم ، ومنهم من أعلمنا الله بأسمائهم وأعمالهم ، وقد وكّلهم الله عز وجل بأعمال ، ومنهم :

الأول : جبريل ﷺ وهو الموكل بالوحي إلي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

الثاني : ميكائيل ﷺ وهو الموكل بالقطر والنبات .

الثالث : إسرافيل ، الموكل بالنفخ في الصور .

وهؤلاء أعظم الملائكة ، وهم موكلون بأسباب الحياة ، جبريل موكل بالوحي الذي به حياه القلوب ، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض بعد موتها ، وإسرافيل موكلٌ بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد بعد موتها للبعث .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٥٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم(١٦٢) .

الرابع : مالك خازن النار ، وهو الموكل بالنار .

الخامس : رضوان خازن الجنة، وهو الموكل بالجنة .

ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت ، ومنهم حمله العرش ، وخزنة الجنة ، وخزنة النار ، والموكلون بالجبال، والموكلون بالبحار .

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم، وحفظ أعمالهم، وكتابتها لكل شخص ، ومنهم الموكل بالعبد دائمًا ، ومنهم ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار ، ومنهم ملائكة يتّبعون مجالس الذكر ، ومنهم الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام ، يكتبون رزق الإنسان وعمله وأجله وشقي أو سعيد .

ومنهم الملائكة الموكلون بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، وغيرهم كثير مما لا يحصيه إلا الله الذي أحصي كل شيء عددا .

وظيفة الكرام الكاتبين :

خلق الله الملائكة الكرام الكاتبين، وجعلهم علينا حافظين، يكتبون الأقوال والأعمال والنيات ، مع كل إنسان ملكان ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحدٌ من أمامه وواحدٌ من خلفه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٦-١٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد:١٠-١١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يَقُولُ اللهُ : إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ » . متفقٌ عليه[1] .

عظمة خلق الملائكة :

الملائكة خلق عظيم الخلق ، خلقهم الله عز وجل من نور ، وهم متفاوتون في عظمة الخلق ، خلقهم الله عز وجل، وملأ بهم السموات السبع ، فما في السموات السبع موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ لله عز وجل ، وهم دائمون في التسبيح والتقديس :﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٩-٢٠] .

والملائكة مجبولون على الطاعة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم:٦] .

لهم زجلٌ بالتسبيح والتقديس والتكبير لله عز وجل .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٠١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠٥/ ١٢٩).

والملائكة متفاوتون في عظمة الخلق :

فجبريل ﷺ من أعظم الملائكة له ستمائة جناح ، جناح منها يسد الأفق ، وبطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط إلى السماء ، ثم قلبها بمن فيها ، وهي مكان البحر الميت الآن ، فكم تكون قوة كامل جناحه ؟ وكم تكون قوة أجنحته الستمائة ؟ وكم تكون قوة رجليه ؟ وكم تكون قوة كامل بدنه ؟ وفوق ذلك ، كم تكون قوة الرب القوي العظيم الذي خلقه ؟: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

وإسرافيل ﷺ ملكٌ موكلٌ بالنفخ في الصور ، إذا نفخ نفخةً واحدة صعق من في السموات والأرض ، وإذا نفخ فيه أخرى قاموا أحياء ينظرون : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الزمر:٦٨] .

فهذه قوة نفخته ، فكم تكون قوة بدنه ؟ وكم تكون قوة الرب العظيم الذي خلقه ؟ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾[الحجر:٨٦] .

وملكٌ من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، فكم تكون المسافة من رأسه إلى قدميه ؟ وكم تكون عظمة الملك الكبير الجبار الذي خلقه ؟: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾[هود:٦٦] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم خلقه وقدرته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [فاطر:١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن محمدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ. متفقٌ عليه[1] .

وعن جابر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهَّ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ » . أخرجه أبو داود[2] .

فسبحان الخلاق العليم ، الذي خلق هذا الخلق العظيم ، وملأ بهم السماوات والأراضين ، فهم يدبرون الأمر بأمر الله عز وجل ، ومنهم الكرام الكاتبين الحافظين . فسبحان من خلقهم وسبحان من دبرهم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم(١٧٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٢٧).

٢- صفات وخصائص الملائكة

المخلوقات العاقلة ثلاث :

الإنس .. والجن .. والملائكة .

وقد ميز الله الملائكة عن الإنس والجن وغيرهم من المخلوقات بما يلي :

الأول : أن الله خلقهم من نور كما قال النبي ﷺ: « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». أخرجه مسلم (١) .

الثاني : أن مسكنهم السماء ، ويهبطون إلى الأرض، لتنفيذ أوامر الله عز وجل : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٩-٢٠] .

الثالث : أنهم لا يوصفون بالأنوثة ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾[النجم:٢٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الزخرف:١٩] .

الرابع: دوام عبادتهم بلا فتورٍ ولا سأم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٩-٢٠] .

الخامس: أنهم يطيعون الله عز وجل ولا يعصونه ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم:٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٦).

أما صفات الملائكة :

فالملائكة خلقٌ عظيم من مخلوقات الله عز وجل ولهم صفات عظيمة منها:

الأولى: القوة، والشدة، والعلم ، كما قال سبحانه : ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال سبحانه عن جبريل : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم:٥] .

الثانية: عظمة الخلق كما قال سبحانه عن حملة العرش العظيم: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة:١٧] .

عن عائشة رضي الله عنها قال: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ » متفق عليه[1] .

وحدث النبي ﷺ عن أحد حملة العرش : « أن مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ » . أخرجه أبو داود[2] .

الثالثة: أنهم كرامٌ بررة : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [عبس:١١-١٥] .

وهم الملائكة .

الرابعة: الحسن والجمال ، كما قال الله عز وجل عن جبريل ﷺ: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [النجم: ٦] .

وقالت النسوة عن يوسف : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف:٣١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢٣٤) ومسلم برقم(١٧٧) .

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٢٧).

الخامسة: الحياء الشديد : كما وصف النبي ﷺ عثمان رضي الله عنه فقال : « ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة » . أخرجه مسلم[1] .

السادسة: أنهم لا يملون من العبادة ، ولا يسأمون أبدًا : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٨].

السابعة: أنهم يقومون بما كلفوا به من الأعمال خير قيام، مع قيامهم بعبادة الله عز وجل، كما قال الله سبحانه : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٦/ ٢٤٠١).

٣- صفات خلق الملائكة

الملائكة خلقٌ عظيمٌ من خلق الله ، ولهم صفاتٌ كثيرة منها :

الأولى: أنهم خلقوا من نور كما قال النبي ﷺ: « خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » . أخرجه مسلم(١) .

الثانية: أن لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١] .

وقد رأى النبي ﷺ جبريل « لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » . أخرجه مسلم(٢) .

الثالثة: أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود :٦٩-٧٠] .

الرابعة: أن الملائكة لا يوصفون بالذكورة والأنوثة ، وقد عاب الله علي مشركي العرب اعتقادهم أن الملائكة إناث، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف:١٩] .

الخامسة: أن الملائكة لا يتناكحون ولا ينامون ولا يسأمون، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٨٠/ ١٧٤).

السادسة: أنهم لا يدخلون بيتًا فيه كلبٌ ولا صورة ولا تمثال ، كما قال النبي ﷺ: « لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلاَ صُورَةُ تمَاثِيلَ » . متفقٌ عليه[1] .

السابعة: أنهم يموتون كما يموت الإنس والجن ، كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن :٢٦-٢٧] .

وأخرهم ملك الموت ، وهو آخر الملائكة موتًا .

الثامنة: أنهم خلق عظيم من خلق الله سبحانه كما قال النبي ﷺ : « أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ » أخرجه أبو داود[2] .

التاسعة: أن الملائكة من أعظم الخلق عبادة : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨] .

العاشرة: أن الملائكة من أكثر خلق الله ، ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١]

وقال النبي ﷺ لأصحابه : « إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقٌّ لهَا أَنْ تَئِطَّ ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللهَّ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ » .اخرجه أحمد والترمذي[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم(٢١٠٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم:٤٧٢٧.

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٢١٥١٦)، والترمذي برقم(٢٣١٢) .

الإيمان بالملائكة له أربع أوجه :

الأول : الإيمان بوجودهم ، فهم أجسامٌ نورانيةٌ لطيفة ، خلقهم الله من نور .

الثاني : العلم بأنهم معصومون مطهرون: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:٢٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

وحياتهم بذكر الله وعبادته وتنفيذ أوامره .

الثالث : أنهم وسائط بين الله وبين البشر ، وكل قسمٍ منهم موكل على قسمٍ من أقسام العالم العلوي والعالم السفلي .

الرابع : أن كتب الله المنزلة وصلت إلى الأنبياء بواسطة الملائكة كما قال سبحانه: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾[النحل:٢] .

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية وأشهد ملائكته كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨] .

والملائكة من أعظم خلق الله عبادةً : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[النحل:٤٩-٥١] .

والملائكة يصلون على النبي، ويستغفرون للمؤمنين كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

وقال عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾[غافر:٧] .

وظائف الملائكة:

تنقسم أعمال الملائكة من حيث متعلقها إلى ثلاث أقسام :

الأول : عبادة الله جل جلاله، وهذا وصفهم العام ، فهم يعبدون الله مع ما يكلفون به من مهام ، وتنفيذ أوامر الله في خلق الله ، ومنهم من هذا شأنه أبدًا ، فهم صفوفٌ لا يفترون كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦ ﴾[الصافات:١٦٥-١٦٦] .

ولهم زجلٌ بالتسبيح والتقديس كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [البقرة:٣٠]

ومنهم سجدٌ لله لا يرفعون ، ومنهم ركعٌ لا يرفعون، ومنه قيامٌ لا يجلسون.

كما قال النبي ﷺ: « أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقٌّ لهَا أَنْ تَئِطَّ ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهَّ عَزَّ وَجَلَّ »اخرجه الترمذي[1] .

الثاني : تدبير أمر الملكوت ، العالم العلوي والعالم والسفلي وما فيهما من المخلوقات، يدبرونهم بأمر الله تعالى فهم المدبرات أمرًا ، وهؤلاء مجموعاتٌ عظيمةٌ متنوعة ، لكل مجموعةٍ من الملائكة عملٌ يقومون به ،

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٢١٥١٦)، والترمذي برقم(٢٣١٢) .

أعظمهم حملة العرش : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[غافر:٧] .

ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم المكلفون بتبليغ الوحي ورئيسهم جبريل، وملائكة الأرواح ورئيسهم إسرافيل ، وملائكة الأرزاق ورئيسهم ميكائيل، ومنهم المكلفون بحفظ السماوات، والمكلفون بالرياح والسحاب .

ومنهم المكلفون بالجبال والبحار والنبات، ومنهم المكلفون بأمور الحيوان والطير والدواب ، وغيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾[المدثر:٣١]

والملائكة أعظم جنود الله عز وجل : ﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١ ﴾ [الأنعام :١١١]

الثالث من وظائف الملائكة : تدبير أمر بني آدم في حياتهم وبعد مماتهم ، فالمعقبات تحفظ بني آدم في الدنيا : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[الرعد: ١١] .

والكرام الكاتبون يحفظون أعمال بني آدم : ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾[الانفطار:١٠-١٢] .

ومنهم ملائكةٌ سيّاحون يتّبعون مجالس الذكر وحِلق العلم .

ومنهم المصلون على المصلين الذين ينتظرون الصلاة بعد الصلاة .

ومنهم الذين يكتبون الناس على أبواب المساجد يوم الجمعة الأول فالأول ، فإذا دخل الإمام طووا صحفهم، ودخلوا يستمعون الخطبة .

فسبحان الله العظيم ما أعظم ملكه وسلطانه ، وما أعظم هذا الخلق العظيم للملائكة ، وما أحسن عبادتهم وصفوفهم .

والملائكة عالم غيبي خلقهم الله من نور ، وجعل لهم أعمالاً خاصة ، وقد خلقهم الله لعبادته ، وتنفيذ أوامره ، سواءً كان بالعبادات المتعلقة بهم، أو في تدبيرِ مصالح الخلق ، وليس عند الملائكة استكبارًا عن الأمر ، ولا عجزٌ عنه ، فهم يفعلون ما أمِرُوا به ، ويقدرون عليه ، بخلاف البشر الذين قد يستكبرون عن الأمر : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت:٣٨].

وقال سبحانه عنهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

وأعظم الملائكة ثلاثة :

١- جبريل أشرف الملائكة ، موكَّل بما فيه حياة القلوب ، وهو الوحي إلى الأنبياء والرسل .

٢- ميكائيل موكل بما فيه حياة الأبدان ، وهو القطر والنبات .

٣- إسرافيل أحد حملة العرش ، موكَّل بما فيه حياة الأبدان ، وهو النفخ في الصور الذي تحيا به الأبدان بعد موتها .

ومنهم مالك خازن النار، ومنهم ملك الموت الموكَّل بقبض الأرواح كلها، وملك الموت له أعوان من الملائكة يساعدونه، وينزلون بالكفن والحنوط للروح التي تخرج من الجسد، إن كان من أهل الإيمان، نزلوا بكفن وحنوط من الجنة .

وإن كان من أهل الكفر نزلوا بكفن وحنوط من النار ، فإذا استلها ملك الموت أعطاهم إياها فيضعونها في الكفنِ والحنوط : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١].

قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٠] .

فالبشر يكفنون ، ويحنطون البدن والملائكة يكفنون، ويحنطون الروح، فما أعظم عناية الله بالآدمي؛ ملائكة يكفنون روحه، وبشرٌ يكفنون بدنه، ومصلون يصلون عليه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

والجنُ أقوى من البشر ، والملائكةُ أقوى من الجن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦] .

فالملائكة خلقهم الله من نور ، جسدًا واحدًا ، ليس لهم أجواف ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يأكلون، ولا يشربون، والملائكة أرواح كالجن.

وقد يرى البشر الملائكة إما على صورتهم التي خلقهم الله عليها ، أو على صورة من أراد الله أن يكونوا على صورته وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها في موضعين ، في الأرض، والسماء ، ورآه في الأرض عند غارِ حِراء قرب مكة: وفي الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ أخرجه مسلم[1] .

وقال عز وجل: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ ۖ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾[النجم:٥-٨] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٧٤).

ورآه في السماء عند سدرة المنتهى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [النجم:١٣-١٤] .

وأحيانًا يأتيه في صورة إنسان كما في حديث عمر قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ» أخرجه مسلم (١).

وفي الحديث أنه سأله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، ثم قال النبي ﷺ: « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ » قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » . أخرجه مسلم (٢) .

وجاءه مرة في صورة دحية الكلبي؛ أحد الصحابة رضي الله عنه، والملائكةُ كانوا يقاتلون مع الصحابة في غزوة بدر، أرسلهم الله لنصرة دينه ، وأوليائه .

وقد ذكر الله في القرآن تأييد المؤمنين بالملائكة في أربع سور، في أربع غزوات ، في ثلاثٍ منها يقول : ﴿ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ، وفي الرابعة لم يقل : ﴿ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ، فالثلاثة التي قال فيها ﴿ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ، هي :

الأولى : الملائكة الذين نزلوا في غزوة الأحزاب ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٩] .

الثانية : الملائكة الذين أنزلهم الله في غزوة حُنين كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١/ ٨).

مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة: ٢٥ - ٢٦]

الثالثة : الملائكة الذين أنزل الله لحفظ نبيه ﷺ وصاحبه في الغار عند الهجرة ، كما قال سبحانه : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[التوبة:٤٠] .

الرابعة : الملائكة النازلون يوم بدر ، وقد ذكرهم الله في موضعين ، في سورة الأنفال كما قال سبحانه : ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾﴾[الأنفال:١٢] .

والخامسة : في سورة آل عمران كما قال سبحانه : ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران:١٢٤-١٢٥] .

والملائكة قاتلوا مع المؤمنين في غزوة بدر ، أما في غيرها فقد جاءت الملائكة من ربها، لتقوية قلوب المؤمنين ، ونصرتهم على عدوهم ، وتجبين الكفار وترويعهم، فلله الحمد على نصر الله لأوليائه .

٤ - أصناف الملائكة

ذكر الله في القرآن أصناف الملائكة، وأوصافهم .

فأما أصناف الملائكة :

فأحدها : حملة العرش، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة:١٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [غافر:٧] .

الثاني : الحافون حول العرش : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر:٧٥] .

الثالث : أكابر الملائكة، وهم ، جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة:٩٨] .

فجبريل صاحب الوحي إلى الأنبياء الذي به حياة القلوب ، وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الأبدان ، وإسرافيل صاحب الصور الذي به حياة الأرواح .

الرابع : ملائكة الجنة كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤] .

الخامس : ملائكة النار ، ورئيسهم مالك كما قال سبحانه: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف:٧٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر:٣١]

السادس: الملائكة الموكَّلون ببني آدم : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

السابع: الملائكة الموكَّلون بأحوال العالم : ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الصافات:١-٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الذاريات: ٤]

وقال الله عز وجل : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [النازعات:٥] .

هم كثير مما لا يحصيهم إلا الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١] .

فسبحان الله ما أعظمَ هذا الخلق العظيم ، وما أحسنَ عباداتهم ، وما أحسنَ صفوفهم ، وما أحسن تدبيرهم .

صفات الملائكة :

أما صفات الملائكة فمن وجوه :

أحدها: أنهم رسل الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج:٧٥] .

الثاني: قربهم من الله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

الثالث: استمرار عباداتهم، كما قال سبحانه : ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء:٢٠] .

وكما قال سبحانه عن الملائكة : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[الصافات:١٦٥-١٦٦] .

الرابع: مبادرتهم إلى امتثال أوامر الله ، تعظيمًا له : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤] .

وقال سبحانه عن الملائكة : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم:٦] .

الخامس: أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بوحي الله وأمره ، كما قال سبحانه عن الملائكة : ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنبياء: ٢٦ – ٢٧] .

السادسة : عظمة قدرتهم ، فالذين يحملون العرش من الملائكة ثمانية ، والعرش العظيم محيط بالكرسي الكريم ، والكرسي محيط بالسماوات السبع ، والسماوات السبع محيطة بالأراضين السبع : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥] .

وقال الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[غافر:٧] .

وأحد حملة العرش أخبر عنه النبي ﷺ بأن ما بين أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام .

فسبحان الرب العظيم الذي أعطاهم هذه القدرة العظيمة، وهذا الخلق العظيم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾[الحجر: ٨٦] .

وإسرافيل ﷺ صاحب الصور ، بنفخة واحدة منه يصعق من في السماوات ومن في الأرض ، ثم يصعق ثانية فيقومون أحياء : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الزمر:٦٨] .

فما أعظم قدرة هذا الملك ، وما أعظم قدرة الجبار الذي خلقه .

وجبريل ﷺ بلغ من قوة بأنه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط بطرف جناحه ، ثم قلبها، وله ستمائة جناح ، جناح منها يسد الأفق .

السابع: أن الملائكة مع كثرتهم ، ومع كثرة عباداتهم، ودوامها ، ومع عدم معاصيهم ، يكونون خائفين وجلين ، حتى كأن عباداتهم معاصي : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل:٥٠] .

وقال الله عز وجل عن الملائكة: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٨] .

فسبحان من خلق هذا الخلق العظيم جمالًا وجلالًا، فهم بين يدي ربهم قائمون، وراكعون، وساجدون، وصافون ومسبحون ، لا يملون ولا يسأمون ، يسبحون بحمد ربهم ، ويتصاغرون لكبريائه ، لهم زجل بالتسبيح والتقديس ، لا يغشاهم نوم العيون ، ولا سهو العقول ، ولا غفلة النسيان ، ولا فتر الأبدان ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

محبة الملائكة :

الملائكة خلقٌ عظيم، الله من نور ، خلقهم لعبادته ، وتنفيذ أوامره ، في ملكه وملكوته ، والمؤمن يحُب الملائكة ، والملائكة يحُبونَ المؤمنين ، والله سبحانه أخبرهم بنا قبل أن يخلقنا ، فقال : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:٣٠]

ثم لما خلقنا الله عز وجل أمرهم بالسجود لأبينا آدم ﷺ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤] .

فسجدوا كلهم أجمعون ، طاعة لربهم ، وتكريمًا لهذا المخلوق الذي خلقه الله بيده ، وجعله خليفةً في الأرض .

ثم أمرهم الله بالدخول عليك في بطن أمك لينفخُ الملك فيكَ الروح، وكتابة رزقك، وأجلك، وعملك ، وشقي أو سعيد، ثم لما خرجت من بطن أمك، أوكَل الله بك مجموعة كاملة من الملائكة، رقيبٌ، وعتيدٌ، وحفظة، وكرام كاتبين: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد: ١١] .

وقال الله عز وجل ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[الانفطار:١٠-١٢] .

والملائكة الذين معك يحرسونك في حِلق الذكر، أو في زيارة في الله وغيرهم .

قال النبي ﷺ: « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » .

أخرجه مسلم[1] .

ثم إذا حصل النزع، معك الملائكة، يثبتونك، ويبشرونك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

ثم إذا تبت إلى ربك الملائكة يستغفرون لك، ويدعون لك، قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر:٧-٨] .

ثم هم يصلون ويدعون لمعلم الناس الخير ، فما في السماء موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك راكع ، أو ساجد ، أو قائم بين يدي الله عز وجل.

إن الله وملائكته وجميع أهل السماوات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير .

ثم إذا أُدخِلت القبر زارك منكر ونكير ، يسألوك من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٠٠).

ثم إذا كنت في يوم القيامة الملائكة تكون معك تبشرك: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣ ﴾ [الأنبياء:١٠٣] .

ثم إذا أُدخِلت الجنة ، هم معك ، يُسلمون عليك ، ويهنئونك بالفوز والفلاح: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤] .

والله ﷻ يصلي على نبيه ، وملائكته ، فعلينا أن نصلي عليه ﷺ كما صلى ربُنا ، وملائكته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

فالمؤمن يحب الملائكة، لا يقومون به من عبادة الله، وطاعة الله، وتنفيذ أوامره، والدعاء للمؤمنين، والقيام عليهم، والعناية بهم، وغير ذلك من فضائلهم .

٥- عظمة خلق الملائكة

الملائكة خلقٌ عظيم من خلق الخلاق العظيم جل جلاله، والملائكة كغيرهم من المخلوقات متفاوتون في الخلق، متفاوتون في الصفات، ومتفاوتون في الأعمال، جعلهم الله عز وجل رُسلًا في تدبير أوامره القدرية، وجعلهم رُسلًا بينه وبين خلقه في تبليغ أوامره الشرعية لرسله وأنبيائه، ومنحهم سبحانه من القوة والقدرة ما يستطيعون به تنفيذ أوامر الله في أسرع وقت ، فقوة جميع الخلائق كلها لا تساوي قوة ملك من الملائكة ، فكيف بقوة جميع الملائكة ؟ فكيف بقوة من خلقهم سبحانه ؟.

قال الله تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج:٧٤] .

فإسرافيل ﷺ ملك من الملائكة، وكَّله الله بالنفخ في الصور ، والصور كالبوق ، وبنفخة واحدة منه يصعق من في السماوات السبع ، ومن في الأراضين السبع ، فهذه نفخة الصعق ، ثم ينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الخلائق كلهم قيام ينظرون .

بنفخة واحدة يصعق من في العالم العلوي ، ومن في العالم السفلي إلا من شاء الله ، وبنفخة أخرى يقومون لرب العالمين ، كما قال سبحانه : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الزمر:٦٨] .

فهاتان نفختان عظيمتان من إسرافيل ، بالأولى مات من بالعالم ، وبالأخرى دبت الحياة في جميع من في العالم ، فماذا يملك إسرافيل ﷺ من النفخات ؟

وإذا كانت هذه قوة نفخته ؟ فكم تكون قوة جسده ؟ وكم تكون قوة من خلقه وأمره جل جلاه؟ ! .

فسبحان العزيز الجبار الكبير المتعال، الذي قهر جميع الخلائق ، وخلق القوة في كل قوي : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود:٦٦] .

وجبريل ﷺ من أعظم الملائكة، وكَّله الله بالوحي إلى الأنبياء ، خلق الله له ستمائة جناح ، جناح واحد منها لما نشره سد الأفق ، وبطرف جناحه قلع خمس قرى من قرى قوم لوط ، بما فيها من المخلوقات ، والجبال ، ثم رفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم بأمر الله عز وجل : ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾[الحجر:٧٤] .

فإذا كانت هذه قوة طرف جناحه ؛ فكم تكون قوة كامل جناحه؟ .

وإذا كانت هذه قوة طرف جناحه ؛ فكم تكون قوة جميع أجنحته الستمائة ؟ وكم تكون قوة جسده ؟، فكيف بقوة خالقه العزيز الجبار جل جلاله ؟ ! .

فلا إله إلا الله، ما أعظم قوته وقدرته: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر: ٦٧] .

وعن ابْنُ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » . متفق عليه[1] .

وميكائيل ﷺ من أكابر الملائكة ، وكَّله الله بالقطر والنبات الذي به حياة الأبدان ، فكم من المياه يُكيلُها ويفرقها حول العالم بأمر الله ؟ وكم من الأرزاق يُكيلُها للخلائق كل يوم بأمر الله ؟

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣٢)، ومسلم برقم: (٢٨٠/ ١٤٧)، واللفظ له.

فسبحان من أعطاه القدرة على معرفتها وقسمتها وتوزيعها في العالم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وأحد حملة العرش خلقه الله ما بين شحمة أذنه ومنكبه مسيرة سبعمائة عام ، كما قال النبي ﷺ: « أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[1] .

وإذا كانت المسافة من الأذن إلى العاتق سبعمائة سنة، فكم تكون المسافة من رأسه إلى رجليه ؟ وكم تكون قوة هذا الملك الذي يحمل هذا العرش العظيم الذي السماوات والأرض بالنسبة إليه كحلقة من خاتم في أرض فلاة ؟ وكم عظمة العرش الذي هذا الملك أحد حملته ؟ فكيف بقوة وعظمة الرب الذي خلق العرش ، وخلق حملته ، وخلق جميع ما في الكون ؟.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فما أجهلنا بالرب وأسمائه وصفاته وأفعاله ؟

وما أجرأنا على معصية أوامره: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٢٧).

وخلق الملائكة سابق على خلق آدم وذريته:

ولما كانت أجسام الملائكة نورانية لطيفة، فإن البشر لا يستطيعون رؤيتهم إلا إذا تمثلوا في صورة بشر ، ولم ير الملائكة من هذه الأمة إلا الرسول ﷺ رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق .

والملائكة ليسوا على درجة واحد في الخلق ، والمقدار .

بعض الملائكة له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة، وجبريل له ستمائة جناح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[فاطر:١] .

ومقاماتهم عند ربهم متفاوتة معلومة ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[الصافات:١٦٤-١٦٥] .

قال سبحانه في جبريل ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[التكوير: ١٩ – ٢١] .

ومساكن الملائكة ومنازلهم في السماء ، وينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ أوامر الله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[مريم:٦٤] .

ويكثر نزولهم في مناسبات وأوقات خاصة ، كليلة القدر : ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾[القدر: ٤]

والملائكة يموتون عند النفخ في الصور كما يموت الإنس والجن وكل ذي روح ، وتقبض أرواحهم حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم بالبقاء كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن: ٢٦ – ٢٧] .

والملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم ، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى ، يستغفرون لمسيئهم ، ويثنون على مؤمنيهم ، ويدعون لهم ، ويعينونهم على أعدائهم من الكفار والشياطين .

والشياطين أغش خلق الله لعباده ، وعلى أيديهم حصل للبشر كل شر وإضلال، وغواية وإفساد : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء:٣٨] .

والملائكة أهل طاعةٍ مطلقة ، فقد كانوا أولى الخلق بالطمأنينة ، ولكنهم دائمون في تسبيح ربهم واستغفاره: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠] .

وقال الله ﷻ عن الملائكة: ﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

استدرارًا لمغفرته ورحمته ، ولما يحسون من علوه وعظمته ، ولما يعلمون من جماله وجلاله ، ولما يخشون من التقصير في طاعته وحمده ، بينما أهل الأرض المقصرون الضعاف يكفرون، وينحرفون في أقوالهم وأعمالهم ، حتى أن السماوات ليكدن يتفطرن من فوقهن من شذوذ بعض أهل الأرض، وإشراكهم بالله، وكفرهم به .

بينما الملائكة الكرام يستغفرون لمن في الأرض جميعًا من هذه الفعلة الشنعاء التي جاء بها بعض المنحرفين والكافرين : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى:٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

فتشفق الملائكة من غضب الله ، ويروحون يستغفرون لأهل الأرض مما يقع في الأرض من معصية وتقصير لفاطر السماوات والأرض ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة كما أخبر الله عنه بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ [غافر:٧] .

وقد وكل الله بالعرش العظيم ملائكةً يحملونه ، وملائكةً حوله يطوفون به، لهم زجلٌ بالتسبيح والتقديس والتعظيم لربهم ، صافّون لا يسأمون ولا يفترون عن العبادة لربهم ، لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول .

يا حسرةً على العباد ، ماذا علموا وماذا جهلوا من عظمة الرب العظيم، وقدرته وجلاله وجماله وكبريائه ، وما الذي غرهم حتى أعرضوا عن ربهم فعصوه وأطاعوا عدوه : ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨ ﴾ [فصلت:٣٨].

وقد وكّل الله سبحانه بالرياح ملائكة تصرفها بأمره ، ووكل بالقطر ملائكة ، ووكل بالسحاب ملائكة تسوقه وتفرقه حيث أُمِرت .

قال النبي ﷺ: « بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ » . أخرجه مسلم[1] .

وكل سبحانه بالجبال ملائكة يقومون عليها، ويحركونها ويرفعونها بأمر الله ، ووكل سبحانه بالرحمة ملائكة ، ووكل بالعذاب ملائكة ، ووكل بالوحي ملائكة يؤدوسنه إلى أنبيائه ورسله كما قال سبحانه : ﴿ يُنَزِّلُ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٤).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل:٢] .

ووكل سبحانه بالجنة ملائكة يبنونها ويفرشونها ، ويصنعون أرائكها وسررها، وصحافها ونمارقها، وزرابيها وقصورها : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

ووكل بالنار ملائكة يبنونها ويوقدونها ويسجرونها ، ويصنعون أغلالها وسلاسلها ، ويقومون بأمرها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦] .

ووكل سبحانه بالبحار ملائكة تسجرها وتمنعها أن تفيض على الأرض فتغرق أهلها .

ووكل جل جلاله ملائكة بأعمال بني آدم خيرها وشرها ، تحصلها وتحفظها وتكتبها : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف:٨٠] .

فالإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إلا به ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وإذا عرفنا ذلك فيجب أن نعلم أن كل حركةٍ في العالم العلوي والسفلي فسببها الملائكة ، وحركتهم طاعةٌ لله عز وجل، وحركتهم طاعة الله بأمره وإرادته ، ويرجع الأمر كله إلى تنفيذ مراد الرب تعالى شرعًا وقدرًا ، والملائكة هم المنفذون ذلك بأمره ، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره في ملكه : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٧-٢٨] .

وجميع حركات العالم العلوي والسفلي تابعةٌ للإرادة والمحبة ، وبها تحرك العالم ولأجلها ، فما تحرك في العالم العلوي والعالم السفلي إلا والإرادة والمحبة سببها وغايتها .

فالملائكة هم المقسمات أمر الله ﷻ الذي أمِرت به بين خلقه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الذاريات: ٤]

والملائكة هم المدبرات أمر الخلائق بأمر الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ﴿٥﴾ ﴾ [النازعات:٥] .

فالملائكة تقسم الأمر وتدبره بإذن الله ، وكلٌ منهم قد جعله الله على تدبير أمرٍ من أمور الدنيا، وأمور الآخرة ، وأمور العالم العلوي ، وأمور العالم السفلي، لا يتعدى منه ما قدر له ، ولا ينقص منه شيئًا ، فالملائكة ينفذون أوامر الله في خلقه ، في كل حال، وفي كل وقت ، وفي كل مكان ، وفي كل مخلوق : ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

فجبريل ﷺ ينزل بالوحي على الرسل والأنبياء ، ويقسم العذاب وأنواع العقوبة على من خالف أمر الله ورسله .

وميكائيل ﷺ قائم على القطر والنبات، والبرد والثلج يقسمها بأمر الله على البلاد والعباد ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وملك الموت ﷺ يقسم المنايا بين الخلق بأمر الله ، فلا يفر من الموت أحد ، ولا يموت أحدٌ قبل أجله: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١].

وإسرافيل ﷺ يقسم الأرواح على أبدانها عند النفخ في الصور النفخة الثانية .

فتدبير أمر العالم العلوي والسفلي إنما هو بأمر الله، على أيدي الملائكة الذين يدبر الله بهم أمر العالم .

هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن، وما فيهم من القوة والشدة ولطافة الجسم، وحسن الخلق، وكمال الانقياد لأمر الله ، والقيام بعبادته، وتنفيذ أوامره في أقطار العالم .

فسبحان الرب العظيم الذي خلق هذا الخلق العظيم الذي يعبده كما ينبغي لجلال وجهه، وعظمة سلطانه ، وينفذ أوامره في مملكته ، وملكه العظيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فكل حركةٍ في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر ، والرياح والسحاب ، والنبات والحيوان ، والتراب والحبال ، فهي ناشئةٌ عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض ومن فيهن كما قال سبحانه عنهم: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات:٥] .

والقرآن العظيم كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين جبريل ﷺ على قلب سيد المرسلين محمدٍ ﷺ .

وقد أضاف الله القرآن إلى الرسول الملكي وهو جبريل تارة، فقال : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢١]

وأضافه إلى الرسول البشري محمدٍ ﷺ تارة ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة:٤٠-٤٣] .

وإضافة القرآن الكريم إلى كل واحدٍ من الرسولين الملكي والبشري إضافة تبليغٍ، لا إضافة إنشاءٍ من عنده ، فهو كلام الله الذي تكلم به حقًا ، وجبريل سمعه من الله ، ومحمد ﷺسمعه من جبريل ، والأمة سمعته وبلغها من محمدٍ ﷺ، وهذه الأمة عليها أن تبلغ هذا القرآن إلى البشرية إلى يوم القيامة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢] .

وقد وصف الله رسوله الملكي جبريل بأنه كريم ، قوي ، مكين عند الرب تعالى ، مطاعٌ في السماوات ، أمين: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ – ٢١] .

هذه خمس صفات تضمن تزكية سند القرآن الكريم .

فهذا الملك الذي ألقى القرآن على محمدٍ ﷺ ملكٌ كريمٌ، جميل المنظر، كثير الخير ، وكل خيرٍ في الأرض من هدى وعلمٍ ومعرفةٍ، وإيمان وتقوى، وبر وإحسان، فهو مما أجراه ربه على يده ، وهذا غاية الكرم .

وهو ذو قوةٍ ، فبقوته يمنع الشياطين أن يغيروا من القرآن ، وأن ينالوا منه شيئًا، وأن يزيدوا في القرآن، أو ينقصوا منه ، وهو قادرٌ على تنفيذ ما أمره الله به لقوته ، مؤدٍ له كما أُمر به لأمانته ، فهو القوي الأمين ، الذي تطيعه ملائكة السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى ، وله مكانةٌ ووجاهةٌ عند ربه ، وهو أقرب الملائكة إليه، ولعلو منزلته صار قريبًا من ذي العرش سبحانه ،

فمحمدٌ ﷺ مطاعٌ في الأرض ، وجبريل ﷺ مطاعٌ في السماء ، وكلٌ من الرسولين مطاعٌ في محله وقومه .

وصف الله عبده ورسوله جبريل ﷺ بهذه الصفات، ليدل على عظمة شأن المرسل وهو الله عز وجل، والرسول وهو جبريل والرسالة وهي الدين والقرآن ، والمرسل إليه وهو محمد ﷺ حيث انتدب له الكريم القوي المكين عنده، المطاع في الملأ الأعلى، الأمين حق أمين ، فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف ذوي الأقدار والرتب العالية ، فكيف برسول ملك الملوك جبريل ﷺ؟ ! .

فعلينا أن نشعر بوجود هؤلاء الملائكة الكرام ، الذين هم معنا يكتبون الأعمال والأقوال ويحصونها ، وعلينا أن نجلهم ونوقرهم ونكرمهم ونستحي منهم ، فالملائكة هم الذين يدافعون عن المؤمن ، ويستغفرون له ، ويدعون له .

فلا يليق بالمؤمن أن ينسى جوارهم، ويبالغ في أذاهم، وطردهم عنه ، فالملك ضيف الإنسان وجاره ، والإحسان إلى الجار وإكرام الضيف من لوازم الإيمان ، والملائكة المرافقون للإنسان أكرم ضيفٍ، وأعز جار ، ومعنا من الملائكة من لا يفارقنا ، فليستحِ العبد منهم وليكرمهم ، وقد نبه الله على ذلك في قوله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

٦- وظائف الملائكة

للملائكة مع البشر ثلاثة أدوار :

الأول : دورهم مع جميع بني آدم، مؤمنهم وكافرهم، من تشكيلهم للنطفة ، وحراسة العباد، ومراقبة كل أحد: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١١] .

وتبليغ الوحي ، ونزع الأرواح ، ونحو ذلك :﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨] .

الثاني : دور الملائكة مع المؤمنين ، ومن ذلك :

أولا : محبتهم للمؤمنين

كما قال النبي ﷺ: « إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ » . متفقٌ عليه[1] .

ثانيًا : صلاتهم على المؤمنين، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣] .

والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة ، ورحمته له ، والصلاة من الملائكة بمعنى الدعاء للمؤمنين، والاستغفار لهم ، والملائكة يصلون على معلم الناس الخير ، ويصلون على الذين ينتظرون صلاة الجماعة ولم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢٠٩)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم(٢٦٣٢) .

يحدثوا، والله وملائكته يصلون على الصف الأول وعلى الصفوف المتقدمة ، وعلى الذين يصلون الصفوف، ويسدون الفرج ، وعلى الذين يتسحرون ، وعلى الذين يصلون على النبي ﷺ، والملائكة يستغفرون للذين يعودون المرضى .

ثالثًا : تأمين الملائكة على دعاء المؤمنين ، وبذلك يكون أقرب للإجابة كما قال النبي ﷺ: « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملكٌ موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ، ولك بمثل » أخرجه مسلم(١)

وقال النبي ﷺ: « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ : وَلَكَ بِمِثْلٍ » . أخرجه مسلم(٢) .

وإذا كان الدعاء للمؤمن المؤمن عليه حريًا بالإجابة ، فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يدعو على نفسه بشر .

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » . أخرجه مسلم(٣) .

رابعًا : استغفار الملائكة للمؤمنين ، ودعائهم لهم، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ [غافر:٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٢٧٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٧٣٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٢٠).

خامسًا : شهود الملائكة مجالس العلم وحلق الذكر

كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ للهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ : « فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » . متفقٌ عليه[1] .

وإذا جلس المسلم في حلقة علم استفاد من الملائكة فائدتين :

الأولى : أن الملائكة تحف بمن يطلب العلم إكرامًا لهم ، وتدعوا لهم ، وتحرسهم .

الثانية : أن الصحبة مؤثرة ، فإذا حفتهم الملائكة استفادوا منها كرامتين :

الأولى: أنهم في ذلك المجلس لا يعصون الله ما أمرهم .

الثانية: أنهم يفعلون ما يؤمرون .

وهذان مقصد حياة الإنسان ، امتثال أوامر الله ، وعدم معصية الله . فالأعمال الصالحة تقرب الملائكة منا، وتقربنا منهم ، ولو استمر العباد في حالةٍ عاليةٍ من الإيمان والسمو الروحي، لوصلوا إلى درجة مشاهدة الملائكة ومصافحتهم

كما قال النبي ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » .ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٤٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم(٢٦٨٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم:(٢٧٥٠) .

سادسًا : تسجيل الملائكة للمسلمين الذين يحضرون الجمعة ،

كما قال النبي ﷺ: « إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ المَلاَئِكَةُ ، يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ، فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » . متفقٌ عليه[1] .

سابعًا : تعاقب الملائكة على المؤمنين ، فطائفةٌ تأتي ، وطائفةٌ تذهب ، كما قال النبي ﷺ: « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ : مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ العَصْرِ، وَصَلاَةِ الفَجْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » متفقٌ عليه[2] .

ومن الملائكة من ينزل عند قراءة القرآن يستمعون له ، ولله ملائكة سياحون يبلغون سلام الأمة للنبي ﷺ في كل وقت ، ومنهم من يحمل البشارات للأنبياء وغيرهم ، كما بشرت الملائكة إبراهيم ﷺ .

كما قال سبحانه : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الذاريات:٢٨] .

وكما بشرت الملائكة زكريا بيحيى كما قال سبحانه : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران:٣٩] .

والملائكة تقاتل مع المؤمنين ضد أعدائهم كما حصل في غزوة بدر .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٢١١)، واللفظ له، ومسلم برقم(٨٥٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٣٢).

ومنهم من يرسله الله لحماية ونصرة صالح عباده، كما أرسل الله جبريل لإغاثة هاجر وابنها إسماعيل، فبحث في عقبه حتى خرج ماء زمزم بأمر الله عز وجل.

والملائكة تشهد جنائز الصالحين ، وتظل الشهداء بأجنحتها ، وتحمي مكة والمدينة من الدجال ، والملائكة يؤمنون مع المؤمنين كما قال النبي ﷺ: « إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ- وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ يَقُولُ : آمِينَ » . متفقٌ عليه[1] .

فهذه بعض أعمال الملائكة مع المؤمنين ومع بني آدم عمومًا ، فعلينا أن نتولى جميع الملائكة بالحب والتوقير والإكرام ، وأن نتجنب ما يسيء إليهم ويؤذيهم من المعاصي والمنكرات والروائح الكريهة ، فالملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، وإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله ، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين ؟وما الظن بمبارزة الملك العظيم الجبار بالمعاصي والفواحش ؟ .

فما الذي غر الإنسان حتى غرق في بحر المعاصي والفواحش والمنكرات، أغره حلم الله عز وجل ؟ أم يظن أن الله لا يراه ؟ أم استغنى بما عنده عن ربه ؟ أم يحسب أنه لا يعود إليه ؟.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾[الانفطار:٦ -٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤١٠).

وقال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ [العلق: ٦ – ٨] .

والملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يُعصى الله فيها ، أو يوجد فيها ما يكرهه الله ويبغضه ، كالأنصاب والصور والتماثيل والكلاب ، والسُكر ، والجنب إلا أن يتوضأ كما قال النبي ﷺ: « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ ، الثُّوم وقَالَ مَرَّةً : مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » . متفقٌ عليه[1] .

الثالث : دور الملائكة مع الكفار والفساق .

الملائكة لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين، بل يعادونهم ويحاربونهم ويلعنونهم، كما حاربت الملائكة مع المؤمنين ضد الكفار في بدر : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾[الأنفال:٩] .

وكما حاربوا الأحزاب في الخندق كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ ﴾[الأحزاب:٩] .

وقد أرسل الله ملائكةً إلى قوم لوط ، الذين جمعوا مع الكفر فاحشة إتيان الذكران من العالمين ، فرفع جبريل ديارهم بمن فيها ، ثم قلبها عليهم، كما قال سبحانه : ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٦٤).

عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾[هود:٨١-٨٣] .

وقد من الله عز وجل علينا فرأينا ذلك المكان، وهو مكان البحر الميت ، نعوذ بالله من غضبه وعقوبته ومعصيته .

والملائكة تلعن الكفرة الذين كفروا بالله ولم يستجيبوا للرسل، وماتوا على ذلك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[البقرة:١٦١] .

ولا تلعن الملائكة الكفرة فحسب ، بل قد تلعن من فعل ذنوبًا معينة ، كالمرأة التي يدعوها زوجها إلى الفراش فتأبى ، فالملائكة تلعنها حتى ترجع، ومن أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، لما فيها من الترويع لأخيه، ومن أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فما أعظم قدرة الله عز وجل، وما أعظم مخلوقاته ، وما أعظم خلقه من الملائكة الذين لا يحصيهم، ولا يحصي أعمالهم وأعدادهم إلا الله وحده لا شريك له الذي أحصى كل شيءً عددًا .

فلله الحمد سبحانه على عنايته ببني آدم حيث وكل من الملائكة من يقوم بحفظهم ونصرتهم، والدعاء لهم والاستغفار لهم، والعناية بهم: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

فعلينا محبة جميع الملائكة ، الذين يقومون بعبادة الله، والدعاء والاستغفار للمؤمنين ، وتنفيذ أوامر الله ، وتبليغ الوحي إلى رسل الله .

إن الإيمان بالملائكة شأنه شأن الحقائق الغيبية المستيقنة التي جاءت من عند الله ، يوسع آفاق الشعور الإنساني بالوجود ، فلا تنكمش صورة الكون عنده على ما تدركه الحواس، وهو ضئيل في هذه الدنيا ، كما أن الإيمان بالملائكة يؤنس قلب الإنسان بهذه الروح المؤمنة من حوله ، التي تشاركه إيمانه بربه، وتستغفر له، وتكون في عونه على الخير بإذن الله .

٧- ثمرات الإيمان بالملائكة

للإيمان بالملائكة ثمراتٌ عظيمة عاجلةٌ وآجلة ، منها :

أولًا : أن الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب الذي هو أعظم صفات المؤمنين : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[البقرة:٢ - ٣] .

ثانيًا : الثقة التامة بسند الرسالة ، فمنهم السفراء بين الله ورسله في تبليغ رسالته إلى رسله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾[الشعراء : ١٩٣-١٩٥] .

ثالثًا : التأسي بالملائكة في حسن عبادتهم، وحسن صفوفهم، ودوام طاعتهم لربهم، ودوام ذكرهم له ، فمعرفة ذلك يحمل المسلم على حسن الاستقامة ، ودوام الطاعة : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨ ﴾[فصلت:٣٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦ ﴾ [الصافات:١٦٥-١٦٦] .

رابعًا : الإيمان بعظمة الله، وكمال قدرته في خلق الملائكة على هذه الخلقة الكريمة القوية الحسنة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [فاطر:١] .

خامسًا : شكر الرب عز وجل على عنايته ببني آدم ، حيث وكل بهم ملائكةً كراماً يحفظونهم، ويحفظون أعمالهم ، ويدعون لهم ، ويعينونهم على

عبادة ربهم : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦] .

سادسًا : لزوم الاستقامة والحذر من المعاصي ، فإن الملائكة يكتبون على بني آدم كل عمل ، ويشهدون عليه بما عمل ، وإذا ذكر العبد ذلك استحى منهم ، فلم يقارف معصية : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

وقال عز وجل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨] .

سابعًا : النشاط في فعل الخيرات ، والمبادرة إلى أعمال البر ، لعلم المسلم بحضور الملائكة مجالس الذكر ، ودعائهم لفاعله ، وإعانتهم له .

ثامنًا : حسن الأدب مع الملائكة واحترامهم ، والحياء منهم ، والأنس بهم وحسن صحبتهم ، لأنهم مع الإنسان في جميع أحواله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف:٨٠] .

تاسعًا : اجتناب الأقوال البذيئة، والأفعال السيئة، والروائح الكريهة ، لأن الملائكة يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم .

عاشرًا : تكميل الإيمان والتقوى، والمسارعة إلى الخيرات، اقتداءً بالملائكة، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠] .

الحادي عشر : اجتناب ما يسبب بعد الملائكة عن الإنسان أو المكان ، كالصور، والتماثيل، وآلات اللهو ، والكلاب، والنجاسات ، والروائح التي تكرهها الملائكة ، فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا تماثيل .

الثاني عشر : الإلحاح على الله بالدعاء والثناء عليه، رجاء موافقة دعائهم واستغفارهم لنا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ [غافر:٧] .

الثالث عشر : تحصيل المزيد من دعائهم، وحضورهم، وصلاتهم، بحضور أماكن الذكر والصلاة ومجالس العلم .

رابع عشر : حب الملائكة لحسن عبادتهم لربهم وطاعتهم له ، ودعائهم للمؤمنين، واستغفارهم لهم ، وإعانتهم على الخير .

فلله الحمد على عظمة ملكه وسلطانه ، وله الحمد على هذا الخلق العظيم من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويستغفرون للمؤمنين، ويدعون لهم .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الثالث: الإيمان بالكتب.

ويشتمل هذا الركن على ما يلي:

١ – فقه الإيمان بالكتب.
٢ – القرآن العظيم أحسن الكتب.
٣– فضائل القرآن العظيم.
٤ – فقه الإيمان بالكتب الإلهية.

١ - فقه الإيمان بالكتب

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له ملك العالم العلوي ، والعالم السفلى، وله ملك الدنيا، والأخر ، وله ملك عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، وله ملك السموات والأرض ، وله ملك ما في السموات ، وما في الأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله ملك غيب السموات والأرض ، وله ملك خزائن السموات والأرض، وله ملك جنود السموات والأرض، وله ملك مقاليد السموات والأرض، وله ملك ميراث السموات والأرض:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

والله تبارك وتعالى خالق هذا الكون العظيم ، وله ملك السموات والأرض ، وما فيهن ، وله ملك الدنيا والأجرة ، ولابد للملك العظيم في ملكه العظيم من أوامر ، ومن جنود تنفذ ، وتؤدى هذه الأوامر: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

وأوامر الله عز وجل نوعان :

أوامر كونية ..

أوامر شرعية .

فأوامر الله الملكية الكونية القدرية وكَّل الله الملائكة بتنفيذها في هذا الكون في مخلوقاته سبحانه ، كما قال سبحانه عن الملائكة : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ [النازعات:٥] .

وقال سبحانه : ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾ [الذاريات:٤] .

وأوامر الله الملكية الشرعية هي الكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل على رسله، وهي تشتمل على الأوامر الشرعية التي تصلح بها أحوال العباد، وتعرفهم بخالقهم ، ومعبودهم ، وما يحب وما يكره ، وما يرضيه وما يسخطه، من الأقوال والأعمال، والأخلاق، وتبين ما للناس بعد القدوم على ربهم في الآخرة من الثواب والعقاب: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [إبراهيم: ١] .

فلابد للملك في ملكه من أوامر تصلح بها أحوال رعيته من حث، ونهى وتحذير ، وترغيب وترهيب ، فمن أحسن أثيب ، ومن أساء عوقب ، ولابد للملك من سفراء بينه وبين خلقه ، وهم الرسل الذين يستقيمون على أوامر الله، ويطيعونه تمام الطاعة ، ويكونون أسوة للخلق في أقوالهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم ، ويبينون للناس ما نزل إليهم من ربهم من أوامر وأحكام ، ويحكمون بين الناس بالعدل والحق في الدنيا ، وينفذون أوامر الله في خلقه ، ويبلغون شرعه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

ولابد أن تكون للملك محكمة يحاسب فيها من أطاعه ، ومن عصاه، فيجزي على الخير خيرًا ، ويجزي على الشر ما يستحقه من العقوبة ، وذلك

يوم القيامة: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

وبعد الحساب يكون الناس فريقين :

فريق في الجنة .. وفريق في السعير .

فيكرم الله تبارك وتعالى بالجنة كل من أمن به ، وأطاعه، وعمل بالكتاب الذي أنزله ، واتبع الرسول الذي أرسله في الدنيا كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾[النساء:١٣] .

ويهين ويذل كل من كفر به ، وعصاه بما أعد لهم من العذاب في النار كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٤] .

والإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن الله عز وجل أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله هداية لعبادة ، وهى من كلام الله حقيقة ، وأن ما تضمنته حق لا ريب فيه منها ما سمى الله في كتابه ، ومنها مالا يعلم أسماءها وعددها إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة: ١٣٦-١٣٨] .

وقد بين الله ﷻ في القرآن الكريم أنه أنزل الكتب الآتية :

الأول: صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[الأعلى: ١٨ – ١٩] .

الثاني: التوراة، وهى الكتاب الذي أنزل الله على موسي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة:٤٤] .

الثالث: الزبور، وهو الكتاب الذي أنزل الله على داود ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[الإسراء:٥٥] .

الرابع: الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[المائدة: ٤٦ – ٤٧] .

الخامس : القرآن، وهو الكتاب الذي أنزله الله على محمد ﷺ للناس كافة وهو آخر الكتب السماوية إلى البشر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم

بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠] .

فنؤمن بأن الله عز وجل أنزل الكتب السابقة لهداية عباده ، وهى شريعة الله ودينه في أوقاتها ، ونصدق ما صح من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة .

ونعمل بأحكام ما لم ينسخ منها مع الرضا والتسليم، ونؤمن بما لم نعلم اسمه من الكتب السماوية إجمالًا .

وجميع الكتب السماوية السابقة كالتوراة، والإنجيل، والزبور وغيرها منسوخة بالقرآن العظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

وكل ما في أيدي أهل الكتاب مما يسمى بالتوراة ، والإنجيل أو العهد القديم، أو العهد الجديد، لا تصح نسبته كله إلى أنبياء الله ورسله، فقد كتب بعدهم، ووقع فيه التحريف والتبديل، ومنها ما كتموه، ومنها ما افتروه، كقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وإن الله ثالث ثلاثة، واتهام الأنبياء بما لا يليق بمقامهم ، ووصف الخالق جل جلالة بما لا يليق بجلالة ونحو ذلك : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة:٧٩] .

وقال الله عز وجل عن اليهود: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[المائدة/ ١٣] .

وقال الله عز وجل عن علماء اليهود واحبارهم، وعلماء النصارى وغيرهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠] .

فيجب رد ذلك كله، وعدم الإيمان إلا بما جاء في القرآن والسنة تصديقه وإذا حدثنا أهل الكتاب فلا تصدقهم ولا تكذبهم، ونقول: أمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان ما قالوه حقًا لم نكذبهم، وإن كان ما قالوه باطلًا لم نصدقهم .

ونجادلهم بالتي هي أحسن إلا الظالم منهم ، ومجادلتنا لهم مبنية على الإيمان بما أنزل إلينا وما انزل عليهم ، وعلى الإيمان برسولنا وبرسولهم ، وأن إلهنا جميعًا واحد، فلا نقدح في شيء من كتب الله المنزلة ، ولا في أحد من رسله المرسلة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[العنكبوت:٤٦] .

والقرآن الكريم أعظم الكتب السماوية، وأفضلها، وأكملها، أنزله الله عز وجل على خاتم رسله، وأفضلهم محمد ﷺ، وجعله تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل: ٨٩] .

فالقرآن العظيم أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة وهو جبريل ﷺ، على أفضل الخلق وهو محمد ﷺ، على أفضل أمة أخرجت للناس ، وهي هذه الأمة، بأفضل الألسنة وأفصحها ، وهو اللسان العربي المبين، بأفضل شريعة وأكملها، وهى ما فيه من الأحكام والسنن والآداب: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] .

ولهذا يجب على كل أحد الإيمان به ، والعمل بأحكامه ، والتأدب بآدابه ، ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله ، وقد تكفل الله بحفظة، فسلم من التحريف ، والتبديل ، ومن الزيادة والنقصان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

حكم اليهودية والنصرانية :

الدين الحق الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو الإسلام، وهو الحق، وكل ما سواه باطل : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٩] .

فليست اليهودية والنصرانية أديان سماوية، ولا يجوز أن يقال: اليهودية دين موسى ﷺ، ولا النصرانية دين عيسى ﷺ، واليهودية إنما حدثت بعد التوراة بقرون، وكذلك النصرانية إنما حدثت بعد الإنجيل بقرون، فاليهودية والنصرانية أديانٌ مخترعة مبتدعة مليئة، بالتحريف والتبديل، والبدع والكفر الذي ينافي جلال الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه الحق، فدين الله الحق هو الإسلام : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠] .

فالإسلام الذي يجب أن نؤمن به هو ما جاء به الأنبياء والرسل من ربهم فقط ، وما سوى ذلك كله باطل مردود : ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة:١٣٥] .

واليهود والنصارى كفارٌ ومشركون، مغضوبٌ عليهم وضالون ، فيجب عليهم وعلى غيرهم الإيمان بالإسلام الذي جاء به جميع الأنبياء من ربهم ، والعمل بموجب ذلك ، والإيمان بما جاء به محمد ﷺ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨] .

وقد نفي الله عز وجل عن إبراهيم ﷺ اليهودية والنصرانية كما نفي عنه الشرك ، فدل على أنهما ديانتا كفر أحدثهما الكفار بعده، فلا يليق بأبي الأنبياء أن يوصف بهما : ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران:٦٧] .

والقرآن الكريم الذي أنزله الله عز وجل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ هو آخر الكتب السماوية ، وأعظمها ، وأكملها ، وأحكمها أنزله الله سبحانه تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ، فهو أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة وهو جبريل ﷺ على أفضل الخلق وهو محمد ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] .

والقرآن الكريم كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الدعوة إلى الله، وكتاب الهداية إلى الحق ، وكتاب العلم والأحكام، وكتاب الأجر والثواب، وأكثر الخلق يقرؤونه لتحصيل الأجر، ويغفلون عن أعظم مقاصده .

والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، ومتعبد بتدبره، ومتعبد بالعمل به، فيجب على كل أحد الإيمان به ، والعمل بأحكامه ، والتأدب بآدابه ، ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله، تكفل الله بحفظه ، فسلم من التحريف والتبديد ، ومن الزيادة والنقصان : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ٤٣ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾[الشعراء: ١٩٣-١٩٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا وهمومنا، يا أرحم الراحمين .

٢- القرآن العظيم أحسن الكتب

الله ﷻ أنزل على كل رسول كتابًا يعبد الله بموجبة ، ويدعو الناس إلى ما فيه من الدين الحق : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ ﴾[الحديد:٢٥] .

لهذا يجب علينا الإيمان بكل ما أنزل الله من الكتب ما نعلمه منها ، وما لا نعلمه : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

فنؤمن بكتابنا المنزل علينا، وهو القرآن، ونؤمن بجميع الكتب قبله ، ولكن لا نعمل إلا بالقرآن، وما لم ينسخ من شرائع الأمم السابقة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَٰبِ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[البقرة: ١٣٦] .

وهذه الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله الذين أرسلهم إلى الخلق تكلم الله بها عز وجل، منها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه منه الرسول الملكي جبريل، ويأمره بتبليغه للرسول البشرى ، ومنها ما يلقيه سبحانه من الوحي في قلب النبي ﷺ كما قال

سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الشورى: ٥١] .

ويجب على كل أمة أن تعمل بالكتاب الذي أنزله الله عز وجل عليها، وقد ختم الله الكتب بالقرآن، وختم الرسل بمحمد ﷺ، وختم الأمم بهذه الأمة، فيجب على جميع الناس الإيمان بالله، وإتباع القرآن، لأنه مهيمن على جميع الكتب، وناسخٌ لما قبله، ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

والقرآن الكريم هو كتاب الله ومنهجه وشرعه للبشرية إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢] .

فلله الحمد والشكر ، وله المنة والفضل، حيث أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أفضل كتبه ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤] .

وقد وصف الله عز وجل القرآن الكريم بما يقتضى حسنه، وكثرة خيره ومنافعه، وجلالة قدرة ، وعظمته فقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى

كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠] .

والكريم هو البهي الحسن، الكثير الخير، العظيم النفع ، وهو من كل شيء أفضله وأحسنه ، وقد وصف الله نفسه بالكريم ، ووصف كتابه بالكريم ، ووصف عرشه بالكريم ، ووصف رسوله الملكي جبريل بالكريم ، ووصف رسوله البشرى محمداً ﷺ بالكريم .

والقرآن الكريم لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة ، وحرام على القلوب الملوثة بنجاسة البدع والشرك والمعاصي أن تنال معانيه ، أو تفهمه كما ينبغي : ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٦] .

إن القرآن الكريم كلام الله عز وجل، فلا يفهمه ولا يجد طعمه إلا من أمن به، ولا يتلذذ به وبقراءته وتدبره إلا من شهد أنه كلام الله تكلم به حقًا، وأنزله على رسوله وحيًا، ولا ينال بركته، ولا يستفيد من معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه، فهو كتاب جليل القدر، عظيم النفع حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، محكمٌ مفصل : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١] .

القرآن العظيم فيه تبيان كل شيء : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .

فالقرآن العظيم هدى ونور للبشرية إلى يوم القيامة: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٨] .

فقه آيات القرآن الكريم:

آيات القرآن الكريم فيها تبيان كل شيء وهى :

إما خبر .. أو طلب .

القسم الأول: الخبر، والخبر قسمان :

الأول: خبر عن الخالق سبحان ، وعن أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، وهو الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢-٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران:٢-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

الثاني: خبراً عن المخلوق كالسموات والأرض ، والعرش ، والكرسي ، والإنسان ، والحيوان ، والجماد ، والنبات ، والجنة والنار ، وأخبار الأنبياء والرسل ، وأتباعهم ، وأعدائهم ، وجزاء كل فريق ونحو ذلك من أخبار

القرآن كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقال عن الإنسان : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ - ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وغير ذلك من الآيات الدالة على أخبار الله عز وجل عن مخلوقاته في العالم العلوي ، والعالم السفلي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق : ١٢] .

القسم الثاني : الطلب، وهو قسمان :

الأول: إما أمر بعبادة الله وحده، وطاعة الله ورسوله ، وفعل ما أمر الله به كالصلاة والصيام ونحو ذلك كما قال سبحانه : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] .

الثاني: نهى عن الكفر ونحو ذلك من الأوامر الإلهية والشرك بالله وتحذيرًا مما حرم الله كالربا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه من الأقوال والأعمال، كما قال سبحانه ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ٢٧٥ ﴾ [البقرة:٢٧٥] .

وغير ذلك مما نهى الله عنه في القرآن .

فأعظم الأخبار معرفة الله عز وجل، وأعظم الأوامر العلم بالله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩] .

وأعظم المناهي النهى عن الكفر والشرك كما قال لقمان لابنه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وأعظم الأدعية : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة : ٦] .

وأعظم الأوامر الأمر بعبادة الله عز وجل بعد العلم به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة :٢١-٢٢] .

فلله الحمد والشكر، وله المنة والفضل، حيث أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وجعلنا من خير أمه أخرجت للناس : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ

أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣] .

القرآنُ العظيم أصدق الكلام، وأحسنه، وأكمله، فيه بيان الأمر والنهي، وبيانُ الوعد والوعيد، وبيانُ الثواب والعقاب، وبيانُ الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاقُ الكريمة، كتابٌ عظيم تطمئن به القلوب، وتنشرح له الصدور: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

القرآن كتابٌ عظيم أنزله الله هدًى ونورًا ، وشفاءً للبشرية إلى يوم القيامة : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف: ٢] .

فمن لم يؤمن بأن الله تكلم به وحيًا ؛ ففي قلبه حرجٌ منه ، ومن لم يؤمن بأنه حق من عند الله ففي قلبه حرجٌ منه ، ومن قال إن له باطن يخالف ظاهرة ففي قلبه حرجٌ منه ، ومن قال إن له تأويل لا نفهمه ، ولا نعلمه ، وإن كنا نتلوه متعبدين بألفاظه، ففي قلبه حرجٌ منه .

ومن سَلَطَ عليه الآراء الشاذة ، وجعله تابعاً لمذهبه تعصبًا، ففي قلبه حرجٌ منه ، ومن لم يأتمر بأوامره ، وينزجر عن زواجره ، ويصدق أخباره ، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابه ، ويرد ما سوى ذلك، ففي قلبه حرجٌ منه ، ومن

لم يحكمهُ ظاهرًا وباطنًا في جميع شعب الحياة على نفسه وعلى غيره، ويسلم وينقاد لحكمه كائنًا من كان، ففي قلبه حرجٌ منه .

مقاليد الكتب الإلهية:

كلُ كتاب من كتب الله عز وجل جاء بثلاثة أمور عظيمة:

الأول : تعريفُ الناس بربهم، وأسمائه، وصفات، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده؛ وذلك ليؤمنوا بربهم، ويوحدوه، وليعبدوه، ويطيعوه، ويحبوه، ويحمدوه، ويكبروه ، ويجتنبوا عبادة ما سواه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢] .

الثاني : تعريفِ الناس بالطريق الموصل إليه ، والذي يحبه ويرضاه، وهو شرعه الذي أنزل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وما يشتمل عليه من الأوامرِ والنواهي: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٣] .

الثالث : تعريفُ الناس بحالهم بعد القدوم على ربهم بعد الموت: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم: ١٤ – ١٦].

فللمؤمنين بالله الجنة ، وللكفار النار ، كلٌ يجازى بحسب عمله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

الشرائع التي أنزل بها كتبه:

الشرائعُ التي أنزل الله ثلاث :

الأولى: شريعة عدل: وهي شريعة التوراة، فيها الحكمُ والقصاصُ بالعدل، وهي شريعة الجلال والقهر .

الثانية: شريعة فضل: وهي شريعة الإنجيل، وهي مشتملةٌ على العفو ، ومكارم الأخلاق ، والصفح والإحسان ، فهي شريعةُ الجمال والفضل والإحسان .

الثالثة: شريعة جمعت هذا وهذا، العدل والإحسان : وهي شريعة القرآن التي جاء بها محمد ﷺ، فإن الله عز وجل يذكر في القرآن العدل ويوجبه ، ويذكر الفضل ويندب إليه ، ويذكر الظلم ويحرمه ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل:٩٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى :٤٠] .

وقال سبحانه : ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾[الفرقان: ١٩] .

وقد أرسل الله بهذه الشريعة محمداً ﷺ ، فشريعةُ محمد ﷺ جاءت في مظهر الكمال الجامع للجلال والجمال ، جمعت بين العدلِ والإحسان، والشدةِ في الله ، وبين اللينِ والرحمةِ والرأفة في الله .

فشريعة موسى جاءت بالجلال ، وشريعة عيسى جاءت بالجمال ، وشريعة محمد ﷺ جاءت بالكمال الجامع للجلالِ والجمالِ ، ولهذا رَضِيها الله

للبشرية دينًا إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة: ٣] .

فشريعة محمدﷺ أكمل الشرائع ، وهو أفضل الأنبياء وأكملهم ، وأمته أفضل الأمم، وكتابة أحسن الكتب: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر: ٢٣] .

فالنبيُ ﷺ سيد الأنبياء وخاتمهم ، وأمته أفضلُ الأمم وآخرها ، وكتابه أفضل الكتب وأحسنها ، وشريعته أكمل الشرائع وآخرها : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران:٨٥] .

وقال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠] .

فصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله ، وعلى سيد الخلق نبينا محمد ﷺ الذي يحمدهُ لجمال صفاته أهلُ السماء والأرض ، وهو أحمد الخلق لربه، وأحقُ بأن يحمد أكثر من غيره ، فقد جاء من ربه بأعظم شريعة، وأحسن كتاب : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب: ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: ٢] .

٣- فضائل القرآن العظيم

القرآنُ العظيم فيه تبيانُ كلُ شيء، وفيه كلُ خيرٍ وفلاحٍ وبركةٍ في الدنيا والآخرة، وقد أثنى الله على نفسه ممتنًا على رسوله في إنزال هذا الكتابِ العظيم فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧] .

وامتن على هذه الأمة مثنيًا على نفسه بنزول هذا القرآن العظيم : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

فكانوا شرَ الناس ، وبالقرآن العظيم، والإيمان بالله العظيم، كانوا خير الناس، وكانوا شرَ أمة ، ثم كانوا بعد الإسلام خيرَ أمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وقد أخبر اللهُ عز وجل عن القرآن الكريم بأنه ذكرٌ للعالمين بقوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فالقرآن الكريم ذكر للعالم أجمع ، فهو المنهج الكامل الوحيد الذي يسعدون بهِ وبإتباعهِ في الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١] .

وأخبر سبحانه أنه تذكرةٌ للمتقين بقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٨] .

يذكرهم بربهم جل جلاله ، فهو ذكرُ لأهل الإيمان والتقوى يذكر العباد بما فيه صالحهم في معاشهم ومعادهم ، ويذكرهم بالرب تعالى ، وأسمائه ، وصفاتهِ ، وأفعاله ، وحقوقه على عباده ، ويذكرهم بالخير ليفعلوه ،

ويذكرهم بالشرِ ليجتنبوه ، ويذكرهم بمصالحهم في معاشهم ، ومعادهم ، ويذكرهم بالمبدأ ، والمعاد ، ويذكرهم بنفوسهم ، وآفاتها ، وما تكمُنُ بها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وأنه ذكرٌ مبارك في قوله سبحانه : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٥٠] .

فهو يذكر الخلق بنفوسهم ، وآفاتها، وما تسعد به، وما تزكوا به : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

ويذكرهم بمن يقتدون به من الأنبياء ، والرسل ، ويذكرهم بعدوهم ، وما يريدُ منهم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

فهو يذكرهم بعدوهم الشيطان ، وما يريد منهم ، ومن أي طريق يأتي إليهم ، وبماذا يحترزون من كيده : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

ويذكرهم القرآن بفاقتهم ، وحاجتهم إلى ربهم ، وأنهم مضطرون إليه في كل حال لا يستغنون عنه لحظة أبدً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

ويذكرهم القرآن بنعم الله عليهم ؛ ليشكروه ، ويدعوهم بها إلى نعمٍ أخرى أكبر منها في الجنة ويذكرهم برحمة ، وعفوه، ليقبلوا عليه، ويتوبوا إليه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٥٣] .

ويذكرهم سبحانه بأسه ، وشده بطشه وانتقامه ممن عصى أمره ، وكذب رسله ؛ ليخافوهُ ، ويهابوهُ ، ويطيعوه سبحانه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر:٤٩-٥٠] .

ويذكرهم القرآن بثواب الله ، وعقابه ، وما أعد لأوليائه ، وما أعد لأعدائه ؛ ليقبلوا على ما ينفعهم من الإيمان والتقوى، ويحذروا ما يضرهم من الشرك والمعاصي ، ويتنافسوا في الخيرات : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

ويذكرهم القرآن بما يحل لهم، وما يحرم عليهم، وما يحبه الرب، وما يبغضه، ويذكرهم بصفات أوليائه؛ ليفعلوها، ويتحلوا بها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٣٥] .

ويذكرهم بصفات أعدائه، ليجتنبوها ، ويحذروا منها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء: ٥٦] .

ويذكرهم بعاقبة هؤلاء وهؤلاء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾[محمد: ١٢].

ولهذا أمر الله عباده أن يذكروه، وأن يذكروا ما في كتابه من المواعظ والشرائع والأحكام وان يأخذوها، كما قال سبحانه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾[الأعراف: ١٧١] .

فالمؤمنُ حقًا من صدق الأخبار ، وامتثل الأوامر ، واجتنب النواهي : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢-٤] .

وكون القرآن ذكري للعالمين كلهِم غير جهة كونه ذكرى للمتقين ، فإن القرآن ذكرٌ للعموم للصلاحية ، والقوة ، وذكرٌ لأهل الاستقامة بالخير والنفع : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

الكونُ العظيم كتابُ الله المنظور المفتوح ، والقرآنُ العظيم كتابُ الله المقروء المسطور .

وقد أمرنا الله عز وجل بالنظر، والتدبر، والتفكر، في هذا وهذا فقال في الكون المنظور : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس: ١٠١] .

وقال في الكتاب المسطور : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد: ٢٤] .

والكتابُ المنظور ، والكتابُ المسطور، كلاهما دليل على الخلاقُ العليم ، وكلاهما مؤثر في قلب الإنسان، ليزيد إيمانه، ويحركُ الجوارح بالطاعاتِ ، وامتثال أوامر الله .

وكلاهما دليلٌ على الخلاق العليم ، كما أن كليهما كائنٌ ليعمل، فالكونُ كله بما فيه من مخلوقات مازال يتحرك ، ويؤدى دوره الذي قدره له بارئه بطاعةٍ تامة لربه .

فكلُ ما في الكون من المخلوقات العظيمة شاهد بوحدانية الله ومسبح بحمد وخاضع لأمره : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨] .

والقرآنُ كذلك أدى دوره للبشرية التي آمنت به ، وحكمته ، واستجابت لأوامره ، فاستقامت فيه حياتهم في أحسن حياة في هذه الأرض ، وأديرت به معركةٌ ضخمة في مجال النفس الإنسانية ، وفي رقعة من الأرض كذلك، فكانت النتائج طيبةً مباركة .

فيا سعادة من تمسك به في الدنيا والآخرة ، وخذلان من خالفه وشقاؤه في الدنيا والآخرة :﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦] .

ذلك هو جيلُ الصحابة الذين تلقوا الدينَ والإيمانَ والقرآن مباشرةً قلبيًا وعمليًا من الرسول ﷺ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠] .

فتلك أمةٌ كانت قبل الإسلام شرُ أمة ، فكانت بالإسلامِ خير أمة ، وكانت قبل الإسلام شر القرون ، وبعد الإسلام خير القرون ، وانتقلت من الشركِ إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الظلمِ والطغيان إلى العدل والإحسان ، ومن الفرقةِ والخلاف إلى الوحدة والاجتماع فكانوا خيرُ أمة تلقت هذا الوحي العظيم من الرسول ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠] .

والقرآن هو القرآن ، والإنسانُ ما يزال هو الإنسان ، والقرآن هو خطاب الله لكل إنسان إلى يوم القيامة ، يصدقُ أخباره ، ويمتثل أوامر ، ويجتنبُ نواهيه فالكونُ كله يتحرك بأمر الله الكوني القدري ، والإنسانُ كذلك يجب أن يتحرك بأمر الله الديني الشرعي ؛ ليوافقَ الكائنات في العبادة والطاعة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾[الحج: ١٨] .

فالكون له أوامر ، والإنسانُ له أوامر ، وكلٌ إليه راجعون ، فهل نستفيد من القرآن كما استفاد الصحابة ؟ وهل نعمل به كما عملوا، لنسعد في الدنيا ، والآخرة ؟.

قال الله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

يا ويح البشرية إن الدواء والشفاء الذي يشفيها من عِللِها وأمراضها وأسقامها موجودٌ بين أيديها، ولكنها لا تستفيد منه إلا قليلاً: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

فتلك مصيبة والمصيبة التي أعظم منها أنها تطلب شفاءها وسعادتها فيما يزيدُ من آلامها ، ويوسع جراحها، ويشقيها في الدنيا والآخرة مما يخالفُ كتاب ربها، وهدي نبيها ﷺ من قوانين الأمم الكافرة الأخرى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

فسقطت من عين الله، ثم سقطت من أعين الكفار: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٢] .

مذمومًا لا حَامِدَ لك، مخذولًا لا ناصر لك؛ فماذا أعد اللهُ لهؤلاء في الدنيا والآخرة ؟.

قال الله تعالى : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد: ٣٤] .

لقد أعز الله عز وجل بهذا القرآن العظيم أمةٌ محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

ونقلهم من ظلماتِ الجاهلية ، إلى نور الإسلامِ ، والإيمان .

وخلصهم بالقرآن العظيم من آفاتٍ أربع :

حكمُ الجاهلية .. وحميةِ الجاهلية .. وظن الجاهلية .. وتبرج الجاهلية .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠] .

فما الذي دهى كثير من المسلمين حتى رفعوا أحكام القرآن من واقع الحياة ؟ وما الذي صرفهم عن مصدر عزهم وسعادتهم ؟ .

لقد كان هذا القرآن العظيم هو مصدر المعرفة ، والتربية ، والتوجيه ، والتكوين ، والعزة، لجيل من البشرِ فريد، وهو جيل الصحابةِ الكرام، الذين هم أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلُها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، فأنهم على الهدى المستقيم .

وأنشأ الله بمشيئته وقدرته، وبهذا الكتاب العظيم، تلك المعجزة المجسمة في عالم البشر ، وهم أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار الذين تآلفوا وتحابوا على الإيمان : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

فأصحاب النبي ﷺ معجزةٌ واقعةٌ مشهودة ، وذلك المجتمع الفريد كانت تحكمه الشريعة التي جاء بها هذا الكتاب العزيز، فنقلهم الله من رعاة الغنم إلى رعاة الأمم ، ومن الظلم والطغيان إلى العدل والإحسان ، ومن الكفر والشرك إلى التوحيدِ والإيمان .

وكان هذا المجتمع العظيم معجزةٌ أخري في تاريخ البشرية لما يتحلى به من مكارم الأخلاق ، وحسن الآداب التي رضي الله عنهم بها، ورضوا عنه ،

وكانوا في إيمانهم ، وأخلاقهم ، وأعمالهم، قدوةً ورحمةٌ للبشرية رضي الله عنهم أجمعين : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠] .

والمجتمعات البشرية التي تفوقُ المسلمين في الإمكانات المادية، لا تطاولهم في الإيمانِ ، والأخلاق الكريمة العالية ، وحياةُ الأمة لا تحكم اليومَ كتاب ربها، ليعود إليها عزها ومجدها، وليعزها الله، ويرفع ما بها من ذل : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء: ١٠].

إن الأمة الإسلامية إذًا هجرت كتاب ربها ، وسكت العلماء عن بيان الحق وأحكام الدين، وقعد الدعاة عن نشر الدين بين الأمم، واشتغل الناس بالأموال والأشياء، وزهدوا في الإيمان والأعمال، وفُقِدَ الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، ونقضت الأمة عهد ربها وميثاقه، إذًا حصل هذا في الأمة فقد أحلت بنفسها غضب الله وسخطه، واستوجبت عقوبته : ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنعام: ٤٤-٤٥] .

لقد عاشت الأمة الإسلامية أحسن عصورها في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وعهد الخلفاء الراشدين، ولكن سرعان ما تصدع جدارُ الإيمانِ والتوحيدِ والأخلاق من بعدهم، فانقطعوا عن مصدر عزهم، وخضعت رقابهم وديارهم لعدوهم.

لقد جاء الشيطانُ فاحتل قلوبهم، ثم جاء العدو فاحتل ديارهم، ولا تزال القلوبُ معتلة، مادامت من الشيطانِ محتله .

لهذا أصبحت الأمة من بعد الصحابة بحاجه ماسه للعودة إلى مصدر عزها، حيث نالتها الضربات ، والأوجاع من كل ناحية: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧﴾[النساء: ٦٦ – ٦٧] .

وكم كاد الكائدون لهذا الدين العظيم، وهذا القرآن العظيم، بوسائل خفية عنيفة مستمرةُ، طويلةُ الأمد، وطرقٌ خبيثة ماكرةٌ لئيمة، وحشدت تلك الطاقات، والأفكار، والأموال، والحديد، والنار؛ لمحاربة هذا الدينِ وأهله، ولهذا الكتاب العظيم وأوامره : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾[الصف: ٨-٩] .

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم علمنا منه ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نُسينا ، وارزقنا حسن تلاوته ، وحسن امتثال أوامره ، وحسن العمل به ، وحسن الدعوة إليه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾[آل عمران: ١٦] .

٤- فقه الإيمان بالكتب الإلهية

الإيمان بالكتب التي انزلها اللهُ على رسله ركنٌ من أركان الإيمان الستة .

وما جاء في الكتب السابقة ينقسم إلى قسمين :

الأول : ما قصه الله علينا في القرآن ، أو قَصَه عُلينا رسول الله ﷺ في السنة، فهذا مقبولٌ صحيح .

الثاني : ما نقله إلينا أهل الكتاب ، وهذا لا يخلو من ثلاثِ حالات :

الأول : أن يشهد شرعنا بصدقه فنصدقه ، ونقبله، وشرعُ من قبلنا شرعٌ لنا إذًا لم يرد شرعنا بخلافة .

الثاني : أن يشهد شرعنا بكذبه، فيجب علينا أن نكذبه ونرده .

الثالث : ما ليس من هذا ولا هذا ، فيجبُ علينا أن نتوقف فيه ؛ لأنه يحصل في خبرِ أهل الكتاب الكذب والتغيير، والزيادة والنقصان .

فإذًا حدثنا أهلُ الكتاب فلا نصدقهم ، ولا نكذبهم ، ونقولُ آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان ما قالوه حقاً لم نكذبهم، وإن كان ما قالوه باطلًا لم نصدقهم.

والإيمانُ بالكتب لابد فيه من أربعة أمور:

الأول : أن يعلم العبد أن هذه الكتب وحيٌ من الله إلى رسله .

الثاني : أن يعلمَ أن هذا الوحي الذي نزلت به الملائكة المطهرون لم يكن لأحدٍ من الشياطين أن يلقى ضلالاتهم فيه : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠] .

الثالث : أن هذا القرآن العظيم محفوظ لم يغير ولم يحرف منه شيء : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

الرابع: أن يعلم العبد أن القرآن مشتملٌ على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

ومتشابهة يردُ إلى محكمه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

والإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل هو الركن الثالث من أركان الإيمان : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦] .

ومن صفات المتقين الإيمانُ بالغيب والإيمان بالكتب : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢-٥] .

والكتابُ يطلق على كل كتابٍ، أو صحفِ ، أو ألواح فالكتاب كالتوراة، والزبور، والإنجيل والقرآن، والصحف كصحف إبراهيم وموسى، والألواح كألواح موسى ، ومصدر تلك الكتب أنها منزلة من عند الله، على نبيٍ من أنبياء الله، من آدم إلى محمدٍ ﷺ، وكلُ نبيٍ كتابه بلغه قومه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد :٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤] .

ونحنُ مأمورون أن نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، لأنها حقٌ من عنده : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٨] .

اللهُ سبحانه رءوفٌ بالعباد، أكرم خلقه بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ، ونعمة الإسعاد فأرسل الرسل، وأنزل الكتب: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف:١]

وحاجةُ الناسِ إلى الكتب السماوية ، والشرائع الإلهية، أعظم حاجه ، والله سبحانه كريم وهب الإنسان سمعاً يسمع به، وبصرًا يبصر به، وعقلًا يعقل به، وفكرًا يفكر به، ووهبه فطرة تقوده إلى التوحيد والإيمان : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠] .

وكانت تكفيه هذه الفطرة إلى الهداية والتوحيد والإيمان، لكن الله كريم أكرمه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:١٦٤] .

وبذلك تقومُ الحجةُ على الخلق : ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾﴾[النساء:١٦٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء: ١٥] .

فالنبي والرسول يبلغ قومه رسالة ربه، لكنه يموت كغيره من الناس ، وإذًا مات الرسول أو النبي، فإن الناس سوف يختلفون من بعده لاختلاف الأحوال، والأفهام، والمستحدثات، ودخول الهوى، فكيف يجمعُ الله شتات الناس؟ .

لهذا انزل الله الكتب على الرسل رحمةً بعبادهِ، تبقى معهم يرجعون إليها في كل أمر من أمور الحياة، في العقيدة، والأخبارِ، والأحكام، والعبادات والمعاملات: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

فتبقى هذه الكتب معهم في كل مكانٍ وزمان، يصدقون أخبارها ، ويطبقون أحكامها كما أنزلها الله عز وجل، وحتى يحفظ الله بهذه الكتب عقائد الدين وشرائعه من الضلالات، والأهواء، والبدع بعد الرسول الذي مات .

واليهود والنصارى أكرمهم الله بالتوراة والإنجيل كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] .

وقال سبحانه: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦] .

وقد وكلهم الله بحفظها؛ ولكنهم ضيعوها ولم يحفظوها، فقد حرفوها وبدلوها، وغيروها بأحكام من عند أنفسهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة :٦٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المائدة:١٤] .

لهذا تولى الله لهذه الأمة حفظ كتابه، لأنه الكتاب الخاتم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

وحفظه سبحانه من التحريف ، والتبديل، والتغيير فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] .

وإذا فُقدَ الكتاب في الأمة بعد الرسول ، أو حرف ، أو بدل، زال الحق الذي أنزله الله ليحكم بين الناس ، واضطربت الأهواء، وانتشرت البدع ، وتفرقت الأمة وأكل بعضها بعض:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾[الأنعام: ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ ﴾[الروم: ٣٠-٣١]

ومن حكمه بقاء الكتاب بعد موت الرسول أو النبي، لكي يحتكم الناسُ إليه ، ويحكمونه في جميعُ أمورهم حينما يختلفون ، وإذا لم يكن بينهم الكتاب احتكم الناس إلى عقولهم أهوائهم ، والعقول والأهواء مختلفة : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ ﴾[المائدة: ٤٩] .

ومن الحكمةِ من بقاء الكتاب بعد موت الرسول ضمان سريان الأحكامِ في كل الأرض، فإن الرسول يعيشُ في أي كل مكان وزمان ثم يموت ، وجهوده محصورٌ في منطقته ، وبقاءُ الكتابِ بعد الرسول في الأمة، ليقوم أتباعه بما قام به، ويطوفوا في المدنِ والقرى ؛ لينشروا الأحكام والآداب والسنن التي جاء بها الرسول ليبلغها للناس، فتنتشر أحكامه في جميع بقاع الأرض : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

المؤمن يؤمن بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله لهداية عباده، ما نعلمُ منها ، وما لم نعلم، من عهد آدم ﷺ إلى القرآن الذي أنزله الله على محمدٍ ﷺ، ويصدق بكلِ ما جاء فيها من أخبارٍ وأحكام:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

وكتبُ الله هي كلامه الذي تكلم به ، وكلامه هو صفةٌ من صفاته ، وصفاته غيرُ مخلوقة ، فكتبُ الله منزلةٌ غيرُ مخلوقه :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾[يوسف: ٢] .

وهذه الكتب منها ما كان مسموعًا من وراء حجاب دون واسطة كما كلم الله موسي :﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾[النساء:١٦٤] .

وكما كلمَ الله رسوله محمداً ﷺ ليلة المعراج :﴿ فَأَوۡحَآ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ ﴾[النجم: ١٠] .

ومنها ما سمعهُ الرسول ﷺ من الملك جبريل :﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

فهذه ثلاثةُ أنواع من الوحي :﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ٥١ ﴾[الشورى: ٥١] .

وقال الله عز وجل :﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢ ﴾ [النحل :٢] .

والرابع : ما كتبه الله بيده كما كتب الله لموسى للتوراة في الألواح :﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥ ﴾[الأعراف: ١٤٥] .

وكذا من الإيمان بالكتب الإيمان بكل ما ورد فيها من الأخبار والأحكام والشرائع : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

وكلُ أمةٍ مأمورةٌ أن تحتكمَ إلى ما جاء في كتابها من الأحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فحكمه يدور بين ثلاثة أمور :

١ - ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] .

٢ - ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥] .

٣- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة: ٤٧] .

وهذا خطابٌ لكل أمة في كلِ وزمانٍ ، وكلُ من لم يحكم بما أنزل الله فحكمه يدور بين الكفر، والظلم، والفسق .

فأولًا: من قال أن الزمان تغير، وشرعُ الله لا يصلح لهذا الزمان، ولابد أن نواكب تطور عصرنا، والقرآن لا يُناسب هذا الزمان، فهذا كافرٍ بالله وبكتابه وشرعه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] .

ثانيًا: من قال أنا مؤمن بالله، ولكن الظروفَ السياسية والعالمية والاجتماعية ، لا تسمح بتطبيق شرع الله، والعمل بما جاء في كتابه، ومتى توفرت الشروط، وتهيأت الظروف، سأطبقُ شرعُ الله، فهذا الحاكم ظالم لنفسه، وظالمٌ لغيره، ولكنه ليس بكافر : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥] .

ثالثاً: من آمن بالله وكتابه ، ولكن يطبق كتاب الله في بعض الأمور، ويخالفُ في أمورٍ أخرى، فهذا فاسق لا كافر: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة: ٤٧] .

ومن صلى، لكنه متهاونٌ في الزكاة، فهذا فاسقٌ عاص وما قبلهُ ظالمٌ لنفسه وظالمٌ لغيره لا كافر ، والأول كافرٌ بالله ، وبكتابه ، ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن بعضَ الكتاب ينسخُ بعضه نسخًا جزئيًا، أو كليًا .

النسخ الجزئي : كما نسخت شريعة عيسى بعضَ الأحكام في شريعة موسى في التوراة كما قال عيسى : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾[آل عمران:٥٠] .

وكذا نسخُ القبلة في القرآن : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[البقرة: ١٠٦] .

أما النسخُ الكلي: فكما نسخت شريعة محمدٍ ﷺ ما قبلها من الشرائع : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[المائدة: ٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

الله جل جلاله هو الملكُ الحق، وكمالُ ملكه يدل على كمال التصرف فيمن خلقَ، وكمال التصرف في مخلوقاته يدل على كمال الإرادة : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[النحل: ٤٠] وهذا الكونُ العظيم بما فيه من مخلوقاتٍ عجيبة، وآيات عظيمة مظهرٌ لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعالهِ الكبرى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس: ١٠١] .

واللهُ حكيمٌ عليم لا يمكن أن يدع خلقه دون أن يعرفهم بنفسه ، وبخلقه ، ويعرفهم بأنفسهم ، وماذا يريد الله منهم ؟ وماذا يريدون منه؟ وماذا أعد لهم من نعيم لو أطاعوه ؟ . وماذا أعد لهم من عذابَ عظيم لو عصوه ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

فمن رحمة الرحمن الرحيم أن خلق السكن قبل أن ينزل فيه الساكن الذي سوف يسكنه، ثم أرسل إليه رسولاً بكتابٍ من عنده، فيه منهج حياة الإنسان في هذه الدنيا : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[الحديد:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] .

فالنبي والرسول دعوته منوطة بحياته ؛ أما الكتاب الإلهي الذي معه فدعوته مستمرة، لهذا يمكن لك أن تؤلف قلوبًا ، ويمكن أن تؤلف كتبًا ، وتأليف الكتب أطولُ أمدًا، وتأليف القلوبِ أعمقُ أثرًا .

ومن كمال رحمة الله بعبادة أن جمع لخلقه بين إنزال الكتب ، وإرسال الرسل الذين يطبقون تلك الكتب ويعلمونها : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

فالإنسان الذي يقيد نفسه بإتباع الرسول المرسل ، والكتاب المنزل، ويقيد جوارحه وقلبه بذلك، يطلقُ الله جوارحه يوم القيام بأعظم نعيم في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

والإنسانُ الذي لم يقيد نفسهُ وجوارحهُ بمنهج الله، فهو ضال يسير بلا منهج ولا نظام والأنعامُ خيرٌ منه : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾[الأعراف: ١٧٩] .

واللهُ سبحانه انزلَ كتابه القرآن ، ورسوله محمداً ﷺ رسولًا للعالمين فكيف أثبت اللهُ أن كتابهُ ورسولهُ حق ؟ .

قال الله عز وجل : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾[الرعد: ٤٣] .

الأنبياء من قبلهِ ﷺ كانت إثباتُ نبوه ورسالة الرسول حسية ؛ إذا رأها الناس آمنوا، فإبراهيمُ ألقى في النار ، ولم يحترق، هذا فوق طاقةُ البشر: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾[الأنبياء: ٦٩] .

وموسى ﷺ: ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ ﴾[الأعراف: ١٠٧] .

وعيسى يحيى الموتى بإذن الله، هذا كلهُ فوق طاقة البشر، ومعجزةٌ حسية في وقتٍ خاص، فأيد الله الأنبياء السابقين بآياتٍ حسية تشهدُ لهم أنهم رسُل الله.

أما النبي ﷺ فلأنه آخر الأنبياء والرسل، ودعوته خاتمة الدعوات ؛ ولأنه مبعوثٌ للناسِ كافة، وأمته آخر الأمم، لهذا لابد أن تكونَ معجزاته مستمرة ، ولتكونَ مستمرة فلابد أن تكونَ معجزةٌ علمية لا يستطيعُ أحدٌ أن يأتي بمثلها أبداً، ألا وهى القرآن، فاللهُ تحدى الإنسَ والجن أن يأتوا بمثلهِ أو صورهِ من

مثله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء :٨٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[البقرة: ٢٣] .

فما من نبي إلا أوتى ما مثله آمن عليه البشر، ولكن الذي أوتيه النبي ﷺ هذا الوحي، هذا القرآنُ العظيم، الذي فيه أخبار الأوليين والآخرين، وفيه بيانُ الحلالُ والحرام، وبيانُ الأخبارُ والأحكام، وبيانُ الوعدِ والوعيد:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩]

وقد بين اللهُ وكشف لعباده أموراً لا زالت تحدث كل يوم، ليؤمن الناس بربهم إذا رأوها ذكرها الله في القرآن، كما قال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت :٥٣] .

فالحمدُ لله رب العالمين على نعمهِ التي لا تعدُ ، ولا تحصى، حيث أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أفضل كتبه.

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الرابع: الإيمان بالرسل.

ويشتمل هذا الركن على ما يلي:

١- فقه الإيمان بالأنبياء والرسل.

٢- خصائص الأنبياء والرسل.

٣- وظيفة الأنبياء والرسل.

٤- دين الله واحد.

٥- فضائل هذه الأمة.

٦- الفرق بين النبي والرسول.

٧- حقوق النبي ﷺ على أمته.

٨- فضائل سيد الأنبياء والرسل.

٩- وظائف وخصائص الأنبياء والرسل.

١٠- أصول حياة الأنبياء والرسل.

١١- أركان الإيمان بالرسل.

١٢- عصمة الأنبياء والرسل.

١٣- حاجة الناس إلى بعثة الأنبياء وإرسال الرسل.

١٤- فقه الإيمان بالرسول ﷺ.

١٥- فقه تربية الأنبياء والرسل.

١- فقه الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل :

هو التصديق الجازم بأن الله عز وجل بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده واجتناب عبادة ما سواه، وأنهم جميعًا مرسلون صادقون، وقد بلغوا جميع ما أرسلهم الله به؛ منهم من أعلمنا الله باسمه، ومنهم من استأثر الله بعلمه .

ويجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعًا، والعمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم، وأفضلهم ، وسيدهم، المرسل إلى الناس كافة، وإلى العالم قاطبة ؛ محمد ﷺ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾[النساء:١٣٦] .

فيجب علينا الإيمان بجميع رسل الله الذين أرسلهم رسلاً إلى عباده يدعونهم إلى عبادة الله وحده :﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[البقرة: ١٣٦] .

والله عز وجل يربي الأنبياء والرسل وأتباعهم ؛ ليجتهدوا أولاً على أنفسهم بالحصول على كمال الإيمان بالعبادة والتزكية، والنظر والتفكر والتدبر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، والصبر والتضحية بكل شيء من أجل الدين، والبذل والترك من أجل إعلاء كلمة الله، حتى يكمل الإيمان في حياتهم: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

ويأتي اليقين في قلوبهم على أن الله خالق كل شيء، وبيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء، وأنه سبحانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

ثم يجتهدون على حفظ الإيمان بالبيئات الصالحة ؛ كالمساجد المعمورة بالإيمان والأعمال الصالحة ، وحلقات الذكر والعلم : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

ثم يجتهدون لقضاء حاجاتهم على الاستفادة من الإيمان ، فيرون أن الله عز وجل معهم حيث كانوا، ينصرهم ويرزقهم ويؤيدهم، كما حصل من النصر للمسلمين في بدر وفتح مكة وحنين وغيرها: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

ومن صفات هؤلاء الرسل أنهم يتوكلون على الله سبحانه، ولا يتوكلون على أحد سواه .

ثم يجتهدون علينشر الإيمان بين أقوامهم ومن أرسلوا إليه ليعبدوا الله وحده لا شريك له ، ويعملونهم أحكامه ، ويتلون عليهم آيات ربهم ليهتدوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وقال الله عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة: ٢-٤] .

الفرق بين الرسول، و النبي:

الرسول هو من أوحى الله إليه بشرع، وأمره الله بتبليغه إلى من لا يعلمه، أو يعلمه ولكنه خالفه .

والنبي هو من أوحى الله إليه بشرع سابق، ليعلم من حوله من أصحاب ذلك الشرع ويجدده .

فكل رسول نبي ولا عكس ، والرسول والنبي إذا اجتمعا فلكل واحد معناه، وإذا افترقا شملَ كل واحدٍ معنىً الآخر وحكمه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج: ٥٢] .

بعث الأنبياء والرسل .

لم تخلو أمة من رسولٍ يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها من بعده:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[النحل: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] .

عدد الأنبياء والرسل :

الأنبياء والرسل كثيرون، منهم من بين الله أسماءهم في القرآن، وقص علينا أخبارهم، وهم خمسةٌ وعشرون :

الأول :آدم: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ ﴾[طه: ١١٥] .

وذكر الله بعض أنبيائه ورسله وهم ثمانية عشر في قوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٩] .

العشرون: إدريس ﷺ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾[مريم:٥٦]

الحادي والعشرون : هود ﷺ: ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الشعراء: ١٢٣-١٢٥] .

الثاني والعشرون : صالح ﷺ: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾[الشعراء:١٤١-١٤٣] .

الثالث والعشرون : شعيب ﷺ: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦ – ١٧٩] .

الرابع والعشرون : ذو الكفل ﷺ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[ص: ٤٨] .

الخامس والعشرون : محمد ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

ومن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من لم نعلم أسماءهم، ولم يقص الله علينا إخبارهم، فنؤمن بهم إجمالًا: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[غافر:٧٨] .

وعن أبي ذر أنه قال : « قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، كَمْ وَفي عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ : « مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا » . أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح[1] .

أولو العزم من الرسل:

أولو العزم من الرسل خمسة وهم :

نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقد ذكرهم الله في قوله سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى: ١٣] .

أول الرسل وأخرهم:

وأول الرسل نوحﷺ، وهو أول رسولٍ أرسله الله إلى أهل الأرض بعد أن حدث الشرك بعد آدم ﷺ بعشرة قرون، أرسله الله لقومٍ كافرين، ليدعوهم إلى الله، ويأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾[النساء:١٦٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: في حديث الشفاعة وفيه أن النبي ﷺقال: « فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الْأَرْضِ »أخرجه مسلم[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٢٢٢٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير برقم(٧٨٧١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٤).

أما آخر الرسل فهو محمد ﷺ، سيد الأولين والآخرين، فلا رسول ولا نبي بعده إلى يوم القيامة : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٠] .

وبعث الله الأنبياء والرسل إلى أقوامهم خاصة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۗ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[الرعد: ٧] .

وبعث الله محمداً ﷺ إلى الناس كافة، وهو خاتم الأنبياء المرسلين وأفضلهم، فهو سيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، أرسله الله رحمة للعالمين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨] .

الحكمة من بعثة الأنبياء والرسل:

الله ﷻ أرسل الأنبياء والرسل لحكم كثيرة منها :

الأولى: دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

الثانية: بيان الطريق الموصل إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢] .

الثالثة: بيان حال الناس بعد الوصول إلى ربهم يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾[الحج: ٤٩-٥١] .

الرابعة: إقامة الحجة على الناس: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥] .

الخامسة: أن الله أرسلهم رحمة للعالمين كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

صفات الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى الناس لهم صفات :

الأولى: جميع الأنبياء والرسل رجالٌ من البشر، اختارهم الله عز وجل، واصطفاهم واجتباهم من بين سائر عباده، فضلهم الله بالنبوة والرسالة، وأيدهم بالآيات والمعجزات، وأكرمهم الله بالرسالة، وكلفهم بها، وأمرهم بإبلاغها إلى الناس ، ليعبدوا الله وحده، ويتركوا عباده ما سواه ووعدهم علي ذلك الجنة، وقد صدقوا وبلغوا عليهم الصلاة والسلام :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[آل عمران: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

الثانية: إن الله عز وجل أمر جميع الأنبياء والرسل بالدعوة إلى الله، وعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[النحل: ٣٦] .

وشرع الله لكل قوم من الشرائع ما يناسب أحوالهم، كما قال سبحانه : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المائدة: ٤٨]

الثالثة: أن الله تعالى لما اصطفي الأنبياء والرسل شرفهم بالعبودية له ووصفهم بالعبودية له في أعلى مقاماتهم ، كما قال عن محمد ﷺ في مقام تنزيل القرآن:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١] .

وفي مقام الإسراء، قال سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء: ١] .

وقال في عيسي ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾[الزخرف: ٥٩] .

الرابعة: أن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشر مخلقون، يأكلون ويشربون، وينسون وينامون ويصيبهم المرض والموت، وهم كغيرهم لا يملكون شيئًا من خصائص الربوبية والألوهية ، فلا يملكون النفع والضر لأحد إلا ما شاء الله، ولا يملكون شيئًا من خزائن الله، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ، أرسلهم الله إلى خلقه مبشرين ومنذرين كما قال سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف: ١٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾[الفرقان:٢٠] .

٢- خصائص الأنبياء والرسل

الأنبياء والرسل أطهر البشر قلوبًا، وأزكاهم عقولًا، وأصدقهم إيمانًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأكملهم دينًا، وأقواهم عبودية، وأكملهم أجسامًا، وأحسنهم صورة .

وقد خصهم الله بخصائص تميزهم عن غيرهم وهي :

الأولى: إن الله اصطفاهم بالوحي والرسالة، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ [الحج: ٧٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

الثانية : أن الأنبياء والرسل معصومون فيما يبلغون الناس من العقيدة والأحكام، ولو أخطئوا فالله عز وجل يردهم إلى الحق والصواب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾[النجم: ١-٥] .

الثالثة : أن الأنبياء والرسل لا يورثون بعد موتهم .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » .متفقٌ عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٥٧).

الرابعة : أنهم تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم .

عن أنس ﷺ في قصة الإسراء وفيه فقال أنس : « وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ، وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ ، فتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ »أخرجه البخاري[1] .

الخامسة: أنهم يخيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة .

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺيقول : « مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخرة » . متفقٌ عليه[2] .

السادسة : أن الأنبياء والرسل يقبرون حيث ماتوا .

عن أبي بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ ، وَحَفَرُوا لَهُ تحْتَ فِرَاشِه » . أخرجه أحمد بسند صحيح[3] .

السابعة : أن الأنبياء والرسل أحياء في قبورهم يصلون .

عن أنس ﷺ أن الرسول الله ﷺقال : « مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ » . أخرجه مسلم[4] .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي الله ﷺ قال : « الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ ». أخرجه أبو يعلى بسندٍ جيد[5] .

---

(١) أخرجه البخاريبرقم: (٣٥٧٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٤٤٤).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٧٥).

(٥) حسن/ أخرجه البزار في مسنده برقم: (٢٥٦).

الثامنة : إن أزواجهم لا تنكح من بعدهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٣] .

تفاضل الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سواءٌ من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، وإنما يكون التفاضل بين الأنبياء والرسل في زيادة الأحوال، والخصائص، والآيات، والألطاف ؛ ولهذا منهم رسل، ومنهم أنبياء، ومنهم ألوا العزم، ومنهم من اتخذ الله خليلاً، ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ونحو ذلك من الفضائل .

وأفضلهم في ذلك كله سيد ولد آدم محمد ﷺ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٣] .

وقال الله عز وجل ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[الإسراء: ٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[النساء: ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[النساء: ١٦٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ،

وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى » . متفقٌ عليه[2] .

ورسل الله إلى خلقه هم أفضل البشر على الإطلاق : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾[الحج: ٧٥] .

فهم أفضل البشر ؛ لأنهم يدعون الناس إلى ربهم، ويهدونهم إلى خالقهم ويتعبون من أجل راحتهم ، فما أسعد من آمن بهم، وتشرف بصحبتهم وإتباعهم، وما أحسن صحبتهم في الدنيا والآخرة ، وإنما ينال العبد ذلك إذا أطاع الله ورسوله، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء: ٦٩-٧٠] .

وأصحاب النبي ﷺوقد ذاقوا طعم صحبته في الدنيا، يتشوقون إلى صحبته في الآخرة، فقد كان أمر صحبته في الآخرة يشغل قلوبهم وأرواحهم ، وإنه حقًا لأمرٌ يشغل كل قلب ذاق محبة ذلك الرسول الكريم، وعرف ما قام به، وما جاء به من الخير .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٧٤).

فعن ربيعة الأسلمي قال: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: « سَلْ» فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ: « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُود » . أخرجه مسلم[1] .

وقيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم، ولما يلحق بهم، قال : « المُرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . متفقٌ عليه [2] .

وهذه المحبة للرسل إنما تنشا عن معرفة عظمة ما جاءوا به من الخير ، ومن حسن أخلاقهم، ومن معرفة رحمتهم للبشر وبذلهم ومواساتهم، ومن صبرهم وتحملهم الشدائد من أجل هداية الناس، ومن معرفة كمال عبوديتهم لربهم، وشكرهم لمولاهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٧٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم : (٦١٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٤٠).

٣- وظيفة الأنبياء والرسل

وظيفة الرسول أداء الرسالة، لا إحداث الخير، ولا إحداث السوء فهذا من أمر الله الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك: ١] .

وأمر الناس مع الرسول أن من أطاعه فقد أطاع الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾[النساء: ٨٠] .

ومن تولى معرضا مكذبًا فأمره إلى الله من ناحية حسابه وجزائه ولم يرسل الله الرسول ليجبره على الهدى، أو يكرهه على الدين ، وليس موكلاً بحفظه من العصيان والضلال، فهذا ليس داخلاً في وظيفة الرسول، ولا داخلًا في قدرة الرسول، إنما ذلك بيد الله وحده: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٠﴾[يونس: ٩٩-١٠٠] .

فكل ما يحصل في الكون لا يكون إلا بإذن الله وإرادته، وقدره ومشيئته ، وكل ما يحصل للناس من الحسنات والسيئات، والنعم والمصائب فلا يقع إلا بإذن الله وإرادته، لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد .

لكن الحسنات والنعم من فضل الله عز وجل، وما أصاب العبد فبما كسيت يداه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[الشورى:٣٠] .

وما يصيب الناس من حسنةٍ ونعمة فهي من عند الله ؛ لأنه بسبب منهجه وهدايته، وفضله، وإحسانه، وما يصيبهم من سيئة ومصيبة فهي من عند

أنفسهم؛ لأنها حصلت لهم بسبب تنكبهم عن منهج الله، والإعراض عنه : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾[النساء: ٧٩] .

فالإيمان بالرسول ﷺ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

والرسول ﷺوظيفته أنه رسولٌ يبلغ ما جاء به من عند الله إلى خلقه، وطاعته فيما يأمر به طاعةٌ لله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[المائدة:٦٧] .

وليس هناك طريقٌ لطاعة الله غير طاعة رسوله ﷺ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾[النساء: ٨٠] .

والرسول ﷺ ليس مكلفًا أن يحدث الهدي للمعرضين من المتولين ، ولا أن يحفظهم من الإعراض بعد التولي بعد البلاغ والبيان: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴾[الشورى: ٤٨] .

والأنبياء والرسل هم مصابيح الدجى، وينابيع الهدي في هذه الأرض ، فهدي الله للبشر جاء بواسطتهم، وما أرسل الله الرسل إلا ليطاعوا ، وما أنزل الله الكتب إلا ليحكم بها بين الناس بالعدل: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾[المائدة: ٤٨] .

فالذين أنكروا إرسال الرسل ما عرفوا الله، ولا عرفوا حكمته ورحمته، وعدله وإحسانه، وكرمه وفضله ؛ فمن أنكر بعثة الأنبياء، وإرسالهم إلى الناس، فما أسفهه هؤلاء وأجهلهم بربهم :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١ ﴾[الأنعام: ٩١] .

وكل هذا جهلٌ بقدر الله سبحانه وتعالى، فالله العظيم الكريم، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم ، لا يدع هذا الإنسان وحده ، هو الذي خلقه، ويعلم سره وجهره ، وطاقاته وقواه ، وحاجاته إلى منهج يعتمد عليه، ويسير عليه ، ومبادئ يرجع إليها في أفكاره وأقواله وأفعاله .

فلله الحمد والمنة على أن أرسل إلينا رسولًا يبين لنا ما يحب ربنا وما يرضيه :﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[آل عمران: ١٦٤] .

والله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم وزوده بالآلات العلم والمعرفة وهى :

السمع .. والبصر .. والعقل.

قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل: ٧٨] .

والله سبحانه يعلم أن العقل الذي أعطاه للإنسان لا يستقل بمعرفة ما ينفعه وما يضره ، ويتعرض لضغوط كثيرة من رغباته وشهواته ، وليس العقل موكلاً بصياغة نظام ومنهج حياة ، هذا مجال الدين والشريعة التي تأتى من

الله بواسطة رسله ، فيؤمن به ويتبع ما جاءت به، فيسعد في دنياه وآخرته:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ ﴾[الحديد: ٩] .

فالعقل مستقبل للوحي فقط: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة:١٥-١٦].

ومن ثمَ فمن رحمة الله لا يكل الإنسان إلى هذا العقل وحده ، ولا يكله كذلك إلى ما أودع في فطرته من معرفة ربه، وشوقه إليه، ولجوئه إليه في الشدائد : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[الروم: ٣٠] .

فهذه الفطرة قد تفسد بسبب المؤثرات، وبسبب الأهواء والتزيين الذي يقوم به شياطين الإنس والجن بكل ما يملكون من أجهزة التوجيه والتأثير ، كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي : « وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ »أخرجه مسلم[1] .

إنما يكل الله الناس إلى وحيه ورسله، وهداه وكتبه، ليرد فطرتهم إلى استقامتها وصفائها ، وليرد عقولهم إلى صحتها وسلامتها ليجلو عنهم غاشية الظلام والتضليل الذي أصابهم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦٥).

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[الجمعة: ٢] .

وهذا هو الذي يليق بكرم الله وفضله ورحمته، وعدله وإحسانه وحكمته وعلمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

فما كان الله ليخلق البشرية، ويجمعهم في الأرض، ثم يتركهم سدى، ثم يحاسبهم يوم القيامة ولم يبعث فيهم رسولًا يبين لهم ما يتقون، وينزل عليهم كتاباً به يهتدون:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء: ١٥] .

ومنَّ الله على البشرية كافة ببعثة الأنبياء والرسل إليهم ، وجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بالتوحيد المطلق الخالص، الذي لا ظل فيه للشرك في صورة من صوره ، وأمروهم بعبادة الله وحده ، وأخبروا أممهم أنهم بشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولا يعلمون الغيب إلا ما طلعهم الله عليه ، ولا يملكون بسط الرزق أو قبضه لأحد، وأنذروا قومهم الآخرة وما فيها من حسابٍ وجزاء، وثوابٍ وعقاب .

فهذه الأصول الذي دعا إليها كل رسولٍ من رسل الله إلى عباده : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء: ٢٥] .

والإيمان بالرسل ليس فقط اعتقادًا بالقلب ؛ بل هو مع ذلك عملٌ إيجابي في تنفيذ جميع ما جاءوه به: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧] .

وعملٌ كذلك إيجابي في نصرة هؤلاء الرسل، وشد أذرهم فيما ندبهم الله له ، وفيما أوقفوا حياتهم كلها لأدائه، وهو إبلاغ رسالة الله إلى عباده : ﴿ قُلْ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وشرعه مقتضاه أن ينهض المؤمن لينصر ما آمن به، وليقيمه في الأرض، وليحققه في حياة الناس كافة كما فعل النبي ﷺ، وذلك يحتاج إلى دعوه، وبذل للأنفس والأموال والأوقات، وترك كل شيء من أجل دين الله عز وجل لينتشر الحق في العالم ، ويحتاج إلى نصره وجهاد لتحقيق وجوده، ولحمايته من الأعداء بعد تحقيقه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾[الحج: ٤٠ – ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٧٨ ﴾[الحج: ٧٨] .

إن الإيمان بالرسل، والإقرار بالرسالة، والعمل بموجبها، هو الذي يجعل هناك قاعدةٌ لما يريده الله من البشر، كي يتلقى البشر كل ما يتعلق بالعبودية لله من مصدر واحد ، هذا المصدر الأمين الذي اصطفاه الله واجتباه هم فقط الأنبياء والرسل الذين يبلغون رسالات الله إلى عباده : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾ [الأحزاب:٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

٤ – دين الله واحد

دين الله للبشرية كافة واحد: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٩] .

والحق هو الذي أنزله الله الحق في كتابه، وكل ما سواه باطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج: ٦٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ٨٥] .

هذا المصدر الأمين للتشريع الذي اصطفاه الله، جاء به الأنبياء والرسل فقط، ولذلك كل طاغوت مفترٍ، وكل منافقٍ وملحد، يقول للناس قولًا، ويشرع للناس شرعًا ، ثم يزعم أن الله شرعه وأمر به، بينما هو يفتريه من عند نفسه .

وفي كل جاهلية في الأرض يقوم بين الناس من يشرع الشرائع والنظم، ثم يقول للناس هذا من عند الله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة: ٧٩] .

وما يقضى على هذه الفوضى ويزيل هذا الضلال، وهذا الاحتيال على الناس باسم الله، إلا أن يكون مصدرٌ واحدٌ مبلغٌ عن الله ، هم رسله الذين اختارهم وأرسلهم، وهم أمناؤه على وحيه : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ

شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

وما أعظم جريمة هؤلاء الناس الذين يفترون على الله الكذب ويضلون الناس بباطلهم: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الأنعام: ١٤٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٩] .

والشرائع السماوية يكمل بعضها بعضًا، ومقصودها توحيد الله عز وجل، والإيمان به، والتسليم له في كل شيء ، وعبادته وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾[آل عمران :١٧٩] .

والشرائع السماوية السابقة كلها أكملها الله بالإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، ورسول الله ﷺ جاء ليكمل اللبنة الناقصة في البناء الإيماني ، ليكمل البناء، ويكون صالحًا مفتوحًا لكل فردٍ من البشرية إلى يوم القيامة .

وإنها لنعمة كبرى من الكريم على خلقه لو كانوا يفقهون: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة: ٣] .

وقال النبي ﷺ: «إن مَثَلي ومَثَلَ الأنبياءِ مِن قبلي كَمَثَلِ رَجُل بني بيتاً، فأحْسَنَهُ وأجْمَلَهُ؛ إلا موضِعَ لَبِنَةٍ من زاويةٍ، فجَعَلَ الناسُ يَطوفون بهِ، ويَعْجَبونَ لهُ، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعتْ هذه اللبِنَةُ، قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتَمُ النبِيِّينَ » . متفقٌ عليه(١) .

فما أعظم فضل الرب على الناس، وما أعظم رحمته لهم ، وما أعظم عنايته بهم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠] .

فما أعظم نعم الله على خلقه:

يرسل إليهم رسولًا بعد رسول، وينزل عليهم أمرًا بعد أمر ، ويهديهم بكتاب بعد كتاب، حتى أكمل الله الدين، وبعث به رسول الله خاتم النبيين ، ورضيه منهجًا للحياة إلى يوم الدين: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ٨٥] .

فيا لها من نعمة ما أعظمها، وتكرمه ما أجلها، وحليةً ما أحسنها : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة: ٤] .

وليس للقلوب سرورٌ ولا لذة تامة إلا بمحبة الله، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوبٍ سواه ، ومن أحب الله أنس به،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٨٦).

ومن أحب غيره عذب به، وشقي به: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣] .

فمن يشعر ويحس بقيمة هذه النعمة الكبرى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[غافر:٦١] .

إن البداية من الله، وإن البقاء في الدنيا بأمر الله، وإن النهاية بأمر الله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[البقرة: ١٥٥ – ١٥٦] .

وقال الله عز وجل ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾[النجم: ٤٢] .

فلا حل ولا نجاة ولا فلاح للبشرية في الدنيا والآخرة إلا بالتسليم لله وطاعته وعبادته وحده لا شريك له، وإتباع الرسول فيما جاء به: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أعظم الوظائف الدعوة إلى الله .

الله عز وجل أكرم رسله وأنبياءه بأعظم الوظائف وهى الدعوة إلى الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وقد ألقي الله سبحانه وتعالى على الأنبياء والرسل تبعةً ثقيلةً عظيمةً ، وألقاها من بعدهم على المؤمنين برسالاته، تجاه البشرية كلها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ

وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٢-٧٣] .

وهذه الأمانة تبعة ثقيلة عظيمة، بمقدار ما هي جسيمةٌ وكبيرة ، إن مصائر البشرية كلها في الدنيا والآخرة منوطةٌ بالرسل والأنبياء، وبإتباعهم من بعدهم ، فعلى أساس تبليغهم ما أمرهم الله به للبشر، تقوم سعادة هؤلاء البشر أو شقوتهم ، ويترتب عليها ثوابهم أو عقابهم في الدنيا والآخرة .

ولهذا أكد الله على رسله إبلاغ جميع ما أرسلوا به للناس، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧] .

إن أمر الرسالة وإبلاغ أوامر الله لعباده أمرٌ عظيمٌ وكبير، ومن ثم كان الرسل يحسون بجسامة ما كلفوا به، وكان الله يبصرهم بحقيقة العبء الذي ينوطه بهم ، ويعلمهم كيف يتهيئون له، ويستعدون للقيام به ، كما قال الله لرسوله محمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[المزمل: ١-٥] .

فالأنبياء ليس لهم عمل إلا عبادة الله وحده لا شريك له، وامتثال أوامره، ودعوة الناس إلى دينه، وتعليمهم أحكامه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾[المدثر: ١- ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة: ٢] .

والنبي ﷺ خير من عبد ربه، فكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وهو خير من دعا إلى ربه، فقد بلغ البلاغ المبين ، ودعا إلى ربه حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا ، وهو خير من علم أحكام الشرع، فقد ترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨] .

حقًا إن الأمر عظيمٌ وكبير، أمر رقاب الناس، أمر حياتهم ومماتهم ، وأمر سعادتهم وشقوتهم ، وأمر ثوابهم وعقابهم ، فالبشرية في أنحاء الأرض قاطبة إما أن تُبلغ رسالة الله عز وجل، ليؤمنوا بالله وحده ، ويعبدوه وحده لا شريك له ، فتقبلها وتتبعها فتسعد في الدنيا والآخرة .

وإما أن تُبلغ إليها فترفضها وتنبذها فتشقى في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

وإما أن لا تُبلغ إليها فتكون لها حجةً على ربها يوم القيامة ؛ لأنها لم تُبلغ ولم تعلم وتكون تبعة شقائها في الدنيا، وضلالها وعذابها في الآخرة معلقةٌ بعنق من كُلف التبليغ فلم يبلغ فيبوء بإثم ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما فسدوا، وبينوا ما كتموا .

والله عز وجل يقول لكل مسلم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم: ٥٢] .

فأما رسل الله عليهم الصلاة والسلام فقد بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، وجاهدوا في الله حق جهاده ، بلغوا الرسالة دعوة باللسان، وقدوةً حسنةً للعباد، وجهادًا مضنيًا بالليل والنهار ، ودعوةً ودعاء يملأ الأوقات والألسنة والقلوب ، وجهادًا في سبيل الله متواصلًا لإزالة الأزمات والعوائق ، سواءً كانت هذه العقبات شبهاتٌ تحاك، وضلالاتٌ تزين، أو كانت قوًى طاغية تصد الناس عن الدعوة، وتفتن الناس عن دينهم : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ ﴾[التوبة: ٨٨] .

ثم يمضي هؤلاء الرسل والأنبياء مبلغين لدين ربهم، خالصين من هذا الالتزام الثقيل، من أول الرسل نوح ﷺ إلى خاتم النبيين محمد ﷺ وبقي هذا الواجب الثقيل على من بعدهم من المؤمنين برسالتهم .

والنبي ﷺ بلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾[النصر: ١-٣] .

فصلوات الله وسلامه عليه ما دام الليل والنهار .

وشرّف الله هذه الأمة بوظيفة الأنبياء والرسل، وهي الدعوة إلى الله، وعبادة الله وحده لا شريك له ، فهذا الواجب الثقيل العظيم انتقل من بعد الرسول ﷺ إلى أمته من المؤمنين برسالته رجالًا ونساء .

فهناك أجيال وأجيال جاءت وستجيئ من بعده ﷺ،ودعوة هؤلاء للإسلام واجبة، وتبليغهم الدين منوطٌ بعده بإتباعه ﷺ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

ولا انفكاك لهم من هذه التبعة الثقيلة، تبعة إقامة حجة الله على الناس، وإبلاغهم هذا الدين، ليسعدوا في الدنيا والآخرة ، وتبعه استنقاذ البشرية من عذاب الآخرة وشقاء الدنيا إلا بالتبليغ، والأداء على ذات النهج الذي بلغ به رسول الله ﷺوأداه :﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

والجهد الذي قام به ﷺهو أعظم جهدٌ لتبليغ الدين إلى يوم القيامة ، جهدٌ وتضحية، وحكمةٌ ورحمة، وبذلٌ وعطاء وحلمٌ وصبر، وإحسانٌ ودعوةٌ ودعاء، وتعليمٍ وهدى .

فالرسالة هي الرسالة التي بلغها محمد ﷺ والناس هم الناس، والوظيفة هي الوظيفة، وهناك في كل زمان وكل مكان ضلالات وأهواء، وشبهاتٍ وشهوات، وقوًى طاغية في البر والبحر والجو، تحول دون الناس ودون الدعوة، وتفتنهم عن دينهم بالتضليل، وبالقوة والقهر، وبالسخرية والاستهزاء وبالقتل والتشريد : ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾[البروج: ٨-٩] .

وأمام أن هذا ليس هناك إلا حلٌ واحد ومركبٌ واحد ينقذ البشرية والإنسانية مما هي فيه من الجاهلية والضلال، والفتن والظلام؛ ألا وهو أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، لابد من توحيد الله عز وجل، واستقامةٍ على الدين، وإبلاغ هذا الدين الحق ، بلاغٍ للبشرية بالبيان، وبلاغ بالعمل، حتى يكون المترجمون ترجمة حية بالدين والأخلاق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣] .

وبلاغٌ بإزالة العقبات التي تعترض طريق الدعوة والدعاة، وتفتن الناس بالباطل وبالقوة، وإلا فلا بلاغ ولا أداء ، والله عز وجل ينصر الرسل وأولياءه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم:٤٧] .

ومن العقوبة والخسران أنه أمر واجب على المؤمنين، الذي لا حيلة في النكوس عن حمله وإلا فهي التبعة الثقيلة المؤلمة الموجعة: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[المائدة: ٧٨-٧٩] .

إنها مسؤوليةٌ عظيمة، وعهدٌ وميثاقٌ عظيم ، فهذا الدين أمانةٌ في أيدينا لابد من إبلاغه للبشرية ، وإلا فهو غضب الرب، ونقض العهد، تبعة ضلال البشرية كلها، وحرمانها من حقها، وشقوتها في الدنيا والآخرة، وتبعة عدم القيام بحجة الله في الآخرة، وحملت التبعة في هذا كله، وحرمانها من الجنة، وعدم النجاة من النار .

ألا ما أخطر الأمر، وما أعظم نقض العهد، وما أعظم عدم أداء حق البشرية :
﴿ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ ﴾[الرعد: ١٩-٢١] .

من الذي يستهين بهذه التبعة العظيمة التي تقصم الظهر، وتهز المفاصل، وترعد لها الفرائس ؟ ! .

إلا ما أعظم نقض العهد، وخيانة الأمانة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ﴾[الرعد: ٢٥]

إن المسلم إما إن يستقيم كما أمر الله : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾[هود: ١١٢] .

ويتبع ويؤدى هكذا وإلا فلا نجاة له في دنياه ولا أخراه .

٥- فضائل هذه الأمة

هذه الأمة لشرفها توَّجها الله عز وجل بأربعة تيجان :

١- تاج : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

٢- وتاج : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾[الحج: ٧٨] .

٣- وتاج : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة: ١٤٣] .

٤- وتاج الشهادة : ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

وحين يقول المسلم أنه مسلم ، ثم لا يبلغ الدين ، ولا يؤديه للآخرين ، إنما هذا يؤدي شهادة ضد الإسلام الذي يدعيه ، بدلًا من أداء شهادةٍ له تحقق فيه قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

فهذه الأمة خير أمة ، هذه الأمة عدلٌ خيارٌ وسط ، وما عدا الوسط فأطراف داخلةٌ تحت الخطر والهلاك ، فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين ، وسطًا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى ، وبين من جفاهم كاليهود ، فجعلهم بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾[النساء: ١٥٢] .

أما اليهود والنصارى فقد آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾[النساء: ١٥٠-١٥١] .

وهذه الأمة وسط في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وهي أمةٌ وسط في باب الطهارة، والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حُرِّمت عليهم طيباتٍ أُحلت لهم عقوبةً لهم على فعلهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئًا، ولا يحرمون شيئًا ، بل أباحوا كل شيء .

ووهب الله هذه الأمة من العلم والعمل، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمةٍ سواهم ، فلهذه الأمة من الدين أكمله ، ومن الأخلاق أحسنها ، ومن الأعمال أفضلها ، ولهذا كانوا وسطًا كاملين، ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم، وحكمهم بالقسط .

وتبدأ شهادة المسلم للإسلام بأن يكون هو بذاته ، ثم بيته وعائلته ، ثم أسرته وعشيرته صورةً واقعيةً حية من الإسلام الذي يدعو إليه .

وتخطوا شهادته الخطوة الثانية بدعوة الأمة إلى الله، لتحقق الإسلام في حياتها كلها ، حسب أمر الله ورسوله .

وتنتهي شهادته بالجهاد في سبيل الله، بإزالة العوائق التي تضل الناس وتفتنهم عن دينهم، من أي لون كانت هذه العوائق ، فإذا استشهد في هذا فهو إذًا شهيد ، أدى شهادةً لدينه، ومضى إلى ربه ، وهذا وحده هو الشهيد ، بل هو أعلى الشهداء :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

وهذا عمل الأنبياء ، بل عمل سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، الذي جمع بين العبادة والدعوة، والتعليم والإحسان إلى الخلق، والجهاد في سبيل الله .

والله رءوف بالعباد ، والملك ملكه ، والخلق خلقه ، ولا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض ، لا يمكن أبدًا أن يترك خلقه للشياطين تعبث بهم : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون : ١١٥] .

فحين حرف اليهود والنصارى كتاب ربهم، وبدلوا شرائعه، وكذبوا وافتروا، وظلموا وطغوا، وجحدوا وكتموا الحق، وصدوا عن سبيل الله، وقتلوا الأنبياء والرسل، وتركوا العمل بدينهم، ونقضوا العهد، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا ، وقالوا على الله ورسله غير الحق ، بعد هذا الظلم والعدوان، والعناد والإعراض والإفساد ، اقتضت حكمة الله ورحمته بالبشرية أن يرسل رسولًا يهديها إلى الحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٧] .

فأرسل الكريم الرحمن جل جلاله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين ، ورسولًا إلى الناس أجمعين إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾[النساء: ١٧٠] .

فلم يكن بد من تبليغٍ عام في ختام الرسالات ، يُبلّغ إلى الناس كافة، لكي لا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، ولم يسبق أن كانت هناك رسالةً عامة ، ولم يكن بدٌ من هذه الرسالة العامة .

فكانت حقًا هذه الرسالة الكاملة رحمة الله للعالمين في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه عن رسوله محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

وأهل الأرض قاطبة ، واليهود والنصارى ، كل هؤلاء مدعوون إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، مدعوون إلى الإيمان بالله، والإيمان بهذا الرسول، ونصره وتأييده كما أخذ عليهم ميثاقه بالإيمان به ، فهو رسوله إلى أهل الكتاب ، كما أنه رسوله إلى العرب ، ورسوله إلى الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها في كل زمانٍ وفي كل مكان ، فلا مجال لإنكار رسالته ، رسالته من عند الله ، أو الادعاء بأنها خاصة بالعرب، أو أنها غير موجهةٌ إلى أهل الكتاب ، بل هي للناس كافة : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة:١٥-١٦].

بعث الله رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة ، وإلى العالم قاطبة ، وجعله رحمةً للعالمين كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

يدلهم ﷺ على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة ، فهو رسول الله إلى الناس كافة ، وإلى اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الأرض .

وقد أخفى اليهود كثيرًا من أحكام الشريعة :

كرجم الزاني، وتحريم الربا ، وقصة أصحاب السبت الذين مسخهم الله قردةً وخنازير وغير ذلك .

وأخفى النصارى الأساس الأول للدين وهو التوحيد :

فقالوا تارةً إن الله ثالث ثلاثة .

وتارةً قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .

وتارةً قالوا المسيح ابن الله .

كما أخفى أهل الكتاب خبر بعثة النبي ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[الصف: ٦].

فالمؤمنون من أهل الكتاب هم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٧] .

والله سبحانه يتودد إلى أهل الكتاب، ويبين لهم أنه بُعث إليهم وإلى غيرهم رسولًا يهديهم إلى ربهم بعد ما ضلوا وانحرفوا عن الحق ، وبدلوا وحرفوا كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾[المائدة: ١٩]

إن الله سبحانه الذي خلق هذا الكون وعجائبه ، وسيره بأوامره ، هو الذي خلق الإنسان وفطرته ، وهو الذي وضع للإنسان المنهج الذي يسير عليه في هذه الحياة ، وهو سبحانه الذي رضي للبشرية هذا الدين العظيم الذي جاء به محمد ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]

فالواجب على البشرية كافة أن تشكر الله على ما أنعم به عليها من هذا الدين الكامل ، وتتبع الصراط المستقيم والدين القويم الذي جاء به محمدٌ ﷺ.

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[الأنعام: ١٥٣] .

وأما القول بأن الله هو المسيح ابن مريم ، أو أن المسيح ابن الله ، أو ثالث ثلاثة فهو الكفر والشرك لا ريب ، وأما القول بأن اليهود والنصارى أبناء الله وأحباؤه أو أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ، فهو الافتراء والكذب الذي لا دليل عليه ، والذي جاء القرآن بتكذيبه .

فهل يستحق قيادة البشرية من ظلمها، وحرمها من الهدى، وصد عن سبيل الله ، وكفر بالله وقتل رسله، ونقض العهد :﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾[النساء: ١٥٥] .

وهل يستحق قيادة البشرية من يقول عن ربه إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء ؟ .

قال الله تعالى:﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[آل عمران: ١٨١]

وهل يستحق إمامة البشرية من يقول عن خالقه أنه بخيل ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[المائدة:٦٤]

وهل يستحق إمامة الناس من يقول عن ربه أنه أب ؟ .

قال الله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[المائدة: ١٨]

وهل يستحق إمامة البشرية من استهان بالإله، وأشرك به، وهل بعد هذا من كفر وشرك ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[المائدة:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[المائدة:٧٣-٧٤] .

وماذا بقي من شريعة اليهود والنصارى ؟ لقد حُرّفت ، وبدلت ، وزيد فيها ، ونقص منها ، وكتم الكثير منها ، وهل قامت هذه الشريعة في حياتهم ؟ وما

هو مصير البشرية لو بقيت بدون إيمان يصلها بربها الذي خلقها ، وشريعةٌ تستقيم بها حياتها ؟ .

ومن هنا كانت رحمة الله بالبشرية ببعثة محمدٍ ﷺإلى الناس كافة ، وببعثة النبي ﷺقطع الله الحجة على أهل الكتاب وغيرهم .

فهو مبعوثٌ إلى الناس كافة إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

بعث الله رسوله محمدًا ﷺرحمةً للعالمين، وأشد القلوب استعصاءً على الهدى والاستقامة هي القلوب التي عرفت الحق ثم انحرفت كاليهود المغضوب عليهم ، ثم يليهم النصارى الضالون، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فالقلوب الغفل الخامة أقرب إلى الاستجابة ، لأنها تفاجأ من الدعوة بجديدٍ يهزها، وينفي عنها الركام والغبار ، وانبهارها بهذا الجديد الذي يطرق فطرتها أول مرة ، أما القلوب التي نوديت من قبل فالنداء الثاني لا تكون له جدته ولا تكون له هزته ، ولا يقع فيها الإحساس بجديته وأهميته .

ومن ثم تحتاج إلى جهدٍ مضاعف، وصبرٍ طويل ، وهذا ما حصل لنبينا ﷺ بدعوته لليهود والنصارى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[البقرة: ١٤٥] .

فلم يؤمن بالنبي ﷺمن اليهود والنصارى إلا القليل ، بينما أسلم من الكفار والمشركين ما يزيد على مائة ألف شهدوا معه حجة الوداع ، ثم تتابع دخول الناس في دين الله أفواجا ، أما اليهود والنصارى فقلة .

ولهذا قال النبي ﷺ: « لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ ، لآمَنَ بِي اليَهُودُ »أخرجه مسلم[1] .

ولكن لا بد من البلاغ للكفار والمشركين، واليهود والنصارى والهندوس وغيرهم من أمم الأرض : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم: ٥٢] .

إن الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺهو الإسلام في صورته النهائية الأخيرة ، والإسلام هو الدين الذي جاء به جميع الرسل ، ولكن خص الله محمدًا ﷺ بكماله وجماله وجلاله، ليكون دين البشرية كلها ، ولتكون شريعته هي شريعة الناس جميعًا ، ولتهيمن على كل ما كان قبلها ، وتكون هي المرجع النهائي ، ولتقيم منهج الله في حياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ويحُكم بها بين الناس:﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[المائدة: ٤٨] .

ولا يحل لأحدٍ أن يترك شريعة الله في أي حال ، كما أنه ليس هناك رسولٌ جديد ، ولا رسالةٌ جديدة:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾[آل عمران: ٨٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٩٣).

لقد أكمل الله عز وجل لنا هذا الدين ، وتمت به النعمة على العباد ، ورضيه الله منهج حياةٍ للناس أجمعين ، ولم يعد هناك من سبيل لتعديل شيءٍ فيه أو تبديله ، ولا لترك شيءٍ من حكمه إلى حكمٍ آخر ، ولا شيءٍ من شريعته إلى شريعةٍ أخرى ، لأنه هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله دينًا للبشرية إلى يوم القيامة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣] .

وقد علم الله سبحانه حين رضيه للناس أنه يسع الناس جميعًا، وعلم حين رضيه مرجعًا أخيرًا أنه يحقق الخير للناس جميعًا في أي مكان وأي زمان، وعلم سبحانه أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم، وأن يبرر بها العدول عن شيءٍ مما أنزله الله، وحذر سبحانه من إتباع أهواء الضالين، الذين في نفوسهم رغبةٌ خفية لتأليف القلوب ولو على غير الدين، ومن مسايرة بعض رغباتهم عندما تصطدم ببعض أحكام الشريعة:﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠] .

وقد حذر الله نبيه ﷺ من إتباع الأهواء ، ومن فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[المائدة: ٤٩] .

وبذلك أغلق الله عز وجل مداخل الشيطان كلها ، وبخاصةٍ ما يبدوا منها خيرًا، وتأليفًا للقلوب، وتجميعًا للصفوف، بالتساهل في شيءٍ من شريعة الإسلام في مقابل إرضاء الجميع، والمحافظة على وحدة الصف .

إنه إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية ، ولا وسط بينهما .

وهل يليق بالعاقل أن يرفض شريعة الله، ويتبع حكم الجاهلية ؟ وهل أحدٌ أحسن من الله حكما أو دينًا ؟.

قال الله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٥٠] .

أيستطيع أحدٌ أن يقول أنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟ أيستطيع أن يقول أنه أرحم بالناس من رب الناس ؟ أيستطيع أحد أن يقول أنه أعرف بمصالح الناس من رب الناس ؟ ألا ما أظلم من ينجي شريعة الله عن حكم الحياة ، ويستبدل بها شريعة الجاهلية ، ألا ما أتفه الكلام الرخيص الذي ينعق به سفلة الخلق: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الصف: ٨] .

إنه إما إسلامٌ وإما جاهلية ، وإما إيمانٌ وإما كفر ، وإما حكم الله وإما حكم الجاهلية ، وإما إلى الجنة وإما إلى النار : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠] .

٦- الفرق بين النبي والرسول

يطلق النبي على الرسول، ويطلق الرسول على النبي، فإذا اجتمعا في آية فلكل واحدٍ منهما معنًى يخصه، وإذا افترقا شمل كل واحدٍ معنى الآخر وحكمه .

فالنبي مأخوذٌ من النبوة أو من الإنباء ، فالنبي منبأٌ من الله بشرع ، وهو مخبرٌ عن الله بما أوحاه إليه من أمره وشرعه لعباده .

والنبي مأخوذٌ من النبوة وهي الرفعة ، فالنبي ذو رفعةٍ عند الله في الدنيا والآخرة ، وذو شرفٌ في قومه وسؤدد ، لأنه منبأٌ من الله بشرعه الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة .

فإذا اجتمع الرسول والنبي في آية، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾[الحج: ٥٢] .

فإذا اجتمع الرسول والنبي في آية ، فالنبي من بعثه الله إلى قومٍ مؤمنين بشريعةٍ سابقة، ليبطل ما ابتدعوه في تلك الشريعة، ويصحح ما أخطئوا فيه ، فهو يحكم بشريعة من قبله ، وقد يوحي الله إليه بوحيٍ خاص في واقعةٍ معينة .

والرسول من بعثه الله بوحيه الشرعي إلى قومٍ لم يأتهم نذير قبله ، أو أتاهم نذير ولكنهم خالفوه ، والأنبياء والرسل يشتركون في الوحي من الله ، وفي جنس الإنسان ، والأنبياء، لا ينزل عليهم كتاب ، بل يحكمون بكتابٍ سابق، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا

ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾[المائدة:٤٤] .

وقد وصف الله بعض أنبيائه بالنبوة والرسالة ، كما قال سبحانه عن موسى ﷺ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾[مريم: ٥١] .

ووصف الله بعضهم بالنبوة والصدق كما قال عن إدريس : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ ﴾[مريم:٥٦] .

ووصف الله بالنبوة والرسالة إسماعيل، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾[مريم:٥٤] .

وجميع الأنبياء المذكورون في القرآن كلهم رسولٌ ونبي .

فالرسول غالبًا يوحى إليه بشرعٍ جديد ، والنبي غالبًا يوحى إليه بشرعٍ سابق ، الرسول يرسل إلى قومٍ لم تبلغهم رسالة من قبله ، أو بلغتهم ولكنهم كفروا وخالفوا أمر الله ، والنبي يرسل إلى قومٍ مؤمنين برسالةٍ سابقة ، ولكن خالفوها .

فإبراهيم ﷺ أرسله الله إلى قومه ، وأرسل من نسله إسماعيل وإسحاق .

فإسحاق خلَف أباه إبراهيم في مقر إقامته بالشام ، فصار نبيًا لأتباع إبراهيم ، وهو مرسلٌ برسالةٍ يبلغها إلى أولئك القوم : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ ﴾[مريم:٥٤-٥٥] .

وإسماعيل أرسله الله إلى جرهم الذين لم تبلغهم رسالة قبله ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسول :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾[مريم: ٥٤] .

والرسول أفضل من النبي، لتميّز الرسول بالرسالة المطلقة ، التي هي أفضل من النبوة ، لأن النبوة رسالةٌ مقيدة ، فمهمة الرسول أعظم وأكبر من مهمة النبي ، لأنه غالبًا له كتابٌ مستقل ، وفي كلٍّ خيرٌ وفضلٌ : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[الحج: ٧٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٣] .

وسيد الأنبياء والرسل وأفضلهم محمدٌ ﷺ، الذي كان أحسن الخلق خَلْقًا وخُلُقًا ، وكان خُلُقه القرآن : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

والقرآن هو الكتاب الذي أنزله الله عل محمدٍ ﷺللناس كافة :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[الفرقان: ١] .

والقرآن آخر الكتب ، وهو أعظمها، والمهيمن عليها ، والحاكم عليها ، والخاتم لها : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[المائدة: ٤٨].

وقد اشتمل القرآن العظيم على جميع ما في الكتب السابقة من حُسن الشرائع ، وزاد عليها بما هو أحسن في الشريعة والأخلاق والآداب ، ولهذا نسخها الله به ، وأغنى به عنها ، فهو آخر الكتب وأحسنها : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[الفرقان: ١] .

خصائص النبي ﷺ :

النبي ﷺ سيد الأنبياء والرسل ، وأفضلهم وأكملهم، وقد ميزه الله عن غيره بخصائص كثيرة، تدل على أنه خير خلق الله، وأحبهم إليه، وأعظمهم مقامًا لديه، ومن تلك الخصائص:

أولًا : أنه ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين في الدنيا والآخرة ، فهو سيدهم في الدنيا، لأن الله جمعهم له في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج ، شكل الله أرواحهم في صورة أجسادهم وصلى بهم ﷺ ، ثم عُرج به إلى السماء، إلى مكانٍ لم يبلغه غيره من الأنبياء والرسل ، حيث بلغ إلى سدرة المنتهى .

وهو ﷺ سيدهم يوم القيامة ، حيث يعتذر كبار الأنبياء والرسل من أولي العزم ، ثم يقوم ﷺ فيشفع في أهل الموقف ، كما قال ﷺ: « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ ، لِوَاءُ الحَمْدِ بِيَدِي » . أخرجه مسلم [1] .

ثانيًا : أن الله عز وجل ختم النبوة به ، وجمع في دينه ما في الشرائع السابقة للأنبياء والرسل ، وزاد على ذلك ، فهو خاتمهم ، فلا يُبعث بعده رسولٌ ولا نبي . كما قال سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٠] .

وقال ﷺ: « وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ ». أخرجه مسلم[2] .

ثالثًا : أنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة في أهل الموقف ، حين يتأخر عنها أولو العزم ، ثم يشفع هو ﷺ ، فيشفعه الله في أهل الموقف .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم(٥٥٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺقال : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو البَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ نهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِي نَفْسِينَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ .

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِينَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ .

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَيَقُولُ لهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ – فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ – نَفْسِي نَفْسِينَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى .

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهَّ ، فَضَّلَكَ اللهُّ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِينَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ .

فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهَّ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ .

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهَّ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُّ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُّ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا ، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى - » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاريبرقم: (١٩٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٤).

رابعًا : أنه ﷺ أول من يستفتح باب الجنة ، فيفتح له ، وأول من يدخلها ، لا يدخلها قبله أحد .

خامسًا : أنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، يحمله ، ويكون الحامدون تحته كما قال ﷺ: « وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ »أخرجه أحمد[1] .

سادسًا : أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة حين يشفع في الموقف ، فيحمده الناس على ذلك ، ويحمده الخالق والمخلوق .

سابعًا : أنه صاحب الوسيلة ، وهي منزلةٌ عاليةٌ في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبدٍ واحد كما قال ﷺ: « إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا لِيَ الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، وَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ » . أخرجه مسلم[2] .

ثامنًا : أنه ﷺ لا يتم إيمان أحدٍ حتى يؤمن برسالته ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آلعمران:٨١-٨٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٦٩٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٨٤).

تاسعًا : أن لكل نبي دعوة مستجابة قد دعا بها ، وأخر النبي ﷺ دعوته شفاعةً لأمته يوم القيامة كما قال ﷺ: « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ » متفقٌ عليه[1] .

وقال ﷺ: « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ »أخرجه البخاري[2] .

عاشرًا : أن الله عز وجل نادى جميع الأنبياء بأسمائهم فقال: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ ﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥] .

وقال : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾[ص: ٢٦] .

وقال : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾[الأعراف: ١٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ١١٦ ﴾[المائدة: ١١٦] .

وغيرهم من الأنبياء ، ونادى محمدًا ﷺ بوصف الرسالة والنبوة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾[المائدة: ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦] .

وأول رسولٍ أرسله الله إلى أهل الأرض آدم ﷺ، أرسله الله بشريعةٍ له ولذريته ، ونوحٌ ﷺأول رسولٍ أرسله الله إلى قومٍ كافرين بعد ظهور الشرك

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاريبرقم: (٦٣٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٨).

(٢) أخرجه البخاريرقم: (٧٤٧٤).

بعد آدم بعشرة قرون ، والقرن الجيل من الناس ، لا المائة سنة ، وكان متوسط أعمار ذلك الجيل سبعمائة سنة .

وكل رسول بعثه الله إلى أمة فهو للإنس والجن من تلك الأمة ، فالجن تبعٌ للإنس في خطاب التكليف .

وتوالى إرسال الرسل والأنبياء رحمةً من الله بعباده ، حتى ختمهم الله بمحمدٍ ﷺ الذي أرسله الله رحمةً للعالمين إلى يوم القيامة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

ورسول الله ﷺ رحمةٌ للعالمين ، ودلائل ذلك أن الله شهد على صدق النبي ﷺ بقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ ﴾[النساء: ١٦٦] .

وشهد سبحانه بفعله ، حيث أيد رسوله ﷺ والمؤمنين بالآيات المعجزات، والبراهين القاطعات، ونصرهم على عدوهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ ﴾[غافر :٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

وكذلك أقر الله رسوله ﷺ على ما يقوله ويفعله وينسبه إلى ربه ، وأمر الأمة بإتباعه في كل ما جاء به ، فقال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

ولو كان كاذبًا وحاشاه ﷺ لعاقبه كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ ﴾ [الحاقة : ٤٤-٤٧] .

٧- حقوق النبي ﷺ على أمته

حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة:

الأول: الإيمان بنبوته ورسالته ، وأن رسالته ناسخةً لجميع الرسالات قبله ، وذلك يقتضي تصديقه ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التغابن: ٨] .

الثاني: محبته ﷺ، وتقديم محبته على النفس، والمال، والولد ، وكافة الخلق ، لما له من عظيم الفضل على الأمة ، كما قال ﷺ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ، وَأَهْلِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين »أخرجه مسلم(١) .

الثالث: الاعتقاد الجازم بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، ودل الأمة على كل خير ، وحذرها من كل شر ، ثم توفاه الله بعد أن بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه ، وأكمل الدين الذي أرسل به ، كما قال عز وجل : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة: ٣]

وقال ﷺ في حجة الوداع : « لِتَأْخُذْ أُمَّتِي مَنَاسِكَهَا ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي أَنْ لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا » . متفقٌ عليه(١) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٥).

الرابع: الإقرار بما خصه الله به من الفضائل العظيمة ، والخصائص السامية من عموم الرسالة ، وختم النبوة ، والشفاعة العظمى ، وما أنزل عليه من أعظم الكتب ، والمقام المحمود يوم القيامة ، وأنه أول من يدخل الجنة ، وأنه في أعلى منزلةٍ في الجنة ، وذلك دليل على عظمة محبة الله له .

الخامس: تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتعزيره وتوقيره، من غير غلوٍ فيه وإطراءٍ له ، وحسن الثناء عليه، والصلاة عليه عند ذكره ، ومحبته وحسن الذكر له ولأهل بيته وأزواجه وأصحابه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٦] .

السادس: إتباع سنته، والاستقامة على شريعته ، وحسن خلافته في أمته بإبلاغ رسالته، وبيان أحكام شريعته ، والتعبد لله بما جاء به ، والتخلق بأخلاقه : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

السابع: تجنب الغلو فيه ﷺ، وعدم مجاوزة الحد المشروع في مدحه وتعظيمه ، وعدم الغلو في إطرائه ، لأن ذلك من أعظم الأذية له ، فهو بشر ، إلا أن الله شرفه بالنبوة والرسالة ، وليس له من خصائص الربوبية والألوهية شيء، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩٧).

وقال الله عز وجل للنبي ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف: ١٨٨] .

وقال ﷺ: « لَا تُطْرُونِي كَمَا تُطْرِي النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَلَكِنْ قُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ »أخرجه الدارمي(١) .

ما خص الله به النبي ﷺ من بين الأنبياء:

خص الله عز وجل الأنبياء والرسل بأحسن الصفات، وأحسن الأخلاق، وأفضل الكرامات، وخص نبيه ﷺ من بين الأنبياء والرسل بخصائص كثيرة جدًا ، ومن هذه الخصائص :

أولًا : عموم رسالته ﷺ لجميع الثقلين ، الإنس والجن إلى يوم القيامة .

كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

ثانيًا : أن الله أنزل عليه أعظم الكتب الإلهية ، وهو القرآن العظيم، كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾[الحجر/ ٨٧] .

وحفظ الله هذا الكتاب من التبديل، والتغيير، والنسخ إلى يوم القيامة ، فقال سبحانه : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر: ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[العنكبوت:٥١] .

ثالثًا : ختم النبوة والرسالة به ﷺ، فلا رسول ولا نبي بعده ، كما قال سبحانه : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾[الأحزاب: ٤٠] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الدارمي برقم: (٢٨٢٦).

وقال ﷺ: « فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ »أخرجه مسلم(١) .

رابعًا : أن أمته خير أمة أخرجت للناس، كما قال سبحانه : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾** ﴾[آل عمران: ١١٠] .

خامسًا : أن أمته ﷺ خير الأمم يوم القيامة، وأكثر أهل الجنة .

كما قال ﷺ: « أَلَا إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً . أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ » .

أخرجه أحمد(٢) .

وقال ﷺ: « أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ قَالَ : فَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ »أخرجه مسلم(٣)

وأهل الجنة من أتباعه ﷺأكثر من الثلثين .

سادسًا : أنه ﷺسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة كما قال ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » أخرجه مسلم(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٢٣).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٠٠٢٣)

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٢١).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٨٧).

ويقول ﷺ: « إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» . أخرجه مسلم[1] .

سابعًا : أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم القيامة ليقُضى بينهم ، وذلك حين يتأخر عن الشفاعة في الموقف آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فيقول النبي ﷺ: « فَأَقُولُ : أَنَا لهَا » أخرجه مسلم[2]

فيشفع في أهل الموقف، ويقضي الله بينهم .

ثامنًا : أنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، يحمله ويكون الناس تبعًا له ، كما قال ﷺ: « أَنَاسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ » . أخرجه الترمذي[3]

تاسعًا : أنه ﷺ أول من يستفتح باب الجنة ، وأول من يدخل الجنة .

عاشرًا : أنه صاحب الوسيلة ، وهي منزلة في الجنة لا تكون إلا لعبدٍ واحد ، ويقول النبي ﷺ: « فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ »أخرجه أبي داود[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٩٣).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٦١٥).

(٤) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٥٣٦).

الحادي عشر : أنه أوفر الناس حظًا من الشفاعة لأهل الكبائر من أمته ﷺ كما قال ﷺ: « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي »أخرجه الترمذي[1] .

الثاني عشر : ما خصه الله به شريعته من تيسير الأحكام، ورفع الآصار والأغلال ، ويسر العبادات ، ومضاعفة الحسنات ، ورفعة الدرجات ، وتوسيع الحلال ، وتضييق الحرام ، وإعطاء الأجور العظيمة على العمل القليل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٧] .

الثالث عشر : حل الغنائم له ولأمته ، وجعل الأرض له ولأمته مسجدًا وطهورا .

وغير ذلك من الخصائص الكثيرة التي لا يتسع المقام لذكرها .

فصلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٣٥).

٨- فضائل سيد الأنبياء والرسل

خصال الشرف والحسن، والجلال والجمال والكمال، وفقها الله في جميع الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله، ورباهم، وأرسلهم لهداية عباده، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، ثم جمع الله هذه الصفات والمكارم والمحاسن في سيد الأنبياء والرسل محمدٍ ﷺ، كما قال عنه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة والملك والسلطان: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[سبأ: ١٣] .

وأيوب ﷺ كان من أصحاب الصبر على البلاء : ﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾[ص:٤٤] .

ويوسف ﷺ كان مستجمعًا لهاتين الحالتين ، فقد تعرض للبلاء في السجن ، ثم آتاه الله الملك .

وموسى كان صاحب الشريعة القوية القاهرة، والمعجزات الظاهرة .

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد ، وإسماعيل كان صاحب الصدق ، ويونس صاحب التضرع .

وإبراهيم ﷺ كان صاحب الوجاهة في الدنيا والآخرة .

وكل واحد من هؤلاء تميز بخصلةٍ أو أكثر من خصال المدح والشرف .

ثم أمر الله محمدًا ﷺ أن يقتدي بهؤلاء الكُمّل من الأنبياء والرسل في صدق الإيمان، وحسن الأخلاق : ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧﴾[الأنعام : ٨٣-٨٧] .

ثم قال بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام: ٨٩-٩٠] .

وأفضل عباد الله هو سيد الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، فهو أفضل الخلق عبودية ، وهو أفضلهم دعوة ، وهو أفضلهم تعليمًا ، فصلوات الله وسلامه عليه ، كما قام بواجب العبودية لله حقًا، وكان عبدًا لله حقًا ، وعبد الله بما أنزل في كتابه العظيم .

فاستحق أن يرفعه ربه للسماء ، لأنه كان عبدًا بحق ﷺ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[الإسراء: ١] .

وما كان ﷺعبدًا بحق إلا بمنهجٍ يعبد ربه بموجبه ، فلهذا استحق التكريم بالإسراء والمعراج بعد أن أكرمه الله بنزول الكتاب أولًا : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾[الكهف:١] .

فلما أخلص في العبودية استحق تكريم الربوبية بالإسراء والمعراج إليه ، لأنه التفت إلى ربه وتوجه إليه بحقيقة العبودية، لفتةً أراد أن يلفت بها سواه من الخلق ، فكان من جزائه ﷺ أن عُرج به إلى السماء.

وأعطاه ربه الصلاة ليرفع بها أتباعه إلى المقام الذي وصل إليه بجسده ، فالصلاة صلة بين العبد وربه، ومعراج المؤمن إلى ربه .

والله عز وجل أثنى على نبيه بوصف العبودية في مقاماتٍ كثيرة، فقال سبحانه :﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[النجم: ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾[الجن: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾[العلق:٩-١٠] .

وأثنى على أمته ﷺ بوصف العبودية ، فقال سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة: ١١٢] .

والله أعطى هذه الأمة ما أعطى نبيه ﷺ من المكارم ، فقد جمع الله في محمدٍ ﷺ أحسن الأخلاق التي جمعها في الأنبياء ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء وهي هذه الأمة ، التي قال الله عنها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

٩- وظائف وخصائص الأنبياء والرسل

الأنبياء والرسل سفراء الله إلى عباده ، ورسله إلى خلقه، اصطفاهم الله للقيام بوظائف ، فهم حملة وحيه إلى عباده، وقدوة للناس فيما جاءوا به من عند الله ، ومن أعظم وظائفهم :

الأول: إبلاغ الناس ما أنزل إليهم من ربهم من الدين:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[المائدة:٦٧] .

والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة، وعدم الخوف من الناس، والصبر على الأذى والتكذيب ، ولهذا مدح الله الرسل بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾[الأحزاب:٣٩] .

وهم يبلغون رسالات الله إلى عباده كما سمعوها بلا زيادة ولا نقص: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ١٩ ﴾[الأنعام: ١٩] .

وقال عز وجل: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ ٤٥ ﴾[الأنبياء: ٤٥] .

الثانية: الدعوة إلى الله بين أقوامهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾[النحل: ٣٦] .

الثالثة: التبشير والإنذار ، كما قال سبحانه : ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ ﴾[النساء:١٦٥] .

الرابعة: تقويم كل من انحرف عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما قال سبحانه : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[البقرة: ٢١٣] .

الخامسة: تدبير شئون الأمة بدين الله عز وجل، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[ص: ٢٦] .

وقال الله عز وجل لمحمدٍ ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٤٩-٥٠] .

والله عز وجل أرسل رسله إلى عباده في أنحاء الأرض، وأماكن النبوات ثلاث :

نبوة موسى .. ونبوة عيسى .. ونبوة محمدٍ ﷺ.

وقد ذكرها الله بقوله : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾[التين:١-٣] .

التين والزيتون ينبت في الشام ، وفلسطين مكان ولادة ومبعث عيسى ﷺ: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ ﴾[التين:١] .

وطور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾[التين: ٢] .

والبلد الأمين هي مكة المكرمة التي ولد وبعث فيها النبي محمد ﷺ : ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ ﴾[التين:٣] .

فهذا القسم العظيم بأماكن النبوات الثلاث بعده قال عز وجل : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨ ﴾[التين: ٤-٨] .

وفي هذا إشارةٌ إلى النبوات الثلاث، وأماكن ظهورها، حيث أقسم الله بمهد المسيح في الشام ، ثم بجبل موسى ، ثم آخرها مكة التي بعث الله فيها نبيه محمدٍ ﷺ .

والأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، فدينهم واحد، وشرائعهم مختلفة : ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[المائدة: ٤٨]

فالأنبياء كلهم إخوة جاءوا بدينٍ واحد، وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وفي تأخير البلد الأمين إشارة إلى ختم النبوات بنبوة محمدٍ ﷺ، وتأكيد معنى الوراثة، وراثة النبي ﷺ للأنبياء كلهم في التوحيد والإيمان والأخلاق ، ناسخًا لما قبله من الشرائع، خَاتمًا لجميع النبوات والرسالات، فلا يدخله تبديلٌ ولا تحريفٌ ولا نسخ .

وفي هذه الأماكن الثلاثة التي أقسم الله بها ترابط ، فأرض الشام أرض المحشر والمنشر، وأرض الميعاد ، وأرض المجاهدين في سبيل الله الذين يقاتل آخرهم المسيح الدجال، ثم يقتله عيسى ابن مريم عند باب لد في فلسطين ، وفي مكة خاتمة الرسالات وأكملها:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[المائدة: ٣] .

خصائص الأنبياء والرسل :

الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله إلى خلقه لهم صفات كمالٍ خصهم الله بها ، ومن ذلك :

أولًا : أن الأنبياء والرسل بعثهم الله من البشر : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

ثانيًا : أن الله بعث الأنبياء والرسل من الذكور:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الأنبياء: ٧-٩] .

ثالثًا : أنهم خير الناس نسبًا ، فجميع الرسل والأنبياء بعد نوح من ذريته ، وجميع الأنبياء والرسل بعد إبراهيم من ذريته :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الحديد: ٢٦] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤١٢).

رابعًا : أن الأنبياء والرسل أحرارٌ لا أرقّاء ، لأن الرق نقصٌ لا يليق بمقام النبوة والرسالة ، والناس غالبًا يأنفون ويستنكفون من إتباع من اتصف بالرق أن يكون إمامًا وقدوةً لهم:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨] .

وفي قراءة : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ **أَنفَسكُمۡ** ﴾[التوبة:١٢٨] .

يعني من أعلاكم نسبًا وشرفاً .

خامسًا : أن الله أعطى الأنبياء والرسل العقول الراجحة ، والذكاء الفذ ، واللسان المبين ، والبديهة الحاضرة:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴿٤﴾ ﴾[إبراهيم: ٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ ﴾[الأنعام: ٨٣] .

سادسًا : كمال الأخلاق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

فنعم الراكب، ونعم المركوب، الراكب هو محمدٌ ﷺ والمركوب الأخلاق العالية .

وبهذه الكمالات والمحاسن التي حبا الله بها الأنبياء والرسل انقاد لهم الناس ، وأطاعوهم ، وآمنوا بهم ، لأن الناس لا ينقادون عن رضا وطواعية لمن قلت فضائله، وكثرت نقائصه:﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧] .

خصهم الله عز وجل بالوحي، والعصمة في تحمل الرسالة، وتبليغها كاملة ، والعصمة من الكبائر قبل الرسالة وبعدها ، ومن قبائح العيوب ، فالحمد لله رب العالمين أن أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أحسن كتبه ، وجعلنا خير أمةٍ أُخرجت للناس.

فضائل سيد الأنبياء والرسل محمدٌ ﷺ.

أثنى الله عز وجل على رسوله محمدً ﷺ في القرآن الكريم في مقاماتٍ كثيرةٍ : فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الجمعة: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[الفرقان: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾[الضحى:١-١١] .

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾[الشرح: ١-٤] .

وقال عز وجل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[الكوثر: ١-٣] .

فصلوات الله وسلامه عليه .

والله عز وجل اختار من القبائل العرب، واختار مُضَر من العرب، واختار من مضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختار محمدًا ﷺ من بني هاشم. فهو ﷺ خيارٌ من خيارٍ : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[القصص: ٦٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[الحج: ٧٥] .

فهو سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وربه الذي اختاره ورباه وأرسله رحمة للعالمين ، وكلما اتهمه قومه دافع الله عنه .

قال كفار قريش عنه : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾[الحجر: ٦] .

فقال له : ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾[القلم: ١-٧] .

فكل نبي يدافع عن نفسه كما قال قوم نوح ﷺ له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الأعراف:٦٦] .

فقال نوح ﷺ: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ ﴾[الأعراف:٦٧] .

وكذا سائر الأنبياء .

وكفار قريش وصفوا النبي ﷺ بأنه ساحر، وكاهن، وشاعر، ومحبون، وكذاب: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ ﴾[الصافات:٣٦] .

فقال لهم من أرسله : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ ﴾[الحاقة : ٣٨-٤٣] .

وقال كفار مكة كما قال سبحانه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗا ٤٣ ﴾[الرعد: ٤٣] .

فقال الله لهم : ﴿ يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ ﴾[يس: ١-٤] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾[النجم: ١-٥] .

أرسل الله نبيه محمدًا ﷺرحمةً للعالمين ، ففتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، وجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والحق منطقه ، والعدل سيرته والإحسان دأبه ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، فهو أحمد الناس لربه ، وأحمد الخلق عند ربه ، وأحمد الناس بين خلقه .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم: ٤] .

هدى الله به الخلق بعد الضلالة ، وبصّر به بعد العماية، وكثّر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيْلة، وأعزّ به بعد الذلة، هو الذي أتاه الله لواء الحمد يوم

القيامة، وأعطاه مفاتيح الجنة ، وجعله سيد الأنبياء والرسل، وأرسله رحمة للعالمين :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

هو ﷺ أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يدخل الجنة ، وأول شافع وأول مشفع ، وكما يجب علينا عرفة من نعبده كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

كذلك يجب علينا معرفة رسوله الذي دعانا إلى عبادة الله عز وجل، ومعرفة سيرته : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وكلما أكثرنا من ذكر رسول الله ﷺ وسيرته ، أحببناه وأطعناه ، وكلما صلينا عليه صلى الله علينا عشرًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[الأحزاب: ٥٦] .

وقال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». أخرجه مسلم[1].

هو ﷺ أجمل الناس، وأحسن الناس، وأكرم الناس، وأفصح الناس، وأرحم الناس، وأعبد الناس، وأرأف الناس، كما قال عز وجل : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾[التوبة:١٢٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٨٤).

هو أحسن الناس أسماءً، وأحسنهم صفات، فهو أحمد ومحمد، وهو الماحي الذي يمحو الله به الكفر، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه يوم القيامة ، والعاقب الذي هو آخر الأنبياء والرسل ، والخاتم ، والسراج المنير ، والمزمل، والمدثر، والرسول ، والنبي ، والرؤوف، والرحيم .

ربنا رءوفٌ رحيم، ونبينا رءوفٌ رحيم ، فيجب على المؤمن أن يكون بالخَلق رؤوفًا رحيمًا .

هو ﷺ وسيمٌ، قسيمٌ، جميلٌ، حسن ، فالوسيم من لم تشبع منه العين ، إذا رأيته أحببته ، والقسيم من أحاط الحسن والجمال بجميع جوانبه ، والجميل أشرف الناس نسبًا ، والحسن يتعلق بالجسد ، ووجهه وجوارحه أحسن شيء، كأن وجهه قطعة قمر ، وكأن الشمس تجري في جبينه .

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ، فصلوات الله وسلامه عليه .

هو أجمل الناس خلقاً، وأعلاهم شرفاً، وأطهرهم نسبًا ، فهو خيارٌ من خيار : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

١٠ - أصول حياة الأنبياء والرسل

حياة الأنبياء والرسل تقوم على أربعة أركان :

الأول : التضحية بكل شيء من أجل الدين ، من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دينه بين خلق الله ، وهذه التضحية تكون بترك الأدنى من أجل الأعلى ، والخروج من مزاج النفس إلى مزاج الدين، وتقديم محبوبات الرب على محبوبات النفس ، وتقديم الوحي على العقل ، ومن ضحى بشيء من أجل الله، وهبه الله له فورًا كما حصل لإبراهيم ﷺ ، وتلك حقيقة المجاهدة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

فإبراهيم ﷺ ضحى بالنفس وبالحياة ، فوهب الله له الحياة فورًا : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٩] .

وضحى بالبلد في العراق، فالله أعطاه أحسن بلد ، وبنى البيت العتيق في مكة المكرمة ، وضحى بالولد إسماعيل فالله أحيا الولد، وأخرج من نسله أفضل ولد، وهو محمد ﷺ سيد الأنبياء والرسل ، وضحى بأم الولد هاجر، وتركها بواد غير ذي زرع، فالله عز وجل جعلها أمًا للعرب وجعل خطواتها نسكًا يتعبد به لله في الحج والعمرة إلى يوم القيامة .

الثاني: الاستقامة على الدعوة، فالدعوة أمر الله ، كالصلاة أمر الله، والذي يريد الاستقامة لابد له من التوبة، ولا يستقيم على جهد الدعوة إلا من تيقن أن فلاح البشرية كلها بهذا العمل، ويلزم بيئة الإيمان، ليزيد إيمانه، ويحسن الظن بربه وبالناس، ويصبر على الأذى والمشقة، ويتحلى بمكارم الأخلاق : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨] .

الثالث : المسابقة في كل ميادين طاعة الله ورسوله حتى الممات ، في الدعوة، والتعليم، والعبادة، والإنفاق ، وكل فضيلة :﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

والصحابة رضي الله عنهم قدم كل واحدٍ منهم ما يملك وما يستطيع إلى آخر يومٍ في حياته من أجل إعلاء كلمة الله ، ولهذا رضي الله عنهم وقربهم :﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

الرابع : الدعاء والاستغاثة بالله وحده ، لأنه قاضي الحاجات كلها ، والقرآن كله يبين دعوة الأنبياء والرسل، ودعاء الأنبياء والرسل : ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال: ٩-١٠] .

وقال الله عز وجل عن يونس ﷺ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧-٨٨] .

فالأنبياء يفزعون إلى الله في جميع حاجاتهم ، لأن الله بيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء .

فمن قام بهذه الاصول حصل له كمال الإيمان والتقوى، والفلاح في الدنيا والآخرة ، ومقصود الدعاء إحياء أمر الله بطلب الحوائج من الله وحده ، ليس الاستجابة ، لأن الله يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

فالله سبحانه أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة، والله لا يخلف الميعاد .

ومن نقض أو نقص من هذه الأصول العظيمة واحدًا، حُرم من الثمرة بقدر النقص ، ومن سنة الله أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه ، والذين قاموا على هذا العمل العظيم بإخلاص ماتوا في هذا العمل بأحسن حال ، في الصلاة ، في الزيارات ، في الشورى ، في التعليم في البيان ، في الدعوة وغير ذلك من أعمال الدين وجهوده .

واعلم أن الدعوة إلى الله فرض عينٍ على كل أحد ، في مكة لا توجد فريضة تزاحم فريضة الدعوة بعد الإيمان بالله عز وجل .

والنبي ﷺ بدأ مع الأمة بالأعلى ، وهو تعلم جهد الدعوة ، والصبر على الناس ، وتحمل الشدائد من أجل الدعوة إلى الله ، ثم جاء تعلم أحكام الدين من صلاةٍ وزكاةٍ وغيرها في المدينة بعد الهجرة .

والنزول من الأعلى وهو الدعوة إلى ما دونه، وهو تعلم الأحكام، أسهل من الصعود من الأسفل إلى الأعلى ، لهذا من فهم مقصد حياة النبي ﷺ وهو الدعوة إلى الله، فورًا يصعد إليه ، ثم يسهل عليه القيام بأعمال الدين كلها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

[الأحزاب:٤٥-٤٨].

والذي لم يفهم مقصد حياة النبي ﷺ وهو الدعوة إلى الله يصعب عليه القيام بأوامر الله، ثم الصعود إلى الأعلى وهي الدعوة، لأن الدعوة هي أعظم عبادة، وهي أم العبادات كلها، فهي التي تأتي بالمسلمين والمؤمنين والمصلين والمتقين وغيرهم .

واعلم أن تربية جميع الأنبياء بشيئين :

١ - الدعوة إلى الله .

٢ - والهجرة في سبيل الله .

لأن الهداية تأتي بعد الهجرة ، كما قال ابراهيم ﷺ : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[الصافات: ٩٩] .

والله ربى هذه الأمة بالدعوة والهجرة ، لأن الدين ينتشر بالدعوة والهجرة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠] .

١١ - أركان الإيمان بالأنبياء بالرسل

الإيمان بالرسل له ثلاثة أركان :

الأول : الإيمان بالمُرسِل، وهو الله سبحانه .

الثاني : الإيمان بالمُرسَل، وهو الرسول الذي أرسله الله إلى الخلق .

الثالث : الإيمان بالمُرسَل به، وهو الوحي الذي جاء به الرسول من ربه .

قال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

والناس في السمع والطاعة للرسل ثلاثة أقسام :

الأول : من يسمع ويطيع ، وهؤلاء هم المؤمنون ، كما قال سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

الثاني : من لا يسمع ولا يطيع ، وهؤلاء هم المعرضون عن الحق :﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

الثالث : من يسمع ولا يطيع ، وهؤلاء هم المستكبرون الذين اتخذوا آيات الله هزوا كما قال سبحانه عن الكافر : ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾[لقمان: ٧] .

وقال عز وجل عن الكفار: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[البقرة:٩٣] .

وهؤلاء أعظم جرمًا ممن قبلهم ، لأنهم عرفوا الحق وتركوه .

والذي أنكر النبوة والرسالة إما أن يقول: إن الله تعالى لم يكلف أحدًا من خلقه.

أو يقول : إنه سبحانه كلف الخلق .

والأول باطل ؛ لأنه يقتضي ترك الناس هملًا بلا شريعة يسيرون عليها، فثبت أن الله كلف خلقه بالأوامر والنواهي ، وذلك لابد له من مُبلِّغٍ ومبينٍ ، وما ذاك إلا نبيٌّ أو رسول :﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل: ٤٤] .

ومن أنكر النبوة والرسالة فقد وصف الله بالعجز، وعدم القدرة ، ومن قال ذلك فما قدر الله حق قدره : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾[الأنعام: ٩١]

ومن أنكر النبوة والرسالة فقط طعن في كون الله ملكًا مطاعًا .

فإن كل ملك له أوامر على عبيده ، وله وعدٌ على الطاعة ، وله وعيدٌ على المعصية ، فمن قال : ما أنزل الله على بشرر من شيء فما قدر الله حق قدره فلا إله إلا الله، ما أجهل الخلق بربهم:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران: ٢٦] .

والإيمان بالرسل لابد له من أربعة أمور :

الأول : أن يعلم العبد كون الرسل معصومين من الذنوب، وفيما يبلغون عن الله عز وجل .

الثاني : أن يعلم العبد أن الأنبياء والرسل هم أفضل الخلق .

الثالث : أن يعلم العبد أن بعضهم أفضل من بعض .

الرابع : أن يعلم العبد أنهم بشرٌ يبلغون وحي الله إلى خلقه، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء:﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف: ١٨٨] .

وقد أرسل الله عز وجل إلى كل أمةٍ أو قومٍ رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأرسل محمدًا ﷺ رحمةً للبشرية كافة إلى يوم القيامة:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ١] .

نسل الأنبياء والرسل:

آباء البشرية ثلاثة :

آدم ﷺ.. ثم نوح ﷺ .. ثم إبراهيم ﷺ.

وقد بشر الله عز وجل إبراهيم ﷺبغلامٍ عليم هو إسحاق ، وبشره بغلامٍ حليم هو إسماعيل ، فإسماعيل أبو العرب، وأمه هاجر ، وإسحاق أبو بني إسرائيل، وأمه سارة ، فإسحاق أمه سارة وإسماعيل أمه هاجر ، وإسماعيل ولد قبل إسحاق ، وجميع الأنبياء بعد إبراهيم من نسل إسحاق ، إلا محمدًا ﷺ، فإنه من نسل إسماعيل .

خلق الله عز وجل آدم ﷺ، ثم أنزله إلى الأرض، وتابع الله إرسال الرسل من ذريته ، فبعث الله الرسل من البشر للبشر ، ولو بعث الله إلى البشر رسولًا ملكيًا لكان على هيئة رجل، ليمكنهم مخاطبته، والانتفاع بالأخذ عنه ؛ ولأن الناس لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾[الأنعام: ٩] .

ولو كان في الأرض ملائكة، لأنزل الله عز وجل عليهم ملائكة من السماء ، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[الإسراء: ٩٥] .

فالرسل إلى البشر من البشر كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[يوسف: ١٠٩] .

والرسل والأنبياء هم أرحم الخلق بالخلق ، فالله أرحم بعباده من كل أحد ، والأنبياء والرسل أرحم الناس بالخلق ، لكمال معرفتهم بربهم وما يريد منهم ، فإن الله هو الرحمن الرحيم ، وأمر أنبياءه ورسله أن يكونوا أرحم الخلق بالخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

وقال إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[إبراهيم: ٣٦] .

وقال عيسى ﷺ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المائدة:١١٨] .

فهذا من رحمة الرسل لأممهم ، أما نوح وموسى عليهم الصلاة والسلام فدعيا على قومهما بعد أن علما من الله أن قومهما لا يؤمنون أبدًا ، وأنهم أشقياء في علم الله ، كما قال الله لنوح : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[هود: ٣٦] .

فماذا قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[نوح: ٢٦-٢٧] .

ودعا موسى بقوله : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[يونس: ٨٨ – ٨٩] .

فالرسل إلى البشر من البشر كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[يوسف: ١٠٩] .

والأنبياء والرسل سواءً من جهة النبوة والرسالة التي هي خصلةٌ واحدة لا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بين الأنبياء والرسل في زيادة الأحوال، والخصائص، والكرامات، والمعجزات، والألطاف ، ولهذا منهم رسل ، ومنهم أُلو عزم ، ومنهم من اتخذه الله خليلًا ، ومنهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات ، ونحو ذلك من الفضائل .

وأفضلهم في ذلك كله سيد ولد آدم محمدٌ ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

فالتفاضل بين الأنبياء في تلك الأمور:﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾[البقرة: ٢٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[الإسراء: ٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[النساء: ١٢٥] .

ميراث الأنبياء والرسل:

الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورَّثوا العلم ، فالأنبياء لا يورث عنهم المال ، وإنما يورث عنهم العلم والدين ، كما قال عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[فاطر: ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[النمل:١٦] .

وقال عن زكريا : ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم:٥-٦] .

وقال النبي ﷺ: « لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ » . متفقٌ عليه[1] .

المعارضون للرسل .

لتكمل صفات الأنبياء والرسل، وتظهر عبوديتهم لله في حال السراء والضراء ، جعل الله لهم أعداء من شياطين الإنس والجن:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأنعام: ١١٢] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٥٨).

وأكثر المعارضين للرسل هم الأكابر والوجهاء المترفون خوفًا على سقوط جاههم، وتقييد شهواتهم ، والملوك والأمراء خوفًا على زوال ملكهم، وذهاب رياستهم ، والكل يخدع الناس بالاقتداء بآبائهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾[لقمان: ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الزخرف: ٢٢] .

وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزخرف: ٢٣]

قتال الرسل :

الرسل قسمان :

أحدهما: قسمٌ أمروا بالقتال في سبيل الله .

الثاني: وقسمٌ أمروا بالصبر، والكف عن الناس .

فالذين أُمروا بالصبر، والكف عن القتال في سبيل الله، هم الذين قُتلوا في غير معركةٍ ظلمًا وعدوانًا، ليزيد الله رفع درجاتهم ، كما قال سبحانه عن اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[البقرة:٨٧] .

وقال عز وجل عن أهل الكتاب : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[آل عمران : ١٨٣] .

والذين أُمروا بالقتال في سبيل الله، وعدهم الله بالنصر والغلبة ، فمن جاهد وقاتل وعده الله بالنصر والغلبة كما قال سبحانه : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[المجادلة:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر :٥١] .

وأكثر الأنبياء لم يؤمروا بالقتال ، وهؤلاء منهم من قُتل ظلمًا وعدوانًا لزيادة رفع درجاتهم ، ومنهم من أهلك الله أعداءهم بآيةٍ كونية من غرقٍ أو ريح أو خسف : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف: ٥٥] .

وقال الله عز وجل في المعارضة للرسل الأمم السابقة: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٠] .

ومن أُمر بالقتال نصره الله، وأهلك أعداءه بالسيف ، ومنهم محمدٌ ﷺ وداود ، كما قال الله عز وجل عن محمد ﷺ: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[النساء: ٨٤] .

وقال عن داود : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ﴾[البقرة: ٢٥١] .

والله عز وجل أمرنا بالإيمان بجميع الرسل ، فيجب علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ، ويجب علينا أن نتبع خاتمهم وأفضلهم وسيدهم محمدًا ﷺ، لأنه هو الذي فرض الله علينا إتباعه في كل شيء: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١] .

فنتبع الرسول ﷺ في خمسة أمور :

في نيته وفكره .. وفي توحيده وإيمانه .. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة .

أما ما سوى النبي ﷺ من الرسل فإننا نتبعهم في التوحيد والإيمان والأخلاق ، ونتبعهم في الأحكام إذا ورد شرعنا بالأمر بإتباعهم به، قال النبي ﷺ: « إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى الله ، صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى الله ، صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا » . متفقٌ عليه[1] .

وشرع من قبلنا شرعٌ لنا إذا لم يرد شرعنا بخلافه ، فإن الله لما ذكر الأنبياء والرسل قال لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام: ٩٠] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٣١)، ومسلم برقم: (١١٥٩)، واللفظ له.

١٢ - عصمة الأنبياء والرسل

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من أربعة وجوه :

ما يقع في باب الاعتقاد .. وما يقع في باب الأحكام .

وما يقع في باب التبليغ .. وما يقع في سيرتهم وأفعالهم .

ولو جاء الأنبياء والرسل بالمعصية ، لوجب على الأمة الاقتداء بهم ، وذلك يفضي إلى الجمع بين الحرمة، والوجوب ، فطاعتهم واجبة:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[آل عمران: ١٣٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾[النساء:١٤] .

فالمعاصي محرمة، وطاعة الأنبياء والرسل واجبة ؛ ولأن الأنبياء لو فعلوا المعصية، لكانوا مستحقين للعذاب، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ ﴾[الجن:٢٣] .

ولاستحقوا اللعن، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾[هود: ١٨] .

وذلك محال ، بلالأنبياء والرسل لم يصدر منهم إلا كل خير ، وهو فعل ما ينبغي فعله ، وترك ما ينبغي تركه: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

وهم خيارٌ في كل الأمور ، وذلك ينافي صدور الذنب منهم : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[ص:٤٥-٤٧] .

وما يصدر من الرسل أحياناً إنما هو ترك الأحسن، وفعل الحسن .

والرسول أفضل من الملك ، فوجب ألا يصدر الذنب من الرسول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[آل عمران: ٣٣] .

والملائكة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم: ٦] .

والله سبحانه جعل الأنبياء أئمةً للناس ، فلو صدر منهم الذنب لوجب على أممهم أن يأتموا بهم في الذنب ، وهذا غير جائز، كما قال الله عز وجل لإبراهيم : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[البقرة:١٢٤] .

والأنبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ، فلو لم يطيعوه لكانوا عصاه : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة: ٤٤] .

والله سبحانه قسم الخلق إلى قسمين :

احدهما: حزب الله .

الثاني: حزب الشيطان .

وحزب الشيطان هو الذي أطاع الشيطان .

فلو صدرت المعصية من الرسول لصدق عليه أنه من الخاسرين، ومن حزب الشيطان وحاشاه ذلك:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ ﴾[المجادلة:١٩] .

لهذا أمرنا الله عز وجل بطاعة الرسول ﷺ طاعةً مطلقة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] .

الإيمان بالأنبياء والرسل .

الله سبحانه له ما في السماوات والأرض وما فيهن : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠ ﴾[المائدة:١٢٠] .

والله سبحانه رسلٌ تدبر أوامره الكونية القدرية في العالم العلوي والعالم السفلي، وهم الملائكة، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ [النازعات:٥] .

وهم المقسمات أمراً بإذن ربهم عز وجل: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرٗا ﴾[الذاريات :٤] .

ولله رسلٌ من البشر، أوحى إليهم بواسطة جبريل منهجًا ينظم حياة الناس ، ويعرفهم بربهم ، وبالطريق الموصل إليه ، وما لهم بعد القدوم عليه ، ليسعدوا به في الدنيا والآخرة :﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

وكل واحد من رسل الله وأنبيائه معصوم ، لأن الله اجتباه ورباه، وملأ قلبه بنور الإيمان ، فهو دائم الاتصال بالله ربه ، وجعله سبحانه قدوةً للبشر يهتدون بهديه ، ويتعبدون لله بأقواله وأعماله وأخلاقه:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

فالأنبياء أعلم الخلق بالله ، وأحسنهم أخلاقًا ، وأجملهم سيرة ، أذاقهم الله الفقر والجوع فصبروا ، وسفّه عليهم الأشرار فحلموا ، وأذاقهم النعم فشكروا ، وأساء إليهم أقوامهم فأحسنوا ، وقطعهم الناس فوصلوا ، فهم أحسن الناس أخلاقًا وآدابًا:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ٩٠ ﴾ [الأنعام: ٩٠]

وقال الله عز وجل عن الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

أرسلهم الله سبحانه للناس رحمة ، فكانوا أرحم الناس للناس : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

فمن أجل إعلاء كلمة الله، وإبلاغ دين الله، هاجروا في سبيل الله ، وصبروا في سبيل الله ، وجاهدوا في سبيل الله ، وضحوا بكل شيءٍ من أجل إبلاغ دين الله ، وتركوا كل شيءٍ من أجل الله .

فالأنبياء والرسل هم قمم الكمال ، ومنابر العلم والتقوى ، وأئمة الهدى ، وملوك الأخلاق ، وأكرم الخلق :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وقال الله عز وجل عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

ولهذا معرفة سيرة الأنبياء خاصةً رسولنا ﷺ فرض عينٍ على كل مسلمٍ ومسلمة ، وذلك ليتم الاقتداء به في التوحيد والإيمان، والأحكام والأخلاق، والأقوال والأعمال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وكما يجب علينا معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ، كذلك يجب علينا معرفة رسوله ﷺ، ومعرفة التوحيد والإيمان الذي جاء به ، ومعرفة أقواله الحسنة ، وأعماله الصالحة ، وأخلاقه العالية .

وأرسل الله الرسل، ليخرجوا الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان، بإذن ربهم :﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣] .

فقه الإيمان بالأنبياء والرسل .

أركان الإيمان ستة وهي :

أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، وسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

والإيمان بالأنبياء والرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان .

فنؤمن بجميع رسل الله وأنبيائه، وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبيٍ ورسول .

والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر .

والله سبحانه لم يترك أمة ولا زمانًا ولا مكانًا إلا وأرسل فيه رسولًا يأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[الرعد: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[فاطر: ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[يونس:٤٧] .

فكل قوم أو قرية أو أمة من عهد آدم ﷺإلى بعثة محمدٍ ﷺأرسل الله إليهم رسولًا، وبعث لهم نبيًا، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥] .

والمذكور من الأنبياء والرسل في القرآن خمسة وعشرون نبيًا ورسولًا .

والنبي له معنيان:

فهو مأخوذٌ من النبأ أي الخبر ، أو مأخوذٌ من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض ، فكأن النبي مخُبَّرٌ من الله بالوحي ، ومخُبِرٌ للناس بما أوحى الله إليه من الوحي ، وكذا النبي أرفع درجةً عند الله وعند الناس .

أما الرسالة فمأخوذةٌ من رَسَلَ، وهو الانبعاث على تؤدة ، أو من رَسْل اللبن بمعنى تتابع دره من الضرع ، فكأن الرسول هو من يتتابع عليه الوحي رسْلًا مرة بعد أخرى بتُؤدة ، فكل رسولٍ أرسله الله برسالة إلى الناس ، وكل نبيٍ بعثه الله بنبأٍ ينبئ به الناس: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[التحريم: ٣] .

و يشترك النبي والرسول في خمس صفات :

فكل رسولٍ أو نبي إنسان ، رجل ، مجتبى ، أوحي إليه ، حر .

فهذه خمس صفات يشترك فيها النبي والرسول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[آل عمران: ٣٣] .

ويختلف الرسول عن النبي في أمرين :

الأول : أن الرسول من أوحى الله إليه بشرعٍ جديد ، والنبي أوحي إليه بشرعٍ سابق، ليجدده، ويحييه في الأمة ، اعتقادًا أو تشريعًا أو أخلاقًا ، فيعيد الناس إلى رسالة الرسول الذي سبقه كما جاءت من عند الله .

الثاني : أن الرسول في الغالب يُرسلُ إلى قومٍ كفار فيؤمن بعضهم ، ويكفر البعض ، والنبي غالبًا يرسل إلى قومٍ مؤمنين قد انحرفوا عن دين الرسول السابق بفسقٍ، أو ترك واجب، أو فعل محرم ، ولم يكذَّب النبي لأنه بُعث إلى قوم مؤمنين:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾[الحج: ٥٢] .

فكل رسولٍ نبي ، ولا عكس ، وليس كل نبي رسولاً .

والأنبياء أكثر من الرسل ، فهم مائة وأربعةٌ وعشرون ألف نبي ، والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر

وأولو العزم من الرسل خمسة :

نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام ، فهؤلاء هم أعظم من تحمل المكاره والشدائد في سبيل دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨ ﴾[الأحزاب: ٧-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[الشورى: ١٣] .

١٣- حاجة الناس إلى بعثة الأنبياء، وإرسال الرسل

قد يقول قائل من الناس ما حاجة الناس إلى الأنبياء والرسل ؟ .

أليس قد فطر الناس على الإيمان به وتوحيده ؟ .

وكذا أعطانا الله عز وجل العقول التي نعرف بها دلائل وجود الله، والإيمان به ؟ فما الحاجة للرسل ؟ .

والجواب : أن فطرة الله للإنسان سليمة وكافية، ولكن قد تحرفها البيئة، كما قال النبي ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبِواه يهودانه، أو يُنَصرَّانه ، أو يُمَجِّسانه » متفق عليه[١] .

وقال عز وجل في الحديث القدسي : « وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ فَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا »أخرجه مسلم[٢] .

وكذا يمكن للهوى والشهوات أن تحرف هذه الفطرة السليمة : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

فالله خلق الإنسان مخيرًا، إما أن يؤمن وإما أن يكفر، إما أن يطيع وإما أن يعصي، فالهوى والشهوات قد تحرف الإنسان عن هذه الفطرة : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٣٨٥)، ومسلم برقم(٢٦٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٨٦٥) .

وكذلك الصحبة الفاسدة قد تحرف الفطرة السليمة كما قال النبي ﷺ: « المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يخَالِلْ »أخرجه أحمد والترمذي[1] .

وكذا العقل محدود ، لا يعرف كل شيء ، كالبصر لا يرى كل شيء ، وكالسمع لا يسمع كل شيء ، لهذا كان من حكمة الله ورحمته إرسال الرسل إلى الخلق ، لشدة حاجة الخلق إليهم : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد: ٢٥] .

وقد من الله عز وجل على البشرية بإرسال الرسل كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨] .

فمن كمال رحمة الله بخلقه أن يرسل إليهم الرسل، ولا يتركهم هملاً كالبهائم .

فأولًا : أن الناس لو تركوا دون إرشاد وهداية ، لضلوا الطريق ، ولهذا أثنى الله على نفسه بإرسال الرسل إلى الناس في كل زمان وفي كل مكان حتى ختمهم بمحمدٍ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[الجمعة: ٢] .

وثانيًا : أن الشيطان عدو الإنسان ، يضله ويغويه ويجره إلى المهالك ، كما قال الله عز وجل لآدم ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾[طه: ١١٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٨٣٩٨)، والترمذي برقم(٢٣٧٨).

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: ٦] .

وقال عز وجل عن الشياطين : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الزخرف: ٣٧] .

فكان من رحمة الله توالي إرسال الرسل الذين جعلهم الله سببًا لخلوص الناس من أسر الشيطان : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وثالثًا : أن الله خلق الناس، ليختبرهم أيهم أحسن عملًا، كما قال عز وجل : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٣-٢] .

وقال عز وجل: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك: ١ – ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف: ٧] .

فأرسل الله الرسل، ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده، وليدلوا الناس كيف يعبدون الله ؟ وكيف يتقربون إلى الله ؟ وكيف يرضون الله ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥] .

فلن يستطيع الناس أبدًا أن يصلوا إلى الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة، وكيفية العبادات إلا بواسطة الرسل الذين جبلهم الله عليها، وأرسلهم بها، وجملهم بها ، ليكونوا قدوةً للناس : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ

فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم: ١] .

وقال النبي ﷺ: « بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ »أخرجه البزار [1]

وفي روايةٍ : « صالح الأخلاق »أخرجه أحمد [2] .

ورابعًا : أن الإنسان يعلم بشيءٍ من الوجود الذي يشاهده ، أما الآخرة، والجنة والنار، وحياة الإنسان في القبر ، فهذا لا يعرفه إلا من جهة الرسل والكتب السماوية ، فإذا عرفها الإنسان استقام على أوامر الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾[الانفطار:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

---

(١) صحيح/ أخرجه البزار برقم: (٣٦٢٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٩٥٢).

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال عز وجل عن الكفار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[النساء: ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٤] .

وخامسًا : أن الناس بحاجة إلى قدوةٍ معصومٍ يفعل كل خير، ويجتنب كل شر، ويتخلق بكل خُلُقٍ حسن، ليقتدوا به كما قال عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وسادسًا: ما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويسخطه ، وما هي أسماؤه وصفاته ، وكيف تعبد الله بما يرضيه ، هذا كله لا يمكن معرفته إلا عن طريق رسل الله وكتبه .

كما قال النبي ﷺ: «صَلوا كَمَا رَأَيْتُمُوني أُصَلِّي» أخرجه البخاري[1] .

وقال ﷺ: « لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ »أخرجه مسلم[2] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٦٣١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(١٢٩٧) .

وكذا الصيام والزكاة : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[النحل: ٤٤] .

أقسام الناس في إتباع الرسل .

انقسم الناس فيما جاء به الرسول ﷺ إلى ثلاث فرق :

الفرقة الأولى: فرقةٌ امتنعوا من إتباعه ﷺ كاليهود والنصارى والمشركين ونحوهم ، فهؤلاء كفار ، يجب معاملتهم بما أمر الله ورسوله به .

والفرقة الثانية: قسمٌ آمن بالله ورسوله ، ظاهرًا وباطنًا ، واتبعوا ما جاء به الرسول ﷺ وهؤلاء خيار الناس بعد الأنبياء بعد الأنبياء .

والقسم الثالث : قسمٌ أظهروا الإيمان بألسنتهم، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ، وهؤلاء قسمان :

الأول : منافقون في أصل الدين ، بأن يظهروا الإسلام، ويبطنوا الكفر، وهؤلاء الذين ذكرهم الله في القرآن، وهم أهل النفاق الأكبر .

والثاني : منافقون في بعض أمور الدين ، كالمنافق الذي إذا حدث كذب ، وإذا خاصم فجر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر .

فجهاد الكفار يكون بجهادهم حتى يؤمنوا، أو يؤدوا الجزية، ليكون الدين كله لله ، وحتى لا تكون فتنة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾[البقرة: ١٩٣] .

وجهاد المنافقين النفاق الأكبر يكون بإقامة الحدود عليهم، لأنهم خرجوا عن الدين أو بعضه ، فيجب إقامة الحد عليهم ، فيؤمر المنافق بالإسلام،

فإن قبِل الإسلام وإلا ضُرب وحُبس حتى يؤدي الواجب، ويترك المحرم ، وإن امتنع عن الإقرار بما جاء به الرسول ﷺ ضُربت عنقه .

وإن كان في طائفةٍ ممتنعة قوتلوا كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:٧٣] .

والذين أرسل الله إليهم الرسول ﷺ ثلاثة أقسام :

مهتدون .. ومغضوبٌ عليهم .. وضالون .

فالمهتدون : هم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، وهم المؤمنون أهل الصراط المستقيم، المُنعم عليهم .

والمغضوب عليهم : هم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه ، كاليهود .

والضالون : هم من عبد الله بلا علمٍ كالنصارى الذين عرفوا الحق وضلوا عنه ، فلم يعبدوا الله ، أو عبدوه بغير شريعة وقد ذكر الله هؤلاء في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

فالمنعم عليهم المؤمنون، والمغضوب عليهم اليهود ومن قلدهم، والضالون النصارى ومن تابعهم .

واجب الأمم نحو الأنبياء الرسل .

للرسل والأنبياء على أممهم حقوقٌ كثيرة ، وأهمها وأوجبها ما يلي :

الأول: يجب علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله هدايةً لعباده : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

فنؤمن بجميع الأنبياء والرسل، من ذكرهم الله في القرآن ، ومن لم يذكرهم ، فلا نفرق بين أحدٍ منهم في الإيمان، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾[النساء: ١٥٠-١٥١] .

فيجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والرسل كما قال الله عز وجل : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[البقرة:١٣٦] .

الثاني: يجب علينا طاعة الأنبياء والرسل، لأن طاعتهم من طاعة الله الذي أرسلهم ، فطاعتهم طاعةٌ لله ، ومعصيتهم معصيةٌ لله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء: ٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴿٦٤﴾ ﴾[النساء: ٦٤] .

وطاعة الأنبياء والرسل فيها الفوز والفلاح والهداية، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب:٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾[النور: ٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٢] .

فيجب علينا طاعتهم، وعدم مخالفتهم .

الثالث: الإيمان بأن كل رسولٍ بلغ رسالة ربه إلى الناس على الوجه الأكمل ، وأنه لم يمت حتى بلّغ قومه البلاغ المبين ، كما قال عز وجل عن الأنبياء: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩ ﴾[الأحزاب:٣٩] .

وقال الله عز وجل عن الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

الرابع: الإيمان بأن جميع الأنبياء والرسل كانوا من الرجال ، لأن النبوة والرسالة تحتاج إلى القوة والشجاعة والقتال ، وإمامة الناس في الصلاة ، وليس ذلك من شأن النساء : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰۗ ﴾[يوسف: ١٠٩] .

الخامس: يجب أن نعتقد أن الرسل أحسن الناس قولًا وعملًا وخُلُقًا، وأدبًا ، وعبادةً ودعوة ، لأنهم قدوة البشر في الفضائل والصدق والقول والعمل : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

ويجب أن نعتقد أن الله عز وجل عصمهم من الصغائر والكبائر ، قبل البعثة وبعد البعثة ، ومعصية آدم ﷺ وغيره من الأنبياء من باب ترك الأولى، أو قبل التكليف بالرسالة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾[الأنعام: ٩٠] .

السادس: يجب علينا أن نؤمن بأن الرسل بشر ، خصّهم الله بمزايا أخلاقية ، ولم يخصّهم بطبائع غير الطبائع البشرية .

فصفات الأنبياء والرسل ثلاثة أقسام :

الصفات الواجبة .. والصفات المستحيلة .. والصفات الجائزة .

فالصفات الواجبة للأنبياء هي العصمة، والتبليغ، والصدق والفطنة : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم: ٤] .

والصفات المستحيلة هي الخيانة، وكتمان ما أنزل الله، والكذب، والبلادة ، لأن الله عز وجل خص الأنبياء بأحسن الصفات: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٧٥﴾ ﴾[الحج:٧٥] .

أما الصفات الجائزة عليهم فهي أنهم يأكلون ويشربون ، ويتزوجون وينامون ويمرضون ويموتون ، ويمشون في الأسواق ، وغير ذلك من طبائع البشر : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران:١٤٤] .

السابع: أن نؤمن أن الأنبياء والرسل عبيدٌ لله، لا يملكون شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية، فهم بشرٌ لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴿٧﴾ ﴾[الفرقان: ٧] .

فمن دعا الأنبياء والرسل لكشف الكربات، أو شفاء المرضى، فقد أشرك بالله غيره: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء: ٢٢] .

الثامن: أن الله أيدهم بالمعجزات التي تثبت رسالتهم ، وتدل على صدقهم ، كما جعل الله النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ، وكما فجر الحجر بالماء لموسى ﷺ، وكما أحيا الموتى لعيسى ﷺ بإذن الله ، وغيرها من الكرامات التي أكرمهم الله بها ، كما حصل لمريم مع ابنها حين أشارت إليه: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[مريم: ٣٠ – ٣١] .

وقال عز وجل لمريم : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾[مريم: ٢٥] .

والخارق للعادة قسمان :

مذمومٌ .. وممدوح .

فالممدوح ما أيد الله به الأنبياء والرسل والأولياء، كالمعجزة والكرامة، والإرهاص والمعونة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[الإسراء: ١٠١] .

والمذموم كالشعوذة والسحر والكهانة والاستدراج .

فصلوات الله وسلامه على أنبياء الله ورسله .

١٤- فقه الإيمان بالرسول ﷺ

يجب على كل مسلم أن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره :﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[البقرة:١٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾[النساء:١٣٦] .

ودين الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه واحد؛ هو الإسلام، كما قال عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾[آل عمران: ١٩] .

وهذا الدين لا يقبل الله غيره بعد نزوله على محمد ﷺ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾[آل عمران:٨٥] .

أما الشرائع فمختلفة ، وقد اكتملت ببعثة الرسول ﷺفلا يقبل الله بعدها من أحدٍ غيرها، كما قال عز وجل : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾[المائدة: ٤٨]

وأول واجب بعد معرفة الله معرفة كتبه ورسله التي نعبد الله بموجبها ، فكما يجب علينا أن نؤمن بالله ربًا وملكًا وإلهًا ، فكذلك يجب علينا الإيمان بالرسول ﷺ نبيًا ورسولًا :﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

ونؤمن بما أرسله الله به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٨] .

الواجب الثاني: كما يجب علينا أن نوحد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونوحده بعبادته وحده لا شريك له ، فكذلك يجب علينا توحيد الرسول ﷺ بالإتباع ، وتوحيده بالإتباع يكون بخمسة أمور هي :

إتباعه ﷺفي نيته وفكره ، وفي توحيده وإيمانه ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه العظيمة:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

ومن آمن بالله، واتبع غير رسول الله، فقد ضل سواء السبيل :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٤] .

الثالث: قد جمع الله محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق في الأنبياء والرسل ، ثم جمعها في سيد الأنبياء والرسل محمدٍ ﷺ، ثم أثنى عليه بها فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

ثم فرق الله تلك المحاسن والأخلاق في أمة سيد الأنبياء والرسل ، ثم أثنى عليهم بها فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

فالرسول ﷺ أسوة حياة، ومبلغ رسالة، فيجب علينا الاقتداء به في كل ذلك: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١] .

الرابع: توحيد الرسول ﷺ في الإتباع:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح: ٨ – ٩] .

فكما يجب علينا أن نؤمن ونعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فكذلك يجب علينا أن نؤمن ونعرف رسول الله ﷺبأسمائه وصفاته وأفعاله وأخلاقه، لنقتدي به :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الخامس: كما يجب علينا أن نعلم أن الله هو الرحمن الرحيم ، فكذلك يجب علينا أن نعلم أن أرحم الخلق بالخلق هم الأنبياء والرسل، لكمال معرفتهم بالله، وما يحبه ويرضاه ، وأعظمهم رحمةً بالخلق إمامهم وسيدهم الذي أرسله الله رحمةً للعالمين:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] .

وصفه ربه بكمال الرحمة فقال : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة:١٢٨] .

فعلينا أن نتخلق بأخلاقه، ونتأدب بآدابه، لأنه أسوة لكل مسلم

السادس: ومن سأل ربه الهداية صادقًا هداه، وفتح له أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وفتح له أبواب معرفة حياة رسوله ﷺ، ليعبد ربه حقًا كأنه يراه، ويتمكن من الاقتداء برسوله ﷺفي جميع أحواله:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء: ٦٩-٧٠] .

السابع: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفةً علمية إيمانية، تثمر تكبير الله وتعظيمه، وحمده وشكره، ومحبته وعبادته ، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ، وتوحيده والإيمان به: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

وكذلك معرفة الرسول ﷺ، ومعرفة أقواله وأفعاله وأخلاقه وسنته، تثمر الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع :﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾[آل عمران: ٥٣] .

أصول أخلاق الرسول ﷺ.

فرق الله أحسن الأخلاق، وأجمل الصفات، في الأنبياء والرسل ، ثم جمعها في سيد الأنبياء والرسل ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء والرسل ، فكانوا خير أمةٍ أُخرجت للناس .

وأخلاق النبي ﷺأحسن الأخلاق، وأجمعها وأكملها: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم: ٤] .

وأخلاق النبي ﷺ تقوم على ستة أصول هي :

الأول : رجاحة عقله ﷺ، وصحة رأيه، وصدق فراسته ، وصواب تدبيره ، وحسن تآلفه للناس : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فما استُغفِل ﷺفي مكيدة ، ولا استُعجِز في شديدة ، حكيمٌ حليمٌ يضع الأمور مواضعها، فصلوات الله وسلامه عليه .

الثاني : ثباته في الشدائد وهو مطلوبٌ من أعدائه ، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ، نفسه مع اختلاف الأحوال ساكنة ، لا يجور في شديدة ، ولا يستسلم لعظيمة ، وهو مع الضعف يصبر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي ، وقد لقي من قريش صنوف الأذى وما تشيب له النواصي ، كما قال ﷺ: « لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِّ ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِّ ، وَمَا يخَافُ أَحَدٌ »أخرجه أحمد[1] .

والله يصبره ويقول له : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم:٦٠] .

ينتقل ﷺمن محنةٍ إلى محنة أشد ، ومن عظيمةٍ إلى عظيمةٍ أشد ، وهو ثابت، لكمال إيمانه بربه ، وكمال يقينه عليه ، وكمال ثقته بالله، ورضاه بما قدّره ، كلما ازداد بلاؤه ازداد رضاه عن ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ [القلم: ٤] .

الثالث : زهده ﷺ في الدنيا، وإعراضه عنها ، وقناعته منها باليسير ، فلم يمل إلى خضرتها، ولم تلهه حلاوتها ، وقد ملك من أقصى الحجاز إلى أقصى العراق ، ومن أقصى اليمن إلى أقصى عمان ، ومع ذلك كان أزهد الناس في ما يقتني ، وأعرضهم عن كل ما يلهي .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٢٢١٢).

وكان يمر عليه الشهر والشهران وما يوقد في بيته نار ، لم يحفر بئرًا ، ولم يجرِ نهرًا ، ولم يشيد قصرًا ، ولم يورث أهله مالًا أو متاعًا، ليصرفهم عن الدنيا كما صرف نفسه عنها ، رضي من الدنيا بالميسور النزر ، وقنع منها بالعيش الكدر ، فصلوات الله وسلامه عليه .

الرابع : تواضعه ﷺ، فهو أشد الناس تواضعًا للناس ، وكان هينًا لينًا لطيفًا ، تأخذه الجارية ، وتأخذ بيده الجارية حيث شاءت ، لا يمنعها ، وهو سيد الخلق ، يمشي في الأسواق ، ويجلس على التراب ، ويخفض الجناح ، ويتواضع للأصحاب ، ولم يتميز بطعامٍ، أو شرابٍ، أو لباسٍ، أو مركوبٍ، أو دار ، ولكن تميز بالتواضع والحلم، والصبر والرحمة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

الخامس : حلمه ووقاره ، فلم يكن بالطائش ولا المُستَفَز، بل كان أحلم الناس مع كل الناس أعداؤه وأتباعه، ابتلي بجفوة الأعراب، واستكبار الأشرار، وكيد الكافرين، وحسد الكافرين، ومكر اليهود والمنافقين، فكان أحلم الناس على الناس ، يُظلم فيصبر ، ويؤذى فيحلُم ، ويسلب حقه فيعفو: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

السادس : حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد ، فما نقض عهدًا ، ولا أخلف وعدًا أبدًا ، يرى النقض والغدر من مساوئ الأخلاق ، فما كان خائنًا ولا غادرًا ولا ناكثًا ، هو ﷺأكرم الناس بماله، ونفسه، ووقته، وخُلُقه، فصلوات الله وسلامه عليه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

مراتب الأنبياء والرسل .

الله عز وجل خص كل طائفةٍ من الأنبياء والرسل بنوعٍ من الإكرام والفضل ومحاسن الأخلاق :

الأولى : مرتبة الملك والسلطان والقوة ، وقد أعطى الله داوود وسليمان من هذا الباب نصيبًا عظيما .

الثانية : مرتبة البلاء الشديد ، والمحنة العظيمة ، وقد خصّ الله أيوب ﷺ بهذه المرتبة العظيمة .

الثالثة : مرتبة من جمع بين الملك، وشدة البلاء ، وهو يوسف ﷺ فإنه نال البلاء العظيم في أول الأمر ، ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر، فقال زاهداً فيه: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١] .

الرابعة : قوة المعجزات، وكثرة البراهين الدالة على وحدانية الله ، والمهابة العظيمة ، والصولة الشديدة ، والتخصيص بالتكريم، والتكليم، والتقريب ، وهذا كان في حق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[النساء: ١٦٤] .

الخامسة : الزهد الشديد، والإعراض عن الدنيا وزينتها ، وترك مخالطة الخلق إلا فيما فرض الله من الدعوة إليه، وإقامة شعائره ، وهذا كان في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ، ولهذا وصفهم الله بالصالحين .

السادسة : الأنبياء الذين لم يبق لهم أتباعٌ من الخلق ، وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوطًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ

كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٩] .

السابعة : من جمع هذه الفضائل والصفات ، وأعطي منها حظًا عظيمًا وهو سيد الخلق محمدٌ ﷺ الذي أمر الله الناس جميعًا بالاقتداء به إلى يوم القيامة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال عز وجل عن أخلاقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وفي هذه الإكرامات والفضائل والأخلاق يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام: ٩٠] .

١٥- فقه تربية الأنبياء والرسل

الله عز وجل هو رب العالمين ، الذي يربي أنبياءه ورسله بأنواعٍ من التربية، ليظهر لهم ولأقوامهم أنواع قدرة الله ، ويربي الإيمان واليقين في نفوسهم ، ويبتليهم بأنواع البلاء والشدائد، ليظهر عبوديتهم لله في حال السراء والضراء ، ويظهر كمال صبرهم على أذى الخلق ، ثم ينصرهم ويمكن لهم في الأرض : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤٠-٤١] .

وقد ابتلى الله إبراهيم ﷺ بأنواعٍ من البلاء، حتى ألقاه قومه في النار ، فأنجاه الله عز وجل، وأكرمه بأنواعٍ من الكرامات .

فإبراهيم ﷺ ضحى بالحياة، فوهب الله له الحياة فورًا : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٩] .

وضحى بالبلد وهو العراق، فأعطاه الله عز وجل أحسن بلد وهي مكة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[البقرة: ١٢٧] .

فبنى أحسن البيوت في أحسن البقاع وهو مكة .

وضحى ﷺ بالولد وهو إسماعيل، فأنجاه الله من الذبح، وأخرج الله من نسله أحسن ولد وهو محمدٌ ﷺ .

وضحى ﷺ بأم الولد هاجر، وتركها بواد غير ذي زرع، فجعل الله خطواتها نسكًا يتعبد به الناس إلى يوم القيامة في السعي في الحج والعمرة ، وصارت أمًا للعرب .

فمن العبد الصبر أولًا على البلاء، ومن الله النصر بعد ذلك .

والله عز وجل أظهر قدرته في تربية موسى ﷺمنذ ولادته إلى قرب وفاته فيقصته مع الخضر، وفي تربية موسى إظهار أنواعٍ من قدرة الله ، وتربية الإيمان واليقين ، ونصر أهل الحق على أهل الباطل ، والصبر على دعوة الخلق ، ورحمة الناس.

وقد ربى الله موسى ﷺ بثلاثة أنواع من التربية :

الأولى : التربية البدنية في قصر فرعون ، ليرى آثار النعمة ، ولكنه سئمها وملها، فأخرجه الله منها .

الثانية : التربية الأخلاقية في رعي الغنم في مدين عشر سنين ، لتصلح أخلاقه مع البهائم، لتصلح وتزكو أخلاقه مع البشر ، لأن الله عز وجل يعده للرسالة ، وسوف يرسله إلى فرعون وإلى بني إسرائيل .

الثالثة : التربية الإيمانية في الوادي المقدس طوى ، حين رجع بأهله في قصة العصا كما قال عز وجل في سورة طه: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ

ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[طه: ٩ – ٢١] .

وقد أظهر الله عز وجل قدرته في عصا موسى من وجوه :

حين ألقاها موسى في الوادي المقدس طوى فصارت حيةً تسعى ، وحين ألقاها أمام فرعون فصارت ثعبانًا مبينًا وحية تسعى ، وحين ألقاها أمام فرعون والسحرة يوم الزينة فصارت تلقف ما يأفكون ، وحين ضرب بها البحر فانفلق اثني عشر طريقًا يَبَسا ، وحين ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

فهذه خمس معجزات أظهرها الله نصرةً لنبيه موسى ﷺ، وقد ذكر الله قصة موسى ﷺ في القرآن في ثمانية وعشرين جزءًا ، في سورٍ مختلفة، ومناسباتٍ متعددة ، وفصلها في سورة الأعراف وطه والشعراء والقصص، ليربي القلوب على الإيمان واليقين، وبيان قدرة الله عز وجل .

وفي ضرب الحجر بالعصا خمس معجزات :

الأولى: ضرب اليابس باليابس، فتخرج منه عيونٌ جارية ، فالعصا يابس والحجر يابس، وخرجت منه العيون الجارية:﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا

ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٠].

الثانية: خروج الماء من ضرب الحجر بالعصا .

الثالثة: كمية الماء، أثنتا عشرة عينا .

رابعًا : نوع الماء، لكل سبط من بني إسرائيل نوع من الماء لا يصلح للأخر .

خامسًا : وقوف الماء عند عدم الحاجة إليه .

فلا إله إلا الله ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

وحين لحق فرعون وجنوده بموسى وقومه، أظهر الله قدرته بالعصا والبحر، ففي بحر واحد، بأمر واحد، في وقت واحد، أظهر الله قدرته، فأنجى موسى وقومه، وأغرق فرعون وجنوده كما قال سبحانه: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٠ – ٦٨] .

ففي عصا موسى ﷺ خمس آيات:

جعلها الله لموسى آية، ولبني اسرائيل سقاية، وللسحرة هداية، ولفرعون وجنوده نهاية، ولمن جاء بعدهم عبرة وآية: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

ثمرات الإيمان الأنبياء والرسل :

للإيمان بالأنبياء والرسل عدة ثمرات :

الأول: معرفة رحمة الله عز وجل بعباده وعنايته بهم ، حيث أرسل إليهم الرسل، ليهدونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، وكيف يعبدونه ، ويبينون لهم دينه ، ويبينون ما للعباد من الثواب والعقاب إن آمنوا أو كفروا .

الثانية: حمد الله وشكره على هذه النعمة .

الثالثة: محبة الرسل، والثناء عليهم من غير إطراء ، لأنهم رسل الله قاموا بعبادته، وإبلاغ رسالته ، والنصح لعباده ، ورحمة خلقه .

الرابعة: الاقتداء بهم بما أرسلهم الله به ، من التوحيد وصدق الإيمان ، وحسن الخلق ، وكمال الأدب، ودوام الذكر والشكر ، والطاعة لله عز وجل ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

أفضل الأنبياء والرسل محمدٌ ﷺ.

نسبه ونشأته :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ونسبه الشريف ﷺ محفوظٌ إلى آدم عليه السلام.

وأمه آمنة بنت وهب ، ماتت قبل بعثته

ولد ﷺ عام الفيل الموافق لعام ٥٧٠ ميلادي ، ومات والده عبد الله وهو حملٌ فيبطن أمه ، ولما وُلِد كفله جده عبد المطلب ، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين ، ولما مات جده كفله عمه أبو طالب .

وعاش ﷺ عظيم الأخلاق، حسن السيرة ، طيب الشمائل ، حتى لقّبه قومه بالأمين، وعلى رأس الأربعين من عمره نُبّئَ محمدٌ ﷺإذ جاءه الحق وهو بغار حراء يتعبد لله ، وأخبره أنه رسول الله ، ثم بدأ ﷺيدعو للإيمان بالله ورسوله ، ويدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، فلقي ﷺ صنوفًا من الأذى .

فصبر حتى أظهر الله دينه ، وهاجر إلى المدينة ، فشُرعت الأحكام، وعزّ الإسلام، وكمُل الدين ، ثم مات ﷺيوم الاثنين من ربيعٍ الأول لعام أحد عشر من الهجرة، وعمره ثلاثٌ وستون سنة ، ولحق بالرفيق الأعلى بعدما بلغ البلاغ المبين، وجاهد في الله حق جهاده ، ودل الأمة على كل خير ، وحذرها من كل شر ، وتركها على البيضاء ليلها كنهارها .

فصلوات الله وسلامه عليه .

خصائصه ﷺ:

من خصائص النبي ﷺ أنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسالته عامة للثقلين، أرسله الله رحمةً للعالمين وأُسري به إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السماء ، وناداه ربه بوصف النبوة والرسالة، وأُعطي جوامع الكلم ، وقد خصه الله دون الأنبياء بخمس .

قال النبي ﷺ: « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي : كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَحُرِّمَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَيِّبَةً : مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَيَرْعَبُ مِنَّا عَدُوُّنَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ » . متفقٌ عليه [1] .

ومما يخصه ﷺ دون أمته :

الوصال في الصيام، والزواج بلا مهر ، ونكاح أكثر من أربع نساء ، ولا تنكح أزواجه من بعده ، وعدم أكل الصدقة ، وأنه يسمع ما لا يسمع الناس ، ويرى ما لا يرى الناس ، كما رأى جبريل ﷺعلى صورته التي خلقه الله عليها ، وأنه لا يُورث .

وأزواجه ﷺ هن أمهات المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وكلهن مسلماتٍ طيباتٍ، طاهراتٍ نقياتٍ صالحات تقياتٍ ، مبرآتٍ من كل سوء يقدح في أعراضهن ، وعددهن إحدى عشرة زوجة ، وهن على الترتيب :

خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبي بكر ، وسودة بنت زمعة ، وحفصة بنت عمر ، وزينب بنت خزيمة، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وصفية بنت حُيي ، وميمونة بنت الحارث رضي الله عنهن أجمعين .

مات قبله منهن : خديجة وزينب بنت خزيمة ، وتوفيت التسع الباقيات بعده ، وأفضل أزواجه ﷺخديجة وعائشة رضي الله عنهن أجمعين .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم برقم (٥٢١).

أما أولاد الرسول ﷺفقد وُلد للرسول ﷺثلاثة أبناء :

القاسم وعبد الله من خديجة ، وإبراهيم من سريته مارية القبطية ، وجميعهم ماتوا صغارًا .

أما البنات فولد له ﷺأربع بنات :

زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وكلهن وُلدن من خديجة ، وتزوجن ومتن قبله إلا فاطمة ماتت بعده ، وجميعهن مسلماتٍ طيباتٍ طاهرات ، رضي الله عنه أجمعين .

أصحاب النبي ﷺ:

أما أصحاب الرسول ﷺ فهم خير القرون ، ولهم فضلٌ عظيم على جميع الأمة ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، فآمنوا باله ورسوله ، وقاموا بنصرة الله ورسوله ، وهاجروا من أجل الدين ، وآووا ونصروا من أجل الدين ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأفضلهم المهاجرون ثم الأنصار .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خيرُ الناسِ قَرْني ، ثُم الذينَ يَلونهُم ، ثم الذينَ يَلونهُم ، ثُم يجيءُ مِن بَعْدِهم أقوام تَسْبِقُ شهادَةُ أحَدِهِمْ يَمينَهُ ، ويَمينُهُ شَهادَتَهُ »متفقٌ عليه [1] .

ومن علامات الإيمان محبة الصحابة جميعًا بالقلب ، والثناء عليهم باللسان ، وكذلك آله ﷺ والترضي عنهم ، والاستغفار لهم، والكف عما شجر بينهم ، وعدم شتمهم ، وذلك لما لهم من المحاسن والفضائل ،

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥١)، ومسلم برقم: (٢٥٣٣)، واللفظ له.

والمعروف والإحسان ، ونصرة الله ورسوله بالطاعة والجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه ، والهجرة والنصرة بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله رضي الله عنهم أجمعين: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[الأنفال: ٧٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« لا تَسُبُّوا أصحابي ؛ فلو أنَّ أحدَكُم أنْفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا؛ ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِم ولا نَصِيْفَهُ ». متفقٌ عليه[1].

اللهم صل على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد

اللهم ارض عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم برقم: (٢٥٤٠) ، واللفظ له.

وظائف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

الله عز وجل بعث أنبياءه ورسله إلى عباده لحكمٍ عظيمة ، ومن ذلك :

أولًا : عبادة الله وحده لا شريك له ، ودعوة الناس إلى ذلك: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨] .

ثانيًا : قيادة الأمة في الدين والدنيا، كما قال عز وجل : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص: ٢٦] .

وقال عز وجل لمحمدٍ ﷺ: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم: ١] .

فمهمة الأنبياء إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، وإخراج الناس من الضلالة إلى الهداية ، ومن الشقاء إلى السعادة، في الدنيا

والآخرة ، وإجابة سؤال الناس : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾[النحل: ٤٣] .

ثالثًا : إيضاح الحق والأوامر والنواهي والأحكام للناس ، وتفصيل الأحكام المجملة في القرآن : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم: ١] .

وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[النحل: ٤٤] .

وللسنة مع القرآن ثلاثة أحوال :

الأول : أن تكون السنة مؤكدة لما أكد عليه القرآن من الأخبار والأحكام ، فالقرآن دعا إلى الصلاة والزكاة، والصوم والحج، وصلة الأرحام، ومحاسن الأخلاق ، والسنة جاءت بنصوصٍ تؤكد ذلك ، كما قال النبي ﷺ: « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَلَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » . متفقٌ عليه[1] .

الثاني : أن تكون السنة النبوية مفصِّلة لما أُجمل في القرآن ، فالقرآن أمر بالوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها ، والسنة جاءت ببيان ذلك المجمل كما قال ص ﷺ : « وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي »أخرجه البخاري[2] .

وقال ﷺ: « لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ »أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٢٩٧).

الثالث : أن تكون السنة جاءت بأحكامٍ سكت عنها القرآن ، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وتحريم أكل كل ذي نابٍ من السباع، وكل ذي مخلبٍ من الطير ، فالقرآن وحيٌ من الله ، والسنة كذلك : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[النجم: ١- ٤] .

رابعًا : الشهادة على الأمة بأنهم بلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة ، وقاموا بواجبهم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩ ﴾[النحل: ٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١ ﴾[النساء: ٤١] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

ويشتمل هذا الركن على ما يلي:

القسم الأول: ويشمل:

١ – فقه الإيمان باليوم الآخر.

٢ – ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

٣– حقيقة الإيمان باليوم الآخر.

٤ – مشاهد اليوم الآخر: ويشتمل على ما يلي:

المشهد الأول: فتنة القبر، وأنواع عذاب القبر.

المشهد الثاني: أشراط الساعة.

المشهد الثالث : النفخ في الصور والبعث والحشر.

المشهد الرابع: فصل القضاء: ويشمل :

حساب الخلائق يوم القيامة.

الحوض والصراط.

مقدار يوم القيامة.

المشهد الخامس: دار القرار فى الجنة والنار

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

١ - فقه الإيمان باليوم الآخر

أركان الإيمان ستة ، وهي :

الإيمان بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره شره .

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله عز وجل .

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىَ خلق الإنسان وجعله يمر بأربع دور :

الأول: بطن الأم .

الثانية: ثم يخرج منها إلى دار الدنيا .

الثالثة: ثم يخرج منها إلى القبر .

الرابعة: ثم يخرج من القبر إلى دار القرار في الجنة أو النار، حسب عمله .

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىَ خلق الإنسان وجعله يمر بهذه الدور ، وجعل لكل دارٍ أحكامًا تخصها ، وجعل له في كل دار أجلًا، حتى يستقر في دار القرار في الجنة أو النار ، وخلق الله الإنسان في بطن الأم ، وأمهله تسعة أشهر حتى تكتمل أعضاؤه الداخلية والخارجية .

فإذا كمُلت خرج من بطن الأم إلى بطن الدنيا ، وهي دار الإيمان والعمل ، وطلب منه تكميل الإيمان والأعمال الصالحة .

فبطن الأم مكان تكميل الأعضاء والجوارح، وبطن الدنيا مكان تكميل الإيمان والأعمال الصالحة ، فإذا كمُلت مدته، وبلغ عمره، جاءه أجله ،

وخرج من الدنيا إلى مكان الانتظار وهو القبر ، وهو برزخٌ يعذب فيه الإنسان أو يُنعم حسب عمله .

فإذا اكتمل من قدر الله خلقه من أهل الجنة وأهل النار ، قامت الساعة ، وخرج الناس من قبورهم إلى دار القرار ، حيث ينال المؤمنون كمال النعيم في الجنة ، وينال أهل النار كمال العذاب في النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم: ١٤- ١٦] .

والإنسان في هذه الدنيا عبد مربوبٌ كغيره ، هيأ الله له كل ما يحتاجه من الطعام ، و الشراب ، والسكن ، واللباس ، والمركب ، والمال .

فإذا جاء يوم القيامة هُدمت أبنية الدنيا ، ودكت الأرض ، وسُيرت الجبال ، وشُقت السماء ، وكورت الشمس ، وانتثرت النجوم ، وخسف القمر ، وعُطلت العِشار ، وتم تخريب هذا العالم وهدمه بأجمعه ؛ لأنها انتهت الغاية منه ، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عزيزٌ حكيم، لما بنى للناس دار الدنيا للسكن بها ، والتمتع بخيراتها، وجعل ما فيها زينة للأبصار ، وعظة للاعتبار ، والاستدلال بها على وحدانية الله وجميل صنعه ، مما يقتضي الإيمان به ، وإخلاص العبادة له ، والعمل بدينه وشرعه .

فلما انقضت مدة السكن بها ، واستوفى كل إنسان رزقه وأجله وأثره وعمله ، وحقت كلمة ربك علي فنائها ، أجلاهم ربك منها ، وهُدمت وخُربت لانتقال الخلق منها ، وبُدلت بدار أخرى أبقى منها وأدوم ، ثم نُقل الخلق إليها : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم:٤٨] .

فالدنيا دار الفناء والزوال ، والآخرة دار البقاء والخلود ، والعبد المسلم في الدنيا كالأجير ، والأجير حال اشتغاله بالعمل لا تُدفع له الأجرة كاملة ؛ لأنه إذا أخذها كاملة لا يجتهد في العمل ، فإذا أكمل عمله ، كان له الحق في المطالبة بكامل أجرته : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥] .

وهكذا الإنسان يعبد ربه، ويمتثل أوامر خالقه، في الدنيا، فيسعده الله في الدنيا، ثم يوفي كامل أجرته يوم القيامة بعد فراغه من جميع أعماله :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢]

وإذا كان محل أخذ الأجرة الكاملة هو الدار الآخرة ، كان الاجتهاد في العمل أشد وأكمل .

والله ﷻ عزيزٌ حكيم منزه عن الظلم والعبث ، وله عبيدٌ بعضهم أقوياء ، وبعضهم ضعفاء ، وهو رحيمٌ عدل فلابد أن يُنصف عباده المظلومين ممن ظلمهم، وإذا لم يحصل هذا في هذه الدار، فلابد من دارٍ أخرى يظهر فيها العدل والإنصاف وهي الدار الآخرة التي فيها الحُكم لله وحده : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [غافر:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٢] .

والله سبحانه أمر بالطاعات، ورغب فيها بربط الثواب بفعلها ، ونهى عن المعاصي والقبائح وحذر منها بربط العقاب بفعلها ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤].

والثواب المرغَب فيه ، والعقاب المُهدد به، غير حاصلٍ كله في الدنيا ، فلابد من دار أخرى يحصل فيها للعبد المطيع كمال الثواب ، ويحصل للعبد المسيء كمال العقاب: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النمل: ٨٩ – ٩٠] .

والحكمة تقتضي تمييز المحسن من المسيء، والظالم من المظلوم، والمؤمن من الكافر، وإكرام من أطاع، وإهانة من عصى، واقتصاص المظلوم ممن ظلمه :﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم:٣٥-٣٦] .

فالحساب واحد، والجزاء مختلف: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة:١٨-٢٠]

الدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب .

والدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر .

والسجين في الدنيا له أربع صفات :

الأول : الزهد في كل شيء .

الثاني : القناعة بأي شيء من الطعام واللباس والسكن .

الثالث : السمع والطاعة لأوامر أهل السجن .

الرابع : انتظار الفرج بالخروج من السجن .

وهكذا المؤمن في هذه الدنيا يزهد في كل شيء ، ويقنع بأي شيء، ويسمع ويطيع لله ﷻ، وينتظر الفرج من الله ﷻ، لينال رضاه، ويدخل جنته ، فالدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، والإنسان في الدنيا لا يزال في الحبس .

فأول الحبوس : صلب الأب

وثانيها : بطن الأم

وثالثها : المهد .

ورابعها : الكد على العيال .

وخامسها : مرض الموت .

وسادسها : القبر .

فإن خرجت منه إلى الجنة نسيت مرارة كل حبسٍ تقدم ، وإن خرجت منه إلى النار ، فذلك حبس الأبد ، وخسارة الأبد : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

فالناس يوم القيامة قِسمان :

١- إما خارج من سجن الدنيا إلى نعيم الجنة الأبدي .

٢- وإما ذاهب إلى سجن الآخرة في النار إلى الأبد .

وأوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن :

الأول: يوم يولد، فيخرج من بطن أمه إلى دار هَم في عالم جديد .

الثاني: يوم يموت ويدفن مع الموتى، فيجاور جيراناً لم يرى مثلهم من قبل .

الثالث: يوم يبعث فيشهد مشهدًا لم يرى مثله قط .

ولذلك قال عيسي بن مريم : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[مريم:٣٣] .

والدين بالنسبة للعباد قسمان :

١- دين شرعي أمري : وهي الأوامر والنواهي .

٢-ودين حسابي جزائي : وهو الثواب والعقاب الذي ثمرته الجنة أو النار .

وكلاهما لله وحده ، فالدين كله أمرًا وجزءًا لله وحده لا شريك له .

والمحبة أصل ذلك كله ، فما شرعه الله لعباده ، وأمر به فإنه يحبه ويرضاه ، وما نهى عنه فإنه يكرهه ويبغضه ؛ لمنافاته لما يحبه ويرضاه .

ودين العبد لله إنما يُقبل إذا كان عن محبة ورضا ، وكذلك دين الله الجزائي فإنه يتضمن مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وكلٌ من الأمرين محبوب للرب ﷻ فإنهما عدل الله وفضله ، وكلاهما من صفات كماله .

والله ﷻ يجب أسماءه وصفاته وأفعاله ، ويحب من يحبهما ، ويحب من يعمل بموجبهما .

وكل واحد من الدينَين الأمري الشرعي ، والحسابي الجزائي، صراطه المستقيم الذي هو عليه جل جلاله، فهو سبحانه على صراط مستقيم في أمره ونهيه ، وفي ثوابه وعقابه كما قال سبحانه عن هود ﷺ: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٦] .

فكل ما يقضيه الله ويقدره ويأمر به فلا يخاف العبد ظلمه ولا جوره ، ولا يخرج تصرفه في عباده عن العدل والفضل والإحسان : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل:٩٠].

إن أعطى سبحانه وأكرم وهدى ورفق وأسعد فبفضله ورحمته : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾[يونس:٥٨] .

وإن منع سبحانه وأهان وأضل وخذل ، وأشقى فبعدله وحكمته:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وهو سبحانه علي صراطٍ مستقيم في هذا وهذا ، ولله سبحانه حكمٌ عظيمة في بعثه الأموات بعدما أماتهم ، ومن ذلك أن يبين الله للناس الذي اختلفوا فيه ، وهذا بيان عياني تشترك فيه الخلائق كلهم، والذي في الدنيا بيانٌ إيماني بالآخرة اختص به بعضهم، وهم المؤمنون، **فهذه الحكمة الأولى** .

الثانية : علم الكافر المبطل بأنه كان كاذبًا، وأنه كان علي باطل، فيخزيه الله بذلك أعظم خزي، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾[النحل:٣٨-٣٩] .

الثالثة : جزاء العامل علي عمله كما قال سبحانه : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧ ﴾[غافر:١٧]

الرابعة : ظهور عدل الله في الحكم بين الناس ، وعظمة فضله عليهم ، ورحمته لهم، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٦ – ٥٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

الخامسة : تقرير كمال علم الرب وكمال قدرته، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٥ – ٨٦] .

السادسة : تقرير كمال حكمة الرب ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] .

وقوع المعاد :

أقسم الله جل جلاله على وقوع المعاد والجزاء بسيد الجبال وهو الطور ، وأقسم بسيد الكتب، وأحسن الكتب المنزلة من عند الله لعظمته وجلاله وما تضمنه من آيات ربوبيته، وهداية خلقه وهو القرآن ، وأقسم بسيد البيوت وهو البيت المعمور الذي فوق السماء السابعة .

وأقسم بسقف العالم العلوي والعالم السفلي وهو السماء العظيمة وما فيها من الآيات، وأقسم بالبحر المسجور وهو آية عظيمة من آيات الله وعجائبه لا يحصيها إلا الله، فقال سبحانه : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ١ – ١٠].

وأقسم الله على ثبوت الجزاء ، ومستحق الجزاء ، وجمع بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ، ومحل الكسب وهو النفس اللوامة، فقال : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ ﴾ [القيامة: ١ -٤] .

وأمر سبحانه أصدق خلقه أن يقسم للناس بوقوع المعاد، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾ [يونس:٥٣] .

ويوم القيامة يومٌ عظيم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، والمؤمنين والكافرين ، والمطيعين والعاصين ، ويجازي كلاً بعمله، كما قال سبحانه : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠ ﴾ [التغابن: ٩ -١٠] .

ويجمع الله هؤلاء الخلائق، ويحاسبهم الذي يجمع عظام الإنسان بعد ما فرقها البلاء ومزقها ، ويجمع للإنسان يومئذٍ جميع عمله الذي قدمه وأخره من خيرٍ وشر ، ويجمع ذلك من جمع القرآن في صدر رسوله وعباده المؤمنين ، ويجمع المؤمنين في دار الكرامة ، فيكرم وجوههم بالنظر إليه : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة:٢٢ -٢٣] .

ويجمع الكافرين في دار الهوان ، فيهينهم بحجابهم عنه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: ١٥] .

وهو سبحانه قادرٌ علي جمع الخلق كما جمع خلق الإنسان من نطفة من مني يمنى ، ثم جعله حلقة مجتمعة الأجزاء ، بعدما كانت نطفة متفرقة في جميع بدن الإنسان ، فكيف يمكن للإنسان أن يجمع الله عظامه ؟ وأن يجمع الله بينه وبين عمله وجزاءه ؟ وأن يجمعه مع جنسه في يوم الجمع ؟ وأن يجمع عليه من أمر الله ونهيه وعبوديته ؟

فلا يُترك سُدى مهملاً معطلاً ، لا يُؤمر ولا يُنهى ، ولا يُثاب ولا يُعاقب : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة:٣٦ -٤٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٨١] .

والرب الذي هذه قدرته يجب على الخلق عبادته وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء:٨٧] .

والإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان ، له قيمة كبرى في تعليق أنظار بني آدم وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض المشهود ، فلا تستبد بهم ضرورات الحياة وأتعابها ، ولا يسيطر عليهم الهم والقلق ، وعندئذٍ يملكون العمل لوجه الله، وانتظار الجزاء حيث يقدره الله في طمأنينة ويقين : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرعد:٢٨ -٢٩] .

فحياة البشر لا تستقيم علي منهج الله، ما لم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير والأكمل ، وما لم يثق المسلم المحدود العمر إلى أن له حياة أخرى أدوم وأسعد وأكرم، تستحق أن يجاهد لها ، وأن يضحي لنصرة الحق والخير معتمداً على ما وعده الله من العِوض فيها: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

والإنسان بالحياة الآخرة يسعد أيما سعادة إن كان مؤمناً ، ويشقى أيما شقاء إن كان كافرًا ، والإيمان بالحياة الآخرة نعمة يفيضها الإيمان علي القلب ، ونعمة يهبها الله للفرد الفاني العاني المحدود الأجل ، وما أغلق أحد علي نفسه هذا المنفذ إلا وحياته ناقصة ، أو مطموسة ، أو مضطربة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٤] .

فالإيمان بالآخرة فوق أنه إيمانٌ بعدل الله المطلق، وجزاءه الأوفى ، هو ذاته باعث للحيوية في النفس ، دافعٌ لها نحو الدار الباقية ، نحو الأعمال الصالحة ، والمنازل الرفيعة ، والنعيم المقيم: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] .

٢- ثمرات الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان ، وهو نعمة عظيمة يفيض السلام منها على روح المؤمن وعالمه ، وينفي عنه القلق ، والسُخط ، والقنوط ، واليأس: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[المائدة: ٦٩].

وكل إنسان لابد أن يموت ، وبعد الموت بعث ، وبعد البعث حساب ، وبعد الحساب ثوابٌ أو عقاب ، فالحساب الختامي للبشرية ليس في هذه الأرض ، والجزاء الأوفى ليس في هذه الدار العاجلة : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

فلا قلق علي الأجر إذا لم يوفى في هذه العاجلة ، فسوف يوفاه العبد قطعًا بميزان الله غدًا تامًا كاملاً أحوج ما يكون إليه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥] .

ولا قنوط كذلك من العدل إذا توزعت الحظوظ في هذه الحياة الدنيا علي غير ما يريد ويراه الإنسان ، فالعدل لابد واقع في الدار الآخرة ، وحين يحكم الله وحده بين عباده ، فهناك العدل والفضل والكرم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأعراف:٨٧] .

والإيمان باليوم الآخر حاجزٌ عن الصراع والمنافسة في حطام الدنيا وملذاتها ، والخوض في الحرمات والمحرمات بلا تحرجٍ ولا حياء ، فهناك الدار الآخرة فيها عطاء ، وفيها غناء ، وفيها عِوض عما يفوت .

والإيمان بالآخرة يخفف من السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود ، فيطمئن قلبه أن النعيم الأوفى والأدوم ينتظره في الدار الآخرة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٦ – ٧].

والإيمان باليوم الآخر أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله ، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧] .

ذلك أن الإيمان باليوم الآخر يقوم على أساس أن الله خلق الإنسان ليستخلفه في الأرض بعهدٍ منه يتناول كل صغيرة وكبيرة من نشاط الإنسان في الأرض ، وأن الله خلقه واستخلفه ليبتليه في الحياة الدنيا ، ثم ينال جزاءه بعد نهاية الابتلاء .

وهذا الإيمان هو الذي يكف قلب المسلم ، وسلوكه، وعمله، فلا يغتر بهذه العاجلة ، فهو يمضي في طريق الطاعة ، والقيام بالحق، وفعل الخير، سواءً كانت ثمرة ذلك في الأرض راحة له أم تعب ، نصرٌ له أم هزيمة ، حياة له أم موتًا ؛ لأن جزاءه هناك في الدار الآخرة بعد نجاحه في الابتلاء، في جنة عرضها السماوات والأرض : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ

﴿وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

إن الإيمان باليوم الآخر يعطي الإنسان طاقة وقوة ، فلا يزحزحه عن الطاعة والحق ، والخير والبر، أن تقف له الدنيا كلها بالمعارضة والأذى والشر والقتل ، فهو إنما يتعامل مع ربه العزيز الرحيم ، وينفذ عهده وشرطه ، وينتظر الجزاء المضمون هناك ، وذلك حين يساق الناس يوم القيامة إلى ربهم ، وإلى الجنة ، وإلى النار: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥ – ٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر:٧١-٧٢] .

أما الذين آمنوا فيساقون إلى الجنة، كما قال سبحانه : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٣ - ٧٤]

الله ﷻ خلق الدنيا، وخلق الآخرة ، وخلق الدنيا وبين قيمتها ، وأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ؛ ولهذا لا يرضى بها جزاءًا لعبده المؤمن ، فقال ﷻ عن هذه الدنيا : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا

ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[الحديد:٢٠] .

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾[فاطر:٥].

لهذا أعظم عمل المؤمن في الدنيا هو المسارعة إلى فعل الخيرات ، وطاعة الله ورسوله : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد:٢١] .

والدنيا دار الابتلاء والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[آل عمران:١٤ -١٥] .

وما أقصر هذه الحياة الدنيا التي تزحم حس الناس ، وتُشغل نفوسهم ، وتأكل أوقاتهم ، إنها رحلة سريعة يقضيها الإنسان هناك ، ثم يعود إلى مقره الدائم ، وداره الأصلية ، بدار القرار بالجنة أو النار : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾[يونس:٤٥] .

حقًا كأنها ساعةٍ من نهار قضاها الخلق في التعارف، ثم رحلوا وكأن الناس دخلوا ثم خرجوا ولم يفعلوا شيئًا سوى التعارف، والتعارف أسهل شيء، فهل هؤلاء الأفراد الذين يتنازعون ويتعاركون فيما بينهم في هذه الحياة

الدنيا، ويقع بينهم من سوء التفاهم كل ساعة ما يقع ، هل هؤلاء تم تعارفهم كما ينبغي وكما يحب الله ؟ وهل هذه الأمم والشعوب المتناحرة والدول المتخاصمة التي تتعارك علي الحطام والأعراض ! هل هذه عرف بعضها بعضًا ؟ .

حقًا إنها الخسارة الفادحة الكبيرة، لمن جعلوا همهم كله هو هذه الرحلة الخاطفة ، وكذبوا بلقاء الله في الدار الآخرة، وشُغلوا عنه ، فلم يستعدوا لهذا اللقاء بشيء يلقون به ربهم ، ولم يستعدوا كذلك بشيء للإقامة الطويلة في الدار الباقية ، فماذا ينتظر هؤلاء من العذاب والتوبيخ ، والإهانة : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء:٥٦] .

والاعتقاد باليوم الآخر ليس طريقًا لنيل الثواب في الآخرة فحسب، وإنما هو كذلك حافزٌ على فعل الخير في الحياة الدنيا ، وحافزٌ علي إصلاحها وإنمائها حسب أمر الله ، على أن يراعي في هذا النماء على أنه ليس هدفًا في ذاته، وإنما هو وسيلة لتحقيق حياة لائقة بالإنسان، الذي يريدها الله له، والذي نفخ الله فيه من روحه، وأسجد له ملائكته ، وكرمه على كثيرًا من خلقه ، ورفعه عن درك الحيوان ، ولتكون أهداف حياته أعلى من ضرورات الحيوان ، ولتكون دوافعه وغاياته أرفع من دوافع الحيوان وغاياته: ﴿ وَمَا

هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

إن الإيمان بالآخرة هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات ، ويضمن القَسط والاعتدال، لان الذي لا يؤمن بالآخرة لا يملك أن يحرم نفسه شهوة ، أو يكبح فيها نزوة : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ [النبأ:٢٧] .

ولهذا يتمرغون في الشهوات ، ويقعون في المحرمات ، فالذي لا يحسب حساب الوقوف بين يدي الله ، ولا يتوقع ثوابًا ولا عقابًا يوم القيامة ، ما الذي يمسكه عن إرضاء شهواته ونزواته، وتحقيق لذاته ورغباته : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ [النبأ:٢٧-٢٨] .

ومن لا يتوقع حساب في الآخرة ، يندفع لنيل جميع شهواته بلا معوقٍ من تقوى ، أو حياء من الله ﷻ ، والنفس مطبوعة علي حب ما يلذ لها ، وأن تجده حسنًا جميلًا ما لم تهتدي بآيات الله ورسالته إلى الإيمان بعالم آخر باقٍ بعد هذا العالم الفاني ، فإذا هي تجد لذتها في أعمال أخرى ، وأشواقٍ أخرى تصغر إلى جوارها لذات البطون والأجسام : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

٣- حقيقة الإيمان باليوم الآخر

الله تبارك وتعالى هو الذي خلق النفس البشرية ، وجعلها مستعدة للاهتداء ، إن تفتحت لدلائل الهدى ، وجعلها مستعدة للعماء إن طمست منافذ الإدراك فيها : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان:٢-٣] .

ومشيئة الله نافذة وفق سنته التي خلق النفس البشرية عليها في حالتي الاهتداء والضلال ، فالله يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة نفذت فيهم سنة الله في أن تصبح أعمالهم وشهواتهم مزينة لهم، حسنةً عندهم .

فهم يعمهون في شهواتهم ، لا يرون فيها من شرٍ وسوءٍ، حائرون لا يهتدون فيها إلى ثواب ، وعاقبتهم الخسران ، وسوء العذاب في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾[النمل:٤- ٥] .

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة يعيشون في عذاب، كما يعيشون في ضلال، فالذي يعيش بلا عقيدة في الآخرة، يعيش في عذاب النفس لا أمل له ولا رجاء في إنصاف ولا عدلٍ، ولا جزاءٍ ، ولا عِوض عما يلقاه في هذه الحياة .

وفي الحياة مواقف مخيفة ، وابتلاءات جسيمة، لا يقوى الإنسان علي مواجهتها إلا وفي نفسه رجاء الآخرة، وثواب الله للمحسن ، وعقابه للمسيء ، وابتغاء وجه الله، والتطلع إلى رضاه في ذلك العالم الآخر الذي

لا تضيع فيه صغيرة ولا كبيرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

والذي يُحرم هذه النافذة المضيئة الندية المريحة، يعيش بلا ريب في العذاب والضلال في الدنيا والآخرة ، فماذا عند الكفار من النعيم والسرور : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[سبأ: ٨] .

وفي يوم القيامة يجمع الله جميع الخلائق في جميع الأجيال والقرون، ولا يتأخر منهم أحد، وذلك للحساب والجزاء: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴿٩﴾ ﴾[التغابن: ٩] .

ويعرض الخلق كلهم علي ربهم : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[الكهف:٤٨] .

ويحضر هذا الجمع ربنا العظيم والملائكة، وعددهم لا يعلمه إلا الله ، ويصفون جميعا صفوفًا محيطَةً بالخلق كما قال سبحانه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾[الفجر:٢٢] .

والسماوات السبع العظيمة مملوءة بالملائكة ، وحملة العرش ومن حوله ، كل هؤلاء يحضرون لفصل القضاء بين الناس ، وبعد القضاء يكون المصير إلى القصور الملكية ، أو إلى السجون الجهنمية .

فكم يكون عدد الملائكة في هذا الجمع العظيم وهم حافون من حول العرش : ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الزمر:٧٥] .

ويأتي الرب جل جلاله للفصل بين الخلق يوم القيامة ، ويحمل عرشه سبحانه ثمانية من الملائكة الذين لا يعلم عظمتهم، وقوتهم ، وقدرتهم إلا

الله ، وقد أخبر النبي ﷺ عن واحدٍ منهم : « أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ » . أخرجه ابو داود[1] .

فكم تكون المسافة بين رأسه وقدميه ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة:١٧ -١٨] .

في ذلك اليوم العظيم يحصل التغابن، لما فيه من فوز المؤمنين بالنعيم ، وحرمان الكافرين من كل شيء منه ، ثم سوقهم إلى الجحيم ، وذلك يومٌ عظيم ، يوم الحسرة والندامة ، يندم فيه كل كافر ، وكل عاصٍ، علي ما فرط وظلم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

إن الإنسان الذي خلقه ربه في أحسن تقويم ، والذي ميزه بهذه الإنسانية التي من شأنه أن يكون أعرف بربه، وأطوع لأمره، من الأرض والسماء ، وقد نفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأودعه القدرة على الاتصال بربه ، وتلقي قبسًا من نوره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] .

هذا الإنسان قطع رحلته علي الأرض كادحًا إلى ربه بفكره، وجهده ، وعمله، ليصل في النهاية إلى ربه ، فإليه سبحانه المرجع والمآب بعد الكد والكدح والجهاد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانشقاق:٦] .

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٢٧).

إن الإنسان لا يجد الراحة في الأرض أبدًا ، إنما الراحة التامة هناك في الجنة لمن يقدم إليها بالإيمان والطاعة ، وعبادة الله وحده لا شريك له:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

فالتعب في الأرض واحد ، والكدح واحد، وإن اختلف لونه وطعمه ، أما العاقبة فمختلفة عندما تصل إلى ربك ، فواحدٌ إلى عناء دونه عناء الأرض ، وواحدٌ إلى نعيمٍ يمسح ما قبله من كد وكدح ، فالمؤمن السعيد يحاسب حسابًا يسيراً ، فلا يناقش ولا يُدقق معه الحساب:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الانشقاق:٧-٩] .

وقال النبي ﷺ : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ ، قَالَتْ عائشة: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق:٧-٨] ، قال : ذَلِكَ الْعَرْضُ ، يُعْرَضُونَ ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ » . متفق عليه[1]

هذا حال المؤمن ؛ أما حال الكافر المعذب الهالك المأخوذ بعمله السيئ ، الذي يؤتى كتابه وهو كاره ، فهذا هو التعيس الخاسر الشقي، الذي قضى حياته في الأرض كدحًا ، وقطع طريقه إلى ربه كدحًا في المعاصي والآثام والضلال ، فهو يدعو ثبورًا، ويتمنى الهلاك، لينقذ نفسه مما هو مقدمٌ عليه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٠/ ٢٨٧٦).

من الشقاء والعذاب ، ولكن أنى يستجاب له: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[الانشقاق:١٠-١٢] .

وهذا الصنف من الناس كان في الدنيا مسرورًا بين أهله ، غافلًا عن ربه ، لاهيًا عما ينتظره في الآخرة من العذاب ، وهو يظن أنه لن يرجع إلى بارئه ، وربه يعلم بكل خطواته وحركاته ، ويعلم أنه سائرًا إليه بعمله ، فما أعظم خسرانه : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾[الانشقاق:١٣-١٥] .

فهذا قد خسر دنياه وأخراه : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بالغيب هو الذي يحكم سلوك الإنسان ، فالذي يؤمن بالغيب وباليوم الآخر ، وبالحساب والميزان ، والجنة والنار، يخشى الله سبحانه وتعالى في كل عملٍ يعمله ، فإذا أراد أحد أن يسرق تذكر الله ، وتذكر أنه ملاقيه ، وأنه سيحاسبه على ذلك ، فيتراجع عن هذه السرقة .

وإذا أراد أن يرتكب ما حرم الله، وتذكر الآخرة والحساب ، خشي الله وتراجع عن فعله السيئ ، فأساس السلوك البشري في الدنيا هو الإيمان بالغيب ، والإيمان بالغيب يدخل فيه أساسًا الإيمان باليوم الآخر .

وأركان الإيمان كلها غيب وهي :

أن تؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره .

والإيمان بالغيب والآخرة هو أساس الإيمان كله ، فإذا لم يعتقد الإنسان بالآخرة ، فممن يخاف ويخشى ؟ من ذا الذي يرفع يدك عن ضعيفٍ تغتصب حقه إلا إيمانك بالآخرة ؟ ما الذي يوقفك عن أن تأكل أموال الناس بالباطل ؟ هو إيمانك بالآخرة ، وما الذي يمنع الناس من الظلم والبغي ؟

هو الإيمان بالآخرة .

إن الرادع الذي يقول لك قف مكانك هو الإيمان بالآخرة ؛ لأنك ستحس أن كل عملٍ عملته مكتوب عليك ، وسيسألك الجبار عنه ، فلولا الإيمان بالآخرة، لتحولت الحياة الدنيا إلى مجموعة من الوحوش ، يأكل بعضها بعضًا ، فيقتل القوي الضعيف ، ويعتدي القادر على العاجز ، ويضيع الحق ، وتُباح الحرمات ، وتُنتهب الأموال ، وتُنتهك الأعراض .

وأخشى ما يخشاه المؤمن هو حساب الله له في الآخرة ، وأخشى ما يخشاه الكافر هو الحسابُ في الآخرة ، فالكافرَ وإن كان لا يؤمن بالآخرة ، ولكن في داخله شيءٌ يؤرقه ، والموت الذي يراه كل يوم في أهله وقومه يملأ حياته بالرعب والفزع والخوف ، وينغص عليه حياته: ﴿يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧﴾ [الجن: ١٧] .

والله ﷻ على كل شيءٍ قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا في الدنيا والآخرة ، يسمع ويرى ويعلم بما في الصدور ، وهو قادرٌ على أن يخلق يومًا مقداره، أربعةُ وعِشرون سَاعة، وقادرٌ على أن يخلق يومًا مقداره ساعة ، وقادرٌ على أن يخلق يومًا مقداره مائة ألف سنة ، وقادرٌ على أن يخلق يومًا يستمر بلا نهاية كيوم القيامة الذي لا ليلةَ بعده أبدًا ، ولا موت بعده أبدًا ، فالمخلوق ليس قيدًا على قدرة الخالق ، فالله يخلق ما يشاء ،

ويفعل ما يشاء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

فالزمان والمكان كلُّه خاضع لإرادة الله وحده طولاً وقصرًا ، والأجسام والأحجام والأشكال والألوان، خلقها سبحانه وحده لا شريك له :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وموعد قيام الساعة لا يعلمه إلا الله وحده ، فهو الذي ينتهي إليه أمرها ، ويعلم موعدها وحده ، فلا يعلمه نبي مرسل ، ولا ملكٌ مقرب ، ولا ذكيٌّ فطن : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾[النازعات:٤٢ -٤٤] .

أما الرسول المُرسل من ربه ، فوظيفته إنذار من يخشاها ، فهو الذي ينفعه الإنذار ، فهو الذي يشعر قلبه بمجيئها فيخشاها ، ويعمل لها قبل مجيئها بالإيمان بالله وأداء الأعمال الصالحة ، وهي من ضخامة وقوعها في النفس بحيث تتضاءل أمامها الحياة الدنيا بكل ما فيها، وتبدو كأنها بعض يوم: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾[النازعات:٤٦] .

واليوم الآخر : هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب والجزاء ، سُمي بذلك ؛ لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة أبدًا ، وأهل النار في النار أبدًا : ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾[البقرة: ٢٨١] . .

والإيمان باليوم الآخر : هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به مما يكون في ذلك اليوم العظيم

من البعثِ، والحشرِ، والحسابِ، والوزن، والعرض، والصراط، والجنة، والنار وغير ذلك مما يجري في عرسات القيامة، ويلحق بذلك ما يكون قبلَ الموت من علامات الساعة، وأشراطها الصغرى والكبرى، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه .

الإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان ، ولأهمية هذين الركنين يقرن الله بينهما كثيرًا في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ [الطلاق: ٢] .

فاليوم الآخر يوم عظيم، وستجري على العباد فيه أحوالٍ عظيمة، ولعظمته وهوله، تعددت أسماؤه بحسب ما يجري فيه، فإن تعدد الأسماء للشيء الواحد، دلالة علي عظمته وهوله، فهو يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم الفصل، ويوم الدين، ويوم الخروج، ويوم الخلود، ويوم الحساب، ويوم الوعيد، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم التلاق، ويوم التناد، ويوم الحسرة، وهو الغاشية ، والصاخة، والواقعة، والحاقة، والقارعة، والطامة الكبرى وغير ذلك من أسمائه .

وكلما عَظُم الشيء تعددت أسماؤه وصفاته ، وستحدث في هذا اليوم العظيم أحداثٌ في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، أحداثٌ فلكية ضخمة ، وكلها تشير إلى اختلال كامل في النظام الكوني المنظور بأفلاكه ونجومه وكواكبه ، وانقلابٌ في أوضاعه وأشكاله ، وحركته وارتباطاته تكون به نهاية العالم ، وكلها ينبى بأن نهاية هذا العالم ستكون نهاية مروعة مخيفة مذهلة للخلائق كلهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ

ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ [الحج: ١-٢] .

إن نهاية العالم بقيام الساعة نهاية مخيفة مروعة حقًا ، تُرج فيها الأرض وتُدك ، وتُنسف فيها الجبال وتُبث ، وتُسجر فيها البحار وتُفجر ، وتُطمس فيها النجوم وتَنكدر ، وتُشق فيها السماء وتَنفطر ، وتَسقط الكواكب وتَنتثر ، وتُكور الشمس ، ويخَسف القمر ، وتختل المسافات، فيُجمع الشمس والقمر ، وتبدو السماء مرة كالدخان ، ومرة وردة كالدهان ، ومرة ملتهبة حمراء ، إلى أخر هذا الهول الكوني العظيم :﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾[البقرة: ٢٨١] .

وقد بين الله بالتفصيل أهوال هذا اليوم العظيم ليتقيه الناس ، ويعملون لما ينجيهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عمران: ١٠٢] .

فما أعظم يوم القيامة، وما أشد أهوا له؟.

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾[الحج:١-٢] .

إن يوم القيامة يوم عظيمٌ مخيف ، فما ذلك اليوم ؟ وماذا يجري فيه ؟ وما هي أهواله ؟ وما حال الناس فيه ؟ وأين سوف يستقرون في دار القرار ؟ أفي الجنة أم في النار ؟ ذلك ما سنبينه إن شاء الله بالتفصيل على شكل مشاهد نعرض فيها لما يجري في يوم القيامة في ضوء القرآن والسنة .

٤- مشاهد اليوم الآخر: ويشمل:

١- المشهد الأول: فتنة القبر، وأنواع عذاب القبر

وصف الله ورسوله اليوم الآخر، وما يجري فيه، وصفًا بينًا مفصلًا حتى كأنه رأي عين .

فالإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به مما يكون في ذلك اليوم العظيم من البعث والحشر ، والحساب والميزان ، والصراط، والجنة والنار ، وغير ذلك مما يجري في عرسات يوم القيامة ، ويلحق بذلك ما يكون قبل الموت من علامات الساعة وأشراطها ، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر ، وعذاب القبر ونعيمه .

والإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان ، وعليهما مع بقية الأركان مدار استقامة الإنسان وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة ، ولأهمية هذين الركنين يقرن الله بينهما كثيرًا في آيات كثيرة في القرآن، كما قال سبحانه : ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء:٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء:٥٩] .

أما فتنة القبر :

فقال النبي ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي

هَذَا الرَّجُلِ محُمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَمَّا المؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ إِنَّهُ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولِهِ ، فَيُقَالُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَّلَكَ اللهُّ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ ، قَالَ النبي ﷺ : فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيَقُولُ : لا أَدْرِي مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَهُ : لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » . متفق عليه[1] .

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، وفيه قال النبي ﷺ: « فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُّ . فَيَقُولَانِ: ومَا دِينُكَ؟ ! فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ . فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ ! فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ». أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[2] .

أما أنواع عذاب القبر ، فعذاب القبر نوعان :

الأول : عذابٌ دائم لا ينقطع إلى قيام الساعة، وهو عذاب الكفار والمنافقين، كما قال سبحانه : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٤ -٤٦] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُّ إليه يَوْمَ القِيَامَة » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٣٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٠/ ٢٨٧٠).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود برقم : (٤٧٥٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٧٩)، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٨٦٦) واللفظ له.

الثاني : عذابٌ له أمد ثم ينقطع، وهو عذاب عصاة الموحدين من المؤمنين، فيُعذب بحسب جرمه ومعصيته، ثم يخفف عنه العذاب، أو ينقطع بسب رحمة الله، أو حصول مكفرات للذنوب من صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ، كما قال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ ابن آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عَمَلٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم [1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة » . متفق عليه [2] .

ونعيم القبر للمؤمنين الصادقين، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠] .

وقال النبي ﷺ : « فالمؤمن إذا أجاب الملكين في قبره يُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الجَنَّة ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح [3] .

وينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه أمور كالشهادة في سبيل الله ، والرباط في سبيل الله ، ومن قتله بطنه ونحو ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ١٦٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٧٩)، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٨٦٦) واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٠٦٣)، وأبو داود برقم: (٤٧٥٣).

مستقر الأرواح بعد الموت:

مستقر الأرواح بعد الموت إلى قيام الساعة مختلفة، فالأرواح في البرزخ متفاوتة تفاوتًا عظيماً، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء والرسل عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهم متفاوتون في منازلهم ، ومنها أرواحٌ في صورة طير يعلق في شجر الجنة وهي أرواح المؤمنين .

ومنها أرواح في أجوافِ طير خضر تسرح في الجنة، وهي أرواح الشهداء .

ومنها أرواحٌ محبوسة في القبر كالغال من الغنيمة .

ومنها ما يكون محبوسًا على باب الجنة بسبب دين عليه .

ومنها ما يكون محبوسًا في الأرض بسبب روحه السفلية .

ومنها أرواحٌ في تنور الزناة والزواني ، ومنها أرواح تسبح في نهر الدم وتلقم من حجارة وهم أكلة الربا .

وقال النبي ﷺ : « فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللهَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قالوا : نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، قالوا : نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قالوا : نَعُوذُ بِاللهَّ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّال ، قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال ».أخرجه مسلم[1].

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٧/ ٢٨٦٧).

٢- المشهد الثاني: أشراط الساعة

العلم بوقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله ، فلا يعلمه ملكٌ مقرب ، ولا نبيٌ مُرسل ، ولا غيرهم ، كما قال سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الأحزاب:٦٣] .

أما علامات الساعة :

فقد أخبر النبي ﷺ بأمارات، وعلامات، وأشراطٍ، تدل علي قرب قيام الساعة، وهي:

علامات صغرى .. وعلامات كبرى .

الأول: أشراط الساعة الصغرى :

علامات الساعة الصغرى ثلاثة أقسام :

الأول : علامات وقعت وانتهت ومنها :

بعثة النبي ﷺ، وموت النبي ﷺ ، وانشقاق القمر آية له ﷺ ، وفتح بيت المقدس ، وخروج نار من أرض الحجاز ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[القمر:١] .

وقال النبي ﷺ لعوف بن مالك : « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ : مَوْتِي ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوْتَانٍ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَيَغْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١٧٦).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى تخْرجَ نَارٌ مِن أرضِ الحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإبْلِ بِبصْرَى » . متفق عليه[1] .

الثاني : علامات ظهرت ولا زالت مستمرة .

ومنها ظهور الفتن ، ظهور مدعي النبوة، انتشار الأمن، قبض علم الشرع، ظهور الجهل، كثرة الشُّرَط وأعوان الظلمة، ظهور المعازف واستحلالها، ظهور الزنا، كثرة شرب الخمر واستحلالها، تطاول الحفاة العراة رعاء الشاة في البنيان، تباهي الناس في المساجد وزخرفتها ، كثرة الهرج وهو القتل، تقارب الزمان .

إسناد الأمر إلى غير أهله، رفع الأشرار، ووضع الأخيار، ويُفتح القول، ويُخزن العمل، تقارب الأسواق، ظهور الشرك في هذه الأمة ، كثرة الشُح ، كثرة الكذب ، كثرة المال ، فشو التجارة ، كثرة الزلازل ، تخوين الأمين ، وائتمان الخائن ، ظهور الفُحش ، وقطيعة الرحم ، وسوء الجوار ، ارتفاع الأسافل ، بيع الحكم ، تسليم الخاصة ، التماس العلم عند الأصاغر ، ظهور القلم ، ظهور الكاسيات العاريات ، كثرة شهادة الزور ، كثرة موت الفجأة ، عدم تحري الرزق الحلال .

عَوْد أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، تكليم السباع للإنس ، تكليم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أَحَدَّث أهله بعده ، أن تُحاصَر العراقُ ويُمنع عنها الطعام والدرهم ، ثم تُحاصَر الشامُ ويُمنع عنها الطعام والدينار ، ثم تكون هدنة بين المسلمين والروم ، ثم يغدر الروم بالمسلمين .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم : (٧١١٨)، ومسلم برقم: (٤٢/ ٢٩٠٢)واللفظ له.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسولَ الله ﷺ وهو مستقبلُ المشرقِ يقولُ : « أَلا إنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا ، أَلا إنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » . متفق عليه[1] .

الثالث : علامات لم تظهر، وستقع بلا شك كما أخبر النبي ﷺ ومنها : انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب ، فتح القسطنطينية بدون سلاح ، قتال الترك ، قتال اليهود ونصر المسلمين عليهم ، خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ويدينون له بالطاعة ، قلة الرجال وكثرة النساء حتى يكون لخمسين امرأة قَيِّم واحد ، نفي المدينة لشرارها ثم خرابها ، هدم الكعبة على يد رجل من الحبشة يقال له ذو السويقتين، ثم لا تعمر بعده ، وذلك آخر الزمان . والله أعلم ، والله المستعان .

وجميع ما ذكرنا من العلامات السابقة ثبتت بالأحاديث النبوية الصحيحة .

الثاني: أشراط الساعة الكبرى :

علامات الساعة الكبرى عشر :

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ ، قَالَ : « اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ، فَقَالَ مَا تَذَاكَرُونَ ؟ قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ ، قَالَ : إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٥/ ٢٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٩/ ٢٩٠١).

الأول: خروج الدجال :

الدجال : هو رجلٌ من بني آدم يظهر في آخر الزمان ، ويدعي الربوبية ، يخرج من المشرق، من خراسان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلدًا إلا دخله إلا مسجد المقدس، والطور، ومكة ، والمدينة فلا يستطيع دخولها؛ لأن الملائكة تحرسها ، ينزل بالسبخة في المدينة فترجف المدينة ثلاث رجفات ، يخرج إليه منها كل كافرٍ ومنافق .

وقت خروج الدجال :

عن عبد الله بن عمر قال : « كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ ؟ قَالَ هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[1] .

فتنة الدجال :

خروج الدجال فتنة عظيمة بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول ، فقد ثبت أن معه جنة ونارًا ، ناره جنة، وجنته نار ، وأن معه جبال الخبز ، و أنهار الماء ، يأمر السماء فتمطر ، ويأمر الأرض فتبنت ،

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٤٢)، وأحمد برقم: (٢/ ١٣٣).

وتتبعه كنوز الأرض، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كالغيث إذا استدبرته الريح، يمكث في الأرض أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا، ثم يقتله عيسى ابن مريم ﷺ عند باب لُد بفلسطين.

صفات الدجال :

حذرنا الرسول ﷺ من إتباع الدجال أو تصديقه ، وبين لنا صفاته لنحذر منه ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّهُ قَالَ : قال رَسُولَ اللهِ ﷺ : « إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ ، جَعْدٌ أَعْوَرُ ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ ، فَإِنْ أَلْبَسَ عَلَيْكُمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[1] .

مكان خروج الدجال :

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ وفيه : « إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا » . أخرجه مسلم[2] .

الأماكن التي لا يدخلها الدجال :

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ ، إِلا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ » . متفق عليه[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٥/ ٣٢٤)، وأخرجه أبو داود برقم: (٤٣٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٠/ ٢٩٣٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٨١) ، ومسلم برقم: (١٢٣/)٢٩٤٣ واللفظ له.

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ذكر الدجال وفيه قال : « لَا يَقْرَبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ : مَسْجِدَ الحَرَامِ ، وَمَسْجِدَ المَدِينَةِ ، وَمَسْجِدَ الطُّورِ ، وَمَسْجِدَ الأَقْصَى » . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

أتباع الدجال :

أكثر أتباع الدجال من اليهود، والعجم ، وأخلاطٍ من الناس، غالبهم من الأعراب والنساء .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ ، سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ » . أخرجه مسلم[2] .

الوقاية من فتنة الدجال :

تكون بالإيمان بالله عز وجل، والتعوذ بالله من فتنة الدجال خاصة في الصلاة، والفرار منه ، وحفظ أول سورة الكهف .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْف ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ ، وفي لفظٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ » . أخرجه الإمام مسلم[3] .

الثاني من أشراط الساعة الكبرى: نزول عيسى بن مريم ﷺ :

بعد خروج الدجال، وإفساده في الأرض ، يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم ﷺ فينزل إلى الأرض عند المنارة البيضاء شرق دمشق، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، فيقتل الدجال عند باب لُد، ويحكم بالإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، وتذهب الشحناء، يمكث سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون .

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٢٤/ ٢٩٤٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٠/ ٢٩٣٧).

ثم يُرسل الله ريحًا باردة طيبة من قبل الشام ، فلا يبقى علي وجه الأرض أحدٌ في قبله مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، ويبقى شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، يتهارجون تهارج الحُمر ، ثم يأمرهم الشيطان بعبادة الأوثان ، وعليهم تقوم الساعة .

قال الرسول ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . أخرجه البخاري [1] .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[النساء: ١٥٩] .

الثالث من أشراط الساعة الكبرى: خروج يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج أمتان عظيمتان من بني آدم ، وهم رجال أقوياء لا طاقة لأحدٍ بقتالهم ، وخروجهم من أشراط الساعة الكبرى ، يفسدون في الأرض ، ثم يدعو عليهم عيسى بن مريم ﷺ وأصحابه ، فيموتون ، كما قال سبحانه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[الأنبياء:٩٦ -٩٧] .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال وأن عيسى يقتله بباب لُد ، وفيه : « إذ أوحى الله إلى عيسى يَا عِيسَى ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَأَحْرِزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٤٨).

وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ عز وجل : ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦] .

فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا مَاءٌ مَرَّةً ، وَيحْصَرُ نَبِيُّ اللهَّ عيسى وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهَّ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهَّ ﷻ ، فَيُرْسِلُ اللهُّ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللهَّ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأرض » . أخرجه مسلم(١) .

وبعد نزول عيسى ﷺ وأصحابه إلى الأرض يدعو الله ، فيرسل الله طيورًا تحمل يأجوج ومأجوج ، وتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا يغسل الأرض ، ثم تنزل البركة في الأرض ، وتظهر البقول والثمار ، وتحل البركة بالنبات والحيوان .

الرابع والخامس والسادس من علامات الساعة الكبرى: الخسوفات الثلاثة :

الخسوفات الثلاثة من أشراط الساعة الكبرى وهي :

خسف بالمشرق .. وخسف بالمغرب .. وخسف بجزيرة العرب .

وهي لم تقع بعد .

السابع من أشراط الساعة الكبرى الدخان :

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى كما قال سبحانه : ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان:١٠ -١١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٠/ ٢٩٣٧).

وقال النبي ﷺ :« بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا ، طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، أَوِ الدَّجَّالَ ، وَالدُّخَانَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَخَاصَةَ أَحَدِكُمْ أَوِ أمر الْعَامَّةَ ».أخرجه مسلم[1] .

الثامن من أشراط الساعة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها :

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى ، وهي أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي ، ومن أدلة خروجها قوله سبحانه : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأنعام:١٥٨] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، يومئذٍ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾[الأنعام:١٥٨] . ».أخرجه البخاري[2] .

وقال ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى ، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا » . أخرجه مسلم[3] .

التاسع من أشراط الساعة الكبرى: خروج الدابة :

خروج دابة الأرض في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة فتخرج فتسم الناس على خراطيمهم ، تخطم أنف الكافر ، وتجلو وجه المؤمن بالخاتم ، ومن أدلة خروجها: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[النمل:٨٢] .

---

(١) أخرجه مسلم: (١٢٨/ ٢٩٤٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٦) .

(٣) أخرجه مسلم: (١١٨/ ٢٩٤١).

وقال النبي ﷺ : « ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدُّخَانُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ » . أخرجه مسلم[1] .

العاشر من أشراط الساعة الكبرى: خروج النار التي تحشر الناس :

وهي نارٌ عظيمة تخرج من المشرق ، من اليمن ، من قعر عدن ، وهي آخر أشراط الساعة الكبرى ، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة ، فتخرج من اليمن ، ثم تنتشر في الأرض ، وتسوق الناس إلى أرض المحشر في الشام .

كيفية حشر الناس بالنار :

عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ قال: « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ، حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا » متفق عليه[2]

أول أشراط الساعة :

عن أنس رضي الله عنه : أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ، ومنها ما أول أشراط السَّاعة ؟ فقال النبي ﷺ : « أَمَّا أَوَّلُ أَشْراطِ الساعةِ ؛ فنارٌ تَحْشُرُ الناسَ من المشرقِ إلى المَغْرِبِ » . أخرجه البخاري[3] .

فإذا ظهرت أشراط الساعة الصغرى ، ثم ظهر أول أشراط الساعة الكبرى تتابعت بعدها الآيات يتلو بعضها بعضًا .

كما قال النبي ﷺ : « الْأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ ، فَإِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا« أخرجه الحاكم بسند صحيح[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٩/ ١٥٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٥٢٢)، ومسلم برقم(٥٩/ ٢٨٦١) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٩).

٣- المشهد الثالث: النفخ في الصور، والبعث، والحشر

النفخ في الصور مرتان :

الأولي : تبدأ بالفزع : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[النمل:٨٧] .

وتنتهي بالصعق لجميع الخلق إلا من شاء الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الزمر: ٦٨] .

والنفخة الثانية : نفخة البعث، فيجمع الله الأجساد البالية بقدرته ، ثم تُعاد الأرواح إلى الأجساد ، ثم ينزل الله من السماء ماءًا فينبت أهل القبور من ذلك ، فإذا تم خلقهم نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية ، فطارت أرواحهم إلى أجسادهم ، ثم انشقت الأرض عنهم ، فخرجوا من قبورهم سراعًا، كما قال سبحانه : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾[القمر:٧] .

ثم يحشر الخلق إلى رب العباد لفصل القضاء كما قال سبحانه : ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الكهف:٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس:٥١ -٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾[النبأ:١٨-١٩] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم: (١٧٦٢).

والصور قرن كالبوق يأمر الله ﷻ إسرافيل ﷺ أن ينفخ في الصور النفخة الأولى وهي نفخة الصعق ، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم يأمره أن ينفخ النفخة الثانية وهي نفخة البعث ، فإذا الخلائق قيامٌ ينظرون ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر:٦٨] .

مقدار ما بين النفختين :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ » . متفق عليه [١] .

متى تقوم الساعة :

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » . أخرجه مسلم [٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُنذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدً يَنْظُرُ نَحوَ الْعَرْشِ، مخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ » . أخرجه الحاكم بسند صحيح [٣] .

البعث والحشر :

الدور التي يمر بها العبد بعد خروجه من بطن أمه ثلاث :

الأولى: دار الدنيا، وهي دار تكميل الإيمان، والأعمال الصالحة .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤١/ ٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ٨٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم: (٤/ ٥٥٩).

الثانية: دار البرزخ، وهي دار الانتظار للبعث .

الثالثة: دار القرار في الجنة أو النار .

وقد جعل الله لكل دارٍ أحكام تخصها ، وركب هذا الإنسان من بدن وروح ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعٌ لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعٌ لها، وجعل أحكام يوم القيامة من النعيم والعذاب على الأبدان والأرواح معًا .

والبعث هو إحياء الموتى حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلًا غير مختونين، ويُبعث كل عبد على ما مات عليه، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يس:٥١ -٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون:١٥ -١٦] .

صفة البعث :

ينزل الله من السماء ماءًا فينبت الناس كما ينبت البقل، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:٥٧]

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ :

أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ: أَبَيْتُ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ تَعَالَى مَاءً مِنَ السَّمَاءِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى ، إِلا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . متفق عليه[1] .

أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة:

وأول من ينشق عنه القبر رَسُولُ اللهﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « أنا سيِّدُ ولدِ آدم ، وأولُ مَنْ ينشقُّ عنه القَبر، وأوَّل شافع ، وأوَّل مشفَّعٍ » . أخرجه مسلم[2] .

من يحُشر يوم القيامة:

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة:٤٩ -٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[مريم:٩٣-٩٥] .

وقال الله تعالى :: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف:٤٨ -٤٩] .

صفة أرض المحشر :

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم:٤٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤١/ ٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣/ ٢٢٧٨).

وعن سهل بن سعد قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ » . متفق عليه[1] .

صفة حشر الخلق يوم القيامة:

حشر الخلائق يوم القيامة له حالتان :

الأولى : حشرٌ من القبور إلى محل القضاء ، وهذا يكون بحشر الناس مشاة حفاة عراة غُرلًا .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول اللهﷺ يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، قَالَ ﷺ : يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » . متفق عليه[2] .

الثانية : حشر المؤمنين والكفار من محل القضاء إلى الجنة أو النار كما قال سبحانه : ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف:٤٧] .

ويحشر المؤمنون أو الكفار من محل القضاء إلى الجنة أو النار كما يلي :

الأول : يحشر المؤمنون وفدًا مكرمين إلى ربهم، ثم الجنة : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم:٨٥] .

وقال ﷻ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣]

ثانيًا : يحشر الكافرون على وجوههم عميًا ، وبكمًا، وصمًا، عطاشًا، زرقًا، مقرنين ، يحُبس أولهم على آخرهم ، فيساقون إلى النار مجتمعين، كما قال

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢١)، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٧٩٠) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢٧)، ومسلم برقم: (٥٦/ ٢٨٥٩) واللفظ له.

سبحانه : ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨] .

وقال الله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم:٨٥-٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ [فصلت:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات:٢٢-٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥١] .

وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ رَجُلًا قالَ: «يا نَبِيَّ اللهِ، يُحْشَرُ الكَافِرُ علَى وجْهِهِ يَومَ القِيَامَةِ؟! قالَ: أليسَ الذي أمْشَاهُ علَى الرِّجْلَيْنِ في الدُّنْيَا قَادِرًا علَى أنْ يُمْشِيَهُ علَى وجْهِهِ يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ قَتَادَةُ: بَلَى وعِزَّةِ رَبِّنَا » . متفق عليه [1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٦٠)، ومسلم برقم: (٥٤/ ٢٨٠٦) واللفظ له.

ثالثاً : يحشر الله يوم القيامة الدواب، والبهائم، والوحوش، والطيور ، ثم يحصل القصاص بين الدواب ، فيقتص للشاة الجماء من القرناء نطحتها ، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها : كوني ترابًا : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام:٣٨] .

لقاء الله في الآخرة :

كل إنسان سوف يلاقي ربه يوم القيامة بما عمل من خيرًا أو شر المؤمن والكافر، والبار والفاجر، كما قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق:٦ -١٢] .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤/ ٢٦٨٣).

٤- المشهد الرابع : فصل القضاء: ويشمل:

١- حساب الخلائق يوم القيامة

مجيء الله ﷻ لفصل القضاء :

يجئ الله ﷻ يوم القيامة لفصل القضاء، فتشرق الأرض بنوره ، وتوجل الخلائق لهيبته ، وعظمته ، وجلاله، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾[الفجر:٢١ -٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[الحاقة:١٣ -١٨] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ » . متفق عليه [١] .

وإذا حُشر الناس إلى ربهم يوم القيامة ، وبلغ العناء منهم مبلغًا عظيمًا من شدة الهول ، وصعوبة الموقف ، يرغبون إلى ربهم في أن يحكم فيهم ، ويفصل بينهم ، فإذا طال وقوفهم، وعظم كربهم ، ذهبوا إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم ليفصل بينهم، كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤١١) ، ومسلم برقم: (١٦٠/ ٢٣٧٣)واللفظ له.

يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٩] .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ: أن رَسُولُ الله ﷺ قَالَ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ ، وما لاَ يحْتَمِلُونَ .

فَيَقُولُ النَّاسُ : ألا ترون ما انتم فيه ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ .

فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّى غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نهَانِى عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، فيأتون نوحًا، فإبراهيم، فموسى، فعيسى فيعتذر كل واحد وكلهم يقولون : إِنَّ رَبِّى غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، نَفْسِي نَفْسِي ، ويقول عيسى : اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فيأتوني فيقولون : : يَا مُحَمَّدُ ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِّ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىَّ مِنْ محَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي .ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ .

فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ . ثم قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » . متفق عليه (١) .

ثم يفصل الله بين الناس ، فتعطى الكتب ، وتوضع الموازين ، ويحاسب الناس ، فآخذًا كتابه بيمينه إلى الجنة ، وآخذًا كتابه بشماله إلى النار ، ثم يفصل الله عز وجل بين الخلائق كما قال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:٧٥] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « قُلْنا : يا رسُول الله ! هلْ نَرى رَبَّنا يوْمَ القِيامة ؟ قال : هلْ تُضارُّونَ في رُؤْيةِ الشَّمسِ والقَمَرِ إذا كانتْ صَحْواً ؟ ؟ قُلْنا : لا ، قال : فَإِنَّكُمْ لا تُضارُّونَ في رُؤْيةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئذٍ إلا كما تُضارُّونَ في رُؤْيتِهما ، ثُم قال : يُنادِي مُنادٍ : لِيَذْهَبْ كلُّ قوْمٍ إلى ما كانوا يَعْبُدُون ، فيَذْهبُ أَصْحابُ الصَّليبِ معَ صَليبِهِمْ ، وَأَصْحابُ الأَوْثانِ مَعَ أَوْثانِهِمْ ، وَأَصحاب كُلِّ آلهةٍ مع آلهَتِهم ، فلا يبقى مَنْ كانَ يعبُدُ غيرَ الله مِنَ الأَصْنامِ والأَنْصَابِ إلا يتساقطون في النارِ ، حتى يبْقى مَنْ كانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرّ أَوْ فاجِرٍ ، وَغُبَّراتٍ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كأَنَّها سَرابٌ يَحْطِمُ بعضُها بعضًا .

فيُقالُ لِلْيَهُودِ : ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بنَ الله ، فيُقال : كَذَبْتُم ، لم يكنْ للهِ صاحِبةٌ ولا ولَدٍ ، فما تُريدون ؟ قالوا : عطشنا ، نُرِيدُ أَنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧١٢) واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٢٧/ ١٩٤).

تَسْقِيَنا ، فيُقالُ : اشْربُوا ، فيَتَساقَطُون في جَهَنَّم ، ثُمَّ يُقالُ لِلنَّصارى : ما كُنْتُم تَعْبدون ؟ فيَقُولونَ : كُنَّا نَعْبُدُ المسيحَ بنَ الله ، فَيُقالُ : كَذَبْتُم لم يكنْ لله صاحِبة ولا ولد ، فما تُرِيدُون ؟ فيقُولون : نُريدُ أنْ تَسْقِيَنا ، فيُقالُ : اشْرَبُوا ، فَيَتَساقَطُون ، حَتَّى يَبْقى من كانَ يعبدُ اللهَ من بَرٍّ أو فاجرٍ .

فيُقالُ لهم : ما يَحْبِسُكُم وقد ذهب الناسُ ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحْوجُ مِنا إليهِ اليومَ ، وإنّا سمعنا مُناديا يُنادي : لِيلْحَقْ كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون ، وإنّما ننتظر ربَّنا ، قال : فيأتيهم الجبّار في صورةٍ غيرِ صورتهِ التي رأوه فيها أوّل مرَّةٍ ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنت ربُّنا ، فلا يُكَلِّمُهُ إلا الأنبياءُ .

فيقولُ : هل بينَكُم وبينَهُ آيةٌ تَعرفونَه ؟ فيقولون : السَّاقُ ، فيكشِفُ ربُّنا عن ساقِهِ ، فيسْجُدُ له كل مؤمنٍ ، ويبقى مَنْ كانَ يسجدُ رياءً وسمعةً ، فيذهب كَيْما يسجدَ ، فيعودُ ظهرهُ طَبَقاً واحداً ، ثم يُؤتى بالجِسرِ فيُجْعَلُ بين ظهريْ جَهنَّمَ ، قُلْنا : يا رسول الله ! وما الجسْرُ ؟ قال : مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ ، عليه خطاطيفُ ، وكلاليبُ ، وحسكةٌ مُفلطحةٌ لها شوْكةٌ عُقيفاءُ تكون بنجْدٍ ، يُقال لها: السَّعْدان، المؤمن عليها كالطَّرْفِ، وكالبرقِ ، وكالريحِ ، وكأجاويدِ الخيلَ والرِّكابِ ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ، وناجٍ مخَدْوشٌ ، ومكدُوسٌ في نار جهنَّمَ .

حتى يَمُرَّ آخِرُهم يُسْحَبُ سَحْباً ، فما أنتم بأَشدَّ لي مُناشَدةً في الحقِّ قد تبيَّنَ لكم مِنَ المؤمنِ يوْمئذٍ للجبَّارِ ، وإذا رأَوْا أنَّهم قد نجوا في إخوانهم ، يقولون : ربَّنا إخوانُنا الذين كانوا يُصَلُّونَ معنا ، ويصومونَ معنا ، ويعْملون معنا ، فَيَقُولُ الله تعالى : اذْهَبُوا ؛ فمَنْ وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرِجُوهُ ، ويحُرِّمُ الله صُوَرَهُم على النارِ ، فيأْتُونَهُم .

وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمِه ، وإلى أنصافِ ساقيهِ فَيُخْرِجُونَ من عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودونَ ، فيقولُ : اذْهَبُوا ، فمن وجدتم في قلبهِ مثقالَ نصفِ دينارٍ فأخرِجوه ، فيخرجون من عَرَفوا ، ثم يعودون ، فيقُول : اذْهبُوا ، فمن وجدتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ من إيمان فأَخْرِجُوه ، فيُخرِجونَ من عرفوا ، قال أبو سعيدٍ : فإن لمْ تُصدِّقُوا فَاقْرؤُا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

فيشْفَعُ النَّبيونَ ، والملائكةُ ، والمؤمنونَ ، فيقول الجبَّارُ : بَقِيَتْ شفاعتي ، فيقبضُ قبْضةً من النار فَيُخْرِجُ أقواماً ، وفي روايةٍ : إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، يقولُ الله : مَنْ كانَ في قلبهِ مثقال حبَّة من خردل من إيمان فأخْرِجوه ، فيخرجون قد امْتُحِشُوا وفي روايةٍ : اسْوَدُّوا فيُلْقَون في نَهَرٍ بأفواهِ الجنَّةِ ، يُقال له : ماءُ الحياةِ ، فيَنْبُتُون في حافتَيْهِ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَيْل قد رأيتُموها إلى جانبِ الصَّخْرةِ ، إلى جانبِ الشَّجرةِ ، فما كان إلى الشمسِ منها كان أَخْضَرَ .

وما كان منها إلى الظِّلِّ كان أبْيضَ ، فيخرُجونَ كأنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ ، فَيُجْعَلُ في رقابهم الخواتيمُ ، فيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، فيقولُ أهلُ الجنَّةِ : هؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحمنِ ، أَدْخَلهُمُ الجنَّةَ بغيرِ عملٍ عملُوه ، ولا خيْرٍ قدَّمُوهُ ، فيُقالُ لهُمْ : لكم ما رأيتُم ، ومِثلُهُ مَعَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

الله ﷻ له الخلق والأمر ، ومن عظمة الله ﷻ أنه يدبر أمور عباده كلهم في آن واحد ، ومن عظمة شأنه أنه يبدل أحوال العالم كله في آن واحد ، لا يشغله شأنٌ عن شأن ، ولا أحدٌ عن أحد، يرفع ويخفض ، ويعز ويذل ،

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٠٢/ ١٨٣).

وينجي ويهلك ، ويقبض ويبسط ، ويعطي ويمنع ، ويغني ويفقر ، ويهدي ويضل ، وينصر ويخذل ، ويسعد ويشقي ، فعالٌ لما يريد ، فعالٌ لما يشاء:﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس: ٨٢ – ٨٣] .

فقضاء الله ﷻ لجميع الكائنات في آن واحد على وفق الحكمة ، والعدل، والرحمة والإحسان ، فإن الله ﷻ لا يظلم أحدًا مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

ويحاسب الله عباده يوم القيامة على مثقال الذرة ، وهذا عدله ، أما كرمه فلا حد له ، فمحاسبة الله ﷻ لعباده دقيقة ، شاملة للصغائر والكبائر ، لكن المؤمن يحاسب حسابا يسيرًا:﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء:٤٧] .

ومن يعمل مثقال ذرة من خير أو شر سوف يحاسب عليه : ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

ولكنه مع هذا كريمٌ ، وعفوٌ غفورٌ ، رحيمٌ بعباده .

وهو سبحانه قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت ، وقائمٌ على كل مخلوق ، بل على كل مثقال ذرة من ملكه العظيم ، وهو بالمرصاد لكل من عمل من خيرٍ أو شر ، بالثواب أو بالعقاب: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء: ١٢٣]

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[الفجر: ١٤] .

فيعطي العزيز الرحيم جل جلاله على الحسنة كرامات في الدنيا ، وفي القبر ، وفي الحشر ، وفي الجنة ، ويعطي على السيئة عقوبات في الدنيا ، وفي القبر ، وفي الحشر ، وفي النار .

فيعطيك أيها المؤمن على قدر العمل الصالح هداية : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾[النور:٥٤] .

ثم يعطيك رحمة : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٢] .

ثم يعطيك بركة على قدر العمل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

ثم يعطيك طمأنينة ، طمأنينة على قدر حسن العمل ، وكمال اليقين :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرعد:٢٨ - ٢٩] .

ويعطيك بفضله بلا عمل منك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء: ٤٠] .

وكل إنسان يوم القيامة سيُسأل عشرة أسئلة :

فيسأل في القبر عن ثلاثة أمور :

١-من ربك ؟ .

٢-ما دينك ؟ .

٣-من نبيك ؟ .

ويسأل في عرصات القيامة سؤالين:

١- ماذا أجبتم من المرسلين ؟ .

٢- ثم يسأل ماذا كنتم تعملون ؟ .

وكذلك يسأل يوم القيامة عن خمسة أمور:

١-عن عمره فيما أفناه .

٢- وعن شبابه فيما أبلاه .

٣- وعن علمه ماذا عمل به .

٤- وعن ماله من أين اكتسبه .

٥- وفيما أنفقه .

هذه عشرة أمور يُسأل عنها العبد بعد موته: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الحجر:٩٢-٩٣] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاه » . أخرجه الترمذي والدارمي بسند صحيح(١) .

نصب الموازين :

توضع الموازين يوم القيامة لحساب الخلائق ، ويتقدم الناس واحدًا واحد للحساب ، فيحاسبهم ربهم ويسألهم عن أعمالهم ، فإذا تم الحساب كان بعده وزن الأعمال بالميزان ، وهو ميزانٌ حقيقي له كفتان: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء:٤٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤١٧)، والدارمي برقم: (١/ ١٣١).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف:٨-٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة/ ٦-١١] .

كيفية الوزن يوم القيامة:

توزن أعمال العباد يوم القيامة من حسنات ، أو سيئات ، فمن رجحت حسناته فاز ، ومن رجحت سيئاته هلك ، يوزن العامل، وعمله، وصحيفة عمله ، إظهارًا لعدل الله سبحانه بين جميع عباده ، وأثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حُسن الخُلق : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف:٨-٩] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهَّ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَقَالَ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٥] .» . متفق عليه[1] .

حكم أعمال الكفار في الآخرة :

الكفار والمنافقون لهم حسابٌ مع المحاسبين يوم القيامة .

فالكفار والمنافقون لا تقبل قربهم، وطاعاتهم؛ لفقدها شرطها وهو الإيمان، وأعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، وينادى بهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة هؤلاء الذين كذبوا على ربهم: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(: ٤٧٢٩) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨/ ٢٧٨٥).

ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود:١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٢-٢٣] .

رؤية الأعمال يوم القيامة:

تعرض أعمال العباد يوم القيامة ، ويرى المرء عمله وهو يباشره صغيرًا كان أو كبيرًا ، خيرًا كان أو شرًا كما قال سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

حكم الأطفال يوم القيامة :

أطفال المؤمنين يدخلون الجنة كما يدخلها الكبار على صورة أبيهم آدم ﷺ، وكذلك أطفال المشركين، ويتزوجون كما يتزوج الكبار فضلًا من الله ورحمة، ومن مات ولم يتزوج من النساء أو الرجال فإنه يتزوج في الآخرة فليس في الجنة أعزب: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يس:٥٥-٥٦] .

الشفاعة : الشفاعة هي طلب العون والخير للغير .

وأقسام الشفاعة كثيرة ، فالشفاعة يوم القيامة قسمان :

النوع الأول : شفاعة خاصة بالنبي ﷺ وهي أنواع منها :

أولاً : شفاعته ﷺ في أهل الموقف، ليقضى بينهم ، فيشفع فيهم ، ويقضي الله بينهم ، وهي المقام المحمود له، وهي الشفاعة العظمى .

ثانياً : شفاعته ﷺ في أناس من أمته فيدخلون الجنة بغير حسابًا ولا عذاب ، وهو السبعون ألفاً ، حيث يقول الله له : « أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » . أخرجه مسلم[1] .

ثالثاً : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .

رابعًا : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .

خامسًا : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه ، فيخرجه من غمرات النار إلى ضحضاح يغلي منه دماغه .

سادسًا : شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المسلمين في دخول إلى الجنة .

النوع الثاني : شفاعة عامة للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين ، وهي الشفاعة فيمن استحق النار من المسلمين أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخُرج منها، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النجم:٢٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٢٧/ ١٩٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا » . متفق عليه(١) .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَشفعُ الشهيدُ في سبعينَ من أهلِ بيتهِ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح(٢) .

ويشترط لهذا الشفاعة شرطان :

الأول : إذن الله بالشفاعة، كما قال سبحانه :﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

الثاني : رضا الله عن الشافع والمشفوع له، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النجم:٢٦] .

والكافر لا شفاعة له، فهو مخلدٌ في النار، لا يدخل الجنة ولو فُرض أن أحد شفع له لن تنفعه الشفاعة، كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر:٤٨] .

طلب شفاعة النبي ﷺ :

من أراد شفاعة النبي ﷺ فليطلبها من الله ﷻ كان يقول : اللهم ارزقني شفاعة نبيك ﷺ، ويُتبع ذلك بالعمل الصالح المُوجب لها من إخلاص العبادة لله وحده ، والصلاة على النبي ﷺ ، وسؤال الوسيلة له .

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ » . أخرجه البخاري(٣) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم: (٣٣٨/ ١٩٩) واللفظ له ، والبخاري برقم: (٦٣٠٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٧٠)

٢- الحوضُ والصراط

صفة حوض النبي ﷺ :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر:١-٣] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال : « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فلَا يَظْمَأُ أَبَدًا » . متفق عليه[١] .

وفي لفظٍ : « عرضه مثل طوله ما بين عمَّان إلى أيْلة ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل » . أخرجه مسلم[٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». متفق عليه[٣] .

من يُطرد عن الحوض ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجلَوْنَ عَنِ الحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى». أخرجه البخاري[٤] .

والرهط من الثلاثة إلى العشرة .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧/ ٢٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ٢٢٩٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٨٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٩/ ٢٣٠٣).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٨٥).

الصراط :

الصراط هو الجسر المنصوب على ظهر جنهم، يعبر المسلمون عليه إلى الجنة .

من يمر على الصراط ؟ :

الذين يمرون على الصراط هم المسلمون ، أما الكفار والمشركون فتتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا من الأصنام والشياطين ونحوهما من الآلهةِ الباطلة ، فترد النار مع معبودها أولاً، ولا تمر على الصراط .

ثم يلي بعد ذلك من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواءً كان صادقًا أم منافقًا ، هؤلاء الذين يُنصب لهم الصراط .

ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود ، والنور الذي يعم المؤمنين فقط ، فيعود المنافقون إلى الوراء إلى النار ، ويعبر المؤمنون الصراط إلى الجنة:﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[الحديد:١٢ -١٥] .

ويكون المرور على الصراط بعد الحساب ، ووزن الأعمال، والفراغ منها ، ثم يضطر الناس إلى المرور على الصراط، كما قال سبحانه :﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢] .

صفة الصراط والمرور عليه :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ في حديث الرؤيا وصفة الصراط وفيه : « قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا الجِسْرُ ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لهَا السَّعْدَانُ ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمخَدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » . متفق عليه[1] .

أول من يعبر الصراط :

أول من يعبر الصراط محمدٌ ﷺ وأمته ، ولا يعبر الصراط إلا المؤمنون ، فيُعطون نورهم على قدر إيمانهم وأعمالهم ، ثم يمرون على الصراط بحسب ذلك ، وتُرسل الأمانة والرحم فتقومان بجانب الصراط يمنيًا وشمالًا ، ودعوى الرُسل يومئذٍ اللهم سَلِم سَلم .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ من يجيز ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّم » . متفق عليه[2] .

ما يكون للمؤمنين بعد عبور الصراط :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقْتَصُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ محُمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٣٩)، ومسلم برقم: (٣٠٢/ ١٨٣) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٣٧)، ومسلم برقم: (٢٩٩/ ١٨٢) واللفظ له.

(١) أخرجه البخاري برقم:٦٥٣٥.

٣- مقدار يوم القيامة

أولاً : الأيام التي خلق فيها الله السماوات والأرض طول الواحد منها ألف سنة، كما قال سبحانه : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[الحج:٤٧] .

ثانيًا : مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى في يوم مقداره ألف سنة، كما قال سُبحَانَه : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾[السجدة:٥] .

ثالثاً : مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة، كما قال سبحانه : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾[المعارج:٤ -٧] .

ويوم القيامة أخف على المؤمن منه على الكافر، كما قال سبحانه : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾[المدثر:٨ - ١٠] .

والله ﷻ وعد المؤمنين والمؤمنات ، وتوعد المشركين والمشركات :

أولًا: وعد الله للمؤمنين بالخير والأجر والثواب فإنه واقعٌ لا محالة كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢] .

ثانيًا : ما توعد الله به الكفار من العذاب واقعٌ لا محالة قطعًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الحج:٤٧] .

وكما قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة:٦٨] .

ثالثاً: أما ما توعد الله به عصاة المسلمين ، فهذا يجوز أن ينفذه الله ﷻ أو يعفو عن صاحبه، كما قال سُبحَانَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

فما وعد الله به المؤمنين من النعيم والثواب واقعٌ قطعًا ، وما وعد الله به الكفار واقعٌ قطعًا لا يتغير ولا يتبدل ، لا يمكن أن يُخلف الله وعده بحال ؛ لأن الله لا يبدل القول لديه، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ق:٢٨ - ٢٩] .

فكل كافرًا ومشرك مات على كفره فهو في النار قطعًا كما قال ﷻ : ﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾[الحج:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء:٥٦] .

أهوال يوم القيامة :

يوم القيامة يومًا عظيم أمره ، شديدٌ هوله ، يصاب فيه العباد بالرعب والفزع ، وتشخص فيه أبصار الظلمة ، جعله الله ﷻ على المؤمنين كقدر ما

بين الظهر والعصر ، وعلى الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ، وهذه صورٌ من أهواله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ ﴾ [الحاقة:١٣ -١٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ ﴾ [التكوير:١ -٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ ﴾ [الانفطار:١ -٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾ [الانشقاق:١ -٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ ﴾ [الواقعة:١ -١١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ : إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ، إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٤٨٠٦)، والترمذي برقم(٣٣٣٣) .

تبديل الأرض والسماء يوم القيامة :

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾[إبراهيم: ٤٨ -٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٤] .

أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسماوات ؟ :

عن ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبرٌ من أحبار اليهود فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَيْنَ يَكُونُ الناس حين تبدل الأرض غير الأرض والسَّماوَات ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ وفي رواية على الصراط » . أخرجه مسلم[1] .

شدة الحرارة في الموقف :

يجمع الله الخلائق بعد بعثهم في ساحة واحدة في عرصات القيامة ، وذلك لفصل القضاء حفاةً عراةً غرلًا ، فتدنو الشمس في ذلك اليوم ، ويذهب العرق سبعين ذراعًا ، ويعرق الناس على قدر أعمالهم .

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يقبض الله الأَرْض يَوْم الْقِيَامَة ويطوي السَّمَاء بِيَمِينِهِ ، وَيَقُول : أَنا الْملك أَيْن مُلُوك الأَرْض » . متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ٣١٥).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥١٩)، ومسلم برقم: (٢٣/ ٢٧٨٧) واللفظ له.

وعن المقداد بن الأسود ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِن وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلجَامًا قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ » . أخرجه مسلم[1] .

من يُظلهم الله في الموقف ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا ، حتى لَا تَعْلَمُ شماله مَا تُنْفِقُ يمينه، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » . متفق عليه[2] .

وعن عُلقمة بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٢/ ٢٨٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٠) ، ومسلم برقم: (٩١/ ١٠٣١) واللفظ له.

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٤٧) .

٥- المشهد الخامس دار القرار في الجنة أو النار

مراحل حياة الإنسان :

الإنسان خلقه الله ﷻ يركب طبقًا بعد طبق ، وينتقل من محل إلى محل ، خلقه الله أولاً من التراب ، ثم انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة ، ثم إلى العلقة ، ثم إلى المضغة ، ثم إلى العِظام ، ثم كسا الله العِظام لحمًا ، ثم أنشأه خلقًا أخر ، ثم أخرجه إلى الدنيا ، ثم ينتقل بالموت إلى القبر ، ثم يحييه الله ويسوقه إلى المحشر ، ثم إلى دار القرار في الجنة أو النار : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١٢ -١٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴿١٩﴾ ﴾[الانشقاق:١٩] .

ودار القرار هي يوم القيامة ، فالدنيا هي دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الجزاء بالثواب أو العقاب ، لكن لا ينقطع العمل والسؤال إلا بعد دخول دار القرار في الجنة أو النار ، أما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع ذلك كسؤال الملكين للميت في قبره من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ ودعوة الخلائق إلى السجود لله يوم القيامة ، وامتحان المجانين، ومن مات في الفترة .

ثم يحكم الله بين العباد حسب إيمانهم وأعمالهم ، ثم يشاقون إلى دار القرار فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[الشورى:٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾[الحج:٥٦ -٥٧]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم: ١٤- ١٦] .

وفي يوم القيامة يُظهر الله ﷻ وعده ووعيده بعد أن أخبر به خلقه في الدنيا ، فمن آمن وعمل صالحًا فاز بالجنة ، ومن كفر بالله ﷻ دخل النار : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧١ - ٧٢] .

أما الكفار والمنافقون فيُجازون بنار جهنم :

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة:٦٧ -٦٨] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

القسم الثاني : ويشمل:

١ – صفة الجنة.

٢ – صفة النار.

٣– فقه الإيمان باليوم الآخر.

٤ – براهين البعث.

٥ – آثار الإيمان باليوم الآخر.

١ - صفة الجنة

الجنة هي دار السلام التي أعدها الله للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة ، وسيكون الحديث عن الجنة إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى من كتاب من خلقها، وخلق نعيمها، وخلق أهلها وهو الله ﷻ، ومن حديث من دخلها، ووطئت أقدامه أرضها ، وهو محمدٌ ﷺ .

وإليك بيان ذلك بالتفصيل في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

أشهر أسماء الجنة :

الجنة واحدة في الذات ، متعددة الصفات ، ومن أشهر أسمائها :

أولاً : الجنة كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾[النساء:١٣] .

ثانيًا : جنات الفردوس كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف: ١٠٧] .

ثالثًا : جنات عدن كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾[ص:٤٩-٥٠] .

رابعًا : جنة الخلد كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾الفرقان:١٥] .

خامسًا : جنات النعيم كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [لقمان:٨] .

سادسًا : جنات المأوى كما قال سبحانه : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[السجدة:١٨-١٩] .

سابعًا : دار السلام كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٧] .

مكان الجنة :

خلق الله الجنة، وجعلها فوق السموات :﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[النجم:١٣-١٥] .

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ الله ، أوْ جَلَسَ فِي أرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، أفَلا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ ؟ قال : إنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ ، فَإذَا سَألْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإنَّهُ أوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأعْلَى الجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهَارُ الجَنَّةِ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ المُؤْمِنَ إذَا حَضَرَهُ المَوْتُ حَضَرَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، فَإذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ في حَرِيرةٍ بَيْضَاءَ فَيُنْطَلَقُ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٤٢٣).

بِهَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ » . أخرجه الحاكم وابن حبان بسند صحيح[1] .

أسماء أبواب الجنة :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَينِ فِي سَبِيْلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَا عَبْدَ الله هَذَا خَيْرٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابَ الجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على مَنْ دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نَعَمْ ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » . متفق عليه[2] .

سعة أبواب الجنة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : أُتيَ رسول الله ﷺ يوماً بلحم وفي آخره قال : « وَالَّذِي نَفْسُ محُمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » . متفق عليه[3] .

وعن عتبة بن غزوان ﷺ قال : « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيْرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْها يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيْظٌ مِنَ الزِّحَامِ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٣٠١٣)، والحاكم برقم: (١/ ٣٥١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨٥/ ١٠٢٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧١٢)، ومسلم برقم: (٣٢٧/ ١٩٤) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ٢٩٦٧).

عدد أبواب الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾[ص:٤٩-٥٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣]

وعن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال : « فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، فِيْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » . متفق عليه(١) .

الأوقات التي تفتح بها أبواب الجنة في الدنيا :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَومَ الإِثْنَيْنِ ، ويَومَ الخَمِيْسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً إلا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ثَلاثاً » . أخرجه مسلم(٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ » . متفق عليه(٣) .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فيُسْبِغُ الوُضُوءَ ، ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ إلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» . أخرجه مسلم(١)

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(٣٢٥٧)واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٦٦/ ١١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٥/ ٢٥٦٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٧٧) واللفظ له ، وأخرجه مسلم برقم: (١/ ١٠٧٩).

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧/ ٢٣٤).

أول من يدخل الجنة :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، فَأَقُولُ : محُمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ » . أخرجه مسلم[1] .

أول أمة تدخل الجنة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ » . متفق عليه[2] .

صفات أول زمرة يدخلون الجنة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لا يَبُولُونَ ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَتْفِلُونَ ، وَلا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ ، وَمجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ » . متفق عليه[3] .

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « يَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُون أَلْفاً أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» . متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٣٣/ ١٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٥٦)، ومسلم برقم: (٢٠/ ٨٥٥)واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٧)، ومسلم برقم: (١٥/ ٢٨٣٤) واللفظ له.

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٧٣/ ٢١٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِيْنَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَومَ القِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً » . أخرجه مسلم[1] .

سن أهل الجنة :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ ، أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً » . أخرجه أحمد والترمذي[2] .

صفة وجوه أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٢ -٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الغاشية:٨ -١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس:٣٨ - ٣٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٧]

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان:١١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٧).

(٢) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٤٥)، وأخرجه أحمد برقم: (٧٩٣٣).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لا تَبَاغُضَ بَينَهُمْ وَلا تحَاسُدَ » .

أخرجه البخاري [1] .

صفة استقبال أهل الجنة :

قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣]

وقال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣ -٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]

منْ يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب :

عن ابن عباس ﷺ قال : قال النبي ﷺ: « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، هَؤُلاءِ أُمَّتِي ؟ قَالَ: لا، وَلَكِن انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوادٌ كَثِيرٌ . قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٥٤).

عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ ؟ قَالَ : كَانُوا لا يَكْتَوونَ ، ولا يَسْتَرْقونَ ، وَلا يَتَطَيَّرُون ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي أمامة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ ، وَلا عَذَابَ ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً ، وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي ﷻ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[2] .

صفة أرض الجنة وبناؤها :

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ لما عُرج به إلى السماء قال : « ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المنْتَهَى ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيْهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُها المِسْكُ » . متفق عليه[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قلنا يا رسول الله الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمِلاطُهَا المسْكُ الأَذْفَرُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالياَقُوتُ ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلا يَبْأَسُ ، وَيخُلَّدُ وَلا يَمُوتُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُمْ». أخرجه الترمذي والدارمي بسند صحيح[1] .

وعن أبي سعيد ﷺ أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة ؟ فقال ﷺ: « دَرْ مَكَةٌ بَيْضَاءُ ، مِسْكٌ خَالِصٌ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٧٤/ ٢٢٠).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٣٧)، وابن ماجة برقم: (٤٢٨٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٢)، ومسلم برقم: (٢٦٣/ ١٦٣)واللفظ له.

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٢٥)، والدارمي برقم: (٨٠٣٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٣/ ٢٩٢٨).

صفة خيام أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[الرحمن: ٧٢] .

وعن عبد الله بن قيس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مجُوَّفَةٍ ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المؤْمِنُ ، فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً » . متفق عليه[1] .

سوق الجنة :

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونهَا كُلَّ جمُعَةٍ ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجمَالاً ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْناً وَجمَالاً ، فَيَقُولُ لهُمْ أَهْلُوهُمْ : وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجمَالاً ، فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجمَالاً » . أخرجه مسلم[2] .

قصور الجنة :

خلق الله ﷻ داخل مساكن وقصور الجنة ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

تفاضل أهل الجنة في القصور :

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإنسان:٢٠-٢١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨٧٩)، ومسلم برقم: (٢٣/ ٢٨٣٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣/ ٢٨٣٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المشْرِقِ أَوِ المغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ، قالوا يا رسول الله : تلك منازل للأنبياء لا يبلغها غيرهم قال : « بَلَى ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ » . متفق عليه[1] .

صفة غرف أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[العنكبوت:٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الزمر:٢٠] .

وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا ، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ ، وَصَلَى للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . أخرجه احمد والترمذي[1] .

صفة فُرش أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الواقعة:٣٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٥٦)، ومسلم برقم: (١١/ ٢٨٣١)، واللفظ له.

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٢٧)، وأحمد برقم: (١٣٣٧).

صفة البسط والنمارق :

قال الله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية:١٥ -١٦] .

وقال الله تعالى :﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن:٧٦] .

و« النمارق » . هي الوسائد ، و « الزرابي » . هي البسط .

صفة أرائك الجنة :

و الآرائك هي الأسرة عليها الكُلل ، أو الكراسي ذات الوسائد .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٢ -٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان:١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يس:٥٥-٥٦] .

صفة سُرر أهل الجنة :

قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر:٤٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور:٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الغاشية: ١٣] .

صفة أواني أهل الجنة :

قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة:١٧-١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان:١٥-١٧] .

وعن عبد الله بن قيس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيْهِمَا ، وَمَا بَيْنَ القَومِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ » . متفق عليه[1] .

صفة حُلي أهل الجنة ولباسهم :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣١]

وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان:٢١-٢٢]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٤٤)، ومسلم برقم: (٢٩٦/ ١٨٠)، واللفظ له.

أول من يُكسى في الجنة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « وإنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسَى يَومَ القِيَامَةِ إبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ » . أخرجه البخاري[1] .

صفات خدم أهل الجنة :

قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة:١٧-١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان:١٩] .

أول طعام يأكله أهل الجنة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ فقال : « زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبر من أحبار اليهود ، وفيه: فقال اليهودي: فَمَنْ أول الناس إجازة ؟ قال : « فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ » قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال: « زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ » فقال فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال: « يُنْحَرُ لَهُمْ ثَورُ الجَنَّةِ الَّذِي

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢٦).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٩).

كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا » قال : فما شرابهم عليه قال: « مِنْ عَيْنٍ فِيْهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً » . أخرجه مسلم[1] .

صفات طعام أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكۡوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ ﴾[الزخرف:٧٠-٧١] .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥ ﴾[الرعد:٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ ﴾ [الحاقة: ٢٤]

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ: « تَكُونُ الأَرْضُ يَومَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً ، يَتَكَفَّؤُهَا الجبَّارُ بِيَدِهِ ، كَمَا يَكْفَؤُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلاً لأَهْلِ الجَنَّةِ »، وفيه : فأتى رجل من اليهود فقال : أَلا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ ؟ قال : « إِدَامُهُمْ بَالامٌ وَنُونٌ ، قالوا : ومَا هَذَا ؟ قَالَ : « ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا » . متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ٣١٥) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٠/ ٢٧٩٢).

وعن جابر ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيْهَا ، وَيَشْرَبُونَ ، وَلا يَتْفِلُونَ ، وَلا يَبُولُونَ ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَمْتَخِطُون »، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال « جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيْحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن عتبة بن عبد السلمي ﷺ قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله أسمعك تذكر شجرة في الجنة لا أعلم في الدنيا شجرة أكثر شوكاً منها ، يعني الطلح ، فقال رسول الله ﷺ : « فَإِنَّ اللهَ يجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ المَلْبُودِ ، يعني المخصي ، فِيهَا سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الطَّعَامِ لا يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ الآخَرِ » . أخرجه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين بسند صحيح[2] .

صفات شراب أهل الجنة :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾ [الإنسان:١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٥ -٢٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ٢٨٣٥).

(٢) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم: (٤٩٢).

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[1] .

صفات أشجار الجنة وثمارها :

قال الله تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإنسان:١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المرسلات:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [ص: ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[محمد:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾[النبأ:٣١-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾[الرحمن:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الرحمن:٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الدخان:٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الواقعة:٢٧ -٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحاقة:٢٣-٢٤]

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٦١)، وابن ماجة برقم: (٤٣٣٤).

وعن مالك بن صعصعة ﷺ في قصة المعراج وفيه: أن النبي ﷺ قال: « وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالفُرَاتُ ». متفق عليه[1] .

وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيْرُ الرَّاكِبُ الجَوادَ أَو المضَمَّرَ السَّرِيعَ مائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا » . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ما فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[3] .

صفات أنهار الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [البروج:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٧)، واللفظ له ، و مسلم برقم: (٢٦٤/ ١٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٥٣)، ومسلم برقم: (٢٨٢٨)واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٢٥) .

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ في الجنَّةِ ، إذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ ، قُلْتُ : مَا هَذا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ » . أخرجه مسلم[2] .

صفة عيون الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحجر: ٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[الإنسان:٥-٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ٢٧ -٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ﴾[الرحمن:٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾[الإنسان:١٧-١٨] .

صفات نساء أهل الجنة :

قال الله تعالى :﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[آل عمران:١٥] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٨١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦/ ٢٨٣٩).

وقال الله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة:٣٤-٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الصافات: [الصافات: ٤٨-٤٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الواقعة:٢٢-٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الرحمن:٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[الرحمن:٧٠-٧٢] .

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لَرَوْحَةٌ في سبيلِ الله أو غَدْوَةٌ خير مِن الدنيا وما فيها ، ولَقابُ قوسِ أحَدِكم من الجَنَةِ ، أو موضِع قِيدٍ (يعني : سوطَهُ) خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو أنَ امرأة مِن أهلِ الجنَّةِ اطلَعَتْ إلى أهلِ الأرضِ لأضاءت ما بينهما ولملأتها ريحاً ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قال : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ ضَوْءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٩٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤٤).

السَّمَاءِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ثِنْتَانِ ، يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ » . متفق عليه [1] .

صفة عطر وروائح الجنة :

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم، ودرجاتهم، وأعمالهم

عن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قال : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ ضَوْءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَتْفُلُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأُلُوَّةُ ، وَأَزْوَاجُهُمْ الْحُورُ الْعِينُ ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، فِي طُولِ سِتِّينَ ذِرَاعًا » . متفق عليه[2] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: « مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» . أخرجه البخاري[1] .

وفي لفظ : « وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سبَعِين خَريفًا » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(:٣٢٤٥)، ومسلم برقم: (١٤/ ٢٨٣٤) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٧)، ومسلم برقم: (١٥/ ٢٨٣٤) واللفظ له.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١٦٦) .

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٦٨٧) ، والترمذي برقم: (١٤٠٣).

صفة غناء أزواج أهل الجنة :

عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَزْوَاجَ أَهلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْواتٍ مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطْ إِنَّ مِمَّا يُغَنِينَ به نَحْنُ الخَيْرَاتُ الحِسَانُ أَزْوَاجُ قَومٍ كِرَامٍ ، يَنْظُرَن بِقُرَةِ أَعْيَانٍ ، وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِينَ بِهِ نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَه ، نَحْنُ الآَمِنَاتُ فَلَا يخَفْنَه ، نَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَه » . أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح[1] .

متعة جماع أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ ﴾ [يس:٥٥-٥٦] .

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ ، وَالشُّرْبِ ، وَالشَّهْوَةِ ، وَالجِمَاعِ ، فقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ : فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ يَكُونُ لَهُ الحَاجَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عِرْقٌ يُفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمُرَ » . أخرجه الطبراني والدارمي بسند صحيح[1] .

دوام نعيم أهل الجنة :

إذا دخل أهل الجنة تلقتهم الملائكة ، و بشرتهم بما في الجنة من النعيم ، والخلود، بشرى لم يسمعوا بمثلها قط .

---

(١) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم: (٧٣٤).

(١) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم: (٥٠٠٧)، والدارمي برقم: (٣٠٣٣).

قال الله تعالى : ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد:٣٥] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يُنَادِي مُنَاد : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تحْيَوْا فَلَا تمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأعراف:٤٣]» . أخرجه مسلم(١) .

وعن جابر ﷺ قال: أَيَنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ ﷺ:« لا النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ » .

أخرجه البزار بسند صحيح(٢) .

درجات الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإسراء:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ [طه:٧٥-٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[الواقعة:١٠-١٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢/ ٢٨٣٧).

(٢) صحيح/ أخرجه البزار برقم: (١٠٨٧).

اللهَّ ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ ، قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهَّ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » . أخرجه البخاري[1] .

رفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل :

قال الله تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾[الطور:٢١] .

صفة ظل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [النساء:٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[الواقعة:٢٧-٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ ﴾[الإنسان:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾[الرعد:٣٥] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٤٢٣).

علو الجنة وسعتها :

قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية:٨-١١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١] .

أعلى منزلة في الجنة :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إِذا سَمِعْتُمْ المُؤَذّن فَقولُوا مثل مَا يَقُول، ثمَّ صلوا عَليّ، فإن من صلى علي صلاة صلى الله عَلَيْهِ بها عشرا، ثمَّ سلوا لي الوَسِيلَة فإنها منزلَة فِي الْجنَّة لَا تنبغي إِلَّا لعبد من عباد الله وَأَرْجُو أَن أكون أَنا هُوَ، فَمن سَأَلَ لي الْوَسِيلَة حلت لَهُ الشَّفَاعَة » . أخرجه مسلم(١) .

أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم منزلة :

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يجِيءُ بَعْدَمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ قَالَ : فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا يَكُونُ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ أَيْ رَبِّ ، فَيَقُولُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ هَذَا

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١/ ٣٨٤).

وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ هَذَا وَمَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، قَالَ مُوسَى : أَيْ رَبِّ ، فَأَيُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : إِيَّاهَا أَرَدْتَ وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعْتُ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بِشْرٍ، قال : ومصداقه في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] . » . أخرجه مسلم [1] .

وفي لفظ لبيان أعلى أهل الجنة منزلة : « فإن لَك مثلُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِها » . متفق عليه[2] .

أعظم نعيم أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تع الى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ : « أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهَّ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَّ ﷺ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهَّ ، قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ » . متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣١٢/ ١٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٥٧١)، ومسلم برقم(٣٠٨/ ١٨٦)، واللفظ له.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٣٩)، ومسلم برقم: (٢٩٩/ ١٨٢)، واللفظ له.

وعن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ! ، قَالَ : فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ » . أخرجه مسلم[1] .

صفات نعيم الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣ ﴾ [الزخرف:٦٩-٧٣]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ ﴾ [الدخان:٥١-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٧/ ١٨١).

خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان:١٢-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة:١٠-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة:٢٧-٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : « أَعددْت لعبادي الصَّالحِين مَا لَا عين رَأَتْ، وَلَا أذن سَمِعت، وَلَا خطر على قلب بشر ، ومصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] . » . أخرجه مسلم[1] .

ذكر وكلام أهل الجنة:

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢/ ٢٨٢٤).

وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣ - ٧٤]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس:٩-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة:٢٥-٢٦] .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ ، وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ » . أخرجه مسلم[1] .

سلام الرب على أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس:٥٧-٥٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ٢٨٣٥).

أفضل عطاء من الرب في الجنة :

عن ابي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ؟ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » . متفق عليه[1] .

مقدار أمة محمد ﷺ في الجنة :

أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعلهم شطر أهل الجنة ، ثم تفضل عليهم بالزيادة إلى الثلثين .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ في قبة ، فقال : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ » . فَقُلْنَا : نَعَمْ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَذَاكَ أَنَّ الجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤٩)، ومسلم برقم: (٩/ ٢٨٢٩) واللفظ له .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢٨) ، ومسلم برقم: (٣٧٧/ ٢٢١) واللفظ له.

وعن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَهْلُ الجنَّةِ عِشْرُونَ ومائة صف ، ثمانُون منْهَا من هذهِ الأمَّةِ ، وأربعُونَ من سَائِرِ الأمَمِ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح [1] .

صفات أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[البقرة:٢٨٢] .

وعن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ، ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن حارثة بن وهب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ قال: « أَلاَ أُخْبِرُكمْ بأَهْلِ الجنَّةِ ؟ قالوا:بَلَى، قال: كُلُّ ضعيفٍ مُتضعَّفٍ، لَوْ أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ ». متفق عليه[1] .

سلامة صدور أهل الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأعراف:٤٣].

وعن ابن سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقْتَصُّ لبَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٤٦) ، وابن ماجه برقم: (٤٢٨٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ٢٨٦٥).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩١٨)، ومسلم برقم: (٤٦/ ٢٨٥٣) واللفظ له.

الجَنَّةِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ محُمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا» . أخرجه البخاري[1] .

أكثر أهل الجنة :

عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » . متفق عليه[2] .

آخر من يدخل الجنة :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ ، وَآخِرُ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ ؛ رَجُلٌ يخْرُجُ حَبْوًا ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَرَى الجَنَّةَ مَلْأَى ، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ الجَنَّةُ مَلْأَى ، فَيَقُولُ : إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّارٍ». متفق عليه[1] .

اللهم أرض عنا، وعن والدينا ، وعن المسلمين والمسلمات أجمعين ، وأدخلنا برحمتك في جنات النعيم ، يا أكرم الأكرمين ، يا رب العالمين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤٦)، ومسلم برقم: (٩٤/ ٢٧٣٧) واللفظ له.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥١١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٠٨/ ١٨٦).

٢- صفة النار

النار هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمنافقين والعصاة في الآخرة ، وسنتحدث إن شاء الله تعالى عن النار دار البوار، وما فيها من أهوال، وألوان العذاب، ليكون ذلك باعثًا على الرهبة والفرار من النار ، واجتناب المعاصي والسيئات .

وإنما يحصل الفوز بالجنة، والنجاة من النار، بالإيمان والأعمال الصالحة، واجتناب الشرك والمعاصي، نسأل الله الفوز بالجنة والنجاة من النار، وسيكون الحديث عن النار على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.

أشهر أسماء النار :

النار واحدة في الذات ، متعددة الصفات ، ومن أشهر أسمائها :

أولًا : النار : قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء: ١٤].

ثانيًا : جهنم ، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[النساء: ١٤٠] .

ثالثًا : الجحيم ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾[المائدة:١٠] .

رابعًا : السعير ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾[الأحزاب:٦٤] .

خامسًا : سقر ، كما قال سبحانه : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾[القمر: ٤٨] .

سادسًا : الحطمة ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ﴾[الهمزة: ٤ – ٦]

سابعًا : لظى ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ ﴾[المعارج:١٥-١٧] .

ثامنًا : دار البوار ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ ﴾[إبراهيم: ٢٨-٢٩] .

مكان النار :

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ ﴾[المطففين:٧] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « وَأما الْكَافِر إِذا قبضت نَفسه ذهب بهَا إِلَى الأَرْض يَقول خَزَنَة الأَرْض مَا وجدنَا ريحًا أنتن من هَذِه فَتبلغ بهَا إِلَى الأَرْض السُّفْلى » . أخرجه الحاكم وابن حبان بسند صحيح[1] .

خلود أهل النار :

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار .

وأما عصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله ﷻ ، إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ، ثم أخرجهم :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٦٨ ﴾[التوبة:٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ ﴾[الأحزاب:٦٤-٦٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٧٣١)، والحاكم في المستدرك برقم: (١/ ٣٥١).

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢] .

صفة وجوه أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الزمر:٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾[عبس: ٤٠-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[القيامة:٢٤-٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾[الغاشية:٢-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[آل عمران:١٠٦-١٠٧]

عدد أبواب النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[الحجر:٤٣-٤٤] .

أبواب النار مغلقة على أهلها :

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ ﴾[الهمزة: ٤ – ٩]

مجيء النار في عرسات القيامة :

قال الله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[الشعراء:٩١] .

وقال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر:٢١ -٢٣] .

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يجُرُّونهَا» . أخرجه مسلم[1] .

ورود النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن ناسًا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ وفيه فقال : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يجُيزُ » . متفق عليه[2] .

قعر النار :

عن أبي هريرة ﷺ قال : كنا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ ؟ قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩/ ٢٨٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٣٧)، ومسلم برقم: (٢٩٩/ ١٨٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٣١/ ٢٨٤٤).

وعن سمرة بن جندب ﷺ أنه سمع نبي الله ﷺ يقول : « إِنَّ منْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُه إِلَى عُنُقِهِ » . أخرجه مسلم[1] .

عظمة خلق أهل النار :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرْسُ الْكَافِرِ ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ ، مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ » . متفق عليه[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ضِرْسُ الكَافِرِ يومَ القيامةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وعرض جلده سبعون ذراعًا ، وعضده مِثْلُ البَيْضَاءَ ، وَفَخْذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ ، ومقعده من النار ما بيني وبين الرَّبَذَةِ » . أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح[4] .

قوة حرارة النار :

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾[الإسراء:٩٧-٩٨] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا ، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ، قَالُوا : وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٢/ ٢٨٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٤/ ٢٨٥١).

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري برقم: (٦٥٥١)، ومسلم برقم: (٤٥/ ٢٨٥٢)واللفظ له ،.

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٢/ ٣٢٨ ، والحاكم برقم: ٤/ ٦٣٧.

قَالَ : فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ » . متفق عليه[2] .

وقود النار :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾ [البقرة:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ ﴾ [الأنبياء:٩٨] .

دركات النار :

النار دركات بعضها أسفل من بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، لغلظ كفرهم وتمكنهم من أذى المؤمنين سرًّا، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ ﴾ [النساء:١٤٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٥)، ومسلم برقم: (٣٠/ ٢٨٤٣)، واللفظ له.

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٦٠)، ومسلم برقم: (١٨٥/ ٦١٧) واللفظ له.

صفة ظل النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الواقعة:٤١-٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر:١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المرسلات:٣٠-٣١]

خزنة النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [المدثر:٢٦-٣١] .

ومالك خازن النار : كما قال سبحانه : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨]

بعث النار :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ ، قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ ، قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ

الوَاحِدُ ؟ قَالَ ﷺ : أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا » . متفق عليه[1] .

كيفية دخول أهل النارِ النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ ﴾ [الزمر:٧١-٧٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ٤١ ﴾ [الرحمن:٤١]

وقال الله تعالى : ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤ ﴾ [الفرقان:١١-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ﴾ [الهمزة: ٤ – ٦]

وقال الله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ ﴾ [الطور:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ ﴾ [إبراهيم:٤٩-٥٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٧٩/ ٢٢٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُوْلُ : إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ ، وَبِالمُصَوِّرِيْنَ » .
أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

أول من تُسعر بهم النار :

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقضى يومَ القيامةِ عليه رجل استُشْهِدَ ، فأتِي به ، فعرَّفه نِعَمَهُ ، فعرفَهَا ، قال : فما عمِلتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيكَ حتَى استُشْهِدتُ ، قال : كذبتَ ، ولكنَكَ قاتلتَ ، لأنْ يُقالَ : جرِيء ، فقد قيل ، ثم أُمِرَ به ، فسُحِبَ على وجهِهِ ، حتى أُلقِيَ في النَّارِ .

ورجل تعلَّمَ العلمَ وعلَمَهُ ، وقرأ القُرآنَ ، فأتِي به ، فعرَّفَهُ نِعمَهُ فعرَفَها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ .

قال : تعلَّمتُ العِلمَ وعلَّمتُه ، وقرأتُ فيك القرآنَ ، قال : كذبتَ ، ولكنَك تعلَّمتَ العلمَ ليُقالَ : عالمٌ ، وقرأتَ القرآنَ ليُقالَ : قارئ ، فقدْ قيلَ ، ثمَّ أُمِرَ به ، فسُحِبَ على وجهِهِ حتى أُلقيَ في النارِ .

ورجلٌ وسَّع اللهُ عليه ، وأعطاهُ من أصنافِ المالِ كلِّه ، فأُتِي به ، فعرَّفهَ نِعَمَهُ ، فعرَفَها ، قالَ : فما عمِلتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنفقَ فيها إلا أنفقتُ فِيهَا لك ، قالَ : كذبتَ ، ولكنَّكَ فعلتَ ، ليُقالَ : هو جَواد ، فقدْ قيل ، ثمَّ أُمِرَ به فسُحبِ على وجهِهِ حتَّى أُلقيَ في النَّارِ » .
أخرجه مسلم[2] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٧٤)، وأحمد برقم: (٥١٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة:٦٨] .

وعن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا ، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ » . أخرجه مسلم[1] .

أكثر أهل النار :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « أريت النار وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا اَلنِّسَاءَ قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اَللَّهِ؟ قَالَ : بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاَللَّهِ ، قَالَ : "يَكْفُرْنَ اَلْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ اَلْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ اَلدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » . متفق عليه[2] .

أشد أهل النار عذابًا :

قال الله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ق:٢٤-٢٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ٢٨٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧/ ٩٠٧).

وقال الله تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل/ ٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم:٦٨-٧٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُوْلُ : إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ ، وَبِالمُصَوِّرِيْنَ » .

أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح(١) .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أشد الناسِ عَذابًا يوم القيامة المُصَورون » . متفق عليه(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنْ المُمَثِّلِيْنَ » .

أخرجه أحمد والطبراني بسند جيد(٣) .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٧٤) ، وأحمد برقم: (٥١٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠) ، ومسلم برقم: (٩٨/ ٢١٠٩)واللفظ له.

(٣) سنده جيد/ رواه الطبراني برقم: (٥٢١)، وأخرجه أحمد برقم: (١/ ٤٠٧).

أهون أهل النار عذابًا :

عن النعمان بن بشير ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جمْرَتَانِ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ » . متفق عليه(١) .

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » . أخرجه مسلم(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِي مِنْهُ أم دِمَاغُهُ » . متفق عليه(٣) .

ما يقال لأهون أهل النار عذابًا :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ ﴾ [المائدة:٣٦] .

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي » . متفق عليه(٤) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٦٢)واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٢٣/ ٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٦٢/ ٢١٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٦٤)واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٣٦٠ / ٢١٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٨٠٥).

سلاسل جهنم وأغلالها :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ [الإنسان:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾ [غافر:٧٠-٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣﴾ [المزمل:١٢-١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾ [الحاقة:٣٠-٣٤] .

صفة طعام أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦﴾ [الدخان:٤٤-٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾ [الصافات:٦٢-٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾ [الغاشية:٦-٧] .

وقال الله تعالى عن الكافر : ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾ [الحاقة:٣٥-٣٧] .

صفة شراب أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾[إبراهيم: ١٥-١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ص:٥٥-٥٨] .

صفة ثياب أهل النار :

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾[الحج: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾[إبراهيم: ٤٩ -٥٢] .

فرش أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾[الأعراف:٤١] .

حسرة أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة:١٦٧] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « لا يَدْخُلُ أحَدٌ الجَنَّةَ إلا أُرِيَ مقعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أساءَ ؛ لِيزْدَادَ شُكْراً ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ أحَدٌ إلا أُرِيَ مَقْعدَهُ مِنَ الجنَّةِ لوْ أحْسَنَ ؛ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : ، فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي » . متفق عليه[2] .

كلام أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف:٣٨-٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ [العنكبوت:٢٥] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٥٧)، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٨٠٥) واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفرقان: ١٤] .

أصناف المعذبين في النار :

أولًا : الكفار والمنافقون .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة:٦٨] .

ثانيًا : قاتل النفس المعصومة عمدًا إذا لم يتب .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » .

أخرجه البخاري[1] .

ثالثًا : الزناة والزواني .

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم الرؤيا ، وفيه أنه قال ذات غداة إنه آتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثان وإنهما قالا لي : فَقَالَا لي انطلق فَانْطَلَقْنَا فأتينا على مثل التَّنور فَإِذا فِيهِ لغط وأصوات فاطلعنا فِيهِ فَإِذا فِيهِ رجال وَنسَاء عُرَاة فَإِذا هم يَأْتِيهم لهَب من أَسْفَل مِنْهُم فَإِذا أَتَاهُم ذَلِك اللهب ضوضؤوا ، قال : قلت لهما : ما هؤلاء وفيه ؟ ، فقال : وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فَهُمُ الزُّنَاةُ والزواني » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٩١٤).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٧).

رابعًا : آكل الربا .

في حديث سمرة بن جندب ﷺ السابق قال الرسول ﷺ : « فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ، وَرَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا : والذي رأيته في النهر آكل الرِّبَا » . أخرجه البخاري[1] .

خامسًا : المصورون .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن عائشة رضي الله عنه قالت : « دَخَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ الله ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيْهِ تمَاثِيْلُ ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ الَّذِيْنَ يُضَاهُوْنَ بِخَلْقِ الله ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ » . متفق عليه[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ صَوَّرَ صُوْرَةً فِي الدُّنْيَا ؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوْحَ يوم القيامة وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ٢١١٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٤)، وأخرجه مسلم برقم: (٩٢/ ٢١٠٧) واللفظ له

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(٥٩٦٣)، وأخرجه مسلم برقم: (١٠٠/ ٢١١٠)واللفظ له

سادسًا : آكل مال اليتيم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾[النساء:١٠] .

سابعًا : أهل الغيبة والكذب والنميمة .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ ﴾[الواقعة:٩٢-٩٥] .

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر وفيه، فقلت: يَا نَبِيَّ اللهَّ، وَإِنَّا لمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[1].

ثامنًا : الذين يكتمون ما أنزل الله .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾[البقرة:١٧٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦١٦)، وابن ماجة برقم: (٣٩٧٣).

تخاصم أهل النار مع بعضهم :

أولًا : مخاصمة العابدين لمعبوديهم .

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [غافر:٤٧-٤٨] .

ثالثًا : تخاصم الأتباع مع قادة الضلال .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الصافات:٢٧-٣٣] .

رابعًا : تخاصم الكافر، وقرينه الشيطان .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق:٢٧-٢٩] .

ويبلغ الأمر أشده عندما يخاصم الإنسان أعضاءه : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن

يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[فصلت: ١٩-٢١] .

طلب أهل النار رؤية من أضلوهم، وتضعيف العذاب عليهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[فصلت:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾[الأحزاب:٦٦-٦٨] .

خطبة إبليس في أهل النار :

إذا قضى الله الأمر ، وفصل بين العباد، خطب إبليس في أهل النار، ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

[إبراهيم:٢٢] .

طلب النار المزيد :

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[ق:٣٠] .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ أنه قال : « لَا يزَال يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مزِيد ؟ حَتَّى يضع فِيهَا رَبُّ الْعَالمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضهَا إِلَى بعض

ثمَّ تَقول: قط قط، بعزتك وكرمك، وَلَا تزَال الْجنَّة تفضل حَتَّى ينشئ الله لهَا خلقا فيسكنهم فضل الْجنَّة » . متفق عليه[1] .

أنواع عذاب أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَۖ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم:٦٨-٧٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٨٤)، ومسلم برقم: (٣٨/ ٢٨٤٨) واللفظ له.

وقال لله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [النبأ:٢١-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الملك:٦-٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القمر:٤٧ -٤٨] .

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة: ٤ – ٩]

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول ﷺ يقول : « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ ، أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ ؟ ، قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » . متفق عليه[1] .

بكاء أهل النار وصراخهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة:٨١-٨٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٩٨٩).

وقال الله تعالى عن أهل النار : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[فاطر:٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾[الفرقان:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الفرقان:٢٧]

وقال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[البقرة:١٦٧] .

دعاء أهل النار :

إذا دخل أهل النار فيها، وأصابهم العذاب الشديد، استغاثوا ونادوا لعلهم يجدون من يغيثهم ويجيبهم ، فينادون أهل الجنة، وخزنة النار، ومالك خازن النار ، وينادون ربهم فلا يُجابون إلا بما يزيد حسرتهم ، ثم يفقدون الأمل ويأخذون في الزفير والشهيق : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأعراف:٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[غافر:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[الزخرف: ٧٧-٧٨]

وقال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[المؤمنون: ١٠٦ – ١١٠] .

فإذا فقد أهل النار الأمل في الخروج من النار، ويئسوا من أي خيرٍ ، أخذوا في الزفير والشهيق كما قال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود:١٠٦-١٠٧] .

عياذً بالله من غضب الله وسخطه وعقوبته ، اللهم ارزقنا الجنة وأجرنا من النار ، أنت مولانا فنعم المولى، ونعم النصير .

ميراث أهل الجنة منازل أهل النار في الجنة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا لَهُ مَنْزِلانِ؛ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ وذلك قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون:١٠-١١] » أخرجه ابن ماجه[1] .

خروج عصاة الموحدين من النار :

عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٢/ ٤٥٨).

أَبْوَابِ الجَنَّةِ قَالَ : فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً » . متفق عليه[2] .

أشد عذاب أهل النار :

أفضل نعيمٍ في الجنة فرح المؤمنين وسرورهم برؤية ربهم، ورضاه عنهم، كما قال سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وأشد عذاب أهل النار حجاب أهل النار عن رؤية ربهم، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾[المطففين:١٥-١٦] .

خلود أهل الجنة والنار :

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٧/ ٤٣٢٤) ، وأخرجه أحمد برقم: (٣/ ٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٢٥/ ١٩٣).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ [النساء:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ ﴾ [المائدة:٣٦-٣٧] .

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ قال: « إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ » . متفق عليه[1] .

أكثر أهل الجنة والنار :

الرجال في الجنة أكثر من النساء، والنساء في النار أكثر من الرجال، والحور أكثر من الرجال في الجنة .

عن ابن عمر ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: « اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاء » . متفق عليه[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « أُرِيْتُ النَّارَ ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ، قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِالله ؟ ، قَالَ : يَكْفُرنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيئاً ، قَالَتْ : مَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤٨) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٣/ ٢٨٥٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤٦)، ومسلم برقم: (٩٤/ ٢٧٣٧) واللفظ له.

رَأَيْتُ مِنْكَ خَيراً قَطُّ » . متفق عليه[1] .

وعن عمران ابن حصين ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إن أَقل سَاكنِي الجنة النِسَاءِ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن ابن هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إنّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لا يَبُولُونَ ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَتْفِلُونَ ، وَلا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ ، وَمجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيْهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ » . متفق عليه[3] .

حجاب الجنة والنار :

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ » . متفق عليه[4] .

قرب الجنة والنار :

عن عبد الله ابن مسعود ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، والنار مثل ذلك » . أخرجه البخاري[5] .

احتجاج الجنة والنار ؛ وحكم الله بينهما :

عن أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « تحَاجَّتِ النَّارُ ، وَالجَنَّةُ ، فَقَالَتِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧/ ٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٥/ ٢٧٣٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٧)، ومسلم برقم: (١٥/ ٢٨٣٤) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٨٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١/ ٢٨٢٢).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٨٨).

النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالمُتَكَبِّرِينَ ، وَالمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ : فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ ، وَسَقَطُهُمْ ، وَعَجَزُهُمْ ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا » . متفق عليه[1] .

اتقاء النار وطلب الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣١ -١٣٢] .

وعن عدى أبن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ ذكر النار فأشاح بوجهه وتعوذ منها ، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها ثم قال : « اتّقُوا النّارَ ولَو بشِقّ تمَرَة فمَن لم يجِدْ فبكَلِمةٍ طيبة » . متفق عليه[2] .

وعن أبى هريرة ﷺ إن رسول الله ﷺ قال : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِّ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى » . متفق علَيه[3] .

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قولٍ أو عمل ، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قولٍ أو عمل: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:٥٣] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨٥٠)، وأخرجه مسلم برقم: (٣٥/ ٢٨٤٦) واللفظ له

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٨/ ١٠١٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٢/ ١٨٣٥).

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].
﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر:١٠] .

اللهم يا من بدأ خلقي، وساق إلى رزقي، وشق سمعي وبصري، ارحم ضعف بدني، وشدة فاقتي، يا أرحم الرحمين .

اللهم يا كريم يا رحمن يا رحيم ارحم وجوهًا خرت لعظمتك ساجدة، و ألسنةً نطقت بتوحيدك وذكرك، ولهجت بحمدك وشكرك، وقلوبًا ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة .

وعقولًا تصاغرت لكبريائك خائفة ، وعيونًا من خشيتك باكية وجوارحًا سعت إلى أماكن عبادتك طائعة، يا واسع الرحمة، يا سريع الرضا، يا مجيب الدعاء .

اللهم يا مالك الملك العظيم نحن عبادك الضعفاء نسألك ألا تحرق أبداننا بنار السموم، ولا تسلط نار جهنم على وجوهنا ، يا رب العالمين، يا أرحم الراحمين، يا راحم المساكين ، ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل، وأجرنا من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل .

اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء ، وبعظمتك التي ذل لها كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء أن تنصر دينك، وكتابك، وسنة نبيك، وعبادك المؤمنين، وأن ترزقنا الجنة، وتنجينا من النار، يا أكرم الأكرمين .

٣- فقه الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

وأصحاب العقول والفطر السليمة يؤمنون أن هذه الحياة الدنيا لا يمكن أن تبلغ فيها الإنسانية كمالها وسعادتها ، ولا يمكن أن يبلغ فيها العدل تمامه، مهما اجتهد الناس في العدل والفضائل .

بل لابد من حياة أخرى يتحقق فيها الكمال المقدر للإنسان والعدل المطلق على الأعمال ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، فليس الموت هنا هو نهاية المطاف ، بل إن الموت ما هو إلا مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان ؛ فقد كان في عالم الغيب قبل أن يستقر في رحم أمه ، ثم انتقل إلى عالم الشهادة في الدنيا ، ومنها إلى رحم الأرض في القبر ، ثم الانتقال إلى عالم الغيب عند قيام الساعة وهناك يستقر في دار القرار، في الجنة أو النار .

وعلم الساعة غيبٌ من جملة الغيب ، الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه لا ملك مقرب ، ولا نبيٌ مرسل ، ولا ذكيٌ فطن، ليبقى الناس من الساعة على حذر دائم، وتوقع دائم، واستعداد كامل، لاتخاذ الزاد المناسب ليوم القيامة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات:٤٢ -٤٦] .

ومن رحمة العزيز الرحيم أن وضع لها أمارات ، وعلامات تدل على قرب حدوثها تذكيرًا بليغًا مُشاهدًا للعباد، مؤذنًا بدنوها ، ودعوة لهم للتأهب لما بعد الموت بالإيمان والعمل الصالح .

وبقيام الساعة ينتهي عالم الشهادة الحاضر ، ويبدأ يوم القيامة بكل أهواله ، فالساعة هي موعد الحكم العدل بين الخلق ، والموعد المرتقب للجزاء الكامل على الأعمال: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[طه:١٥ - ١٦] .

ولا ريب في وقوع الساعة ومحاسبة الخلق كما أكده سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[التغابن:٧] .

وفى قوله : ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[غافر: ٥٩] .

وقد بين الله ﷻ أن وقت قيام الساعة قريبٌ، لنستعد لها بطاعة الله ورسوله كما قال سبحانه : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[القمر:١] .

ولقربها الشديد أخبر الله تعالى عنها كأنها قد وقعت فقال : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾[النحل:١] .

وقال النبي ﷺ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » . متفق عليه[1] .

وما بقى من الزمن بعد بعثة النبي ﷺ بمقدار ما تزيد الأصبع الوسطى عن السبابة ، ولكن مقياس الزمن عند الله فلا نستعجل، فكل آتٍ قريب : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الحج:٤٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٤)، ومسلم برقم: (١٣٣/ ٢٩٥١)، واللفظ له ،

والساعة جزءٌ من أربعة وعشرين جزءاً من الليل أو النهار، وجمعها ساعات، هذا هو المعروف عُرفًا .

والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت بذلك لقربها، وسرعة الحساب فيها .

والساعة تطلق على ثلاث معاني :

الأولى : الساعة الصغرى ، وهى موت الإنسان ، فمن مات فقد قامت قيامته .

الثانية : الساعة الكبرى ، وهى القيامة الكبرى التي يُبعث فيها الناس من قبورهم للحساب والجزاء ثم القرار في دار القرار في الجنة أو النار .

الثالثة : الساعة تطلق أحيانًا ويراد بها موت أهل القرن الواحد .

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : الإيمان بأن اليوم الآخر لابد كائن .

الثاني : الإيمان بما سيكون في هذا اليوم العظيم من الأهوال ، والحساب والموازين ، والصراط والحوض ، والجنة والنار .

الثالث : الإيمان بما سيكون في القبر من فتنة القبر ، وسؤال الملكين الميت عن ثلاثة أشياء :

من ربك ؟ .. وما دينك ؟ .. من نبيك ؟ .

والساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، فيقُبض الصالحون الأمثل فالأمثل ، حتى ينعدم أصل التوحيد في العالم ؛ ولا يقال في الأرض الله الله ، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى ، ويصبحون عبيدًا لشهواتهم، ويتلاعب بهم الشيطان، ثم يأمرهم بعبادة الأوثان ، والتسافد في الطرقات ، فالساعة تقوم

على شرار الخلق .

أما أهل الإيمان فتأتى ريح تهب عليهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ، ويحُشر الناس إلى ربهم في يوم القيامة.

صفة الحشر يوم القيامة:

الحشر على قسمين :

أحدهما: حشر المؤمنين .

الثاني: حشر الكافرين .

حشر المؤمنين : يحشر المؤمنون إلى ربهم وفداً مكرمين : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم:٨٥] .

ويحشر الكفار إلى نار جهنم ، ويحشر الكفار على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا في مبدأ الأمر، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[الإسراء:٩٧] .

ثم يرد الله على الكفار سمعهم وأبصارهم ونُطقهم زيادة في عذابهم فيرون النار كما قال سبحانه : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الكهف:٥٣] .

ويتكلمون، كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[السجدة:١٢] .

وبعد الحشر يكون الحساب، فقد جعل الله الدنيا دار الإيمان والعمل ، وجعل الآخرة دار الجزاء والحساب ، والله وحده مالك يوم الدين ؛ إذ لابد من يوم يظهر الله فيه عدله في التفريق بين المحسن والمسيء ، وبين المطيع والعاصي ، وبين المؤمن والكافر ، وبين الظالم والمظلوم ، وذلك هو يوم

البعث والجزاء، يوم العدل الذي يحكم الله فيه بين العباد فلا ظلم ولا جور :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٣١﴾ ﴾[النجم:٣١] .

ومن سلط الظالم على المظلوم وآذن له ثم إنه لا ينتقم منه، فذلك أما للعجز أو للجهل أو لكونه راضيًا بذلك الظلم ، وهذا كله محُالٌ في حق الله جل جلاله ، فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين ويجازى المحسن على إحسانه ، ويحاسب المسيء على إساءته ، فلما لم يحصل ذلك في الدنيا ؛ وجب أن يحصل في الدار الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم:٣٥-٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم:٤٢] .

و هل عرفت أحدًا غير الله خلقك ؟ : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر:٦٢] .

هل عرفت أحدًا غير الله ينعم عليك ويرزقك ؟ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

هل عرفت أحدًا غير الله هداك ؟ : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[الأنعام:١٦١] .

والله الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه، لو عرفت أحداً قادراً على عقوبتك لما عصيته ، والله سبحانه عليمٌ بكل شيء ، قديرٌ على كل شيء ، يسمع كل

شيء ، ويرى كل شيء ، وأنت عبده تحت قدرته وتصرفه ، وهو عليمٌ بك لا يخفى عليه شيء من أمرك ولا شأنٌ من شئونك : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣-١٤] .

فيا أيها الإنسان الغافل لو حذرك الطبيب من أكله تحبها ؛ فإنك سوف تمتنع عنها حفاظاً على صحتك ، فهل يكون الطبيب أصدق وأرحم عندك من الله : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] .

فما أجهل وما أسفه من لم يؤمن بالله، ولم يؤمن باليوم الآخر : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾[المؤمنون:٧٤] .

والإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله ، فمن آمن باليوم الآخر آمن بأنه سوف يقف بين يدي الله يوم القيامة ، سيقف بين الذي خلقه ورزقه ، وهداه وأسكنه في ملكه، وأطعمه من رزقه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وسوف تُسأل أيها الإنسان عن كل شيء فعلته لمَ فعلته؟، وعن كل شيء لمَ تفعله لمَ لم تفعله؟: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] .

ماذا سمعت؟، وماذا رأيت ؟، وماذا أعطيت؟، ولما أعطيت ؟ ماذا أجبتم المرسلين ؟ وماذا كنتم تعبدون ؟ .

ماذا قلت ؟ فإذا تيقنت أن الله سوف يسألك، وسوف يحاسبك، وسوف يثيبك أو يعاقبك حسب عملك ، فإنك لابد أن تستقيم على أوامر الله ، وتُخلص عملك لله، لتنال ثوابه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

والكفار ليس لهم همٌ إلا الدنيا، ولا شأن لهم بالآخرة ، فهمهم في الدنيا الغنى والجاه والمناصب ، لماذا ؟ لأنهم لا يعرفون الآخرة، ولا يؤمنون بها لذا يقولون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون:٣٧] .

إنهم يعصون الله، ويتمرغون في الشهوات فقط لماذا ؟: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾[النبأ:٢٧] .

فيا أيها المسلم احذر أن تكون كالكفار الذين لا يرون إلا الدنيا ، لا يرون إلا المال ، لا يرون إلا التمرغ في الشهوات المختلفة في كل وقت : ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[الروم:٧] .

والمصيبة أن الشيطان غر أكثر المسلمين وجرهم إلى حياة الشهوات والبهائم ، وزهدهم في الآخرة : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ:٢٠] .

والدنيا محسوسة نراها بالحواس الخمس :

السماء والأرض ، والشمس والقمر ، والنبات والحيوان والإنسان ، والجبال والبحار ، وكلها آيات : ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الذاريات:٢٠ -٢٢] .

ومن تفكر في هذه المخلوقات وصل إلى ربه الذي خلقها: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق: ٦ – ٨]

أما الآخرة فهي خبرٌ ورد في القرآن ، وهى من علم الغيب ، فالمؤمن انتفع بالمحسوسات، وآمن بالخبر عن الغيب، والكافر يعيش في الدنيا ولا يؤمن بالآخرة : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[التغابن:٧] .

كيف يدخل الإيمان في القلب:

يدخل الإيمان إلى القلب من ثلاثة أبواب ، أو من أحدهما :

باب المحسوسات .. وباب المعقولات .. وباب الإخباريات .

فأولاً : الأشياء المادية التي ظهرت عينها، وظهرت آثارها، دائرة الإيمان بها الحواس الخمس كالشمس والقمر ، والجبال والأشجار و غيرها من الأشياء المحسوسة ، فهذه تُدرك كُلها بالحواس الخمس ، والنظر والتدبر فيها من أعظم وسائل الإيمان، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية:١٧ -٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

ثانيًا : الأشياء التي غابت عينها، وبقيت آثارها ، أداة الإيمان بها العقل ، ومهمة العقل أن يرى أو يسمع شيئًا محسوسًا ، ثم يحكم على صانعه كالبناء يدل على الباني ، فيرى المحسوس، ويستنبط منه شيئًا غائبًا عنه .

فالأثر يدل على المؤثر ، والصور تدل على المصور ، والخلق يدل على الخالق ، والنعم تدل على المُنعم وهكذا ، والله سبحانه لا يُرى وهو يرى كل شيء من مخلوقاته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

فالله سبحانه لا تُرى ذاته ، ولكن نرى آياته ومخلوقاته، ونرى آثار أفعاله .

فالمخلوقات كلها تدل على الخالق ، والنعم كلها تدل على المُنعم ، والصور تدل على المُصور ، فكل الكون أثرٌ من أفعال الله ﷻ، فيمكن أن تؤمن بالله بعقلك: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق: ٦ – ٨] .

فخلق الله في الإنسان العقل، ليكون أداة للإيمان بالله ، فالكون كله يدلك على الله الذي خلقك ، فإذا أعملت عقلك في الكون قال لك العقل : لابد لهذا الكون من مُكون ، ولابد لهذا الخلق من خالق وهنا انتهى دور العقل : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة / ١٦٤] .

ثالثًا : الشيء الذي غابت عنك عينه، وغابت عنك آثاره ، فأداة الإيمان به هو الخبر الصادق عن الله ورسوله كأخبار اليوم الآخر والجنة والنار، فالقرآن أخبرك عن اليوم الآخر، والوعد والوعيد ، فكل شيءٍ عجز عنه العقل أخبرك الله به بالنقل والوحي : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾[البقرة: ٢ – ٣] .

فالإيمان باليوم الآخر إيمانٌ إخباري ، والإيمان بالله ورسوله إيمانٌ عقلي ، والإيمان بالله عن طريق الأشياء إيمانٌ حسي .

والحقيقة أن الإيمان بالآخرة إيمانٌ إخباري وعقلي ، ففي هذه الدنيا الحظوظ موزعة بين الناس فشقيٌ وسعيد ، وغني وفقير ، وظالمٌ ومظلوم ، فالعقل يقول : لابد من يوم يُثاب فيه المُحسن على إحسانه ، ويُعاقب الظالم على ظلمه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم:٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦] .

وأعقل الناس من جعل له في الآخرة مُلكًا ينعم به، في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

أعقل الناس من عمر دنياه بما يحبه الله ويرضاه ، فإذا قدم على ربه وجده ولقاه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن:٧] .

والدنيا دار الإيمان والعمل ، و الآخرة دار الثواب والعقاب ، فالآخرة خافضة رافعة : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الواقعة:١ -٣] .

والدنيا دار تكليف ، و الآخرة دار تشريف ، والدنيا دار تكميل محبوبات الرب من الإيمان، والتقوى، وأنواع العبادات والطاعات ، و الآخرة دار تكميل محبوبات العبد من رؤية الرب، والقرب منه، وسماع كلامه، وأنواع الشهوات في الجنات .

إن الجسد وعاءٌ للنفس التي تسعد إذا آمنت وتشقى إذا كفرت ، أما الروح فهي أداة تشغيل هذا الإنسان إذا وجدت في الجسم نطق اللسان وسمعت الأذن، وتحركت اليد، وأبصرت العين ، فإذا خرجت تعطلت هذه الأجهزة عن العمل فمات الإنسان ، وصار مجموعة من اللحم الذي يتعفن إن لم يُدفن : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١] .

ففي الإنسان نفسٌ هي الخالدة التي تسعد بالإيمان بالله ، وتشقى بالكفر والبعد عن الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

أما الأجسام فهي أوعية تتشابه ، فجسد النبي كجسد فرعون ، وجسد المؤمن كجسد الكافر، من ناحية أعضاء الجسد ، فالتشابه موجود ، يدٌ كيد ، ورجلٌ كرجل ، ووجهٌ كوجه ، فالأجساد البشرية متشابهة ؛ لأنهم بنو رجلٌ واحد، وامرأةٌ واحدة .

والذي يميز بين النبي وفرعون ، وبين المؤمن والكافر، هو الإيمان والتقوى ، والذي يميز بين النبي وفرعون أن نفس النبي ﷺ آمنت بالله، وعرفت الله وتزكت بعبادة الله، واتصفت بالصفات التي يحبها الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

أما نفس فرعون ، فنفسه بعيدة عن الله ، وانقطاعها عن ربها جعلها تسفُل وتشقى، وتتألم وتتعذب، ونفس النبي علت وسعُدت بإيمانها بالذي خلقها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴿٥﴾ ﴾[الفجر:٢٧-٢٨] .

أما الكافر فشقي بكفره؛ لأنه لم يستعمل ما وهبه الله من آلاتٍ يعرف بها ربه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

والروح من عالم الغيب لا يعلم ماهيتها إلا الله، ولكن تُعرف آثارها: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

والنفس البشرية هي التي تُحاسب يوم القيامة على ما تعمل وتختار : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال الله تعالى:﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

والدنيا فيها للإنسان عدة خيارات : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[الكهف:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:١-٣] .

فإذا مات الإنسان فليس هناك في الآخرة إلا جنة أو نار.

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة: ١٨ – ٢٠] .

فليس من بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، وكل مسلم يدخل المسجد طول عمره ليصلي ، وسوف يدخل يومًا من الأيام ، مرَّة واحدة ليصلى عليه ، وهناك تبدأ أحكام الدار الآخرة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥] .

ومن مات فقد قامت قيامته ، وبدأت في حقه أحوال الآخرة في القبر من نعيم أو عذاب ، فالقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

واليوم الآخر يبدأ لكل إنسان من حين موته ، فمن مات فقد قامت قيامته ، وينتهي بالاستقرار في الجنة أو النار حسب إيمان الإنسان أو كفره : ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى:٧] .

ويبدأ اليوم الآخر بفناء هذا العالم بنفخة إسرافيل : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر:٦٨] .

ثم بعد الحساب يكون القرار في دار القرار: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤ – ١٦] .

٤- براهين البعث

ذكر الله في القرآن الكريم أربعة براهين تدل على بعث الإنسان بعد الموت وهى مذكورة في سورة البقرة وهى كالتالي :

١- برهان بدأ خلق الإنسان .

٢- وبرهان خلق السموات والأرض .

٣- وبرهان إحياء الأرض بعد موتها .

٤- وبرهان إحياء بعض الأموات في الدنيا والناس ينظرون .

وتكرر هذا في سورة البقرة خمس مرات :

أولًا : برهان بدأ خلق الإنسان .

فالذي خلقه أولًا قادرٌ على إعادته ثانيًا: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم:٦٦ -٦٧]

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس:٧٧-٧٩]

الثاني : برهان خلق السماوات والأرض .

فمن خلق هذه الأجرام العظيمة، قادرٌ على إعادة هذا الإنسان الضعيف المسكين، كما قال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف:٣٣] .

الثالث : برهان إحياء الأرض بعد موتها .

فمن أحيا الأرض بعد موتها ، فأنبتت من كل زوجٍ بهيج ، قادر على إحياء الإنسان بعد الموت ، كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت:٣٩] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج:٥-٧]

الرابع : برهان إحياء بعض الأموات .

وقد ورد في خمسة مواضع من سورة البقرة ، فمن أحيا نفسًا في الدنيا بعد أن ماتت، قادرٌ على أن إحياء جميع الأنفس في أي وقت ، وهذه المواضع :

أولًا : بعث بني إسرائيل بعد موتهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦] .

ثانيًا : قتيل بني إسرائيل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة:٧٢-٧٣] .

الثالث : الألوف الذين خرجوا خوفًا من الطاعون من بني إسرائيل ، فأماتهم الله ثم أحياهم ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو

فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة:٢٤٣]

الرابع : عزير وحماره ، كما قال سبحانه : ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٩] .

الخامس : طيور إبراهيم ﷺ التي أحياها الله بعد موتها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٠] .

٥- آثار الإيمان باليوم الآخر

من آمن بالله واليوم الآخر أطاع ربه فيما أمر به ، واجتنب ما نهى الله عنه : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة:١٨] .

والذي يكذب باليوم الآخر لا يخرج منه خير : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون:١-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال:٣٦].

وقد أكثر الله ﷻ من ذكر الإيمان باليوم الآخر لعظمة هوله ، وأنه مستقر الخلق إما في النعيم أو العذاب ؛ ولأن من آمن به سارع إلى الطاعات، وابتعد عن المعاصي ؛ ولأن الكفار كانوا ينكرون البعث بعد الموت، فكرر الله ذلك في القرآن ، وكرره ليؤكد وقوعه :﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية:٢٤] .

وقال الكفار: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق:٣] .

وكذا أهل الكتاب يؤمنون باليوم الآخر ، ولكن تصوراتهم عنه غير صحيحة ، ففصل الله أحوال اليوم الآخر ، واليهود ، والنصارى أسقطوا من التوراة والإنجيل كل ما يتعلق باليوم الآخر ، فجاء القرآن ببيان كل ما يجري في ذلك اليوم من البعث والحساب والجزاء والصراط وغير ذلك .

ولأن النصارى يؤمنون بأن المسيح عيسى بن مريم هو الذي يحاسب الناس ، ولأن إنكار البعث شائعٌ في الأمم السابقة فأكثر الله من ذكر البعث ، وفصل أحواله من أجل ذلك : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

ولكثرة نسيان الخلق للموت وما بعد الموت، أكثر الله ﷻ من ذكره ليتذكر الناس الموت ، ويقوموا بالمسارعة إلي الطاعات، وكسب الحسنات، والحذر من المعاصي ، فالحياة ساعة، وكل إنسانٍ يصبح على ظهر الأرض، ويمسي في بطنها : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾[النازعات:٤٦] .

ولا تكاد سورةٌ ، أو صفحةٌ في القرآن إلا ذكر الله فيها اليوم الآخر ، ويقرنه كثيرًا بالإيمان بالله، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء:٨٧] .

وليس مع من أنكر البعث ، واليوم الآخر، أي دليلٌ سوى قصور عقله، وجهله بربه، وسفاهته ، فأنى للجاهل الفاني ، أن يحيط بقدرة الملك ، الحكيم ، القادر، فماذا قال الكافر ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس:٧٧-٨٣] .

والإيمان باليوم الآخر دل عليه القرآن والسنة ، والعقل والفطرة والحس: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج:٥-٧] .

فسبحان القادر على خلق الصغير والكبير ، وإخراج الضد من الضد ، وإعادة ما شاء، متى شاء مرةً أخري: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم: ٢٧] .

فما أجهل الكافر بقدرة الله القوي الجبار : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الرعد:٥] .

والله سبحانه رءوفٌ بالعباد، لا يترك الناس هملاً يفعلون ما يشاؤون من خير أو شر، ويظلم بعضهم بعضًا، ثم لا يحاسبون، ويبقون في هذه الدنيا كالبهائم بلا حدٍ ولا قيد، ولا أمرٍ ولا نهي، هذا ينافي حكمة الله العزيز الحكيم، وينافي عدله ، وإحسانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون : ١١٥] .

وقد نزه الله نفسه أن يخلق خلقه هكذا هملًا : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١١٦] .

وقد وصف الله الجنة، وأكثر من وصفها، ليُقبل الناس على الطاعات، وينفروا من المعاصي ، وصف الله الجنة بالعلو والصفاء، والسرور والفُسحة، والسلام والسعادة ، وحضور الملائكة المقربين ، والخلود والنعيم ، وغير ذلك من صفات الكمال والعزة ،كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ

كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين:١٨-٢٦] .

ووصف الله النار بالسفول، والظُلمة والضيق، ودار اللعنة والشقاء، وحضور إبليس والشياطين، وغير ذلك من صفات النقص، والذلة، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المطففين:٧-١٧] .

فسجين كتابٌ مرقوم ، سجين هي النار ، ومكانها تحت الأرض السابعة السفلى، وفيها إبليس وذريته وأتباعه ، فسجين كتابٌ مرقوم فيه جميع أعمال الفجار : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ ﴾ [المطففين:٨-٩] .

وكتاب الأبرار فوق السموات مرقومٌ فيه جميع أعمال الأبرار .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الركن السادس: الإيمان بالقدر.

ويشتمل هذا الركن على ما يلي:

١ – فقه الإيمان بالقضاء والقدر.

٢ – حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر.

٣ – درجات الإيمان بالقضاء والقدر.

٤ – فقه أحكام القدر.

٥ – حكم فعل الأسباب.

٦ – فقه أوامر الله عز وجل.

٧ – أقسام أوامر الله عز وجل.

٨ – فضل الله وعدله.

٩ – هل الإنسان مخير أم مسير.

١٠ – ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

١ - فقه الإيمان بالقضاء والقدر

أركان الإيمان ستة وهي :

أن تؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره .

فقه الإيمان بالقضاء والقدر :

القدر هو : علم الله تبارك وتعالى بكل شيء ، وبكل ما أراد إيجاده أو وقوعه من العوالم والخلائق ، والأحداث والأشياء ، وتقدير ذلك وكتابته كله في اللوح المحفوظ : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠] .

والقدر سر الله في خلقه ، لم يطلع عليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا ذكي فطن .

والإيمان بالقدر : هو التصديق الجازم بأن كل ما يقع في هذا الكون ، وكل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره وإذنه ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، وهو الحكيم العليم : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

وأحكام الله على عباده ثلاثة أقسام :

أحدها : الحكم الكوني القدري الذي يجري على العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه، ولا حيلة له في منازعته، كطوله، ولونه، وكونه ذكرًا أو أنثى، والأحداث والمصائب التي تجري بغير اختياره كالزلازل والبراكين، والعواصف، والغرق، والحرق، ونحو ذلك، فهذا حقه أن يُتلقى بالاستسلام

والمسالمة، وترك المخاصمة، وأن يكون فيه العبد كالميت بين يدي الغاسل .

وعليه فيه عبوديات أخرى :

وهي أن يشهد عزة الحاكم في حكمه ، وعدله في قضائه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الكتاب الأول سبق بذلك قبل بدء الخليقة ، فقد جف القلم بما سيلقاه كل عبد ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

وقال النبيﷺ: « وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ » أخرجه الطبراني[1] .

ويشهد كذلك أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم الحكيم جل جلاله ، وأن القدر قد أصاب مواقعه ، وحل في المحل الذي ينبغي له أن ينزل به، وأن ذلك موجب أسمائه الحسنى، وصفاته العلا ، وموجب حكمه وعدله وإحسانه إلى خلقه ، فله عليه أكمل حمد وأتمه، كما له الحمد على جميع أفعاله وأوامره: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦ – ٣٧] .

الثاني : الحكم الكوني القدري الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة، كقدر المرض، والجوع، والعطش، فهذا حقه أن يدفع وينازع بكل ممكن، ولا يسالم البتة، بل ينازع بالحكم الكوني أيضًا، فينازع حكم الحق بالحق للحق،

---

(١) صحيح/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: (١١١٢٤٣).

فيكون منازعًا للقدر، لا واقفًا مع القدر، ويفر من قدر الله إلى قدر الله كما أمر الله، فقال : ﴿وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[النساء: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠] .

ويدفع قدر الله بقدر الله، فإذا جاء قدر الله من الجوع أو العطش، أو قدر الله من البرد أو الحر، أو قدر الله من الألم أو المرض، دفعه بقدر أخر من الأكل، والشرب، واللباس، والدواء، وهكذا لو وقع حريق في داره، فهو بقدر الله فلا يستسلم له، بل ينازعه ويدفعه ، ويطفئه بالماء أو غيره من الأسباب ، كما يطفئ قَدر الله بقدرِ الله، حتى يطفئ قَدر الله بقدرِ الله، وما خرج في ذلك عن قدر الله .

وهكذا لو أصابه مرض بقَدر الله دافع هذا القدر، ونازعه بقدرِ آخر، يستعمل فيه الأدوية الدافعة للمرض كما أمر الله، فما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه ، وجهله من جهله : « فَتَداووا ، ولا تَداووا بِحَرام » أخرجه أبو داود والترمذي [1] .

فحق هذا الحكم الكوني القدري أن يحرص العبد على مدافعته ومنازعته بكل ما يمكنه من الأسباب التي نصبها الله وأمره بها، وهذا واجبه الشرعي في تلك الحال، أن يمتثل أمر الله ، ويتعبد لله بامتثال أمره، فيكون قد دفع القدر بالقدر، ونازع الحكم بالحكم، وبهذا أُمر، بل هذا حقيقة الشرع والقدر .

فلو أن عدوًا للإسلام قصده، لكان هذا بقدر الله ، ويجب على المسلم دفع هذا القدر بقدر يحبه الله ويأمر به ، وهو الجهاد في سبيل الله بيده وماله

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٧٤)، والترمذي برقم: (٢٠٤٥).

وقلبه ، دفعًا لقَدر الله بقدرِ الله : ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾[البقرة: ١٩٤] .

الثالث : الحكم الديني الشرعي، وهو الدين الذي شرعه الله لعباده، فهذا حقه أن يتلقى بالتسليم والقبول، بل بالانقياد المحض، وترك المنازعة : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾[النساء:٦٥] .

وهذا تسليم العبودية المحضة، فلا يعارض، ولا يرى إلى خلافه سبيلًا البتة، وإنما هو الانقياد التام، والتسليم والإذعان، والقبول لما جاء به الله ورسوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأحزاب: ٧١] .

وهذه هي حقيقة القلب السليم، الذي سلم من كل شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وسلم من كل شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه ، فهذا حق الحكم الديني الشرعي : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينًا ٣٦ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

٢- حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر

الطاعات والمعاصي كلها واقعة بقضاء الله وقدره، وإذنه وعلمه، وكلها عدل.

والعدل : وضع الشيء في موضعه .

والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له ، فهذا قد نزه الله نفسه عنه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

والله سُبْحَانَهُ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وهو سُبْحَانَهُ، وإن أضل من شاء وقضى بالمعصية والغي على من شاء، فذلك محض العدل فيه؛ لأنه سُبْحَانَهُ وضع الإضلال والخذلان في موضعه اللائق به، كما وضع الهداية والنصر في موضعه اللائق به، فالله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته .

فأفعاله سُبْحَانَهُ كلها حق وعدل، وسداد وصواب، ورحمة وإحسان، والله سُبْحَانَهُ قد أوضح السبل، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهداية والطاعة، بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله، ووفق عز وجل من شاء بمزيد عناية، وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه فهذا فضله وإحسانه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١] .

وخذل سُبْحَانَهُ من ليس بأهل لتوفيقه وفضله ، وخلى بينه وبين نفسه ، ولم يرد سُبْحَانَهُ من نفسه أن يوفقه ، فقطع عنه فضله ، ولم يحرمه عدله ، إما

جزاء منه للعبد على إعراضه عنه ، وإيثار عدوه عليه في الطاعة ، وتناسي ذكر الله وشكره ، فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه ، كما قال سُبْحَانَهُ : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾[التوبة:٦٧] .

وقال ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣ ﴾[الأنعام:٥٣] .

وإما أن لا يشاء الله له الهداية ابتداءً، لعلمه منه سُبْحَانَهُ أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ولا يشكر الله عليها ، ولا يثني عليه بها، ولا يحبها، فلا يشاءها له لعدم صلاحية محله لها ، كما قال سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾[الأنفال: ٢٣] .

فإذا قضى الله ﷻ على هذه النفوس بالضلال والمعصية ، كان ذلك محض العدل ، كما قضى على الحية والعقرب بأن تُقتل ، وذلك محض الإحسان والعدل ، وإن كان مخلوقًا على هذه الصفة لحكمة يعلمها الله .

وبسبب الجهل، وقلة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، كثير من الخلق غير راضٍ عن الله ﷻ، معترض على أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعترضُ على دينه وشرعه ، ومعترضُ على قضائه وقدره، فما أسفه هؤلاء: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥ ﴾[الأنعام: ٣٥] .

واعرف ربك حقاً، لتؤمن به حقاً: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

حتى قال بعضهم : أرأيت إن منعني الله الهدى، وقضى عليا بالردى ، أحسن إلي أم أساء ؟ .

فهذا و أمثاله يقال له: إن منعك الله ما هو لك فقد ظلم وأساء، وإن منعك ما هو له ، فهو يختص برحمته من يشاء، وأعلم بمن يصلح لكرامته، فأنت مملوك لله: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة:١٢٠] .

ويهون الرضا بما يقضيه الله من المصائب ، علم العبد بأن تدبير الله خيرً من تدبيره ، والرضا بالألم لما يُتوقع من جزيل الثواب المدخر ، والرضا به لا لحظ وراءه، بل لكونه مراد المحبوب جل جلاله .

فيكون ألذ الأشياء عنده ما فيه رضا محبوبه، ورضا ربنا ﷻ أن يسلم العبد القلب والقالب لربه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة:١١٢] .

وعلى العبد أن يعمل عمل رجل يعلم أنه لا ينجيه إلا عمله ، ويتوكل على ربه توكل رجل يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١] .

فليس لأحد أن يصعد على السطح، ثم يلقي نفسه، ثم يقول: مقدر علي هذا، ولكن نتقي ونحذر، فإن أصابنا شيء علمنا أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه، والقدر الإلهي كله عدل ورحمة، وحكمة وإحسان : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١] .

ففي كل حادثة سببان :

الأول: سبب ظاهري يحكم الناس على وفقه، وكثيرًا ما يظلمون ويخطئون.

الثاني : سبب حقيقي يجري القدر الإلهي على وفقه .

فإذا ألقي مثلًا أحد الأشخاص في السجن بتهمة السرقة التي لم يرتكبها ، ولكن قضى القدر الإلهي عليه بسجنه لجناية له خفية ، أو تربية له ، فيعدل من خلال ظلم البشر له نفسه ويستقيم : ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء:١٩] .

وفي امتحان العلماء والدعاة والصالحين ، انطواء على سببين :

أحدهما : خدمة الدين خدمة عالية فائقة، حتى أثار حفيظة أهل الدنيا والأعداء ، وقد نظر البشر إلى هذا السبب ، فحصل الظلم منهم .

الثاني : لما لم يبين كل منا إخلاصًا تامًا، ولا أظهر تساندًا في نصرة الحق ، نظر القدر الإلهي إلى هذا السبب و عدل في حقنا رحمةً بنا .

إن كل شيء في هذا الكون إنما يحصل بقضاء الله وقدره خيرًا أو شرًا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾ [القمر: ٤٩-٥٠] .

فهل يرضى المسلم بما قدر الله من المعاصي التي نهى الله عنها ؟ .

جوابه : أننا لسنا مأمورين بأن نرضى بكل ما قضى الله وقدر ، ولكننا مأمورون بأن نرضى بكل ما أمرنا الله أن نرضى به كطاعة الله ورسوله ، وأن نرضى بدينه وشرعه ، وأن نرضى بالقضاء الذي هو صفة الله أو فعله، لا بالمقضي الذي هو مفعوله ، فإن الله لا يحب الفساد ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب المعاصي والفواحش: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ

فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨] .

فالمعاصي لها وجهان :

الأول : وجه إلى لعبد من حيث هي فعله وصنعه وكسبه .

الثاني : ووجه إلى الرب من حيث أنه هو قضاها وخلقها وقدرها، وأذن بوقوعها لحكمة يعلمها، فنرضى من الوجه الذي يضاف به إلى الله، ولا نرضى من الوجه الذي يضاف به إلى العبد: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩] .

اختيار الرب تعالى لعبده نوعان :

الأول : اختيار ديني شرعي ، فالواجب على العبد أن لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره الله له ، لأن الله ﷻ أعلم بما يصلح العبد وما يفسده، وما ينفعه وما يضره: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

الثاني : اختيار كوني قدري لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يبتلي الله بها الناس ، فهذا لا يضر الإنسان فراره منها إلى القدر الذي يدفعها عنه ، ويدفعها ويكشفها كدفع قدر المرض بقدر الدواء ، وقدر الجوع بقدر الأكل ، بل هو مأمور بذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

وأما القدر الذي يسخطه الله، ولا يحبه ولا يرضاه ، مثل قدر المصائب والمعاصي ، فالعبد مأمور بسخطها، ومنهي عن الرضا بها ، كما قال

سبحانه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨] .

ومشيئة الله ومحبته بينهما فرق ، فقد يشاء الله ما لا يحبه ، وقد يحب الله ما لا يشاء كونه .

فالأول : وهو أن يشاء ما لا يحبه ، كمشيئة الله لخلق إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه ، كالنعم والمصائب، والطاعات والمعاصي .

الثاني : كمحبته إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء الله لوجد ذلك كله ، فإن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا ، لأن الله بيده الملك وله الخلق والأمر كله ، فإذا علم العبد أن القضاء غير المقضي ، وأنه سبحانه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاءه، زالت الشبهات ، ولم يبقى بين شرع الرب وقدره تناقض .

فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب ، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

والرضا بالقضاء الكوني القدري الموافق لمحبة العبد وإرادته ورضاه ، من الصحة والعافية والغنى ، واللذة، أمر لازم بمقتضى الطبيعة ، لأنه ملائم للعبد موافق له ، محبوب له : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

فليس في الرضا به عبودية ، بل العبودية في مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة ، ووضع النعمة موضعها التي يحب الله أن توضع فيها ، وألا يعصي المُنعم بها ، وأن يرى التقصير في جميع ذلك .

والرضا بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبته، مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره من المصائب والمكاره ذاك مستحب، فإن الله يختار لعبده ما يشاء، واختيار الرب أحسن من اختيار العبد ، وهذا كالمرض والفقر، والحر والبرد وهذا الخلق له ، ونحو ذلك من المصائب التي تصيب العبد: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة: ٢١٦] .

والرضا بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله، ويسخطه، وينهى عنه، كأنواع الظلم والفسوق والعصيان ، محرم يعاقب عليه العبد ، وهو مخالفة لله ﷻ ، فإن الله لا يرضى بذلك ولا يحبه ولا يأمر به ، بل يكرهه ويسخطه وينهى عنه : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء:٣٦] .

فقه أسرار الإيمان بالقضاء والقدر :

إن قيل : كيف يريد الله أمرا لا يحبه و لا يرضاه ؟ .

قيل الله عز وجل يكره الشيء ويبغضه في ذاته ، ولا ينافي ذلك إرادته لغيره ، وكونه سببًا إلى ما هو أحب إليه من غيره ، كالمعاصي الموجبة للتوبة التي يحبها الله ويفرح بها ، فقد خلق الله جل جلاله إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان ، والأعمال ، والأخلاق ، والاعتقادات ، والإرادات .

وهو سبب شقاوة العبيد، ووقوع ما يغضب الرب تبارك وتعالى ، فهو مبغوض للرب مسخوط له ، لعنه الله وغضب عليه ومقته ، ومع هذا فهو

وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ، وجودها أحب إليه من عدمها، ومن هذه المحاب، أن تظهر للعباد قدرة الرب في خلق المتضادات .

فخلق سبحانه إبليس هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها ، في مقابلة خلق جبريل ﷺ التي هي أشرف الذوات، وسبب كل خير .

وكما خلق سبحانه الليل والنهار، والحر والبرد، والحياة والموت، والذكر والأنثى ، والماء والنار، والخير والشر، ونحو ذلك ، وخلق ذلك يدل على كمال قدرته وتدبيره وعزته وسلطانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

فتبارك الله خالق هذا وهذا ، ومدبر هذا وهذا ، ومخرج المنافع والمضار من هذا وهذا .

ومنها ظهور آثار أسمائه وصفاته وأفعاله القهرية ، كالقهار ، وذو الانتقام ، والعدل ، وشديد العقاب ، وسريع الحساب ، والعزيز ، والجبار ، فإن هذه الأسماء والأفعال من كمال ذاته .

فلابد من وجود متعلقها ، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة الملائكة طاعات بلا معاصي ، لم يظهر أثر هذه الأسماء والصفات والأفعال .

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه، وعفوه ، ومغفرته، ورحمته، وستره ، وتجاوزه عن حقه ، فلولا خلق ما يكره من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء، لتعطلت هذه الحكم والفوائد .

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة ، فهو سبحانه هو الحكيم الخبير ، الذي يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها اللائقة بها ، فلا يضع الشيء في غير موضعه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣] .

فلا يصح أن يضع الثواب موضع العقاب ، ولا العقاب موضع الثواب ، ولا العز مكان الذل ، ولا الذل مكان العز ، ولا يضع العطاء موضع الحرمان ، ولا يضع الحرمان موضع العطاء ، ولا الإنعام مكان الانتقام ، ولا الانتقام مكان الإنعام وهكذا .

ولا يأمر بما ينبغي النهي عنه ، ولا ينهى عما ينبغي الأمر به ، فهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على وصولها ، وأعلم بمن لا يصلح لذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣] .

وهو الحكيم من أن يمنعها أهلها ، أو أن يضعها عند غير أهلها ، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة البغيضة له، لتعطلت هذه الآثار، ولم تظهر لخلقه ، ولتعطلت تلك الحكم والمصالح المترتبة عليها ، كالتوبة من الذنوب .

وفوتها شر من حصولها ، وفواتها شرٌ من حصول تلك الأسباب ، وهذا كالشمس ، والمطر ، والرياح ، فهذه فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر والضرر .

ومنها حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ، فإن الله يحب عبودية الجهاد ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة في الله ، والمعاداة فيه ، وعبودية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ، وعبودية مخالفة الهوى ، وعبودية

التوبة من الذنوب ، وهكذا: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

ومنها عبودية التوبة والاستغفار، هو سبحانه يحب التوابين، ولو عُطلت الأسباب التي يتاب منها من المعاصي وغيرها لتعطلت عبودية التوبة والاستغفار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

ومنها أن يتعبد الخلق لله بالاستعاذة من عدوه ، وسؤاله أن يجيرهم منه ، ويعصمه من كيده : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] .

ومنها عبودية مخالفة عدوه الشيطان ، ومراغمته في الله، وإغاظته فيه ، وهي من أحب العبودية إليه ، فإنه سبحانه يحب من وليه أن يغيظ عدوه ويراغمه إرضاء لربه .

ومنها أن عبيده سبحانه يشتد خوفهم وحذرهم إذا رأوا ما حل بعدوه ، لما خالف أمر ربه ، بطرده ولعنه فيلزمون طاعة ربهم ولا يعصونه .

ومنها أن نفس اتخاذه عدوًا من أكبر أنواع العبودية لله وأجلها ، وهو محبوب للرب ، وهم ينالون ثواب مخالفته ومعاداته من ربهم .

ومنها أن الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر ، والطيب والخبيث ، وذلك كامن فيها كمون النار في الزناد .

فخلق سبحانه الشيطان مستخرجا لما في طبيعة أهل الشر من القوة إلى الفعل ، وخلق الرسل وأرسلهم إلى عباده، ليستخرجوا ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل .

فاستخرج أحكم الحاكمين ما في قوة هؤلاء من الخير الكامن فيها ، ليرتب عليه آثاره ، وما في قوة أولئك من الشر ليرتب عليه آثاره ، وتظهر حكمته في الفريقين .

فالملائكة ظنت أن وجود من يسبح بحمده ويقدسه ويعبده أولى من وجود من يعصيه ويخالفه ، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والمصالح في خلق هذا الإنسان ما لا تعلمه الملائكة كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

فقد يريد الله أمراً لا يحبه ولا يرضاه ؛ لأنه يفضي إلى ما يحبه ويرضاه جل جلاله، ومن ذلك أن ظهور كثير من آيات الله، وعجائب صنعه، حصل بسبب وقوع الكفر والشرك من النفوس الكافرة الظالمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] .

كآية الطوفان ، وآية الريح ، وآية إهلاك ثمود بالصيحة ، وآية انقلاب النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وآية قلع قرى قوم لوط ، وقلبها عليهم ، وآيات موسى مع فرعون وبني إسرائيل كفلق البحر ، وانفجار عيون الماء من الحجر ، وانقلاب العصا حية ، ونحو ذلك من الآيات .

فلولا كفر الكافرين، وعناد الجاحدين، لما ظهرت هذه الآيات الباهرة ، ومع ظهورها فما أقل من يؤمن بها : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء: ١٣٩-١٤٠] .

ومنها أن خلق الأسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضًا ، ويكسر بعضها بعضا، هو من شأن كمال الربوبية، والقدرة النافذة، والملك الكامل ، وإن كان شأن الربوبية شاملًا كاملًا في نفسه ، ولو لم تُخلق هذه الأسباب لكان ظهور آثارها وأحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال الإلهي ، فالعبودية والآيات والعجائب والفوائد التي ترتبت على خلق ما لا يحبه الله ولا يرضاه وتقديره ومشيئته أحب إليه سبحانه من فواتها وتعطيلها بتعطيل أسبابها .

فإن قيل : فإن كانت هذه الأسباب مرادة للرب ، فهل تكون مرضية محبوبة له ؟ .

قيل : هو سبحانه وتعالى يحبها من جهة إفضائها إلى محبوبه ، وإن كان يبغضها لذاتها .

فإن قيل هل يمكن حصول تلك الحكم بدون هذه الأسباب ؟ .

قيل هذا سؤال باطل ، إذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه كفرض وجود الابن بدون الأب ، والحركة بدون المتحرك ، والتوبة بدون التائب .

وسر المسألة أن الرضا بالله يستلزم الرضا بأسمائه وصفاته ، وأفعاله وأحكامه ، ولا يستلزم الرضا بمفعولاته كلها ، بل حقيقة العبودية أن يوافق العبد ربه في رضاه وسخطه ، فيرضى منها بما يرضى به ، ويسخط منها ما يسخطه .

فإن قيل كيف يجتمع الرضا بالقضاء الذي يكرهه العبد من المرض والفقر والإثم مع كراهته له ؟ .

قيل : لا تنافي في ذلك ، فإنه يرضى به من جهة إفضائه إلى ما يحب ، ويكرهه من جهة ألمه به ، كالدواء الكريه الذي يعلم أن فيه شفاءه، فإنه يجتمع فيه رضاه به، وكراهته له .

فإن قيل : كيف يحب الله لعبده شيء، ولا يعينه عليه ؟ .

قيل : لأن إعانته عليه قد تستلزم فوت محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له .

وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة، كما قال سبحانه عن المنافقين: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ ﴾[التوبة: ٤٦-٤٧] .

والطاعة: هي موافقة الأمر الشرعي، لا موافقة القدر والمشيئة ، ولو كانت موافقة القدر طاعة لله، لكان إبليس من أعظم المطيعين لله ، ولكان قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون كلهم مطيعون لله ، فيكون سبحانه قد عذبهم أشد العذاب على طاعته ، وانتقم منهم لأجلها، وهذا غاية الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

والله ﷻ خالق كل شيء وربه ومليكه ، والعبد مأمور بطاعة الله ورسوله ومنهي عن معصية الله ورسوله ﷺ، فإن أطاع ربه كان ذلك نعمة من الله يُثاب عليها ، وإن عصا ربه كان مستحقًا للذنب والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره .

لكن الله ﷻ يحب الطاعة، ويأمر بها، ويرغب فيها، ويثيب أهلها على فعلها ، ويكرمهم، ويبغض المعصية، وينهى عنها، ويحذر منها، ويعاقب أهلها ويهينهم، وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ، وكل ذلك كائن بمشيئة الله وقدره: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء:٧٩] .

فلا بد للعبد أن يؤمن بقضاء الله وقدره ، وأن يوقن بشرع الله وأمره ، فإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله ، وآدم ﷺ ، لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

وإبليس لما أذنب أصر واستكبر، واحتج بالقدر وكفر، فلعنه الله وأقصاه .

فمن أذنب وتاب كان آدميًا، ومن أذنب واحتج بالقدر كان إبليسيًا: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾ [التغابن: ١١] .

القدر نظام التوحيد :

فمن وحد الله، وآمن بالقدر، تم توحيده ، ومن وحد الله، وكذب بالقدر، نقض تكذيبه توحيده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

والمخاصمون في القدر فريقان :

أحدهما : من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره ، كما قال سبحانه عنهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٤٨] .

الثاني : من ينكر قضاء الله وقدره السابق .

والطائفتان كلاهما خُصماء لله، قالوا على الله غير الحق ، ومن كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام فإن الله تبارك وتعالى قدر أقدارًا، وخلق الخلق بقدر ، وقسم الآجال بقدر ، وقسم الأرزاق بقدر ، وقسم العافية بقدر ، وقسم البلاء بقدر ، وأمر ونهى، وأحل وحرم كما قال سبحانه :﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر: ٥٢ – ٥٣]

والقدر هو : تقدير الله للكائنات ، وهو سر مكتوم لا يعلمه إلا الله ، ومن شاء من خلقه ، ولا نعلمه إلا بعد وقوعه، سواء كان خيرًا أو شرًا .

مراتب الإيمان بالقدر أربعة :

الأول : العلم، بأن يؤمن العبد بأن الله تعالى علم كل شيء جملة وتفصيلًا ، يعلم سبحانه ما كان وما يكون وما سيكون ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وقال ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنفال: ٧٥] .

الثاني : الكتابة ، بأن يؤمن العبد أن الله كتب كل شيء جملة وتفصيلًا ، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[الحج:٧٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[يس:١٢] .

الثالثة : المشيئة ، بأن يؤمن العبد أن كل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي كائن بمشيئة الله وإرادته ، إذ لا يكون في ملكه سبحانه ما لا يريده ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٢]

الرابعة : الخلق ، بأن يؤمن العبد أن الله خالق كل شيء ومدبر كل شيء ومالكه، حتى فعل المخلوق ، لأن فعل المخلوق من صفاته ، والمخلوق وصفاته مخلوقان لله ﷻ ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر:٦٢] .

وينبغي أن يعلم الإنسان أن القدر له كالطبيب مع المريض ، فإن قُدم الطبيب إلى المريض الطعام فرح وقال : لولا أنه علم أن الغداء ينفعني ما قدمه ،

وإن منعه الطعام فرح وقال : لولا أنه علم أن الغذاء يؤذيني لما منعني ، وهذا غاية اللطف من الله تعالى ، ومن لم يعتقد هذا لم يصح توكله على الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٥] .

والدعاء لا يناقض الرضا بالقدر، فقد تعبدنا الله به ، وأمرنا به فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠] .

وإنكار المعاصي، وعدم الرضا بها ، قد تعبدنا الله به ، وذم الراضي به .

فإن قيل وردت الأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى ، والمعاصي بقضائه ، فكراهتها كراهة لقضائه .

وجواب هذا أن يقال المعاصي لها وجهان :

الأول : وجه إلى الله تعالى، من حيث أنها اختياره ، وإراداته ، فنرضى بها من هذا الوجه تسليمًا للمُلك إلى مالك المُلك سبحانه .

الثاني : وجه إلى العبد، من حيث أنها كسبه ووصفه وفعله، وعلامة لكونه ممقوتًا عند الله بغيضًا عنده ، حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت ، فهو من هذا الوجه منكرُ مذموم ، فالعبد هو الفاعل للمعصية وهو الذي يتحمل إثمها، والعقوبة عليها: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] .

٣- درجات الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر على درجتين :

الأولى : الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر ، وطاعة ومعصية ، قبل خلقهم وإيجادهم ، أهل الجنة من هم ؟ وأهل النار من هم ؟

وأعد لهم الثواب والعقاب قبل خلقهم ، وكتب ذلك عنده ، وأن أعمال العباد تجري على أمر قد قُدر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٥٠] .

فكل الأمور تجري على ما سبق في علم الله وكتابته جل جلاله .

الثانية : الإيمان بأن الله خلق أفعال العباد كلها من الإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي ، وشاءها منهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

والمؤمن يصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب والمعائب ، والجاهل الظالم يحتج بالقدر على ذنوبه وسيئاته ، ولا يعذر بالقدر من أساء إليه ، ولا يذكر القدر عندما تحصل له نعمة : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥] .

والواجب على العبد إذا عمل حسنة أن يعلم أنها نعمة من الله هو يسرها وتفضل بها فلا يعُجب بها ، وإذا عمل سيئة استغفر الله وتاب منها: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وإذا أصابته مصيبة سماوية، أو بفعل العباد، علم أنها مقدرة مقضية عليه لا بد من وقوعها ، وللعبد منفعة في حصولها فإن اختيار الله للعبد أحسن من اختياره ، وكل ما خلق الله حق، وله سبحانه في كل مخلوق حكمة يحبها ويرضاها ، وهو سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه ، وكل خلق وأمر من الله حسن جميل .

وهو سبحانه محمود عليه، وله الحمد على كل حال ، وإن كان في بعضها شرًا بالنسبة إلى بعض الناس ، والمؤمن مأمور أن يصبر على المصائب ، ويطيع الأوامر الإلهية ، ويستغفر من الذنوب والمعائب البشرية ، وليس في القدر حجة لابن آدم ، ولا عذر في فعل ما يشاء، بل القدر نؤمن به ، ولا نحتج به ، ولو كان القدر حجة وعذرًا لم يكن إبليس ملومًا ولا معاقبًا : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

وكل شيء سوى الله ﷻ فهو مخلوق، وأفعال العباد كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦] .

ونفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله ﷻ ، والعبد مأمور منهي مثاب معاقب، والله جعله حيًا مريدًا قادرًا فاعلًا يصوم ، ويصلي ، ويزكي ويحج ، ويؤمن ويكفر ، ويقتل ويسرق ، ويطيع ويعصي ، باختياره ومشيئته: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

والله خالق ذات العبد وصفاته وأفعاله، وله مشيئة والله خالق مشيئته ، وله قدرة، والله خالق قدرته ، وهو مصل صائم والله خالقه وخالق أفعاله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] .

والعبد الحي يؤمر وينهى، ويحمد ويُذم، على أفعاله الاختيارية ، وهو الفاعل لهذه الأفعال ، والمتصف بها ، وله عليها قدرة ، وهو فاعلها باختياره ومشيئته ، وذلك كله مخلوق لله ، فهي فعل العبد كسبًا، وهي مفعولة الرب قدراً كغيرها ، فالله وحده هو الذي له الخلق والأمر، وما سواه مخلوق مربوب .

فهو سبحانه الذي جعل الأبيض أبيضًا ، والأسود أسودًا ، والساكن ساكنًا ، والمتحرك متحركًا ، والذكر ذكرًا ، والأنثى أنثى ، والحلو حلوًا ، والمر مرًا ، وهو سبحانه كذلك الذي جعل المسلم مسلمًا، والمطيع طائعًا ، والمصلي مصليًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة:٢٤] .

وهو سبحانه الذي جعل الكافر كافرًا ، والعاصي عاصيًا كما قال سبحانه عن آل فرعون : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[القصص:٤١] .

فالله سبحانه خالق الذوات، وخالق صفاتها، وخالق أفعالها : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

وكون الله خالقًا للعبد وفعله ، لا يمنع أن يكون العبد هو المأمور المنهي ، كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾[البقرة: ١٢٨] .

والله تبارك وتعالى حكيم عليم ، له الخلق والأمر، وهو على كل شيء قدير يفعل ما يشاء بحكمته ، فيعطي ويمنع ، ويهدي ويضل، ويرفع ويخفض ،

ويعز ويذل ، ويُسعد ويشقي ، ويعفو وينتقم : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك:١] .

وهو سبحانه الذي جعل المسلم مسلمًا ، والكافر كافرًا ، وهذا يدعو إلى الخير ، وهذا يدعو إلى الشر .

هو سبحانه رب كل شيء ومليكه ، وله فيما خلقه حكمة بالغة ، ونعمة سابغة ورحمة عامة وخاصة : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣ ﴾[الأنبياء:٢٣] .

يفعل ما يشاء لا لمجرد قدرته وقهره ، بل لكمال علمه وقدرته بالظواهر والبواطن، وكمال حكمته ورحمته بخلقه ، ومن حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه، ومنها ما استأثر الله سبحانه بعلمه ، والله ﷻ له الحجة البالغة على جميع خلقه ، حيث أنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول التي يعرفون بها ربهم ، وما شرعه لهم : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

ومع هذا فلو شاء سبحانه لهدى الخلق أجمعين إلى إتباع شريعته ، كما خلقهم أجمعين، وكما فطر جميع الكائنات على معرفته وعبادته ، لكنه سبحانه يمن على من يشاء فيهديه فضلًا منه وإحسانا ، ويحرم من يشاء، لأنه متفضل، له أن يتفضل وله ألا يتفضل ، فترك تفضله على من حرمه، وذلك عدل منه وقسط ، وله في ذلك حكمة بالغة كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩ ﴾[الأنعام:١٤٩] .

والقضاء والقدر كالإسلام والإيمان، إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا وشمل كل واحد معنى الأخر وحكمه .

فإذا اجتمع القضاء والقدر في الذكر افترقا في المعنى ، فأصبح لكل منهما معنى يخصه ، فيراد بالقدر علم الله السابق به ، والكتابة لذلك العلم ، ويراد بالقضاء مشيئة الله لذلك وخلقه أي تنفيذ ما قدره الله والفراغ منه ، وإذا افترقا فذُكر أحدهما دون الآخر، دل على معناه ومعنى الأخر .

فالقدر : سابق للقضاء .

والقضاء : هو تنفيذ القدر والفراغ منه .

والله سبحانه له الخلق والأمر في الكون كله ، كما قال سبحانه : ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

وأوامر الله سبحانه نوعان :

الأول : أمر كوني قدري ، تعلقت به مشيئته الكونية ، كأوامر الخلق والتدبير في الكون: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[النحل: ٤٠].

الثاني : أمر ديني شرعي تعلقت به محبته، فكل ما حصل من طاعات العباد ، تعلقت به مشيئة الله الكونية ، ومحبته الشرعية ، فهو محبوب للرب، واقع بمشيئته، وما لم يحصل من الطاعات تعلقت به محبته الشرعية، دون مشيئته الكونية : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير:٢٧-٢٩] .

وما وقع من المعاصي تعلقت به مشيئة الله الكونية ، دون محبته الشرعية ، وما لم يقع من المعاصي تعلقت به محبته الشرعية، دون مشيئته الكونية .

وأفعال العباد تنسب إلى الله خلقًا ، وإلى العباد كسبًا لأمرين :

الأول : أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية، وقدرة بدنية ، والذي خلق ذلك كله هو الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

الثاني : أن فعل العبد من صفاته ، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى ، فما فعله العبد من خيرًا أو شر فهو كسبه ، يتعرض لجزائه من الثواب والعقاب، لأنه فعله مسند إليه شرعًا وعقلًا وحسًا ، فعله بمحض اختياره على علم بعاقبته ، مستعملًا القدرة التي منحه الله إياها ، فإن أطاع فطاعته وثوابه من فضل الله عليه ، وإن عصى فمعصيته باختياره ، وعقوبته من عدل الله فيه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال سبحانه:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾الإنسان: [الإنسان:٢-٣] .

فالإيمان بالقدر من أعظم أركان الإيمان المولدة للطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾الرعد:٢٨ -٢٩] .

فالقدر : هو علم الله بكل شيء وتقدير ذلك وكتابته في اللوح المحفوظ : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[يس:١٢] .

والإيمان بالقدر :

هو التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر ، وكل شيء فهو بقضاء الله وقدره كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩-٥٠] .

أركان الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله تعالى عالم بكل شيء جملة وتفصيلًا ، سواء كان مما يتعلق بفعله سبحانه كالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة و نحو ذلك ، أو كان مما يتعلق بفعل المخلوق كأقوال الإنسان وأفعاله وأحواله ، وكأحوال الحيوان والنبات والجماد وكل شيء فالله به عليم ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

الثاني : الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء ، من المخلوقات والأحوال، والأرزاق والآجال والعوالم ، كتب كميته وكيفيته وزمانه ومكانه ، فلا يتغير ولا يتبدل، ولا يزيد ولا ينقص ، إلا بأمره سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[الحج:٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] .

وعن عبد الله بن عمر بن العاص قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « كَتَبَ اللهُ مَقَادِيْرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ »أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٥٣).

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله وإرادته ، فكل شيء واقع بمشيئة الله ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا ، سواء كان مما يتعلق بفعله سبحانه ، كالخلق ، والتدبير ، والإحياء والإماتة ، و نحو ذلك، أو كان مما يتعلق بأفعال المخلوقين كالنيات ، والأقوال ، والأعمال ، والأحوال كما قال سبحانه : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام:١١١-١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩] .

الرابع: الإيمان بأن الله ﷻ خالق كل شيء ، خلق سبحانه جميع الكائنات بذواتها وصفاتها وحركاتها، لا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

وسر القدر أن كل ما يفعله الله ﷻ ويقضيه ويقدره على خلقه ، ففيه مصالح كثيرة وحكم عظيمة وخير كثير .

فما يفعله سبحانه من المعروف والإحسان دال على كرمه ورحمته ، وما يفعله من البطش والانتقام دال على غضبه وسخطه ، وما يفعله من اللطف والإكرام دال على محبته وحلمه ، وما يفعله من الإهانة والخذلان دال على بغضه ومقته ، وما يفعله بمخلوقاته من النقص ثم الكمال دال على كمال قدرته ودال على وقوع المعاد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[الأنعام: ٨٣] .

فجميع أفعال الله جل جلاله مقرونة بالقدرة المطلقة ، والقدرة المطلقة مقرونة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق ، فإن الخير كله بيديه، والشر كله ليس إليه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران: ٢٦] .

٤ - فقه أحكام القدر

أقدار الرب عز وجل نوعان :

الأول : ما يجريه الله في الكون من الخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والتصريف ، والتدبير ونحو ذلك من الأوامر الكونية .

فهذه الأقدار العظيمة يجريها الله أمامنا كل يوم ، لنعلم بها كمال قدرة الله ، وعظمة أسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وإحاطة علمه بكل شيء، وكمال رحمته وإحسانه إلى خلقه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١-٣٢].

فإذا عرفنا هذه الأقدار العظيمة زاد إيماننا بالله ، وزاد تعظيمنا له ، وزاد حبنا له ، فأطعناه وعبدناه بكمال الحب ، وكمال الذل ، وكمال التعظيم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

فإذا علمتم ذلك أحببتم ربكم، وآمنتم به، وعظمتموه وكبرتموه ، وأطعتموه وعبدتموه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣] .

الثاني : ما يجريه الله على الإنسان من خير أو شر ، فهذا يكون بحسب عمله ، فمن آمن وعمل صالحًا أسعده الله في الدنيا، ثم زاد سعادته عند الموت ، ثم زاد سعادته في القبر ، ثم تبلغ سعادته كمالها في الجنة كما قال

سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

ومن كفر وعصى الله شقي في الدنيا ، ثم زاد شقاءه عند الموت ، ثم زاد عذابه في القبر ، ثم ينال كمال العذاب في النار : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الرعد:٣٤] .

فيجري قدر الله على الإنسان بحسب ما يصدر من الإنسان من خير ، أو شر ، أو طاعة ، أو معصية ، وأكثر الناس لا يعلمون سر هذه الأقدار ، ولهذا تتراكم المصائب على أكثر الخلق ، فيتوجهون إلى المخلوق في حلها فلا ترتفع ، بل تزداد فيحصل اليأس والقنوط : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء:١٢٣] .

والحقيقة أن حلها بأيديهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]

فإذا غيروا الكفر بالإيمان ، والمعصية بالطاعة ، والإساءة بالإحسان ، والشرك بالتوحيد ، أصلح الله أحوالهم فورًا ، وإن غيروا الخير بالشر ، عذبهم بذنوبهم حتى يتوبوا إليه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنفال: ٥٣] .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

أما المصائب :

فتارة تكون عقوبة على المعاصي، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠].

وتارة تكون تربية للعبد لتصفية توحيده مما شابه ، كما قال سبحانه : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] .

وتارة تكون لتكفير سيئاته ورفعة درجاته ، كما قال النبي ﷺ : « مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى حَتَّى الشَّوْكَةَ يَشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » متفق عليه[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ بِهَا خَطِيَّةً »أخرجه مسلم[2] .

أنواع القدر :

أقسام القدر:

ما قدره الله وقضاه بالنسبة للإنسان نوعان :

الأول : ما قضاه الله وقدره من أعمال وأحوال خارج إرادة الإنسان ، سواء كانت فيه، كطوله ، وقصره، وحسنه وقبحه، وحياته وموته، ونوعه ولونه .

أو وقعت عليه بغير اختياره كالمصائب ، والأمراض ، ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وغيرها من المصائب التي تارة تكون عقوبة للعبد ، وتارة امتحاناً له ، وتارة رفعة لدرجاته ، وتارة تكفيرًا لسيئاته .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥/ ٢٥٧٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٧٥٢).

وهذه الأعمال التي تجري فيه، أو تقع عليه دون إرادة منه، لا يُسأل عنها الإنسان ولا يحاسب عليها ، ويجب عليه الإيمان أن ذلك كله بقضاء الله وقدره ، وعليه الصبر والرضا والتسليم ، فما من حادثة في الكون إلا وللعليم الخبير فيها حكم وحكمة، ورحمة وإحسان :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحديد: ٢٢ -٢٣] .

وما يصيب العبد من ربه ﷻ فهو خير له:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله ﷻ : « يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ »متفق عليه[1] .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فَقَالَ : « يَا غُلَامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ »أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٩١)، ومسلم برقم : (٢/ ٢٢٤٦)واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦)، وأحمد برقم: (٢٨٠٣).

الثاني : ما قضاه الله وقدره من الأفعال التي يقدر عليها الإنسان ويفعلها بمحض إرادته بما وهبه الله من العقل والقدرة والاختيار ، كالإيمان والكفر ، والطاعات والمعاصي ، والإحسان والإساءة .

فهذه وأمثالها يحاسب عليها الإنسان وبحسبها يكون الثواب والعقاب ؛ لأن الله أقام الحجة بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ، وبين الحق من الباطل ، ورغب في الإيمان والطاعات، وحذر من الكفر والمعاصي ، وزود الإنسان بالعقل، وأعطاه القدرة على الاختيار ، فيسلك ما شاء بمحض اختياره ، وأي الطريقين اختار فهو داخل تحت مشيئة الله وإرادته، إذ لا يقع في ملك الله شيء بدون علمه ومشيئته وإرادته:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦] .

فالإنسان هو الذي يفعل الطاعات والمعاصي ، ويختار الإيمان أو الكفر، بمحض اختياره، والله يحاسب العبد حسب اختياره، ويجازيه حسب عمله :﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا

ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة/ ١٨-٢٠] .

متى يجوز الاحتجاج بالقدر ؟ .

أولًا : يجوز أن يحتج الإنسان بالقدر على المصائب كما في القسم الأول ، فإذا مرض الإنسان، أو خسر، أو ابتلي بمصائب بغير اختياره ، فله أن يحتج بقدر الله فيقول : قدر الله وما شاء فعل .

ويقول : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

وعليه أن يصبر، ويرضى، إن استطاع، ويحمد الله، لينال الثواب، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

والله لا يقدر لعبده إلا ما يصلحه وينفعه ، فيرضى العبد بما قدر الله عليه مما يصلحه وينفعه ويرضي ربه ، ويحمده أن خصه بذلك، ليعود ويتوب إلى ربه: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة: ٣٩] .

ثانيًا : لا يجوز أن يحتج الإنسان بالقدر على المعاصي ، فيترك الواجبات أو يفعل المحرمات ؛ لأن الله ﷻ أمر بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي وأمرنا بالعمل، ونهى عن الاتكال على القدر ، ولو كان القدر حجة لأحد لم

يعذب الله المكذبين للرسل ، كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين .

ومن رأى القدر حجة لأهل المعاصي ، يرفع عنهم الذم والعقاب، فعليه ألا يذم أحدًا ولا يعاقبه ولو سرقه أو قتل ابنه أو أخذ ماله ، فعليه ألا يذم أحدًا ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه ، ولا يفرق بين من يعمل خيرًا أو شرًا ، وهذا باطل مبنيٌ على باطل ، وما بني على الباطل فهو باطل وسفاهة في العقل :

« ومَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ ﴾ [الأنعام:١٤٨] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم(١٠٠/ ١٠٣٧) .

٥- حكم فعل الأسباب

الدين كله جلال وجمال، وحكم وأحكام، وعدل وإحسان، وقضاءً وقدر وواجبات وسنن، وعلم وعمل، وثواب وعقاب : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣] .

فما زواه الله ﷻ عن العبد من خير أو شر، قدره مربوطًا بأسبابه .

فللخير أسبابه : وهي الإيمان و الطاعات .

وللشر أسبابه : وهي الكفر والمعاصي .

والإنسان يعمل بمحض الإرادة التي قدرها الله له ، والاختيار الذي منحه الله له ، ولا يصل العبد إلى ما كتب الله عليه وقدره له من سعادة أو شقاء إلا بواسطة تلك الأسباب التي يفعلها باختياره الذي منحه الله إياه ، فلدخول الجنة أسباب يجب فعلها ، ولدخول النار أسباب يجب تركها : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾[المزمل:١٩] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[الإنسان:٢٩-٣١] .

فكل أحد يجازي حسب عمله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء :١٣-١٤] .

وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ فَلِمَ نَعْمَلُ أَفَلَا نَتَّكِلُ قَالَ : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل:٥-١٠] . أخرجه مسلم[1] .

حكم دفع القدر :

يشرع دفع القدر بالقدر فيما يلي :

أولًا : دفع القدر الذي انعقدت أسبابه ولما يقع بأسباب أخرى تقابله ، كدفع العدو بقتاله ، ودفع الحر والبرد بضدهما ونحو ذلك: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠ ﴾ [البقرة:١٩٠].

ثانيًا : دفع القدر الذي قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله ، كدفع قدر المرض بقدر التداوي ، ودفع قدر الذنب بقدر التوبة ، ودفع قدر الإساءة بقدر الإحسان وهكذا : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ ﴾ [فصلت:٣٤- ٣٥].

ومشيئة الله عامة لكل شيء، وفعل الخير والشر من العبد لا ينافي نسبتهما إلى الله خلقًا وإيجادًا، فالله خالق كل شيء كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ ﴾ [الزمر:٦٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٤٧).

ومن ذلك خلق الإنسان وأفعاله ، ولكن ليست مشيئة الله ﷻ دليلًا على رضاه ، فالكفر والمعاصي والفساد كائن بمشيئة الله، ولكن الله لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها وينهى عنها .

وكون الشيء مبغوضًا مكروها لا يُخرجه عن مشيئة الله المتضمنة لخلق كل شيء ، فلكل شيء خلقه الله حكمة مقصودة ، واقعة على أساس تدبيره لملكه وخلقه سبحانه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦] .

وحكم الرضا بالقدر :

الرضا بالقدر ثلاثة أقسام :

الأول : الرضا بالطاعات، وهذا واجب .

الثاني: الرضا بالمصائب، وهذا مستحب .

الثالث: الكفر والفسوق والعصيان، فهذا لا يؤمر العبد بالرضا به ، بل يؤمر ببغضه وسخطه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

فإن الله ﷻ لا يحب الكفر والشرك والمعاصي ولا يرضاها ، وهو وإن خلقها وهو لا يحبها فإنه يفضي إلى ما يحبه، كما خلق الشياطين ، فنحن نرضى بما خلق الله، أما نفس الفعل المذموم وفاعله فلا نرضى به ولا

نحبه ، فالأمر الواحد يحب من وجه وبغض من وجه ، كالدواء الكريه فهو مكروه لكنه يفضي إلى محبوب .

والطريق إلى الله أن نرضيه بأن نفعل ما يحبه ويرضاه ، ليس أن نرضى بكل ما يحدث ويكون ، ولسنا مأمورين أن نرضى بكل ما قضاه وقدره ، ولكننا مأمورون أن نرضى بما أمرنا الله ورسوله أن نرضى به .

ونكره ما أمرنا الله ورسوله أن نكرهه ، ونفعل ما أمرنا الله به ورسوله ، ونجتنب ما نهى الله عنه ورسوله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾[الحجرات:٧-٨] .

قضاء الله خيرًا أو شرًا له وجهان :

أحدهما : تعلقه بالرب، ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه يرضى به العبد فقضاء الله كله خير وعدل، وحكمة ورحمة وإحسان .

الثاني : تعلقه بالعبد، ونسبته إليه ، فهذا منه ما يُرضى به كالإيمان والطاعات ، ومنه ما لا يُرضى به كالكفر والمعاصي ، وكذلك الله لا يرضاها ولا يحبها ولا يأمر بها : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨ ﴾[القصص:٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ﴾[الزمر:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾[الصافات:٩٦] .

وأفعال العباد مخلوقة؛ فالله ﷻ خلق العبد، وخلق أفعاله، وعلم ذلك وشاءه وكتبه قبل وقوعه؛ فإذا فعل العبد خيرًا أو شرًا انكشف لنا ما علمه الله وخلقه وكتبه ، وعلم الله بفعل العبد علم معرفة وإحاطة سابقة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[سبأ:٣] .

ويعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما سيكون ، وكون الله قد شاء وقوع المعاصي ، فإن العاصي هو الذي اختارها ، فإن الله لا يحب المعاصي ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويكرهها ، والله يحب الطاعات ويبغض المعاصي ، ولكن الله أمر بالطاعات، ونهى عن المعاصي: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

فالله ﷻ عليمُ بكل شيء ، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وما يأذن به، وما يأمر به : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس:٦١] .

وعن بن مسعود ﷺ قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ

يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيْدٍ ؛ فَوَ اللهِ الَّذِيْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا . وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا »متفق عليه[1] .

وأفعال الله ﷻ دائرة بين العدل والإحسان ، لا يمكن أن يظلم أحدًا ، والإحسان أحب إليه من العدل ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة ، فهو سبحانه إما أن يعامل عباده بالعدل ، وإما أن يعاملهم بالإحسان ، فالمسيء من كافرًا أو مشرك يعامله بالعدل، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾ [الشورى : ٤٠]

والمحسن يعامله بالفضل والإحسان ، كما قال سبحانه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

فالله ﷻ يعامل المؤمنين بالفضل والإحسان ، ويعامل الكفار والعصاة بالعدل ، فالحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، للمؤمنين ، والسيئة بمثلها أو يعفو عنها: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾ [النساء: ١١٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم برقم: (١/ ٢٦٤٣) واللفظ له.

٦- فقه أوامر الله ﷻ

الله ﷻ ملك الملوك له أوامر على خلقه .

وأوامر الله ﷻ نوعان :

الأول: أوامر ملكية كونية، وهذه مستمرة، ينزل منها في كل ثانية مليارات الأوامر .

الثاني: أوامر ملكية شرعية، وهذه انقطعت بموت النبي ﷺ .

والأوامر الكونية ثلاثة أنواع :

الأول : أمر الخلق والإيجاد ، وهو متوجه من الله إلى جميع المعلومات بالخلق، كما قال الله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر:٦٢] .

الثاني : أمر البقاء ، وهو المتوجه إلى جميع المخلوقات بالبقاء، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾[فاطر:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥ ﴾[الروم:٢٥] .

الثالث : أمر التصريف والتدبير، والعطاء والمنع، والنفع والضر ، والحركة والسكون ، والحياة والموت ، وهو متوجه من الله إلى جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧]

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[الأعراف:١٨٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾[غافر:٦٨] .

أما الأوامر الشرعية فهي خمسة أنواع وهي :

١-أوامر التوحيد والإيمان .

٢- وأوامر العبادات .

٣-وأوامر المعاملات .

٤- وأوامر المعاشرات .

٥-وأوامر الأخلاق .

وهذه موجهة من الله للثقلين الإنس والجن فقط ، وهي الدين الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهي أعظم نعم الله على خلقه، وقد انقطعت بموت النبي ﷺ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] .

وبمقدار قوة اليقين على أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وأوامره الكونية والشرعية يأتي عند العباد الشوق والرغبة لامتثال أوامر الله الشرعية بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ .

وبامتثال أوامر الله الشرعية يحصل لنا الأمن والهداية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

ويفتح الله لنا بركات السماوات والأرض في الدنيا ، ويدخلنا الجنة في الآخرة : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

٧- أقسام أوامر الله ﷻ

أوامر الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :

الأول : أوامر شرعية قد تقع من العبد ، وقد يخالفها العبد بإذن الله

ومنها : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء:٢٣] .

فمن الناس من يؤمن، ومن الناس من يكفر ، ومن الناس من يطيع، ومن الناس من يعصي، هذه الأوامر، كما قال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: ٢٩] .

الثاني : أوامر كونية لا بد من وقوعها، ولا يمكن للإنسان مخالفتها ، **وهي نوعان** :

الأول : أمر رباني مباشر لازم الوقوع.

فكل ما أراد الله وقوعه فلا بد أن يقع لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .

الثاني : أوامر ربانية كونية.

وهي السنن الكونية التي تتكون بإذن الله من أسباب ونتائج، يتفاعل بعضها مع بعض ، ولكل سبب كوني نتيجة ، ومن السنن الكونية : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنفال: ٥٣] .

ومن ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإسراء:١٦] .

ومن ذلك : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[النحل:١١٢] .

وهذه السنن الكونية يمكن لإبليس وأتباعه محاولة تسخيرها، وجر الناس إليها، لتكون سببًا في هلاك بعض الناس ، وقد شرع الله لنا الاستغفار والتوبة والدعاء للنجاة من ذلك .

والدعاء لجوء إلى الله الذي خلق السنن الكونية كلها كالماء، والنار وغيرهما، فهو القادر على إبطال مفعولها، أو تغيير نتيجتها، في أي وقت شاء وكيف شاء، كما أبطل مفعول النار على إبراهيم ﷺ فكانت بردًا وسلامًا وهي تشتعل: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠] .

أقسام الحسنات والسيئات:

الحسنات قسمان ، والسيئات قسمان .

فالحسنات قسمان :

الأول : حسنة سببها الإيمان والعمل الصالح ، وهي الطاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧١] .

الثاني : حسنة سببها الإنعام الإلهي على الإنسان ، بما يؤتيه الله من مال وأمن، وصحة وعزة ونحو ذلك: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

والسيئات كذلك قسمان :

الأول : سيئة سببها الشرك والمعاصي ، وهي ما يصدر من الإنسان من شرك ومعصية: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤] .

الثاني : سيئة سببها الابتلاء ، أو الانتقام الإلهي ، كأمراض الجسم، وضياع المال، والخوف والجوع، والهزيمة ونحو ذلك:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

فالحسنة: بمعنى الطاعة لا تنسب إلا إلى الله، فهو الذي شرعها للعبد، وعلمه إياها، وأمره بفعلها، وحببها إليه ، وأعانه عليها، وأثابه عليها: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات: ١٧] .

والسيئة: بمعنى المعصية لله ورسوله ، إذا فعلها العبد بإراداته واختياره، مؤثرًا المعصية على الطاعة ؛ فهذه السيئة تنسب للعبد فاعلها، ولا تنسب إلى الله، لأن الله لم يشرعها ، ولم يأمر بها ، بل حرمها وتوعد عليها، كما قال سبحانه : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[النساء:٧٩] .

أما الحسنة: بمعنى النعمة؛ كالمال، والولد، والصحة، والنصر، والعزة .

والسيئة: بمعنى النقمة، والابتلاء كالنقص في المال، والأنفس والثمرات، والهزيمة وأمثالها .

فهاتان الحسنة والسيئة بهذا المعنى من عند الله وحده؛ لأنه ﷻ يبلوا عباده ابتلاءًا، وانتقامًا، ورفعة، تربية لعباده، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾[النساء:٧٨] .

سبل دفع عقوبة السيئات .

فالمؤمن إذا عمل سيئة فعقوبتها تندفع عنه بما يلي:

١-إما أن يتوب إلى الله فيتوب الله عليه .

٢-أو يستغفر الله فيغفر الله له .

٣-أو يعمل حسنات تمحوها .

٤-أو يدعوا له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له .

٥-أو يهدوا له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به .

٦- أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تكفر عنه .

٧- أو يبتليه في البرزخ بمصائب فيكفر بها عنه .

٨- أو يبتليه في عرصات القيامة بما يكفر عنه .

٩- أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ.

١٠- أو يرحمه أرحم الراحمين، والله غفور رحيم: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[طه:٨٢] .

حكمة خلق الطاعات والمعاصي :

الله ﷻ حكيم عليم، خلق الماء والنار، وخلق الطاعات والمعاصي، لحكم عظيمة ، الطاعات يحبها الله، والمعاصي يبغضها الله، وقد أمر الله الخلق بالطاعات، ونهاهم عن المعاصي، وأمرهم بالتوبة من الذنوب والمعاصي،

وخلق الله الإنسان مختارًا يطيع ربه مرة، ويعصيه مرة ، وربما أورثت الطاعة عند بعض الناس العجب والمنة .

فخلق الله المعصية التي ربما أورثت بعدها التوبة والذلة والانكسار بين يدي الرب ، فسبحان الحكيم في خلقه وأمره وشرعه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان:٢-٥] .

فقه الطاعات والمعاصي :

مقصود الله من خلقه : توحيده، والإيمان به، وطاعته، وعبادته بما شرع .

والطاعة : تولد المنفعة، وتثمر الأخلاق الحسنة .

والمعصية : تولد المضرة وتثمر الأخلاق السيئة .

فالشمس والقمر ، والنبات والحيوان ، والبر والبحر، أطاعت ربها فخرج منها منافع كثيرة لا يحصيها إلا الله ﷻ .

والأنبياء والدعاة، والعلماء، لما أطاعوا الله، خرج منهم من الخير ما لا يحصيه إلا الله تعالى .

وإبليس وجنوده من الجن والإنس، لما عصوا ربهم، وأبوا واستكبروا عن طاعة الله، خرج بسببهم من الشر والفساد في الأرض ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

وهكذا الإنسان إذا أطاع ربه خرج منه من الخير والمنافع له ولغيره ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، وإذا عصى العبد ربه خرج منه من الشر والمضار له ولغيره ما لا يحصيه إلا الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص: ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء :١٣-١٤] .

فللطاعات ثمرات، وللمعاصي عقوبات :

فقد جعل الله ﷻ للطاعات والحسنات آثارًا لذيذة طيبة محبوبة ، لذتها فوق لذة المعصية بأضعاف مضاعفة ، فكل طاعة يعقبها طمأنينة ، وهداية ، وأمن ، وفلاح ، وسعادة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨] .

وجعل سبحانه للمعاصي والسيئات آثارًا وآلامًا مكروهة، تورث الحسرة والندم، والضيق والهم، والضنك والخسارة، وتُربي على لذة فعلها بأضعاف مضاعف: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

وما حصل لعبد حال مكروهة قط إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[الشورى:٣٠].

والذنوب مضرة بالقلوب، مثل السموم مضرة بالأبدان، بل أعظم وأخطر: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

والله خلق الإنسان على الفطرة حسنًا جميلًا ، فإن تلوث بالذنوب والخطايا نُزع منه حسنه وجماله ، وإذا تاب إلى الله عاد إليه حسنه وجماله، وبلغ كماله في الجنة ، ورافق رسله وأنبياءه في الدنيا بإتباع السنة، وفي الآخرة بدخول الجنة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

وأفعال الله كلها في غاية الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان ، يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، وهو الحكيم العليم ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، وعذابه وعقوبته ، وثوابه وعقابه : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠ ﴾[المائدة:٤٠] .

فقه الهداية والإضلال :

الله ﷻ هو الهادي الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، فالملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ ﴾[الأنبياء:٢٣] .

ومن رحمته سبحانه أن فطر الناس على التوحيد، وحب الخير، وبغض الشر ، ثم أكرمهم بأن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل الكتب ، وأوضح السبل ، وأزاح العلل ، ومكن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وبعد ذلك، فمن آثر الهداية، ورغب فيها، وطلبها، وعمل بأسبابها، وجاهد في سبيل تحصيلها، هداه الله إليها ، وأعانه على تحصيلها وتكميلها ، وهذا من رحمة الله بعباده، وفضله عليهم، وإحسانه إليهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

ومن أثر الضلالة، ورغب فيها، وطلبها، وعمل بأسبابها، تمت له ، وولاه الله ما تولى، ولم يجد من الله صارفًا عنها، وهذا عدل الله :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

فقه القدر :

الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، هو الركن السادس من أركان الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل حين سأله فقال: ما الأيمان ؟ قال : « الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ؛ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »أخرجه مسلم(١).

وقضاء الله وقدره كله خير ورحمة، وحكمة وإحسان ، والقضاء يوصف بالخير والشر بالنسبة إلينا ، فما قدره الله لنا ، أو قدره علينا، فيه خير وشر،

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧/ ١٠).

وحلو ومر ؛ لأن أفعال الله ﷻ كلها حكمة ، ورحمة ، وخير ، بل أفعاله كلها أخير من غيرها : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص:٦٨] .

فأثر قدر الله علينا بالنسبة إلينا :

منه ما هو حلو : من الصحة ، والسلامة، والرزق ، والأولاد .

ومنه ما هو مر : من الأمراض ، والمصائب وهلاك الأموال، والأولاد .

وكل ذلك من الله خير وحكمة، فالله خلق الملائكة لحكمة، وخلق إبليس لحكمة ، وأعطانا لحكمة، ومنعنا أمورًا لحكمة، فالخير كله بيديه، والشر ليس إليه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]

ولا يسلم توحيد العبد إلا باتقاء الشركين :

الشرك الأكبر .. والشرك الأصغر .

ومن تساهل في الأصغر جره الشيطان إلى الأكبر:﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٤-٦٦] .

ومن أعظم الأشياء التي تخرم الإيمان عدم الرضا بالقدر خيره وشره ، سواء وقع عليه، أو وقع على غيره ، فالناس يتقلبون في أقدار الله من الغنى والفقر، والصحة والمرض، والأمن والخوف، والربح والخسارة ونحو ذلك.

فقه الابتلاء:

الناس عبيد الله ابتلاهم بأمرين :

أحدهما: التكليف، وهي الأوامر الشرعية .

الثاني: التقدير، وهو الأقدار الإلهية:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

فكل إنسان مبتلى بأمرين :

بالتكليف.. والتقدير .

فالتكليف : يكون بالأمر والنهي .

والتقدير : هو ما يجري على الإنسان من محبوب أو مكروه .

والله يوصينا في القرآن كثيرًا بالتقوى والصبر ، فالتقوى متعلقة بالابتلاء بامتثال أوامر الله ، والصبر متعلقُ بالابتلاء بالقدر : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يوسف:٩٠] .

وقال عز وجل:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢-٣] .

فالمسلم مكلف بأمرين :

الأول : أفعال الله فيه، وهي القدر، والمطلوب منه الصبر والرضا والحمد .

الثاني : أوامر الله له ، وهي التكليف، والمطلوب منه التقوى ، وهي امتثال الأمر، واجتناب النهي ، وهذان شقا التكليف، والابتلاء امتثال الأمر، والصبر على القدر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

فالله خلق الإنسان للابتلاء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[الملك:١-٢] .

إما عملًا بالتكليف وهو الأمر والنهي، أو عملًا أمام التقدير بالصبر والرضا، فالإنسان في كل حال مبتلى ؛ إما بالتكليف، أو مبتلى بالتقدير الذي يجري عليه ، والتقدير من الله حلو ومر ، والهلكة من الله حلو ومر ، والهلكة بالحلو أكثر من المر، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[العلق:٦-٧] .

فمن آمن بالقدر ، رضي عن الله، ورضي الله عنه ، ورضي بما قسم الله له ، ولم يتمنى إلا ما قدر الله له من حلو ومر : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١] .

فالناس مبتلون بالتكاليف وهي الأوامر والنواهي، كما هم مبتلون بالمقادير حلوها ومرها، والواجب تقوى الله في التكاليف، والصبر على المقادير : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق:٢-٣] .

فالواجب تقوى الله في التكاليف، والصبر على المقادير : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠] .

فإن قدر الله لك نعمة ، فاشكر الله ولا تتمرد ، وإن قدر الله عليك مصيبة فاصبر ولا تتسخط ، فهذا عطاء، وهذا عطاء ، والله يربي عباده بالسراء والضراء ، وعلى العبد الرضا بهذا وهذا : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١] .

وهو سبحانه الحليم الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾[الشورى: ٢٧] .

والمؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

فلا بد للناس من الابتلاء ليتبين الصادق من الكاذب ، والابتلاء يكون بالمحبوب والمكروه ، وبالحلو والمر، وبالعطاء والمنع: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت:٢-٣] .

وعلم الله سابق على كل شيء قبل وقوعه ، ولكن الله يظهره ليطابق لما كتبه في اللوح المحفوظ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩-٥٠] .

٨- فضل الله وعدله

الله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته :

فمتى علم الله في قلب الإنسان خيرًا آتاه الخير، كما قال الله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾[الأنفال:٧٠] .

ومن علم الله في قلبه الشر وكله إلى نفسه ، وحال بينه وبين الخير، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾[المائدة:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾[الصف:٥] .

فمن اهتدى زاده الله هدى، ومن زاغ أزاغ الله قلبه، وحرمه مما ينفعه عقوبة له: ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦ ﴾[الإسراء:٤٥-٤٦] .

فالله يعطي الفضل لمن شاء بسبب : ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[الشورى: ١٣]

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ [الحج:٥٤] .

فالله ﷻ يعطي الفضل لمن شاء من عباده بسبب ، ويحرمه من شاء بسبب : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥] .

فالله حكيم عليم يضع الشيء في موضعه ، ويعطي الفضل من يستحقه، ويحرمه من لا يستحقه : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة:٤] .

اعتراضات الخلق:

اعتراضات الخلق ثلاثة أنواع :

الأول : اعتراض بعض الناس على أسماء الله وصفاته بالشبه الباطلة ، فالعاصم من ذلك كله التسليم للوحي الذي يرى به العبد الحق صريحًا : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان: ٢٢]

الثاني : اعتراض بعض الخلق على شرع الله وأمره ، في العقيدة والأحكام .

الثالث : الاعتراض على أفعال الله ، وقضائه وقدره .

وهذا اعتراض الجهال والسفهاء ، **وهو أنواع** :

أحدهما: كاعتراض المشركين على اختيار نبينا محمد ﷺ في قولهم : ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾ [الزخرف:٣١] .

رد الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢] .

الثاني: واعتراض اليهود على أنه ليس منهم .

الثالث: الاعتراض على ما قضاه الله وقدره من النعم والمصائب .

والعاصم من ذلك كله التسليم لمن آمنا به بكل شيء، بتصديق أخباره ، وتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾[لقمان: ٢١] .

والإنسان إذا فعل ما يستطيع مما أُمر ببذله أو فعله ، وأخلفت الأمور فلم يتم ما أراد ، فهذا الإنسان يفوض الأمر إلى الله الذي يفعل ما يشاء بحكمته ولا يختار لعبده إلا ما هو أصلح له في الدنيا و الآخرة ، وهذا مأجور على فعل ما يقدر عليه ، وفيما قدره الله حكمة ورحمة وإحسان .

فإذا بذل الإنسان الجهد ، واستعان بالله ، وسار الأمر على خلاف المطلوب ولم يتحقق ما يريد فلا يندم ، ولا يقول : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، فقد جرى ما قدر الله، ولو تفتح عمل الشيطان من الهم والحزن والضيق ، وكم من إنسان كره وقوع شيء فصار في العاقبة خير له، كما قال سبحانه : ﴿

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦] .

وقال النبي ﷺ : « المُؤمن الْقوي خير وَأحب إِلَى الله من المُؤمن الضَّعِيف وفِي كل خير، احرص على مَا ينفعك، واستعن بِاللَّهِ وَلَا تعجز وَإِن أَصَابَك شَيْء فَلَا تقل لَو أَنِّي فعلت لَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِن قل قدر الله وَمَا شَاءَ فعل فَإِن لَو تفتح عمل الشَّيْطَان »أخرجه مسلم[1] .

والاحتجاج بالقدر على قسمين :

الأول: الاحتجاج بالقدر ممنوع ومحرمُ ، إذا أراد الإنسان أن يستمر على معصية الله، ليدفع اللوم عن نفسه ، فإن هذا من عمل الشيطان : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ [لقمان: ٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨] .

فمن احتج بالقدر على ما يفعله من المعاصي فقد ظلم نفسه، وقال على الله غير الحق ، فمثلًا كأن تقول لمن يتهاون بصلاة الجماعة صلي مع الجماعة ، فيقول : لو هداني الله لصليت .

هذا ليس بصحيح ؛ لأنه يحتج بالقدر، ليستمر في المعصية ، وهذا لا يجوز ، فإن الله أعطى الإنسان الخيار بأن يؤمن أو يكفر ، أو يطيع ويعصي:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤ / ٢٦٦٤).

لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف: ٢٩] .

الثاني: إذا وقع الإنسان في معصية ، أو خطأ وتاب إلى الله وندم على ما فعل وقال : هذا شيء مقدر علي ، ولكن أستغفر الله ، وأتوب إليه .

فهذا صحيح لا مانع منه ، لأن الله كتب كل شيء : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٥٠] .

وآدم ﷺ لما وقع في المعصية تاب إلى الله، فتاب الله عليه كما قال سبحانه عن أدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[البقرة:٣٧] .

فالله ﷻ حكيمُ عليم ، يقلب الأحوال على العباد، ليستخرج منهم العبودية في حال السراء ، وفي حال الضراء ، ليشكروه على النعم، ويصبروا على البلاء ، والله يحب الصابرين، والله يحب الشاكرين .

فالناس صنفان :

قوي وضعيف .. وغني وفقير .. وصالح وفاسد .. ومسلم وكافر .. وطيب وخبيث .. ومبتلى ومعافى .

والقوة والضعف كلاهما يجري على العبد بقدر الله ، فقد يكون الإنسان ضعيفًا في بدنه، أو ضعيفًا في عقله، أو ضعيفًا في ماله أو ضعيفًا في جاهه ونحو ذلك .

وقد يكون الإنسان قويًا في كل ذلك ، وكلاهما بمشيئة الله ، فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء:٣٠] .

والله حكيم عليم ، بصير بالعباد، قد يجعل الإنسان ضعيفًا من وجه، لكنه قويًا عند الله من وجه أخر، يحبه الله لذلك ويكرمه، ويكون وجيهًا عنده في الدنيا والآخرة، وهذا هو المهم وهو المقصود: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أنه قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالسٍ: « مَا رَأْيُكَ في هَذَا » فقال هذا رجل من أشراف النَّاس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفَّع، قال : فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجُلٌ آخر، فقال له رسول الله ﷺ: « مَا رَأْيُكَ في هَذَا ؟» فقال : يَا رسولَ الله، هذا من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ إن خطب ألاّ ينكح، وإن شفع ألا يشفَّع، وإن قال لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْل هَذَا »أخرجه البخاري[1] .

فقه القدر الإلهي :

القدر الإلهي نوعان :

الأول : الأوامر الكونية التي يجريها الله في الكون ، كالحياة ، والموت والتصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين ، والخلق والرزق ، ونحو ذلك مما يجري في الكون ، لنعلم به عظمة الله، وكمال قدرته، وسعة علمه ،

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٩١).

وعظيم إنعامه وإحسانه ، فنطيعه ونعبده ولا نتعلق بأحد سواه ، لما نراه من عظمة جلاله وجماله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وإذا علمتم ذلك ، تعلقتم بالله، وتوجهتم إليه، وآمنتم به .

الثاني : الأوامر الكونية المتعلقة بالإنسان، فالقدر الإلهي يجري على الإنسان بحسب إيمانه، وعمله الصالح ، أو بحسب كفره، وعمله السيئ، فمن آمن وعمل صالحًا، أسعده الله في الدنيا، ثم تزداد سعادته عند الموت ، ثم تزداد سعادته في القبر ، ثم ينال كامل السعادة في الجنة:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

ومن كفر وعمل السيئات ، شقي في الدنيا ، ثم ازداد شقاؤه عند الموت ، ثم يزداد عذابه في القبر ، ثم ينال كامل العذاب في النار يوم القيامة : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

وقال ﷻ عن الكفار : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الرعد:٣٤] .

فيجري قدر الله على العبد من خير أو شر ، أو نعمة أو نقمة ، أو سعادة أو شقاوة ، بحسب ما يصدر من الإنسان من عمل ، فلكل إنسان من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، بحسب ما يصدر منه من عمل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[الأنعام:١٦٠] .

فمن أحسن أحسن الله إليه، ومن أساء جنى على نفسه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس: ٢٦].

هكذا سنة الله في خلقه واحدة بواحدة : ﴿وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾[الرعد:٣١] .

فمن أطاع الله ورسوله ، أكرمه الله في الدنيا بأكثر من ثلاثين كرامة ذكرها الله في القرآن ، وذكرها النبي ﷺ في السنة .

وأكرمه في الآخرة كذلك بأكثر من ثلاثين كرامة ، ذكرها الله في القرآن وذكرها النبي ﷺ، في السنة .

ومن عصى الله ورسوله ، عاقبه في الدنيا بأكثر من ثلاثين عقوبة ، ليعود إلى ربه ، قد ذكرها الله في القرآن ، وذكرها النبي ﷺ في سنته .

وعاقبه في الآخرة بأكثر من ثلاثين عقوبة ، ذكرها الله في القرآن، وذكرها النبي ﷺ في السنة .

فكل قدر يجريه الله على الناس فإنما هو حسب ما يصدر منهم من خير أو شر، أو طاعة أو معصية ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون سر هذه الأقدار، ولهذا تجدهم يتوجهون إلى المخلوق في حلها ، والحقيقة أن حلها بأيديهم، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١] .

يغيروا الشرك بالتوحيد ، والكفر بالإيمان ، والمعصية بالطاعة ، والإساءة بالإحسان فيغير الله أحوالهم إلى خير ، والعكس بالعكس: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣] .

كرامات المؤمن في الدنيا والأخرة:

كرامات المؤمن في الدنيا كثيرة منها :

الحياة الطيبة .. معية الله .. محبة الله له .. النصر، والأمن .. الخلافة في الأرض .. ولاية الله له، والطمأنينة .. حصول الهداية، وعدم الضلالة .. مغفرة الذنوب، وقبول الله لتوبته .. النجاة من الهلاك، والفوز بكل خير .. رحمة الله له، والفلاح، وحصول الرزق .. التيسير في الأمور، والدفاع عن المؤمن .. مضاعفة الثواب على الطاعات .. تثبيت الله وملائكته له .. استجابة الله لدعائه .. رضا الله عنه .. والأمن والطمأنينة عند الموت، وغير ذلك من الكرامات .

أما كرامات المؤمن في الآخرة فكثيرة منها :

دخول الجنة ، وسماع كلام ا لله ﷻ، ورضوان الله على المؤمنين، ورضاه عنهم ورؤيتهم له، والقرب من الله ﷻ، والسلامة من الآفات، وملك القصور العظيمة ، والخلود في الجنة، والأمن، والزوجات الطاهرات، والحور الحسان، والطعام اللذيذ بأنواعه، والشراب بأنواعه، والأنهار الجارية بأنواعها، والعيون بأنواعها، وغناء الحور العين وغيرها من الكرامات التي تزيد على ثلاثين كرامة .

أما عقوبات الله للكافر في الدنيا فكثيرة منها:

من أعرض عن دين الله عاقبه الله بالمعيشة الضنك، وعاقبه الله ﷻ بقارعة قبل يوم القيامة، والعذاب الكبير لمن ظلم، ومن زاغ عن الدين أزاغ الله قلبه، ومن عادى أولياء الله حاربه الله، ومن عمل سوءاً جزاه الله به، ومن كفر غضب الله عليه وأدخله النار .

أما عقوبات الكافر في الأخرة فكثيرة منه:

دخول النار، والخلود في النار، والعذاب العظيم، والعذاب الشديد، والعذاب الأليم، والعذاب الكبير، والذل والإهانة، والطعام الكريه، والماء الحار، وسخط الرب، ولعنته وغير ذلك من العقوبات التي تزيد على ثلاثين عقوبة .

نسأل الله السلامة والنجاة في الدنيا والأخرة .

وغير ذلك من الكرامات والعقوبات، في الدنيا والآخرة ، وكلها مذكورة في القرآن والسنة .

٩- هل الإنسان مخير أم مسير ؟

الله ﷻ خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل ، والإنسان خلقه الله مسيرًا في أشياء، ومخيرًا في أشياء ، فالإنسان مسير لا خيار له في خلقه ولونه ، ونوعه ، وطوله ، وعرضه ، وحركته : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر:٦٢] .

هذه الأمور لا يحاسب عليها العبد، لأنها من فعل الله به .

والإنسان مخيرُ في توجيه الحركة إلى خير أو شر ، إلى إيمان أو كفر ، إلى طاعة أو معصية، وهذه الأفعال هي التي يحاسب عليها العبد: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾[الإنسان:٢-٣].

والإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي يجب على العبد أن يؤمن بها ليكمل له الإيمان .

لأن الإيمان ثلاث درجات :

إيمان موجود .. وإيمانٍ مفقود .. وإيمانٍ مطلوب .

والإيمان المطلوب: هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

والإيمان الموجود هو ما عرفه المؤمن،

والإيمان المفقود هو ما جهله المؤمن .

فالإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان .

ووجود الأمر والنهي في الشريعة ، دليل على أن الإنسان مخير ، يفعل ما يريد، ويترك ما يريد ، فلا معنى للأمر والنهي إلا إذا كان الإنسان قادرًا على الفعل أو الترك ، على الطاعة أو المعصية .

ومن قال إن الإنسان مجبور على أفعاله من الله ، فهو جاهل بالشرع ، بل خلق الله الإنسان مخيرًا ، قادرًا على الفعل أو الترك ، مهيأ للطاعة أو المعصية ، قادرًا على الكلام والسكوت ، قادرًا على الضحك والبكاء ، قادرًا على الحركة والسكون:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢-٣] .

ولولا الاختيار الذي أعطاه الله للإنسان ، لبطل أمر التكليف ، وأمر الثواب والعقاب، فالإنسان في حركته مخير: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾[الإنسان:٢٩ -٣١] .

فمن رأى من الخلق أنه مسيرًا لا مخير، فهو جاهل وكاذب وسفيه ، قال على الله غير الحق: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ

قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٠] .

فالإنسان مخير في حركته ، واختياره ما شاء لا مسير : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الإنسان: [الإنسان:٢-٣] .

فالإنسان مخير بدليل قرآني ، ودليلٍ واقعي ، ودليلٍ حسي ، فمن أراد الهداية وطلبها أعانه الله : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١٣]

ومن أراد الضلالة، لأنه مخير أذن الله له بذلك ، والذي أراد الهدى أعانه الله ، وإذا عزي الإضلال إلى الله ، فإن الله ﷻ يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء، إذا عُزي الإضلال إلى الله، فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال العبد الاختياري، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨ – ٩١] .

ومشيئة الله فوق مشيئة العبد ، ولا يقع شيء في الكون إلا بإذنه سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩] .

وما يفعله العبد يتحمل هو تبعة عمله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦] .

والله لو شاء أن يُجبر العباد على شيء ، لأجبرهم على الهدى ؛ لأنه حكيم رحيم بعباده ، رءوف رحيم ، ولكنه ترك الإنسان مخيرًا ، إن شاء أن يؤمن أو يكفر ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وزوده بالسمع والبصر والعقل : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة:١٣] .

فالذي كفر بالله لم يستعمل الطاقة التي أعطاه الله ﷻ في معرفة الله بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ومعرفة الحق : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

ومن جهل الإنسان بالله وأحكامه ، أنه قد يعزو أخطاءه ومعاصيه إلى القضاء والقدر ، وأما فضائله فيعزوها إلى نفسه ، فيقول ربحت ونجحت، ونجوت وتفوقت ، فالسلبيات يعزوها إلى الله ، والإيجابيات يعزوها إلى نفسه ، إن الإنسان ظلوم كفار ، وظلومُ جهول:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء:٧٩] .

فقه القدر :

الله ﷻ كل إراداته خير ، وأما مراداته ، ففيها الخير والشر ، وكل قضائه سبحانه خير ، وأما مقضياته ففيها الخير والشر، والناس أوعية ، منهم من يعلم الله تعالى في قلبه خيرًا فيوفقه ، ومنهم من يعلم الله أن في قلبه شرًا فيخذله ، وإذا أراد الله بعبده خيرًا فقهه في دينه ، وأعطاه من العلم بشريعته ما لم يعطي أحداً من الناس:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤] .

والفقه في الدين ليس هو العلم فقط ، بل هو العلم، والعمل المقرون بالخشية ، فالذي يحفظ أحكام الشريعة، ولا يعمل بها فهذا ليس بفقيه ، ولكنه قارئ، لأن الفقيه هو الذي يعمل بما علم ، مقرونًا بخشية الله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٣-٢] .

وأهل الخشية هم : العلماء الربانيون ، العلماء بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ، فهؤلاء هم الذين يخشون الله ﷻ ، لكمال معرفتهم بالله ودينه

وشرعه ، وهذه المعرفة سبب لخشية الله جل جلاله ، ومن رزقه الله الخشية عُصم من الذنوب ، وإن أذنب استغفر وتاب إلى الله ﷻ ؛ لأنه يخشى الله ويخافه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

ومن رحمة الله بعبده أن هداه سبل معرفته، وأمره بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، ليعرف ربه الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ومن رحمة الله ﷻ بعبده ، أنه إذا علق قلبه بمخلوق ، خذله الله من جهته ، فلم يقض ذلك المخلوق حاجته ، ليعود إلى ربه ؛ لأن الله يغار على عبده أن يتعلق بغيره : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة:٢١٦] .

فمن أعرض عن الله فهو يعيش في عذاب دائم في الدنيا والآخرة: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

ومن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله رضي عنه في كل ما يقدره عليه ؛ لأن الله أرحم بالعبد من نفسه ، لأن هذا الذي عرف ربه يعلم أن الله ما أراد به إلا خيرًا ، ويعلم أن ما أراده الله لا بد أن يقع ، وإرادة الله مقرونة بالقدرة المطلقة ، والقدرة المطلقة مقرونة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

فكل ما قضاه الله وقدره ، في الكون أو للإنسان كله حكمة ورحمة ، وعدل ، وإحسان ، والخير كله بيد الله ﷻ ، والشر كله ليس إليه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦]

فأفعال الله كلها خير ، وإن رأى بعض الناس فيها شرًا ، وذلك كخرق السفينة من الخضر ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار .

فظاهر فعل الخضر شر ، لكن في باطنه كل خير ، فالخير والشر يُنسب إلى العبد ، أما فعل الله فكله خيرُ مطلق ، فإذا كان الفعل بأمر الله كما حصل للخضر فكله خير، كما قال الخضر لموسى ﷺ: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٧٨-٨٢] .

فالله سبحانه خلق كل شيء؛ النور والظلام ، والجنة والنار، والخير والشر ، ولكن يُنسب الشر إلى فاعله ، ولا يُنسب إلى الله أدبًا ، كما قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن:١٠] .

والإنسان مختار فيما يريد ، والذي خيره الله بقوله: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾[الكهف: ٢٩] .

ولو كان الإنسان مجبورًا على الطاعة أو المعصية لانتفت الحكمة من بعثة الأنبياء والرسل ، فلماذا يرسل الله الأنبياء والرسل بالأوامر والنواهي ؟ ، والناس مجبورون على الطاعة أو المعصية ، هذا عبث، والله منزه عن العبث، لأنه الحكيم العليم بمصالح العباد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

والله سبحانه أمرنا ونهانا بأوامر نستطيع أن نفعلها فعلًا أو تركًا ، ولم يكلفنا بما لا نستطيع ، ولو كلفنا بما لا نستطيع لكان ظلمًا ، والله منزه عن الظلم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾[النساء:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾[الطلاق:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وإنما أرسل الله الرسل بما تستطيعه البشر : ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ ﴾[النساء:١٦٥] .

فقه الإيمان بالقدر :

القدر : هو إيجاد الله للأشياء وفق علمه وإرادته خلقًا وأمرًا :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى: ١ -٣] .

والإيمان بالقضاء والقدر ، من تمام الإيمان بالله وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فالله رب كل شيء ومالكه وخالقه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم خلقه، وما أعظم أمره:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤].

فيجب على الإنسان أن يؤمن بالله، وملائكته ، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، فيؤمن الإنسان بذلك ، ويؤمن بأن الله يعلم كل ما كان، وما يكون، وما سيكون من صغير وكبير ، وخلقٍ وأمر ، ويؤمن بأن الله على كل شيء قدير ، كل شيء أراده الله فلا بد أن يقع ، وكل شيء وقع أراده الله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] .

ويرضى العبد ويُسَلم لكل ما قضاه الله وقدره ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩ – ٥٠] .

مراتب الإيمان بالقدر:

مراتب الإيمان بالقدر أربع، لا بد لكل إنسان من معرفتها واستحضارها في كل حال :

الأولى : أن تؤمن بأن الله عالمُ بما كان وما يكون وما سيكون ، من المخلوقات، والأحوال، والأوامر، والأشياء، وأن علم الله محيط بكل شيء : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[الحج:٧٠] .

فالله عالم بكل شيء قبل كونه ، عالمُ بالمكان والزمان ، وعالمُ بالعالم العلوي والعالم السفلي ، وعالمُ بكل صغير وكبير ، وعالمُ بكل قول أو فعل قبل كونه ، وعالمُ بفعل العبد قبل أن يفعله ، وعالمُ بقول العبد قبل أن يقوله ، وعالمُ برزق العبد قبل أن يصل إليه ، وعالمُ بموت الإنسان قبل أن يموت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت:٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

والغيب ثلاثة أقسام :

غيبُ كان .

وغيبُ يكون .

وغيبُ سيكون .

والله وحده يعلم الغيب الماضي ، والحاضر ، والمستقبل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

فالله علمه محيط بكل شيء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان:٣٤] .

وعلم الله بأقوال وأفعال العباد علم انكشاف ، لا علم إجبار، لأن الله خلقهم مخيرين .

المرتبة الثانية: أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ ، فالله لما خلق القلم واللوح ، قال للقلم اكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكتب القلم كل شيء من المخلوقات ، والأوامر ، والأحوال ، ومقادير الخلائق إلى أن تقوم الساعة .

قال النبي ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اُكْتُبْ . فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ : اُكْتُبْ مَقَادِيْرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ » أخرجه أبو داود والترمذي[1] .

فلا يقع شيء في الكون إلا ما سبق بكتابته العلم الإلهي:

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٠٠)، والترمذي برقم: (٢١٥٥).

قال النبي ﷺ : « كَتَبَ اللهُ مَقَادِيْرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ »أخرجه مسلم[1] .

فكل شيء كتبه الله : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[يس:١٢] .

وعلم الله مطلق لا بداية له ، ولا نهاية ، لكن كتب الله من علمه في اللوح المحفوظ ما يتعلق بالمخلوقات ، والتدبيرات ، وأفعال العباد .

الثالثة : أن الله شاء كل شيء، فلا يحصل شيء إلا بإرادة الله سبحانه ، فلا تسقط حبة إلا بأمر الله ﷻ ، ولا تنتقل ذرة من مكان إلى مكان إلا بإرادة الله ، ولا يتحرك شيء في الكون إلا بإرادة الله ، ولا يموت أحد إلا بإرادة الله ، ولا يفعل أحد شيئًا إلا بإرادة الله ومشيئته ، فلا يقع في مُلك الله إلا ما يريده هو ، لا ما يريد غيره : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾[آل عمران:٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[المائدة:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] .

الرابعة : أن الله خالق كل شيء قبل أن يخلق ، ويظهر : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر:٦٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤] .

فالله علم كل شيء قبل وقوعه ، وكتبه، وشاءه، وخلقه ، وأظهره كما كتبه في اللوح المحفوظ :﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٣).

بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر: ٤٩ - ٥٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

فسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يريد في الدنيا والآخرة ، وفي عالم الغيب والشهادة :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

والله سبحانه أعطى كل إنسان القدرة على الفعل ، وخلق الإنسان وصفاته وأفعاله ، والفاعل الخير والشر هو الإنسان، وهو محاسب على الاختيار الذي أعطاه الله إياه:﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة: ٦ – ١١] .

والإنسان مخير في الفعل والترك ، له القدرة أن يجلس أو يمشي ، وله إرادة أن يؤمن أو يكفر ، وله قدرة أن يطيع أو يعصي : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

أقسام القدر الإلهي:

أقدار ﷻ الله تنقسم إلى قسمين :

أحدها : قدرُ مطلق مثبت ؛ وهو ما في أم الكتاب اللوح، المحفوظ، الإمام المبين ، فهذا لا يتبدل ولا يتغير ولا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له .

الثاني : قدر معلق أو مقيد ؛ وهو ما في صحف الملائكة ، فهذا الذي يقع فيه المحو والإثبات كما قال سبحانه : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]

والقدر : الذي هو علم الله ومشيئته وكلامه غير مخلوق .

وكذلك الشرع : الذي هو أمر الله ونهيه غير مخلوق لأنه كلامه .

أما المقدرات : من الآجال ، والأرزاق ، والأعمال ، والأحوال، فكلها مخلوقة ، وكذا الأفعال المأمور بها والمنهي عنها كلها مخلوقة .

فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع صفاتهم وأفعالهم مخلوقة : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣] .

فعلى العبد أن يفعل ما أمره الله به ، فإذا انكشف ستر الغيب عن تدبير لله غير تدبيره فليتقبل قضاء الله بالرضا والطمأنينة والاستسلام ؛ لأنه الأصل الذي كان مجهولًا له فكُشف الله عنه الستار: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة:٢٣٢] .

وعلى العبد كذلك أن يستعين بالله في فعل ما أمره الله به ، ويتوكل عليه ، ويدعوه ، ويرغب إليه مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر ، ينظر إلى القدر في المصائب لا في المعائب ، فيصبر على المصائب، ويستغفر من المعائب: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] .

وهذان الأصلان يحصل بهما راحة القلب وطمأنينته لكل ما قدر الله ﷻ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

وقد أمر الله ﷻ بالاستعاذة بكلمات الله التامات كل من نزل منزلًا كما قال النبي ﷺ : « إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلا فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهَّ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتحَِلَ مِنْه » أخرجه مسلم [1] .

وكلمات الله التي يُستعان بها نوعان :

كلمات كونية .. وكلمات شرعية .

والكلمات الكونية : هي التي كون الله بها الكائنات ، لا يخرج عنها بَر ولا فاجر ولا أي مخلوق في الكون ، فما من مُلك ، ولا سلطان ، ولا مال ، ولا جمال ، ولا علم ، ولا حال ، ولا تحريك ، ولا تسكين ، ولا تدبير ، ولا تصريف إلا وهو واقع بمشيئة الله وقدرته وكلماته التامات .

ولكن من ذلك ما هو محبوب لله مأمور به ، ومنه ما هو مكروه لله منهي عنه ، فسبحان من له الخلق والأمر : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس:٨٢-٨٣] .

والطاعات والمعاصي كلها واقعة بقضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته ، لكن الله ﷻ يحب الطاعات ويأمر بها ، ويكره المعاصي ويحذر منها .

والقدر كما جرى بالمعصية جرى كذلك بعقابها ، كما يقدر على العبد أمراضًا تُعقبه الألم ، فالمرض بقدره، والألم بقدره ، والعافية بقدره ، فإذا

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٧٠٨).

قال العبد : قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب ، كان بمنزلة قول المريض : قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم ولا أتعالج .

وهذا مع أنه جهل وسفه فإنه لا ينفع صاحبه ، بل اعتلاله بالقدر ذنب ثانٍ يعاقب عليه ؛ لأنه أذنب وكذب على الله ، وإنما احتج بالقدر إبليس ، وأما آدم فتاب ، فتاب الله عليه .

فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم ﷺ وزوجه : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

ومن أراد الله شقاوته اعتل بعلة إبليس أو نحوها ، فأبى واستكبر وكفر ، كما قال سبحانه عن إبليس : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤].

فالقدر نؤمن به ولا نحتج به ، ومن احتج بالقدر فحجته داحضة ، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول ، ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولًا لقُبل من إبليس وغيره من العصاة ، ولو كان القدر حجة للعباد على أفعالهم لم يعذب الله أحد من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ولو كان القدر حجة لم تقطع يد السارق ، ولا قتل قاتل ، ولا حُد شارب ، ولا أقيم حد ، ولا جاهد أحد في سبيل الله ، ولا أمر بالمعروف أحد ، ولا نهى عن المنكر أحد .

والله سبحانه علم الأمور وكتبها على ما هي عليه .

الله سبحانه عليمُ بكل شيء ، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ؛ لأنه وحده عالم الغيب والشهادة ، فالله سبحانه علم الأمور كلها وكتبها على ما هي عليه ، فتقع كما شاء وكما أراد ، فهو جل وعلا قد كتب أن فلانًا يؤمن

ويعمل صالحًا، فيدخل الجنة، لكمال عِلمه السابق ، وفلانًا يكفر ويعصي ويفسق، فيدخل النار لكمال عِلم الله به قبل أن يخُلق: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤] .

كما علم سبحانه أن فلانًا يتزوج فيأتيه ولد ، ويأكل فيشبع ، ويشرب فيروى ، فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان وعمل صالح كان ظنه فاسدًا وباطلًا ، كمن اعتقد أنه يأتيه ولد بلا وطء ، فالله قدر الأسباب والمسببات ، وقد جعل الله لكل شيء سببًا : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

فللدنيا أسباب ، وللجنة أسباب ، وللنار أسباب ، وللثواب أسباب ، وللعقاب أسباب ، والله سبحانه كتب أفعال العباد خيرها وشرها ، وكتب ما يصيرون إليه من الشقاوة والسعادة ؛ لكمال عِلمه بالشيء قبل وقوعه ، لا أنه ألزم الناس به: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[الحج: ٧٠] .

فالله خلق الناس مختارين، يؤمنون أو يكفرون ، يطيعون أو يعصون ، لكنه سبحانه جعل الأعمال سببًا للثواب والعقاب ، وكتب ذلك وعلمه ، كما كتب الأمراض وجعلها سببًا للآلام ، وكما كتب أكل السم وجعله سببًا للموت ، فالله قدر وكتب هذا وهذا ؛ لأنه الذي أحاط وحده بكل شيء علمًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت:٦٢] .

وكذلك من فعل ما نهى الله عنه من الكفر والمعاصي، فإنه يعمل ما كُتب الله عليه ، وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك .

فكل ما يجري في هذا الكون العظيم كائنٌ بقضاء الله وقدره ، وقد أمر الله ﷻ أن نزيل الشر بالخير ، والباطل بالحق بحسب الإمكان ، فنزيل الكفر

بالإيمان ، ونزيل البدعة بالسنة بإذن الله ، ونزيل المعصية بالطاعة ، ونزيل السيئة بالحسنة .

فيدفع المسلم ما قدره الله من الشر بما قدره الله من الخير مستعينًا بالله ، كما يدفع المؤمن شر الكفار والفجار بالقوة ورباط الخيل ، وكالدعاء والصدقة الذين يدفعان البلاء ، وكالدواء الذي جعله الله سببًا للشفاء وهكذا .

وما يكون من الشر جعله الله محنة لنا وابتلاءًا ، والله لم يأمرنا أن نرضى بما يقع من الكفر والفسوق والعصيان ، بل أمرنا أن نكره ذلك ، وندفعه بحسب الإمكان : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

فندفع قدر الله بقدر الله وبما أمر الله ، مع الصبر، والتوكل عليه، والاستعانة به في كل أمر ، وهذا هو الابتلاء : ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾[الفرقان:٢٠] .

والله تبارك وتعالى له الخلق والأمر ، فهو الخالق لكل شيء ولكل ما يقع في هذا الكون ، ولكل ما يقع للناس من أحوال ، ولكل ما يقع من الناس من أعمال : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فالناس يملكون بما أقدرهم الله عليه أن يتجهوا وأن يحاولوا ، ولكن تحقق الفعل ووقوعه لا يكون إلا بإرادة من الله وقدر ، فالإنسان قد يتجه ويحاول فعل الخير بالوسائل التي أرشد الله أنها تحقق الخير ، ولكن تحقق الخير فعلًا يتم بإرادة الله وقدره فقط ؛ لأنه ليست هناك قدرة غير قدرة الله تنشئ

الأشياء والأحداث وتحقق ما يقع في هذا الكون العظيم من وقائع:﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الأنفال:١٧] .

فإذًا يكون تحقق الخير بوسائله التي اتخذها الإنسان ، وباتجاه الإنسان وجهده عملًا من أعمال القدرة الإلهية ، فالله أقدره على الفعل فقدر، والله سدد رميته فأصاب .

وكذلك الإنسان قد يتجه إلى تحقيق السوء ، أو يفعل ما من شأنه إيقاع السوء ، ولكن وقوع السوء فعلًا لا يتم إلا بقدرة الله وقدر الله ؛ لأنه ليس هناك قدرة منشئة للأحداث والأشياء في هذا الكون غير قوة الله :﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١-٣٢].

وفي الحالين يكون وجود الحدث هو تحققه من عند الله وحده، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء:٧٨] .

وكذلك الإنسان يسمع ويرى، ويعقل ويفهم، ويريد ويعمل ويحاسب على إرادته وعمله ، كما قال سبحانه : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[فصلت:٤٦] .

أقسام الهداية:

الهداية قسمان :

الأولى: هداية الدلالة والإرشاد .

الثانية: هداية التوفيق والإلهام .

فهداية الدلالة والإرشاد : الله ﷻ هدى عباده إلى معرفة توحيده، وعظمته، ونعمه وإحسانه، بالآيات الكونية، والآيات الشرعية ، وكذلك الرسول ﷺ وأتباعه، قاموا بهداية الناس إلى الحق، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]

أما هداية التوفيق والإلهام : فهي بيدِ الهادي وحده لا شريك له ، كما أن الرزق بيد الرازق وحده جل جلاله ، والعلم بيد العليم وحده ، فكذلك الهداية بيدِ واحد ، ومفتاح الهداية بيدِ واحد ، والهدى هدى الله ، فمن هداه الله فهو المهتدي حقًا ، ومن أضله فهو الضال حقاً، الخاسر حقًا ، كما قال سبحانه : ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾ [الأعراف:١٧٨] .

وقال ﷻ : ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾ [الكهف:١٧] .

والله سبحانه يهدي من يجاهد لطلب الهداية، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وكذلك يُضل الله من يبغي الضلال لنفسه ، ويعرض عن دلائل الهدى، وموجبات الإيمان ، ويغلق قلبه وسمعه وبصره بما دونها، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

ومشيئة الله تبارك وتعالى التي يجري بها قدره في هذا الإنسان أنه خلق هذا الإنسان باستعداد مزدوج للهدى والضلال، والخير والشر، والطاعات والمعاصي .

مع إيداع فطرته إدراك حقيقة الربوبية، والاتجاه إليها : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

ومع إعطائه العقل المميز للضلال والهدى ، ومع إرسال الرسل بالبينات لإيقاظ الفطرة إذا تعطلت، وهداية العقل إذا ضل .

وكذلك اقتضت مشيئة الله أن يجري قدر الله بهداية من يجاهد للهدى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وأن يجري قدر الله كذلك بإضلال من لا يستخدم ما أودعه الله من عقل ، وما أعطاه الله من أجهزة ؛ كأجهزة الرؤية والسمع ، في رؤية وإدراك الآيات التي بثها الله في صفحات الكون العظيم ، والآيات الشرعية التي جاءت في القرآن الكريم .

وفي كل الأحوال تتحقق مشيئة الله وحده ، ولا يتحقق سواها ، ويقع ما يقع بقدر الله لا بقوة سواه ، وما كان شيء ليقع إلا يوقعه قدر الله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

وفي حدود هذا التقدير يتحرك الإنسان بنفسه ، ويقع له ما يقع من الهدى والضلال : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾[الأعراف:١٧٨] .

وكثير من الجن والإنس مخلوقون لجهنم، وهم مهيئون لها، فما بالهم كذلك .

هناك اعتباران :

الأول : أن الله بعلمه الأزلي يعلم أن هؤلاء خلق صائرون إلى جهنم .

الثاني : أن هذا العلم الأزلي بأحوال العباد ومصائرهم ليس هو الذي يدفع هذه الخلائق إلى الضلال الذي تستحق به جهنم ، إنما هم : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩]

وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان:٤٤] .

فهم لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليفقهوا ، وهم لم يفتحوا أعينهم ليبصروا آيات الله الكونية ، ولم يفتحوا آذانهم ليسمعوا آيات الله المتلوة : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق:٦ -٧] .

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

لقد عَطلوا هذه الأجهزة وعاشوا غافلين ، فهم أضل من الأنعام ؛ لأن الأنعام لها استعدادات فطرية تهديها ؛ تقبل إذا دعيت ، وتنزجر إذا زُجرت . أما الجن والإنس فقد زُودوا بالقلب الواعي ، والعين المبصرة ، والأذن السامعة ، فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكلة إلى استعداداتها الفطرية الهادية : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨] .

فكفار الجن والإنس كل حيوان بهيم أهدى منهم ، وهم أضل منه سبيلًا ، فما أضل هؤلاء في الدنيا، وما أخسرهم في الآخرة : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان:٤٤] .

حكمة القدير في القدر :

إن كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون العظيم مخلوقة للرب بقدر ، مدبرة بحكمة ، فلا شيء جزاف ، ولا شيء عبث ، ولا شيء مصادفة ، ولا شيء ارتجال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠] .

قدر من الله يحدد وجود هذا المخلوق، وقدر يحدد حقيقته، وقدر يحدد صفته، وقدر يحدد وظيفته، وقدر يحدد مقداره، وقدر يحدد عمره، وقدر يحدد مكانه، وقدر يحدد زمانه، وقدر يحدد ارتباطه بما حوله من الأشياء،

وقدر يحدد تأثيره في كيان هذا الوجود العظيم: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩] .

فسبحان ربك الحكيم العليم الذي قدر كل شيء ، قدر في كل شيء من مخلوقاته قدر يحدد الأبعاد بين النجوم والكواكب ، وأحجام المخلوقات وكتلها ، وألوانها وصورها ، ونموها وتكاثرها ، وسيرها وحركتها : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

قدر يحدد وضع الأرض التي نعيش عليها، لتكون صالحة لنوع الحياة التي قدر الله أن نكون فيها ، فحجم هذه الأرض، وبعدها عن الشمس، وكتلة الشمس، ودرجة حرارتها ، وميل الأرض على محورها بهذا القدر ، ودورة الفَلك ، وبُعد الشمس والقمر عن الأرض ، وتوزيع الماء واليابس في هذه الأرض ، ومهاب الرياح على هذه الأرض ، واختلاف الفصول على هذه الأرض ، إلى آلاف من هذه النسب المقدرة تقديرًا دقيقًا ، لو وقع الاختلال في أي منها لتبدل كل شيء : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

فسبحان العليم القدير الذي قدر هذه المقادير والأقدار : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى: ١ -٣] .

والنسبة بين عوامل الحياة والبقاء، وعوامل الموت والفناء، في البيئة وفي طبيعة الأحياء من نبات ، وحيوان ، وإنسان، محفوظة دائمًا بالقدر الذي يسمح بنشأة الحياة وبقائها وامتدادها وانضباطها : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فمثلًا الجوارح التي تتغذى بصغار الطيور قليلة العدد ، قليلة التفريخ ، ولا تعيش إلا في مناطق محدودة ، وهي في مقابل هذا طويلة الأعمار ، ولو كانت مع عمرها الطويل كثيرة الفراخ تستطيع الحياة في كل موطن، لقضت على صغار الطيور وأفنتها على كثرتها، وكثرة تفريخها ، أو قللت من أعدادها الكبيرة اللازمة لطعام هذه الجوارح ، وسواها من بني آدم ، وللقيام بأدوارها الأخرى في هذه الأرض .

فسبحان من خلق كل شيء وقدره تقديرًا: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس:٤٠] .

وهكذا الماء موزون بأمر الله لو طغى لأفسد الأرض ، ولو نقص لاختلت الحياة، ومات الأحياء من نبات وحيوان وإنسان : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء:٣٠] .

فلا إله الا الله، ما أعظم نعمه التي نسيها أكثر الخلق: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الملك:٣٠] .

وكذلك الهواء موزون بأمر الله ، لو زاد وصار عواصف قوية لدمر كل شيء ، وما استطاع أن يعيش حي ، ولو نقص لاختل وضع الحياة والأحياء: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأعراف:٥٧] .

فقدر الله عام شامل لجميع المخلوقات ، وكل ما خلقه الله في هذا الكون من المخلوقات وما يجري فيه من الأحوال، من الحركات والسكنات ، والحياة والموت ، والتغيير والتدبير .

كل ذلك كائن بقدر الله القوي العزيز، تقديرًا في الزمان ، وتقديرًا في المكان ، وتقديرًا في المقدار ، وتقديرًا في الأشكال ، وتناسق مطلق بين جميع الكائنات والأحوال فسبحان الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان:٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس:٨٢-٨٣] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي خلق الخلائق، وقدر المقادير ، وكون الكائنات: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

فخلق كل شيء بقدر، وله حكمة معلومة للبشر ، أو مطوية عنهم ، فزواج يعقوب ﷺ من امرأة أخرى، هي أم يوسف وبنيامين ، لم يكن حادثًا عارضًا ، إنما كان قدرًا مقدورًا ، ليحسد إخوة يوسف من غير أمه يوسف ، ويأخذوه ويلقوه في الجُب، ليلتقطه بعض السيارة ثم يباع في مصر ، لينشأ في قصر العزيز، لتراوده امرأة العزيز عن نفسه ، ليستعلي على الإغراء، ليلقى في السجن ، لماذا ؟ .

ليلتقي في السجن مع خادمي الملك ، ليفسر لهم الرؤيا، لماذا يتعذب يوسف هذا العذاب ؟ ، ولماذا يتعذب يعقوب بفقد ابنه حتى عمي بصره ؟ ، ولماذا يسام يوسف الطيب الزكي كل هذه الآلام والمتاعب ؟ ، لماذا يمضي في هذا العذاب أكثر من ربع قرن ؟ ؛ لأن الله يُعدَّه ليتولى أمر مصر وشعبها والشعوب المجاورة في سني القحط السبع ، ثم ماذا ؟ ليستقدم أبويه

وإخوته إلى مصر ، ليكون من نسلهم شعب بني إسرائيل ، ليضطهدهم فرعون ، لينشأ من بينهم موسى ﷺ، وما صاحب حياته من تقدير وتدبير وظهور آيات الله التي غيرت مجرى العالم كله ، وتغير بعد ذلك ملك فرعون ، وأورث الله بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها .

وزواج إبراهيم ﷺ جد يعقوب من هاجر المصرية بنت ملك المنوفية ، لم يكن ذلك حادثًا شخصيًا عارضًا ، إنما كان وما سبق في حياة إبراهيم ﷺ من أحداث ، أدت إلى مغادرته موطنه في العراق، ومروره بمصر ليأخذ منها هاجر، لتلد له إسماعيل ، ليسكن إسماعيل وأمه عند البيت المحرم:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[إبراهيم: ٣٧] .

لماذا ؟ ليبلغ إسماعيل، ثم يتزوج ليكون من نسله محمد ﷺ، ليكون من ذلك كله ذلك الحديث الأكبر ، ببعثة محمد ﷺ رسولًا إلى البشرية كافة : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[سبأ:٢٨] .

إن قَدر الله وراء طرف الخيط البعيد لكل حادث ، ولكل نشأة، ولكل مصير ، ووراء كل نقطة، وكل خطوة، وكل تبديل، أو تغيير في هذا الكون العظيم ، إنه قدر الله النافذ الشامل ، الدقيق العميق .

ولكن البشر أحيانًا يرون طرف الخيط القريب ، ولا يرون طرفه البعيد ، فلله حكمة في كل ما خلقه ودبره ، وأحيانًا يتطاول الزمن بين البدء والمصير

في عمرهم القصير، فتخفى عليهم حكمة التدبير والتصريف من الحكيم الخبير: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة: ٢١٦] .

فيستعجل الخلق ويقترحون، وقد يسخطون أو يتطاولون ، والله تبارك وتعالى يعلمهم في القرآن أن كل شيء بقدر كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾[القمر: ٤٩] .

يعلمهم ليسلموا الأمر إلى صاحب الأمر ، وتطمئن قلوبهم به ، وتستريح إلى أقداره الحكيمة، ويسيروا مع قدر الله في توافق وتناسق ، وفي أنس بصحبة القدر الذي قدره المولى الكريم الرحيم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة:١٤٣] .

ومع التقدير والتدبير القدرة الإلهية التي تفعل أعظم الأحداث ، بأيسر الإشارات : ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾[القمر: ٥٠] .

وبأيسر الكلمات : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس:٨٢] .

إنها إشارة واحدة ، أو كلمة واحدة من الرب جل جلاله ، يتم بها كل أمر، الجليل والصغير سواء ، وليس هناك كبير ولا صغير أمام قدرة الله، فهو الكبير وحده ، وما سواه كله صغير ، وهو الغني وحده وما سواه كله فقير، وهو الخالق وحده وكل ما سواه مخلوق له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

والصغير والكبير من تقدير البشر ، لا من تقدير الخالق ، وليس هناك زمن ولا ما يعادل لمح البصر ، إنما هو تشبيه لتقريب الأمر إلى حس البشر ،

فالزمن إن هو إلا تصور بشري ، ولا وجود له في حساب الله المطلق من هذه التصورات المحدودة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] .

فسبحان الملك الجبار ، الواحد القهار ، الخالق الباري ، الذي يخلق ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء بكلمة واحدة : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٥٠] .

واحدة تنشي هذا الوجود العظيم الهائل ، وواحدة أخرى تبدل فيه وتغير ، وواحدة تذهب به كما يشاء الله ، وواحدة تحيي كل حي ، وواحدة تذهب به هنا وهناك ، وواحدة ترده إلى الموت ، وواحدة تبعثه في صورة من الصور ، وواحدة تصعق الخلائق جميعًا، وواحدة تبعثهم جميعًا ، وواحدة تجمعهم يوم الحشر والحساب ، وواحدة لا تحتاج إلى جهد ولا تحتاج إلى زمن ، واحدة من الرب العظيم تفعل كل شيء ومعها التقدير ، وكل أمر معها مقدرًا ميسور :﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠] .

بواحدة كان خلق السموات والأرض ، وبواحدة كان هلاك المكذبين على مدار القرون ، قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط، وقوم فرعون، وقوم شعيب، فهل من يتذكر ويعتبر؟.

قال الله تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠] .

وكل حدث وكل عمل ، وكل تدمير ، مكتوب مرقوم : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر: ٥١ - ٥٣]

فما أعظم الله، وما أعظم قدرته ، وما أوسع ملكه ، وما أشمل تدبيره ، وما أعظم بطشه بمن عصاه : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨]

الله ﷻ هو الذي خلق الخلق ، وهو الذي يدبر الأمر في السموات والأرض ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ينفذ أقداره وتدبيره في خلقه ، في أوقاتها التي اقتضتها حكمته : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن:٢٩] .

فهذا الكون الكبير ، وهذا الخلق العظيم ، الذي لا تُعرف له حدود ، ما نبصره وما لا نبصره ، العالم العلوي ، والعالم السفلي ، عالم الغيب والشهادة ، عالم الدنيا وعالم الآخرة ، كلُ منوط بقدر الله سبحانه ، متعلق بمشيئته وهو قائمُ بتدبيره سبحانه :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

وهذا التدبير العظيم ، يتناول الوجود كله جملة ، ويتناول كل فرد فيه على حدة ، ويتناول كل عضو ، ويتناول كل خلية ، ويتناول كل ذرة ، ويعطي كل شيء خلقه ، كما يعطيه وظيفته : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى: ١ -٣] .

ثم يراقبه الرقيب وهو يؤدي وظيفته في مُلكه العظيم : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب:٥٢] .

هذا التدبير والتصريف ، وهذه المراقبة والمتابعة ، التي تتبع كل ما ينبت وما يسقط من ورقة وما يكمن من حبة في ظلمات الأرض ، وكل رطب ويابس ، وكل حيوان وطائر ، تدبير عظيم شامل، يتبع الطيور في جوها ، ويتبع الأسماك في بحارها ، ويتبع الحيوانات في أرضها ، ويتبع الديدان في مساربها ، ويتبع الحشرات في مخابئها ، ويتبع الوحوش في غاباتها .

ويتبع كل بيضة ، وكل فرخ ، وكل جناح ، وكل ريشة ، وكل خلية في جسم حي ، وصاحب الخلق والتدبير والتصريف لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يند عن علمه ظاهر ولا خاف ، ولا يشغله المسموع عن المُبصر : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان:١٦] .

ومن هذا شأن العباد وأعمالهم ، من ملائكة في السماء، ومن إنس و جن في الأرض ، يسمع سبحانه كلامهم ، ويبصر أفعالهم ، ويعلم أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم .

فسبحان من خلق هذه الخلائق العظيمة ، وتولى أمرها بالتدبير والتصريف، وأحاط بها كلها ، فلا يخفى عليه شيء منها :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢] .

إن هذا الكون العظيم من الدقة والتدبير، بحيث لا يقع فيه شيء إلا وهو مقرر قبل خلقه محسوب زمانه ، وزمان وقوعه ، ومكان حدوثه ، وحجم

ذلك الحدث ، لا مكان فيه للمصادفة ، ولا شيء فيه جزاف : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر:٤٩-٥٠] .

وقبل خلق الأرض ، وقبل خلق الأنفس ، كان في علم الله الشامل الكامل الدقيق ، كل حدث سيظهر للخلائق في وقته المقدور: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحديد: ٢٢ -٢٣] .

وقال النبي ﷺ : « كَتَبَ اللهُ مَقَادِيْرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ »أخرجه مسلم(١) .

والله عز وجل بكل شيء عليم ، وفي علم الله لا شيء ماض ، ولا شيء حاضر ، ولا شيء قادم ، فتلك الفواصل الزمنية مخلوقة، إنما هي معالم لنا نحن أبناء الفناء ، نرى بها حدود الأشياء ، فنحن لا ندرك الأشياء بغير حدود تميزها ، حدودًا من الزمان ، وحدودًا من المكان ، وحدودًا من الأحجام ، فتبارك الله رب العالمين:﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

فالله سبحانه كامل الذات والصفات ، وهو الحق الذي يطلع جملة على هذا الوجود بلا حدود ولا قيود ولا يند عنه شيء .

وهو الحق جل جلاله ، الذي يطلع جملة على ما في هذا الوجود العظيم بلا حدود ولا قيود ، ولا يند عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء:﴿

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٥٣).

وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٣-١٤]

وهذا الكون وما يقع فيه من أحداث ، وأطوار منذ نشأته إلى نهايته ، كان في علم الله جملة لا حدود فيه ولا فواصل، من زمان أو مكان .

ومعرفة القلب بهذه المقادير التي قدرها الله ، يسكب فيه الطمأنينة والسكون عند استقبال الأحداث خيرها وشرها ، فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعًا وتذهب معه حسرات عند الضراء ، ولا تفرح الفرح الذي تُستطار به ، وتفقد الاتزان عند السراء ، فكل شيء لا يكون إلا بأمر الله ومشيئته : ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ -٢٣] .

١٠- ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

الله عز وجل له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

أما الإنسان فضعيف يجزع ، وتستخفه الأمور والأحداث ، حين ينفصل بذاته عن هذا الكون الكبير وما فيه ، ويتعامل مع الأحداث كأنها شيء عارض ، يصادم وجوده الصغير ، وذلك لجهله بالله ، وبملكه وسلطانه .

فأما حين يستقر في تصوره وشعوره أنه هو والأحداث التي تمر به ، وتمر بغيره ، والأرض كلها بما فيها من الذرات ، وأن هذه الذرات كائنة في موضعها ، في الصنع الكامل الدقيق ، لازم بعضها البعض ، وأن ذلك كله مقدر مرسوم، معلوم في علم الله المكنون : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر:٤٩] .

وأفعال الله ﷻ كلها مقرونة بالحكمة المطلقة ، المقرونة بالخير المطلق ، وحين يستقر هذا في تصور الإنسان وشعوره ، فإنه يحس بالراحة والطمأنينة لمواقع القدر كلها على السواء ، لإيمانه بربه ، ومعرفته بأسمائه وصفاته ، فلا يأسى العبد على واقعة أسىً يؤلمه ويزلزله ، ولا يفرح بحاصل فرحًا يستخفه ويذهله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

ولكن يمضي المؤمن مع قدر الله في طواعية ورضا ، رضا العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي ويجب أن يكون ، والله ﷻ لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، وهذه درجة عالية قد لا يستطيعها ولا يصل إليها إلا القليلون من البشر ممن رزقهم الله ﷻ كمال الإيمان ، وكمال اليقين .

فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم أن لا يخرجهم الألم للضراء ، ولا الفرح بالسراء، عن دائرة التوجه إلى الله وذكره بهذه وبتلك .

ولن يجد أحد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن ما كان لا بد أن يكون : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد:٢٨] .

ومن يتوكل على الله في أمر دينه ودنياه ، ويفعل ما أمره الله به ، فهو حسبه وكافيه ، لأنه الغني القوي العزيز ، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخير طلب العبد إلى الوقت المناسب .

فأمر الله لا بد من نفوذه ، ولكن له وقت مقدر لا يتعداه ، ولا يقصر عنه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾[الطلاق:٢-٣].

فالله ﷻ له الخلق والأمر وحده لا شريك له ، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾[الأعراف:٥٤] .

فالخلق قضاؤه وقدره وفعله ، والأمر شرعه ودينه ، فهو الذي خلق وشرع وأمر ، وأحكامه جارية على خلقه قدرًا وشرعًا ، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري ، وأما حكمه الديني الشرعي ، فيطيعه الأبرار ، ويعصيه الفجار : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ

ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦] .

وفائدة الإيمان بالقضاء والقدر عظيمة جدًّا ؛ لأن الإنسان إذا علم أن الشيء لا بد أن يقع كما أمر الله استراح واطمأن ، وكان دائمًا في سرورًا وانشراح ؛ لأنه يعلم أن كل ما أصابه من الله ، وأن الله أرحم بالعبد من نفسه ، فإذا أصيب بضراء صبر ، وقال : هذا من عند الله ، وانتظر الفرج من الله ، ولجأ إلى الله في كشف هذه الضراء : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وإن أصيب بسراء شكر ، وقال : هذا من عند الله ، وعلم أن ذلك لم يكن بحوله وقوته ، ولكن بفضل الله ورحمته : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣] .

والإيمان بالقضاء والقدر هو مصدر الراحة والطمأنينة والسعادة لكل مسلم ، فالمؤمن يعلم أن كل شيء بقدر الله ، فلا يعُجب بنفسه عند حصول مراده ، ولا يقلق بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ؛ لأنه يعلم أن ذلك كله بقدر الله ، وهو كائن لا محالة : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد: ٢٢ -٢٣] .

وعن صهيب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا لَهُ »أخرجه مسلم[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ اللهَّ وَشَكَرَ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ اللهَّ وَصَبَرَ ، فَالمُؤْمِنُ يُؤْجَرُ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ حَتَّى يُؤْجَرَ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ »أخرجه أحمد وعبد الرزاق بسند حسن[2] .

وبهذا تمت بفضل الله أركان الإيمان الستة ، وهى :

١- الإيمان بالله ..

٢- الإيمان بالملائكة

٣- الإيمان بالكتب

٤- الإيمان بالرسل

٥- الإيمان باليوم الآخر

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره .

وكل ركن منها يثمر للمؤمن ثمرات نافعة ، لا حد لها في الدنيا والآخرة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٩).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (١٤٩٢) ،وعبد الرزاق برقم: (١٥٣١).

١١- ثمرات الإيمان بأركان الإيمان

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ يثمر توحيد الله ، والتوجه إليه في كل حال ، والتوكل عليه في كل أمر ، وعدم الالتفات إلى غيره ، ويثمر محبة الله وتعظيمه ، وشكره ، وحمده ، وعبادته ، وطاعته ، وخشيته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

الثاني: الإيمان بالملائكة يثمر محبة الملائكة على ما يقومون به من عبادة الله تعالى ، والدعاء والاستغفار للمؤمنين ، وحمد الله وشكره على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من الملائكة من يقوم بحفظهم ، ونصرتهم ، وكتابة أعمالهم ، والدعاء لهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر: ٧] .

والعلم بعظمة الله تعالى ، وقدرته ، وقوته ، وحكمته ، ورحمته ، فقد خلق الملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله ، وجعل منهم حملة العرش ، الواحد منهم مابين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة ، فكيف بعظمة العرش العظيم ؟ وكيف بعظمة من فوق العرش ؟ .

فسبحان من له الملك كله، والخلق كله، والأمر كله: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٧] .

الثالث والرابع: الإيمان بالكتب والرسل يثمر قوة الإيمان بالله، ومحبة الله ، وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ومعرفة شرائع الله ، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه الله وما يسخطه ، ومعرفة أحوال الدار الآخرة ، ومحبة رسل الله ، وطاعتهم ، والاقتداء بهم في نياتهم ، وأقوالهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

الخامس: الإيمان باليوم الآخر يثمر معرفة قدرة الله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، والرغبة في فعل الطاعات والخيرات ، واجتناب المعاصي والمنكرات ، وحسن الاستعداد ليوم المعاد: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء:٤٧] .

السادس: الإيمان بالقدر يثمر طمأنينة النفس ، وسكونها ، ورضاها بما قدر الله العزيز الرحيم .

وإذا تحقق الإيمان بأركانه الستة في حياة المسلم ، أحياه الله حياة طيبة في الدنيا ، وكان مؤهلًا في الأخرة لدخول الجنة ، والنجاة من النار ، وذلك لا يتم إلا بطاعة الله ورسوله في كل شيء ، وذلك فضل الله وحده لا شريك له : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧] .

وقال ﷻ : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾[النساء :١٣] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب السابع

فقه التوحيد

ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية:

الأول: أنواع الكفر.

الثاني: أنواع النفاق.

الثالث: أقسام الشرك.

الرابع: وسائل الشرك.

الخامس: الأمور التي تنافي كمال التوحيد.

السادس: نواقض التوحيد.

السابع: أقسام التوحيد.

الثامن: سر العبودية.

التاسع: الفرق بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

العاشر: ثمرات التوحيد.

الحادي عشر: آثار التوحيد.

الثاني عشر: فضائل التوحيد.

الثالث عشر: فقه الدعوة إلى التوحيد.

١- أنواع الكفر:

الكفر الأكبر هو كل اعتقاد أو قولٍ أو فعلٍ أو ترك يناقض الإيمان والتوحيد ، وحكم الكفر الأكبر حكم الشرك الأكبر .

فأهل الكفر والشرك هم شر البرية، وأهل التوحيد والإيمان هم خير البرية:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ [البينة:٦-٧].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ». أخرجه البخاري[1] .

والكفر أنواعٌ كثيرة أهمها:

الأول: كفر الإنكار والتكذيب ، هو أنواع :

الأول: أن ينكر الإنسان شيئًا من أصول الدين أو أحكامه أو أخباره الثابتة ثبوتًا قطعيًا في القرآن والسنة ، أو يفعل ما يدل على إنكاره ، كأن ينكر أركان الإيمان، أو أركان الإسلام ، وغيرها من أصول الدين ، كإنكار ربوبية الله ، أو أسمائه أو صفاته ، أو نحو ذلك .

فهذا كله كفرٌ مخرجٌ من الملة ، لأن فاعله مكذبٌ لله ولرسوله ، وفعله كفر ، ومثله من يصحح دين الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم ، أو لا يكفرهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٠ – ٤١] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٠١٧).

الثاني: أن ينكر تحريم المحرمات الظاهرة المجمع على تحريمها ، كالربا، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، أو يعتقد أن أحدًا يجوز له الخروج على شريعة محمدٍ ﷺ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥]

الثالث: أن ينكر حل المباحات الظاهرة المجمع على حلها ، كأن يجحد حل أكل لحوم بهيمة الأنعام، أو ينكر حل تعدد الزوجات ، أو حل أكل التمر أو الخبز، ونحو ذلك مما أحل الله: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

الرابع: أن ينكر وجوب واجب من الواجبات المجمع عليها، كأركان الإسلام والإيمان، أو ينكر الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحوها: .

الخامس: أن ينكر سنة من السنن أو النوافل المجمع عليها ، كأن ينكر السنن الرواتب ، أو صوم التطوع ، أو حج التطوع ، أو صدقة التطوع ، ونحو ذلك: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥].

الثاني: كفر الشك والظن .

فمن تردد أو شك في أصول الدين المعلومة من الدين بالضرورة ، كأركان الإسلام والإيمان ، أو شك في صحة القرآن ، أو شك في كفر اليهود والنصارى ، أو شك في تحريم الربا أو الزنا أو الخمر ، فقد وقع في الكفر

المخرج من الملة ، لأن الإيمان لابد فيه من التصديق القلبي الجازم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

الثالث: كفر الامتناع والاستكبار.

وهو أن يصدق بأصول الإسلام وأحكامه وسننه بقلبه ولسانه، ولكن يرفض الانقياد لحكم الله ورسوله استكبارًا، كما امتنع إبليس من السجود لآدم استكبارًا واعتراضًا على الأمر أنه أفضل من آدم ﷺ حيث: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤].

ومن ذلك عدم الصلاة مع الجماعة لأنها تسوي بينه وبين الفقراء ، وعدم لبس لباس الإحرام لأنه في زعمه لباس الفقراء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤٠ – ٤١] .

الرابع: كفر السب والاستهزاء .

كأن يستهزئ المسلم بالله، أو رسله أو كتبه أو أحكامه، أو يسب الله، أو كتبه أو رسله أو دينه، أو يقول هذا الدين متخلف، أو لا يناسب عصرنا، أو يسب القرآن، أو يستهزئ به، أو يهينه أو يدنسه، أو يسب ويستهزئ بشيء مما ثبت في القرآن والسنة من الواجبات والسنن .

فمن فعل شيئًا من ذلك فهو كافرٌ بالله الكفر الأكبر، سواءً كان عامدًا أو هازلًا أو لاعبًا أو مجاملًا، لأنه مستَخِفٌ بالله وبأحكامه ودينه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥] .

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

الخامس: كفر البغض وهو أن يكره الإنسان دين الإسلام ، فمن كره الدين أو أبغضه أو أبغض بعضه فقد كفر الكفر المخرج من الملة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد: ٨ – ٩] .

السادس: كفر الإعراض.

والإعراض عن دين الله أن يترك الإنسان دين الله، ويعرض عنه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو يتركه بجوارحه مع تصديقه بقلبه، فمن أعرض عن الاستماع إلى الحق، أو أعرض عن الانقياد إلى الحق بعد سماعه ومعرفته، أو أعرض عن امتثال جميع الواجبات والفرائض الشرعية بعد إقراره بقلبه بأركان

الإيمان فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [الأحقاف: ٣] .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢﴾ [السجدة: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

فيجب على المسلم الذي يريد النجاة في الدنيا والآخرة ألا يتعجل في إصدار الحكم على أحد من المسلمين بالكفر أو الشرك حتى يتأكد من حاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦] .

٢- أنواع النفاق

النفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

أقسام النفاق:

ينقسم النفاق إلى قسمين :

الأول: النفاق الأكبر، وهو النفاق الاعتقادي، بأن يُظهر الإنسان الإسلام، ويُبطن الكفر، وصاحبه كافر في الدرك الأسفل من النار إن مات ولم يتب منه، وجميع ما ذُكر في القرآن من النفاق من هذا القسم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء:١٤٥- ١٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء:١٤٢- ١٤٣].

الثاني: النفاق الأصغر، وهو النفاق في الأعمال ونحوها، وصاحبه لا يخرج من ملة الإسلام، لكنه عاصٍ للهِ ورسوله، فعليه التوبة منه ؛ لئلا يفضي به إلى النفاق الأكبر.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنّ فيْهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فيْهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإذَا خَاصَمَ

فَجَرَ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». متفق عليه[2].

النفاق الأكبر:

النفاق الأكبر هو أن يظهر الإنسان الإسلام ويبطن الكفر .

والمنافق كافر، وزاد على الكافر الكذب والخداع ، وضرر المنافقين على المسلمين أخطر ، لأنهم يحاربون الإسلام باسم الإصلاح ويتظاهرون باسم الإسلام: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢] .

ولهذا كانوا اشد الكفار عذابًا في الآخرة ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥].

أعمال المنافقين:

المنافقين الكفرية كثيرة وقد فصّلها الله عز وجل في سورة التوبة ومنها:

أولًا: الاستهزاء بالله وبرسوله وبالقرآن: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٩).

ثانيًا: سب الله تعالى وسب رسوله ﷺ أو تكذيبهما: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة: ٥٨] .

ثالثًا: الإعراض عن دين الإسلام وعيبه وإبعاد الناس عنه وتنفيرهم منه ، وعدم التحاكم إليه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء: ٦١].

رابعًا: التحاكم إلى الكفار كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٠] .

خامسًا: اعتقاد صحة المذاهب الكفرية، والدعوة إلى الأخذ بها وغيرها من روابط الجاهلية: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

سادسًا: مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين ، لأنهم كفارٌ مثلهم ، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥١ – ٥٢] .

سابعًا: إظهار الفرح عند انتصار الكفار، وعندما يصيب المسلمين هزيمة أو أي ضرر، كما قال سبحانه: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ

مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٩ – ١٢٠].

ثامنًا: سب العلماء والدعاة والمصلحين والصالحين بغضًا لهم ولدينهم ولدعوتهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٣ – ١٤] .

تاسعًا: مدح أهل الكفر، ومدح مفكريهم وعلمائهم، ونشر آرائهم المخالفة للإسلام: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾﴾ [المجادلة: ١٤ – ١٦].

فيجب على المؤمنين الحذر منهم، لأنهم أعداء الله ورسوله ودينه: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤] .

صفات المنافقين:

بين الله عز وجل صفات المنافقين، ليحذرهم أهل التوحيد والإيمان ، وللمنافقين صفات سيئة وكثيرة ، ومن أهمها:

أولاً: قلة الطاعات ، والتثاقل والكسل عند أداء العبادات: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢] .

ثانيًا: الجبن ، وشدة الخوف ، والهلع، ولهذا يخفون كفرهم، ويظهرون الإسلام، لأنهم يخافون من القتل ، وسلب أموالهم بكفرهم ، وليس عندهم شجاعة يقاتلون بها مع الكفار فيلجئون إلى النفاق: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون: ٤].

ولشدة خوفهم من المسلمين يكذبون عليهم: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [التوبة: ٥٦ – ٥٧].

ثالثًا: السفه، وضعف التفكير، وقلة العقل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣].

وسفه المنافقين بإيثارهم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ، وحرصهم على جمع حطام الدنيا أكثر من الحرص على الطاعات، ولهذا يتثاقلون عن الصلاة التي فيها نجاتهم، وينشطون لجمع الحطام باختلاف أنواعه الذي لا يغنى عنهم من عذاب الله من شيء:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [آل عمران:١١٦].

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المجادلة: ١٨].

رابعًا: تلاعب الشيطان بالمنافقين حتى أوقعهم في حب الكفار ومجالستهم وفيما هو سبب هلاكهم وعذابهم: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩] .

خامسًا: أن المنافق يخادع خالقه الذي يعلم سره وعلانيته، ويحارب شرع ربه غير مفكر في عاقبه أمره السيئة، وغير مفكر في مصير من سبقه من المنافقين الزنادقة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢] .

سادسًا: التذبذب والمراوغة والتلون ، فالمنافق حائر يخشى إن يعلن الكفر فيقتله المسلمون ، أو تتضرر مصالحه بينهم ، ويخشى أن ينتصر الكفار فيقتل أو تتضرر مصالحه من قبلهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢ – ١٤٣].

سابعًا: احتقار الذات والانهزامية ، والشعور بالنقص أمام الكفار ، فالمنافق يشعر أن عموم الكفار أفضل منه، ولهذا فهو يقلدهم في جميع الأمور حتى في الأمور التي يعلم ضررها عليه ، وهذا منتهي الذلة والضلال، والضياع والخسران: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحج: ١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٦].

ثامنًا: قلة الحياء ، وسلاطة اللسان ، وشدة الخوف: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٨ – ١٩].

وقد حرم الله ورسوله كل قول أو فعل يؤدي إلى الشرك الأكبر ، أو يكون سبب في وقوع المسلم فيه ، وحما رسول الله ﷺ جناب التوحيد من كل ما يهدمه أو ينقصه أو يخدشه حمايةً محكمة ، وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك ولو من بعيد ، لأن من سار على الدرب وصل ، ولأن الشيطان يزين للإنسان أعمال السوء ، ويتدرج به من المباح إلى الصغائر إلى الكبائر إلى الردة: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

٣- أقسام الشرك

أقسام الشرك:

الشرك قسمان:

الأول: شرك أكبر .

الثاني: شرك أصغر .

فالشرك الأصغر هو ما سماه الشارع شركًا، ولم يصل إلى الشرك الأكبر، ينقص التوحيد، لكنه لا يخرج من الملة ، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر وحكم فاعله حكم عصاة الموحدين، ولا يحل دمه ولا ماله .

والشرك الأكبر محبطٌ لجميع الأعمال، أما الشرك الأصغر فيحبط العمل الذي قارنه .

ولم يرد لفظ الشرك في القرآن إلا ويراد به الأكبر ، أما الأصغر فقد ورد في السنة المتواترة:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف:١١٠].

وقال النبي ﷺ «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». أخرجه مسلم(١) .

أقسام الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر ينقسم إلى أقسامٍ كثيرة وأهمها ما يلي:

الأول: الشرك الأصغر في العبادات القلبية ومن أمثلته يسير الرياء .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥).

والرياء هو أن يظهر الإنسان العمل الصالح، ويحسنه عند الناس ليعظموه ويمدحوه ، والرياء أنواعُ كثيرة كالمرائي بالأقوال ليقال عالمٌ أو فقيهٌ ، والمرائي بالأعمال ليقال عابدٌ أو شجاعٌ أو كريم ، والمرائي بالهيئة واللباس ليقال زاهدٌ أو إمام ، وهذا الرياء محرم ويبطل العمل الذي يصاحبه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال ، قال رسول الله ﷺ « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» . أخرجه مسلم[1] .

الثاني: من أقسام الشرك الأصغر أرادة الإنسان بعمله الدنيا وحدها .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٠٥).

كمن يغزو ليأخذ من الغنيمة ، ومن يحج ليأخذ المال ، ومن يطلب العلم الشرعي من أجل الشهادة:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠].

الثالث: الاعتماد على الأسباب فقط .

فمن اعتقد أن السبب ينفعه من دون الله فقد وقع في الشرك الأكبر، ومن اعتمد على السبب مع اعتقاده أن الله هو الذي ينفع ويضر، فقد وقع في الشرك الأصغر، والواجب على الإنسان فعل الأسباب بجوارحه، مع توكله على الله بقلبه:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣] .

الرابع: التطير.

وهو التشاؤم بمريءٍ أو مسموعٍ، أو زمانٍ أو مكانٍ، أو حال ونحو ذلك، فمن حمله ذلك على فعل ما يريد تركه، أو ترك ما يريد فعله، فقد تطير، ووقع في الشرك الأصغر ويستثنى من ذلك الفأل الحسن فانه مستحب.

الثاني: الشرك في الأفعال، وأنواعه كثيرة.

ومن أمثلته التمائم الشركية، وهي كل ما يعلق على الأطفال والمرضى والبهائم وغيرها من تعاويذ لدفع البلاء أو رفعه ، وهذا كله شركٌ أكبر إذا اعتقد إنها تنفع بذاتها من دون الله ، وإن اعتقد إن الله هو النافع الشافي، لكن تعلق قلبه بها في دفع الضرر فهذا شرك أصغر لاعتماده على الأسباب .

الثالث: الشرك الأصغر في الأقوال ، وهو أنواعُ كثيرة.

ومن أمثلته ، الحلف بغير الله، فإن قصد به تعظيم المحلوف به كتعظيمه لله فهذا شرك أكبر ، وإن كان دون ذلك فهو شركٌ أصغر .

كما قال النبي ﷺ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» . أخرجه الترمذي وأبو داود[1] .

الثاني: التشريك بين الله تعالى وأحدٌ من الخلق بالواو .

كقول ما شاء الله وشئت، أو ما لي إلا الله وأنت ، فهذا شركُ أكبر ، فإن اعتقد إن الله هو الخالق وحده، والمخلوق مباشرُ للأمر، فهذا شركُ أصغر ، كما قال النبي ﷺ «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» . أخرجه أحمد أبو داود[2] .

ثالثًا: الاستسقاء بالنجوم .

وهو ان يطلب من النجم أن ينزل الغيث ، أو ينسب الغيث إلى النجم ، فمن اعتقد أن النجم هو المنزل للغيث بدون مشيئة الله، فهذا شركُ أكبر ، وإن اعتقد أن الله هو الذي ينزل الغيث، ولكن الله جعل النجم سببًا في نزول الغيث، فهذا شركُ أصغر، لأنه جعل ما ليس سببًا سببا:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى: ٢٨].

الرابع: ومن الشرك الأصغر التسمي بأسماء فيها تعبيدُ لغير الله ، كعبد الرسول، وعبد الكعبة ونحو ذلك .

والشرك الأصغر قد يكون أكبراً على حسب ما يكون في قلب صاحبه ، فيجب على المسلم حفظ توحيده، والحذر من الشرك مطلقًا الأكبر والأصغر ، فالشرك ظلمُ عظيم وتنقص لرب العالمين، كما قال سبحانه: ﴿

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٥٣٥)، وأخرجه أبو داود برقم: (٣٢٥١).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) ، وأخرجه أحمد برقم: (٢٣٢٦٥).

وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [لقمان: ١٣] .

أنواع الشرك بالله عز وجل:

الشرك بالله أنواعه كثيرة منها:

الأول: أن يعظم الإنسان المخلوق كما يعظم الخالق، فيؤخر الصلاة حتى يخرج وقتها من أجل تنفيذ أمره ، أو يذبح باسمه كما يفعله بعض الناس مع رئيسه أو وزيره أو سيده .

الثاني: أن يحب الإنسان أحد المخلوقين كما يحب الله أو أعظم كما يحصل من بعض المفتونين بعشق وغيرهم ، ويحبه حبًا يعصي بسببه ربه .

ثالثًا: الرياء وهو أمر خفي فيزين الإنسان صلاته أو يصوم أو يتصدق ليقال أنه مصلٍ أو عابد أو كريم ، والله أغنى الشركاء عن الشرك، كما قال الله عز وجل: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» . أخرجه ا مسلم[1] .

الرابع: أن تأخذ الدنيا لب الإنسان وعقله، فتجد فكرة وبدنه وعقله كله مسيرٌ في الدنيا ، كيف يكسب المال بحلال أو حرام، أو غش، أو كذب، أو خديعة لأن الدنيا استعبدته وملكت قلبه .

قال رسول الله ﷺ «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أَعْطَى رَضِيَ، وَإِنْ مَنَعَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهَّ، أَشْعَثُ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَتِ السِّيَاقَةُ كَانَ فِي السِّيَاقَةِ، وَإِنْ كَانَتِ الْحِرَاسَةُ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، إِنِ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥).

اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشْفَعْ، طُوبَى لَهُ وَطُوبَى لَهُ». أخرجه البخاري[1] .

عظمة كلمة التوحيد:

شهادة التوحيد لا إله إلا الله، أعظم الشهادات على الإطلاق ، وإذا أراد الإنسان تحصيل شهادة علمية دنيوية، فلابد أن يبذل جهدًا كبيرا، ومالًا كثيرا، ووقتًا طويلا، من أجل الحصول عليها ، وشهادة التوحيد أعظم الشهادات على الإطلاق: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وللحصول عليها لابد من بذل الجهد والفكر والمال والوقت من أجل الحصول عليها ، والعلم بها يقتضي البحث والدرس والتضحية والعلم والعمل ، ومن ثم يأتي اليقين على أنه لا إله إلا الله الذي بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وعلم بلا تضحية يبقى صاحبه في تردد وشك، وهذا ليس بعلم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات: ١٥].

فنهاية العلم الإلهي التوحيد ، توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده جل جلاله بعبادته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٨٧).

فنهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل عبادة الله وطاعته وتقواه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وجميع ما في الكون من المخلوقات العظيمة، والتدبيرات العجيبة، يدل على أن الله وحده هو الفعال الذي بيده الملك، وهو على كل شيء قدير ، وبيده وحده الخلق والأمر .

فمن تدبر في هذا الكون العظيم، علم أن الله وحده هو الفعال لما يريد ، وهو الذي يدبر الأمر كله: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم: ١٩ – ٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ – ٧] .

وأحيانًا لحكمة يريدها الله يظهر الأقوياء والجبابرة وكأنهم يفعلون ما يريدون ، كما فعل فرعون ببني إسرائيل، فكان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، أنه كان من المفسدين ، ففي هذا امتحان، وفي هذا امتحان ، فإذا ظهرت أفعال الله جليه واضحة للناس كأية الشمس والقمر، ونزول الأمطار، والزلازل، والخسوف وغيرها ، فهذا يدل على كمال قدرة الله، ويزيد الإيمان في القلوب، ويطمئن النفوس: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وأحيانًا يبدو أن فلانًا يفعل ما يريد كأنه يتصرف وحده، فهذا أيضًا امتحانٌ لضعاف الإيمان ، يضعف إيمانهم حينًا فيقولون أين الله ؟

حين يرون الجبار يبطش بالخلق ، وأحيانًا يرون أفعال الله جلية ظاهرة فيقولون لا إله إلا الله .

فالله بيده كل شيء، والأقوياء والأشرار عصيُ بيد الله، ينتقم بها، ثم ينتقم منها ، ويسلطها على من أراد تربيته أو عقوبته إن عصاه، كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل حين عصوا، ثم انتقم منه .

فالخلق خلقه، والأمر أمره والملك ملكه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود: ٥٦] .

٤- وسائل الشرك:

الوسائل التي توصل إلى الشرك بالله كثيرة جدًا ، وأهمها:

أولًا: الغلو في الصالحين ، فالغلو محرمٌ على وجه العموم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧] .

والغلو في الصالحين أول وأعظم سببٍ أوقع بني آدم في الشرك الأكبر ، كما قال النبي ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» أخرجه ابن ماجة (١) .

ومن الغلو المحرم في حق الصالحين، والذي يوصل إلى الشرك ، المبالغة في مدحهم كما يفعل كثيرٌ من الرافضة، وقلدهم في ذلك كثيرٌ من الصوفية، نسأل الله ﷻ لهم الهداية إلى التوحيد الخالص: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥]

وبسبب غلوهم هذا وقع كثير من الطائفتين في الشرك الأكبر، وذلك باعتقاد بعضهم أن بعض الأولياء يتصرفون في الكون، ويسمعون كلام من دعاهم ولو من بعد، وأنهم ينفعون ويضرون، ويعلمون الغيب، وقد أدى بهم هذا الغلو إلى الشرك في الألوهية أيضًا، فدعوا الأموات من دون الله، ومن أضل ممن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره ، وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في مدحه ، فكيف بمدح غيره ؟ ! .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٠٢٩).

قال ﷺ «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ الله ورسوله". أخرجه أبو داود[1] .

ثانيًا: تصوير الأولياء والصالحين، وأول شرك وقع في الأرض سببه الغلو في الصالحين بتصويرهم كما حصل من قوم نوح ﷺ: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [نوح: ٢١ – ٢٤] .

ولا شك أن تصوير كبار العلماء وعظمائهم، ومشاهير الصالحين، أعظم شر في إيقاع الجهال في الغلو والشرك من وضع الأنصاب والأوثان في مجالسهم.

والتصوير منشأ الوثنية، لأن تصوير المخلوق ذي الشأن العظيم تعظيمٌ له، وسبيلُ للتعلق به، كما حصل من قوم نوح، وفي التصوير فتحُ لباب نصب الأصنام والتماثيل التي تعبد من دون الله، وفتح في هذا الزمان لباب الفتن والفساد، لهذا حرم الله ورسوله التصوير لكل ذي روح بجميع أنواعه في نصوصٍ قطعية كثيرة .

قال النبي ﷺ «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ تُعَذِّبُهُ فِي جهنم". متفق عليه[2].

وقال النبي ﷺ «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ المصورون". متفق عليه[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١١٠)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٠٩).

ثالثًا: التبرك البدعي .

التبرك ينقسم إلى قسمين:

الأول: تبرك مشروع .

وهو طلب البركة، وهي كثرة الخير وزيادته، وهو أن يفعل المسلم العبادات المشروعة طلبًا للثواب عليها ، فالتبرك هو ما يرجو المسلم من الأجور على فعل الطاعات كقراءة القرآن، والصلاة في المسجد الحرام ونحو ذلك من الأمور المشروعة ، فيرجو بركتها وثوابها .

الثاني: التبرك الممنوع، وهو قسمان:

الأول: تبرك شركي:

وهو إن يعتقد الإنسان في مخلوق أنه يهب البركة بنفسه فيبارك في الأشياء بذاته استقلالًا ، وهذا شركُ أكبر، لأن الله خالق البركة وواهبها وحده لا شريك له ، فطلبها من غيره، واعتقاد إن غيره يهبها بذاته شركً أكبر ، وقد قال النبي ﷺ: «البَرَكَةُ مِنَ اللهِ» . أخرجه البخاري [1] .

فالبركة كلها من الله وحدَه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

الثاني: تبرك بدعي .

وهو التبرك بما لم يرد دليلُ شرعيُ على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه البركة ، وهذا محرم، لأن فيه عبادة محدثة لا دليل عليها، ولأنه جعل ما

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٩).

ليس سببًا سببا، ولأنه يؤدي إلى الشرك الأكبر فهو من الشرك الأصغر:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣]

أقسام التبرك البدعي:

التبرك البدعي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: التبرك بالأولياء والصالحين.

بالتمسح بهم، ولبس ثيابهم، والشرب بعد شربهم ، طلبًا للبركة ، وكذا تقبيل قبورهم، والتمسح بها، وأخذ ترابها، طلبًا للبركة ، فلا يجوز لأحدٍ التبرك بالأولياء والصالحين لعدم مشروعيته ، أما التبرك بجسد وآثار النبي ﷺ كشعره وعرقه وثيابه ونحو ذلك فمشروع ، أما التبرك بكل ما سواه فغير مشروع، لعدم ورود الشرع به، ولم يفعله أحدُ من الصحابة:﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

الثاني: التبرك بالأزمان والأماكن والأشياء التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها .

مثل الأماكن التي مر بها النبي ﷺ أو تعبد لله فيها اتفاقًا من غير قصد، كغار حراء، وجبل ثور، وجبل عرفات، والمساجد السبعة قرب الخندق في المدينة، ومكان مولده ﷺ في مكة، وغير ذلك من الأماكن، فلا يجوز للمسلم قصد زيارة مثل هذه الأماكن للتعبد لله تعالى عندها بصلاة أو دعاء أو غيرهما ، كما لا يجوز له مسح شيء منها للبركة ونحو ذلك .

ومثل التبرك ببعض الأحجار والأشجار والأعمدة والآبار والعيون التي يظن بعض العامة إن لها فضل ، فيغلون ويتبركون بها ويتمسحون بها، طلبًا للبركة ، أو يغتسلون بماء هذا البئر أو العين أو النهر فربما أدى بهم غلوهم هذا إلى عبادتها واعتقاد إنها تضر وتنفع بذاتها ، وهذا كله محرم ولا يفعله إلا الجهال، لأنه إحداث لعبادات ليس لها أصل في الشرع ، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

الثالث: التبرك بالأشياء والأماكن الفاضلة .

فالأماكن كالكعبة والمساجد الثلاثة ، والأزمان كليلة القدر ويوم عرفة، ويوم الجمعة ، والأشياء كماء زمزم، وسحور الصائم ، والتبرك بهذه الأشياء يكون بفعل العبادات وغيرها مما ورد في الشرع ما يدل على فضلها فيها فقط، وفيما سوى ذلك يكون التبرك بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

وذلك كمن يخص ليلة القدر بعمرة، أو يتمسح بمقام إبراهيم، أو بجدران الكعبة، أو بأستار الكعبة، أو بجدران المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو أعمدتها ونحو ذلك ، فهذا كله محرم، ومن البدع المحدثة: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه [1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

٥- الأمور التي تنافي كمال التوحيد

هناك أقوالُ وأفعال مترددة بين الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، بحسب ما يقوم بقلب فاعلها، وما يصدر عنه ، وهي تنافي كمال التوحيد، أو تعكر صفاءه ، وقد حذر الشرع منها ، ومن تلك الأمور التي يجب الحذر منها:

الأول: لبس الحلقة والخيط ونحوهما بقصد رفع البلاء أو دفعه وذلك شرك لما فيه من التعلق بغير الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

الثاني: تعليق التمائم على الأولاد، سواء كانت من خرز أو عظامٍ أو كتابة، وذلك اتقاءً للعين ، وذلك شرك لما فيه من التعلق بغير الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١] .

الثالث: التطير والتشاؤم بالطيور أو الحيوانات أو الأشخاص أو البقاع أو الأيام أو الألوان ونحوها ، وذلك شرك لكونه تعلقٌ بغير الله باعتقاد حصول الضرر من مخلوقٍ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، وهو من إلقاء الشيطان ووسوسته، وهو ينافي التوكل على الله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

الرابع: التبرك بالأشجار والآثار والقبو ونحوها ، وطلب البركة ورجائها واعتقادها في تلك الأشياء شرك، لأنه تعلقُ بغير الله في حصول البركة ، والبركة بيد الله عز وجل وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فبيده وحده سبحانه مقاليد الأمور، وغيره ليس بيده شيء .

وفي جميع ما سبق إذا اعتقد أن هذه الأشياء تستقل بالتأثير دون الله، فهو شركُ أكبر ، وإن أعتقد إنها سبب ولا تستقل بالتأثير فهو شركُ أصغر .

الخامس: السحر، وهو ما خفي ولطف سببه ، وهو عبارة عن عزائم ورقى وكلام يتكلم به الساحر، وأدوية تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض الإنسان أو يقتل أو يفرق الساحر به بين المرء وزوجه ، وهو عملُ شيطاني .

والسحر شرك، لما فيه من التعلق بغير الله من الشياطين، ولما فيه من أدعاء علم الغيب ، ومن ضروب السحر ، السيرك الذي يعرض في بعض المسارح والقنوات، فيحرم فعله، ومشاهدته، وبذل المال من أجله والتكسب به ، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[البقرة: ١٠٢].

السادس: الكهانة، وهي ادعاء علم الغيب ، كالإخبار بما سيقع في الأرض استنادًا للشياطين ، وذلك شرك، لما فيه من التقرب لغير الله ودعوة مشاركة الله في علم الغيب ، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » . أخرجه الحاكم بسندٍ صحيح[1] .

السابع: التنجيم، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، كاعتقاد حصول الخير أو الشر بطلوع النجم الفلاني ، أو حدوث الأمراض والوفيات بخروج النجم الفلاني، أو تغير الأسعار بظهور النجم الفلاني ، فهذا كله شرك أكبر، لما فيه من أدعاء علم الغيب، ونسبة الشريك لله عز وجل ، لأن عالم الغيب والشهادة هو الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[السجدة: ٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم: (١٦٤٩٦).

إما الاستدلال بالنجوم على معرفة المصالح الدينية ، كمعرفة جهة القبلة فهذا مطلوبٌ شرعًا ، إما الاستدلال به على الحوادث الأرضية التي نصب الله لها أمارات تعرف بها كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد ومعرفة الجهات والفصول ونحوها ، فهذا جائز لأن الله جعل لكل شيء سببًا وعلامة تدل عليه: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل: ١٦].

الثامن: الاستسقاء بالنجوم ، وهو عبارة عن نسبة نزول المطر إلى طلوع النجم أو غروبه، كأن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا ، فينسب نزول المطر إلى الكوكب لا إلى الله، فهذا شرك، لأن نزول المطر بيد الله لا بيد الكوكب ولا غيره: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨] .

التاسع: نسبة النعم إلى غير الله، فكل نعمة في الدنيا والآخرة من الله وحده: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

فمن نسبها إلى غير الله فقد كفر وأشرك بالله ، كمن ينسب نعمة حصول المال أو الشفاء إلى فلان أو فلان ، أو ينسب نعمة السير والسلامة في البر والبحر والجو إلى السائق والملاح والطيار ، أو ينسب نعمة حصول النعم، واندفاع النقم إلى جهود الحكومات، أو الأفراد، أو العلم، أو حسن التخطيط ونحو ذلك .

فيجب نسبة جميع النعم إلى الله وحده لا شريك له وما يجري على يد بعض المخلوقين إنما هي أسباب قد تثمر وقد لا تثمر، وقد تنفع وقد لا تنفع .

العاشر: التصوير من أعظم أسباب الشرك بالله .

فتصوير كل ذي روح محرم، بل هو من كبائر الذنوب، وله آثاره البالغة المشينة في إفساد الدين والخلق قديمًا وحديثًا ، فقديمًا التصوير هو سبب أول كفر وقع في الأرض، وهو تصوير بعض الصالحين من قوم نوح ، وهم ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا بقصدٍ حسنٍ، ليراهم الناس، ويتذكروا عبادتهم، فينشطوا للعبادة ، ثم طال الزمن فعبدوهم من دون الله ، فأول جناية شركية على التوحيد في الدنيا كانت بسبب التصوير ، فليحذر العبد ذلك .

وحديثًا التصوير الآن سبب فساد الدين، وضياع الأخلاق، وانتشار الرذيلة، والقضاء على مكارم الأخلاق، بتصوير النساء عاريات متبرجات، وعرضهن أمام غرائز الرجال، ليفسدوا دينهم وأخلاقهم ، وقد عم هذا البلاء وطم ، وهذا أعظم جناية على الدين والأخلاق: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ودرء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح ، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم فكيف إذا كان هو محرم، بل هو من الكبائر، ثم أفضى إلى محرم، وكيف وقد لعن الله المصورين ؟ وكيف وقد توعد الله المصورين بأشد العذاب ؟ وكيف هو إذا كان فاعله مخالف لأمر الله ورسوله ؟.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] .

وقال النبي ﷺ «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ» . متفق عليه[1] .
وقال ﷺ «قال الله ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً». متفق عليه[2] .

أقسام الكفر الأصغر:

من منقصات التوحيد الكفر الأصغر ، وهو كل معصية ورد في الشرع تسميتها كفرًا، ولم تصل إلى حد الكفر الأكبر المخرج من الملة ، ويسمى كفرٌ دون كفر، أو كفر النعمة ، وهذا الكفر محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب ، لأنه من أعمال الكفار التي حرمها الإسلام، ولكنه لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام .

وينقسم الكفر الأصغر إلى أقسام:

الأول: كفر النعمة والحقوق ، وذلك بأن لا يعترف العبد بنعمة الله عليه ، أو ينكر معروفاً أسداه إليه أحد المخلوقين ، كما قال ﷺ «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» . متفق عليه[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه ما قاله قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ ، يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ». متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٠٩).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١١١).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٤).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧٣٧).

الثاني: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت ، كما قال النبي ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ» . أخرجه مسلم[1] .

الثالث: انتساب الإنسان لغير أبيه ، كما قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ». أخرجه مسلم[2] .

ومن منقصات التوحيد النفاق الأصغر، وهو أن يظهر الإنسان أمرًا مشروعًا ويبطن أمرًا محرمًا يخالف ما أظهره، ويسمى النفاق العملي، أو نفاقُ دون نفاق .

والنفاق الأكبر أن يظهر العبد الإسلام، ويبطن الكفر ، ويسمى النفاق الاعتقادي المخرج من الملة .

والنفاق الأصغر هو النفاق في الأعمال ونحوها ، وصاحبه لا يخرج من ملة الإسلام، لكنه عاصٍ لله ورسوله، فعليه التوبة منه، لئلا يفضي به إلى النفاق الأكبر: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ [المائدة: ٣٩].

ومن النفاق الأصغر العمل، كما قال النبي ﷺ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» . متفق عليه[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٨).

وقول النبي ﷺ «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتمِنَ خَانَ» . متفق عليه [1] .

فكل من فعل أو قال قولًا مشروعًا، وقد أبطن ضد ما أظهره، فقد فعل خصلة من خصال النفاق الأصغر ، وهذا النفاق محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، لكنه لا يخرج من ملة الإسلام ، وخصال النفاق الأصغر كثيرة منها ما ذكرنا من الخصال ومنها:

إعراض المسلم عن الجهاد في سبيل الله ، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يحُدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» . أخرجه مسلم[2] .

والرابع: الرياء في الأعمال الصالحة .

والخامس: إظهار المودة للغير مع إضمار بغضه ، وغير ذلك من ألوان النفاق الأصغر .

فاللهم احفظنا وجميع المسلمين من النفاق الأكبر، والنفاق الأصغر .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٩).

(٢)صحيح/ أخرجه مسلم برقم: (١٩١٠).

٦- نواقض التوحيد

نواقض التوحيد كثيرة ويجمعها ثلاثة أمور:

الكفر الأكبر

والشرك الأكبر

والنفاق الأكبر .

أما منقصات التوحيد: وهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد، ولا تنقضه بالكلية، فإذا وُجدت قدحت في كمال التوحيد وكمال الإيمان، ولم تخرج العبد من الإسلام ، وهي كل معصية لا تصل إلى درجة الكفر الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو النفاق الأكبر، ومن أهمها وسائل الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والنفاق الأصغر، والبدع .

فالشرك الأكبر هو أن يتخذ العبد ندًا لله ، يسويه به في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته .

والشرك أعظم ذنبٍ عُصِي الله به ، فهو أكبر الكبائر ، وأعظم الظلم ، وأقبح القبائح وأنجسها ، لأن الشرك صرف خالص حق الله تعالى وهو العبادة لغيره ، أو وصف أحدٍ من خلقه بشيءٍ من صفاته التي اختص بها جل جلاله، ولهذا لا يغفره الله لمن مات، ولم يتب منه، لشدة شناعته، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] .

عقوبات الشرك بالله:

الشرك ظلم عظيم وعقوباته عظيمة ، أهمها:

أولًا: أن الله لا يغفره إذا مات صاحبه عليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء: ٤٨].

ثانيًا: أن صاحبه حلال الدم والمال ، خارجٌ من ملة الإسلام: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[التوبة:٥] .

وهؤلاء الموجب لقتالهم هو كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك .

ثالثًا: أن الله لا يقبل من المشركين عملًا، وما عملوا من عملٍ يكون هباءً منثورا: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان:٢٣].

وهذا الشرك محبطٌ لكل عمل: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

رابعًا: أنه يحرم على المشرك أن يتزوج بمسلمة ، لأنها أعلى منه في توحيدها وإيمانها ، ويحرم على المسلم أن يتزوج بمشركة لأنها نجسة: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢٢١].

خامسًا: إذا مات المشرك فلا يُغسّل ولا يكفن ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، بل يوارى بثيابه في أي حفرةٍ لئلا يؤذي الناس برائحته .

سادسًا: أن المشرك لا يرث المسلم ، والمسلم لا يرث المشرك ، كما قال النبي ﷺ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ» أخرجه مسلم [1].

سابعًا: أنه يحرم على المشرك دخول الجنة ، وهو مخلدٌ في النار يوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

أقسام الشرك الأكبر:

ينقسم الشرك الأكبر إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الشرك في الربوبية . وهو أن يجعل الإنسان لله شريكًا معه في الملك والتدبير والخلق والرزق ونحو ذلك: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٢-٤٤].

ومن صور هذا الشرك شرك النصارى الذين يقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة:٧٣] .

وشرك المجوس الذين يسندون حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة ، ومنه شرك القدرية الذين يقولون إن العبد يخلق أفعاله ، ومنه شرك غلاة الصوفية والرافضة وغيرهم من عباد القبور الذين يعتقدون أن أرواح الأموات تقضي الحاجات، وتفرج الكربات: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦١٤).

ويعتقد بعض الصوفية أن بعض مشايخهم يتصرف في الكون ، ويغيث من استغاث به مع موته أو غيبته عنه ، ومنه الاستسقاء بالنجوم باعتقاد أنها وحدها مصدر السقيا دون مشيئة الله:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات ، بأن يجعل لله شريكًا في أسمائه وصفاته ، أو يصف الله تعالى بشيءٍ من صفات خلقه، والله : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[الشورى: ١١].

وصور هذا الشرك كثيرة ، منها الشرك بالادعاء بعلم الغيب ، أو اعتقاد أن غير الله يعلم الغيب ، واعتقاد أن الأنبياء والأولياء والصالحين يعلمون الغيب: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ ﴾[النمل:٦٥].

وهذا الاعتقاد يوجد عند غلاة الصوفية والرافضة ، ولهذا يستغيثون بالأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾[يونس:١٨].

الثالث: الشرك في الألوهية، هو أن يعتقد العبد أن أحدًا غير الله يستحق أن يُعبد ، أو يصرف شيئًا من العبادة لغير الله من دعاءٍ أو ذبحٍ ونحوهما: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾[الزمر: ٦٤ – ٦٦].

أقسام الشرك في الألوهية:

ينقسم الشرك في الألوهية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: اعتقاد شريكٍ لله في الألوهية، فكل من اعتقد أن غير الله يستحق العبادة مع الله ، أو يستحق أن يصرف له أي نوع من أنواع العبادة، فهو مشركٌ بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة ؛ فمن سمى نفسه أو ولده عبد الرسول أو عبد الشمس أو عبد القمر أو عبد الحسين ونحوهما من الأسماء التي فيها التعبيد للمخلوق ، معتقدًا أن هذا المخلوق يستحق أن يعبد ، فهو مشركٌ بالله الشرك الأكبر: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

الثاني: صرف شيءٍ من العبادات المحضة لغير الله . كالدعاء والصلاة والصوم والذبح وغيرها ، فمن صرف من ذلك لغير الله شيئًا قد وقع في الشرك الأكبر: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٩ – ١١٠] .

والشرك في العبادة ينحصر في أمرين:

أحدهما: الشرك في دعاء المسألة ، وهو أن يطلب العبد من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، من جلب نفع، أو دفع ضر ، ويدخل في دعاء المسألة الاستعانة والاستغاثة، والاستعاذة والاستجارة .

والدعاء من أعظم أنواع العبادة ، فيجب صرفه لله وحده ، ولا يجوز صرفه لغير الله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ومن الشرك في دعاء المسألة ما يلي:

الأول: دعاء الميت أو الغائب ، سواءٌ كان نبيًا أو وليًا صالحًا أم غيرهم ، فمن دعا أحد هؤلاء معتقدًا أنه يسمع كلامه، ويعلم بحاله، ويقضي حاجته ، فقد وقع في الشرك الأكبر ، سواءً طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ، أم طلب منه أن يدعو الله له أو يشفع له عنده: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] .

الثاني: أن يطلب من المخلوق من الأمور ما لا يقدر عليه إلا الله وحده ، سواءٌ كان ميتًا أو حيًّا، أو نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو جنيًا أم غيرهم ، كأن يطلب منه شفاء مريضه ، أو نصره على عدوه ، أو كشف كربته ، أو يطلب منه أن يغيثه أو يعينه أو غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله وحده .

فهذا كله شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة، لما فيه من دعاء غير الله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

الثالث: أن يجعل بينه وبين الله واسطة في الدعاء ، معتقدًا أن الله لا يجيب دعاء من دعاه مباشرة ، فهذه شفاعةٌ شركية مخرجة من الملة: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

الثاني: الشرك في دعاء العبادة ، فدعاء العبادة هو عبادة الله عز وجل بأنواع العبادات القلبية كالحب والخوف والرجاء ، والقولية كذكر الله، وتلاوة

القرآن ، والفعلية كالصلاة والصوم والحج والذبح وغيرهما من أنواع العبادات .

وسمّيَ هذا كله دعاء عبادة، لأن العابد لله بهذه العبادات طالبٌ وسائلٌ لله في المعنى، لأنه إنما يقوم بفعل هذه العبادات رجاء ثواب الله، وخوفًا من عقابه، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال ، فهو داعٍ لله بلسان حاله، لا بلسان مقاله .

وينقسم الشرك في دعاء العبادة إلى أربعة أقسام:

الأول: الشرك في الخوف .

والخوف المنبعث من البشر أربعة أقسام:

الأول: الخوف من الله ، وهو خوف المؤمن من ربه ، وهو خوفٌ مقترنٌ بالمحبة لله، والتعظيم له، والذل له ، وهذا الخوف هو الواجب على كل مسلم ، وهو أصلٌ من أصول العبادة: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٧٥].

الثاني: الخوف الجبليِّ ، وهذا الخوف مباح إذا وجدت أسبابه ، كأن يخاف من النار ، أو السبع ، أو العقرب ، أو العدو ونحو ذلك ، كما قال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾[القصص: ٢١].

الثالث: الخوف الشركي، وهو أن يخاف المخلوق خوفًا مقترنًا بالتعظيم والخضوع ، كالخوف من صنمٍ أو ميتٍ أو جنيٍّ أو ساحرٍ أن يصيبه بمكروه من مرضٍ، أو سلب نعمة ، أو آفةٍ في ماله أو أهله .

فهذا كله من الشرك الأكبر ، لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله ، ولما في ذلك من اعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزمر: ٣٦] .

الرابع: الخوف الذي يحمل صاحبه على ترك واجب، أو فعل محرم ، وهذا الخوف محرم، لما فيه من خوف غير الله أن يضره في ماله أو بدنه أو أهله: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الثاني: الشرك في المحبة .

والمحبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المحبة الواجبة ، وهي محبة الله ، ومحبة رسوله ، ومحبة كتابه، ومحبة دينه، ومحبة كل ما يحبه الله ويرضاه .

الثاني: المحبة الطبيعية المباحة ، كمحبة الوالد لولده ، والزوج لزوجه ، والإنسان لصديقه ونحو ذلك ، وهذه المحبة مباحة ، بشرط ألا يصحبها تعظيمٌ ولا خضوع ولا ذلٍ للمحبوب، ولا تصل إلى درجة محبة الله ورسوله، فإن ساوتها أو زادت عليها فهي محبةٌ محرمة، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

الثالث: محبةٌ شركية ، وهي أن يحب مخلوقًا محبةً مقترنة بالخضوع والتعظيم ، وهذه هي محبة العبودية التي لا يجوز صرفها لغير الله ، فمن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الثالث: الشرك في الرجاء ، وهو أن يرجو العبد من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله ، فمن يرجو من مخلوق أن يرزقه ولدًا، أو يرجو منه أن يشفيه، فهذا كله من الشرك الأكبر .

فمن صلى أو سجد أو انحنى لمخلوقٍ محبةً له، وخضوعًا له، ورجاءً له فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فقد وقع في الشرك الأكبر، لما في ذلك من صرف العبادة لغير الله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

الرابع: الشرك في الذبح .

والذبح أربعة أقسام:

الأول: ذبح الحيوان المأكول تقربًا إلى الله، وتعظيمًا له، كالأضحية ، وهدي التمتع والقران في الحج ، والذبح للتصدق باللحم ، ونحو ذلك ، فهذا مشروع ، وهو عبادةٌ من العبادات العظيمة، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[الكوثر:٢].

الثاني: ذبح الحيوان المأكول للأكل أو لضيف أو لعرس ونحو ذلك ، فهذا مأمورٌ به إما وجوبًا وإما استحبابًا .

الثالث: ذبح الحيوان من أجل التجارة في اللحوم أو لأكله، فهذا فعلٌ مباح .

الرابع: الذبح تقربًا إلى المخلوق، وتعظيمًا له، وخضوعًا له ، فهذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ، فمن ذبح تقربًا إلى مخلوق فقد وقع في الشرك الأكبر ، وذبيحته محرمةٌ لا يجوز أكلها ، سواءً كان هذا المخلوق من الإنس أو الجن، أو الملائكة ، أو الأحياء، أو الأموات: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢] .

وقد قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ المَنَارَ». أخرجه مسلم[1] .

الخامس: الشرك في الزكاة والصدقة والنذر .

فالزكاة والصدقة والنذر عبادات لا يجوز صرفها إلا لله وحده ، فمن نذر لمخلوق، كأن يقول لفلان على نذر أن أصوم كذا، وأتصدق بكذا، أو قال إن شفى مريضي أو جاء غائبي ، فللشيخ فلان عليّ أن أتصدق بكذا ، فهذا كله نذرٌ محرمٌ وباطل ، ومن فعل ذلك فقد وقع في الشرك الأكبر ، لأنه صرف عبادة النذر لغير الله .

ومن اخرج زكاة المال أو تصدق على قبر ميت قربةً إليه فهذا كله من الشرك الأكبر: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

السادس: الشرك في الصيام والحج والطواف ، فالصيام والحج والطواف من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله ، فمن صام أو حج البيت تقربًا إلى ولي أو ميت أو غيرهما من المخلوقين ، أو حج إلى قبر تقربًا إليه أو طاف بقبر نبي أو غيره فهذا كله من الشرك الأكبر المخرج من الملة ، سواءٌ فعله أو اعتقد جوازه: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٧٨).

الثالث: الشرك في الحكم والطاعة.

وصور الشرك في هذا النوع أنواع:

الأول: اعتقاد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مثله، فهذا شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠] .

الثاني: اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله ، أو وضع تشريعٍ أو قانونٍ مخالف للقرآن والسنة ، فهذا كله شركٌ أكبر: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] .

الثالث: من يحكم بعادات آبائه وأجداده أو قبيلته معتقدًا أنها أفضل من حكم الله أو مثله ، وأنه يجوز الحكم بها ، فهذا كله شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] .

الرابع: أن يطيع من يحكم بغير شرع الله عن رضا، مقدمًا له على شرع الله ، أو معتقدًا جواز الحكم بغيره ، أو معتقدًا أن هذا الحكم أفضل من حكم الله أو مثله ، وكل من يتحاكم إلى العادات القبلية المخالفة للشرع فقد وقع في هذا كله في الشرك الأكبر: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] .

الخامس: أن يدعو إلى تحكيم غير شرع الله، وعدم تحكيم شرع الله، محاربةٌ للإسلام، وتعظيمٌ له، إعجابًا بالكفار وأنظمتهم ، واعتقاد أنها أفضل من شرع الله ، فهذا كله من الشرك الأكبر ، لأن الدعوة للباطل شرٌ من إتباعه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] .

٧- أقسام التوحيد

دل القرآن الكريم على أن توحيد الله ينقسم بالإجمال إلى قسمين:

توحيد الربوبية .. وتوحيد الألوهية .

وينقسم بالتفصيل إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الله في ربوبيته :

وهذا النوع من التوحيد جبل الله عليه فطر العقلاء، كما قال سبحانه: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[إبراهيم: ١٠].

وقال عز وجل: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[الروم:٣٠].

وهذا التوحيد لا ينفع إلا مقرونًا بإخلاص العبادة لله وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الثاني: توحيد الله في عبادته: وهو توحيد الله بأفعال العباد .

ويتحقق هذا النوع من التوحيد بأمرين:

الأول: خلع جميع المعبودات من دون الله .

الثاني: وإفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة التي شرعها على ألسنة رسله كما قال سبحانه:﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[النحل: ٣٦]

الثالث: توحيد الله بأسمائه وصفاته: وهذا التوحيد مبنى على أصلين:

الأول: تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن مشابه المخلوقات .

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله من الأسماء والصفات مع قطع الطمع عن إدراك كيفية صفاته سبحانه . فكما لا نعلم كيفية ذاته ، كذلك لا نعلم كيفية صفاته وأفعاله على حد قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] .

وكما قال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠].

فهذه أركان التوحيد بالإجمال والتفصيل التي لا يتم توحيد العبد إلا بمعرفتها، والتعبد لله بموجبها ، والقرآن كله تقرير لهذه الأركان العظيمة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

والله ﷻ شهد لنفسه بالوحدانية قبل أن يخلق أحدًا فقال عز وجل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وأحب الخلق إلى الله هم أهل توحيده والإيمان به: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦ – ١٧].

فأحب الخلق إلى الله هم أهل توحيده والإيمان به وهم المؤمنون ، أما الكفار فهم أبغض الناس للتوحيد وأهله: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١٢].

والبشر وما يملكون كله لله عز وجل ، فإذا تعلق العبد بربه العزيز صار عزيزًا ، وإذا تعلق بالغني صار غنيًا ، وإذا تعلق بالقوي صار قويًا ، وإذا تعلق بالعظيم صار عظيمًا ، وإذا تعلق الإنسان بالعبد الذليل صار ذليلًا ، وإذا تعلق العبد بالضعيف صار ضعيفًا ، وإذا تعلق بالفقير صار فقيرًا ، والغريق لا ينقذ الغريق ، فأنت أيها الإنسان، لله وإذا أسرك غيره فهذا ظلم ، وإذا أسرك غير الله أذلك الله أمام المخلوقات، فصرت ذليلًا بعد عزة لأنك تعلقت بالذليل ، وصرت أسيرًا له .

وإذا أُسر قلبك أُسرت جوارحك وفكرك وأموالك وأوقاتك فصار المخلوق يتحكم فيك ، لأنك سلمت نفسك له فصرت أسيرًا لديه .

وإذا تعلق القلب بالله وآمن به ولم يلتفت إلى ما سواه ، تحقق له ما أراد من ربه ، فالله له من عباده مراد، والعباد لهم من ربهم مراد ، فمراد الله من العباد

أن يعبدوه ويوحدوه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾[البقرة: ٢١].

هذا مراد الله من الخلق، فمراد الله من عباده الإيمان والتوحيد والعمل الصالح ، ومراد العباد من الله الحصول على السعادة فى الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فمراد الله منك أن تكون زاكيًا بالتوحيد والإيمان والتقوى ، ومرادك من ربك الفلاح، والله يقول لك: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس: ٧ – ١٠] .

والله ألهم كل نفس فجورها وتقواها، وكل أحد يفعل ما يريد ، لكن التقوى تحتاج إلى جهد، لأنها تقييد للجوارح بأوامر الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت: ٦٩] .

والفجور سهل، لأنه إطلاقُ للجوارح فميا تحبه النفس من الشهوات والمعاصي، وهذا هو أصل الابتلاء ، فالله عز وجل ابتلانا بالمصائب القدرية، وبالأوامر الشرعية، وبالشهوات البهيمية، فالله عز وجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[الإنسان: ٢ – ٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

فالإنسان مبتلى بالمصائب القدرية، وبالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية، فالشهوات البهيمية كما قال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل [عمران: ١٤].

وهذه الأوامر الشرعية: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥] .

أما المصائب القدرية فهي: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

والسعيد فاز في الابتلاء والاختبار: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

قوة كلمة التوحيد:

كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "كلمةٌ عظيمة، لو وضعت السماوات والأرض وما فيهن في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهن لا إله إلا الله ، ولو كانت السماوات والأرض حلقةً مفرغة، لفصمتهنَّ لا إله إلا الله .

فشهادة التوحيد هي التصديق والإقرار بلا إله إلا الله ، وذلك يقتضي القيام بحقوقها ، وهي أداء شرائع الإسلام بالتصديق بالأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فالله عز وجل بعث رسوله محمدًا ﷺ إلى الكفار والمشركين في مكة ، ودعاهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله، ويشهدوا أنه رسول الله ، فإذا قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره الله عز وجل أن يأمرهم بالصلاة ، ففعلوا ، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالهجرة إلى المدينة .

فأمرهم فهاجروا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره الله أن يأخذ من أموالهم صدقةً يطهرهم بها فأمرهم ففعلوا ، ووالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا زكاتهم .

فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقولوا كقولهم، ويشهدوا كشهادتهم، ويصلوا صلاتهم، ويؤدوا زكاتهم، ويهاجروا هجرتهم ، فأمرهم ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا زكاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتالهم.

فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره الله عز وجل أن يأمر الناس بالطواف بالبيت تعبدًا، وأن يحلقوا رؤوسهم لله تذللًا ، ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا زكاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم وأبناءهم .

فلما علم الله الصدق في كل ذلك من قلوبهم ، وتابع عليهم شرائع الإسلام وحدوده ، فقبلوا ذلك ، ورضوا به ، وفعلوه ، وقاموا بامتثال كل ما أمرهم الله به، ونهاهم عنه ، أنزل الله قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكانوا خير أمةٍ أخرجت للناس ، توحيدًا وإيمانًا، وعبادةً ودعوةً، وتعليمًا وأخلاقًا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠].

وهؤلاء هم القرن الأول، أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم فإنهم على الهدي المستقيم ، أولئك أصحاب محمدٍ ﷺ أكمل الناس توحيدًا وإيمانًا، وبذلاً وعطاءً ومجاهدة وتضحيةً، وهجرةً ونصرةً، وقيامًا بهذا الدين، فرضي الله عنهم أجمعين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

٨- سر العبودية

خلق الله الإنسان ضعيفاً، ليتوجه دائماً إلى القوي، ويستفيد من قوته: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨] .

وخلق الله الإنسان فقيراً ليقف دائماً بباب الغني، ليكرمه من فضله، فكل إنسان إما عابدٌ لله، أو عابدٌ لعبد لله من حجرٍ أو شجرٍ أو صنمٍ أو شمسٍ أو قمر: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

فالمؤمن عابدٌ لله وحده، وكل ما سواه من كافر أو مشرك عابدٌ لعبد الله من الأصنام والأوثان التي لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧١] .

وكل من وحَّد الله فهو أعقل العقلاء، وكل من أشرك بالله فهو أسفه السفهاء: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

وكل من دعا مع الله غيره فهو مشرك: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] .

وحقيقة شرك المشركين، أنهم يشعرون أنهم مذنبون، فاتخذوا الأصنام من أحجارٍ وأشجارٍ وسائط تشفع لهم عند الله، لأنها لا ذنوب لها، فيطلبون منها الشفاعة عند الله كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

فحقيقة الشرك طلب التوسط والشفاعة، لا أنهم يعتقدون أن حجراً أو شجراً، أو شمساً أو قمراً، أو حياً أو ميتاً، يشارك الرب في الخلق والتدبير والتصريف: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان: ٢٥].

وكذا كانوا يعبدون تلك الأصنام، لأنه ليس لها أمرٌ ولا نهيٌ، وليس لها منهج تأمر الناس به، وليس عندها ثوابٌ لمن أطاعها ولا عقابٌ لمن عصاها وفي الحقيقة أنهم كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

بل الحقيقة أنهم يعبدون الشيطان بطاعته في معصية الله، واتباع أهوائهم: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢].

وقد غرَّ الشيطان أكثر الخلق وصرفهم من التوحيد وفطرة الله التي فطر الناس عليها إلى الشرك: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠].

٩- الفرق بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية:

بين الله عز وجل في كتابه الكريم توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، في أول القرآن وآخره ، فتوحيد الربوبية هو توحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيد الألوهية هو توحيد الله عز وجل بالعبادة .

بين الله توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية في أول القرآن وآخره ونص عليه في أغلب آيات القرآن الكريم فقال في أوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧] .

وقال في آخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ – ٣] .

فرب الناس، وملك الناس، هذا توحيد الربوبية، وإله الناس توحيد الألوهية ، فالله واحد في ذاته لا قسيم له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

فالله واحدٌ في ذاته لا قسيم له ، وواحدٌ في أسمائه وصفاته لا شبيه له ، وواحدٌ في أفعاله لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١].

فهذا توحيد الربوبية، وهذا التوحيد أقر به المشركون ولم ينجهم من عذاب الله ، لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهية معه بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، كما جاءت به الرسل فتوحيد الربوبية لا يكفي إلا إذا كان مقرونًا بتوحيد العبادة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[النحل: ٣٦].

لهذا لابد أن يكون الإنسان موحدًا لربه بقلبه ولسانه وعمله ، فمن وحد الله ﷻ بقلبه، ولكنه لم يوحده بقوله أو عمله فهو غير صادق ، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل .

قال النبي ﷺ: « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» .متفق عليه[1] .

فمن عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما ، ففرعون قال أنا ربكم الأعلى ، وإبليس امتنع عن السجود لأدم مخالفًا لأمر ربه، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤].

ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق، لأن الجاهل بالحق معذور حتى يعرفه ، بخلاف المعاند المستكبر ولهذا كان اليهود مغضوب عليهم، لأنهم عرفوا الحق وتركوه ، والنصارى ضالون لأنهم لم يعرفوا الحق، وضلوا عنه ، لكن بعد بعثة الرسول ﷺ عرف النصارى الحق وكفروا بمحمد ﷺ فصاروا كاليهود مغضوبًا عليهم .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

وإن عمل العبد بالتوحيد بلسانه وجوارحه، ولكن لم يعتقد بقلبه، فهو منافق أشد من الكافر المصرح بكفره، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥].

توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، بأن يعبد المسلم ربه وحده لا شريك له، ولا يعبد معه أحدًا غيره ، ولا يتم لأحد هذا التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، ويكفر بما يعبد من دون الله ، فينفي الألوهية عن كل ما سوى الله ويثبتها لله وحده لا شريك له .

وهذا التوحيد وهو الذي بعث الله به الرسل لأنه هو الذي حصل الإخلال به عند الأمم ، فبعث الله الرسل لإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، واجتناب عباده ما سواه، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا النوع هو الذي ظل فيه المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ حيث عبدوا مع الله غيره ، ومن أخل بتوحيد الربوبية، فهو أعظم الكفار كفرا، وأعظمهم ذنبا ، لأن الله فطر الناس على توحيده بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومن أخل بتوحيد الألوهية فهو مشرك كافر، وإن أقر بتوحيد الربوبية، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان: ٢٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

فصرف العبادة لله وحده لا شريك له مبني على معرفة الرب الخالق الذي له الخلق والأمر وحده ، فلا يُتأله ويُتعبد إلا لهذا الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، وبيده كل شيء، فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، فيعبد الله وحده لا شريك له، ولا يقبل هذا إلا مع هذا فهما متلازمان:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

١٠- ثمرات التوحيد

المؤمن إذا اتصل بالله بالإيمان به ربًا وإلهاً، ووحده بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ووحده في عبادته ، نال خيرًا كثيرًا، وخرج من الظلمات إلى النور ، فمن اتصل بالله عز وجل فلابد أن يكتسب منه شيئًا نافعًا في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فالصلاة مثلاً هي عماد الدين، ودرة الطاعات، وأصل العبادات، وأعظم القربات ، هذه الصلاة من أجل أن نكتسب من خلالها صفات الكمال من الله عز وجل، فالصلاة الصحيحة التي تصلك بالله حقًا هي الصلاة التي لا يكون بعدها بخلٌ، ولا كذبٌ، ولا نفاقٌ، ولا حسدٌ، ولا رياء ؛ لأن الصلاة اتصال بالكبير الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ، فأنا أتصل بالله ليكرمني بالصفات التي يحبها، والتي دعاني للتعبد له بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فهي تذكر بالله، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، فالذي اتصل بالله في صلاته حقًا إن سأله أعطاه ، ومن وجده ضالًا هداه ، ومن وجده عاجزًا أعانه ، ومن أساء أحسن إليه إذا تاب إلى ربه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فالصلاة صلة بين العبد وربه ، فيها تكبير الله، وحمد الله على نعمه ، وسؤاله الهداية، والاستغفار من الذنوب، وتقديم التحية له، والصلاة والسلام على من عرفني بالله، وهو النبي ﷺ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومن أحسن إلى أحد بقولٍ أو فعلٍ أو مال فلابد أن يشكره، فالناس عبيد النعمة، فمن أحسن إليك شكرته على هذا الإحسان والله عز وجل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، إذا آمنت به ووحدته، وعبدته كما يليق بجلاله، واستغفرته، وتبت إليه، واتبعت أمره واجتنبت نهيه ، وأديت له الأعمال الصالحة، وعاملت الناس بالأخلاق الحسنة ، وجدت جزاء ذلك عنده بالطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة، والرضوان، والجنة في الآخرة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥] .

فالتجارة لها أسباب وهدف، فمن فعل الأسباب، وصل إلى الهدف، وجنى الأرباح، ومن صلى وصام، وزكى وحج ، وذكر الله، وقرأ القرآن، وعلم وتعلم الدين، واستقام على طاعة الله، فقد وصل إلى الله، وسعد بقربه ، واستفاد من خزائنه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فإذا لم تحقق للعبد هذه الأعمال الاتصال بالله عز وجل، فإنه لم يخلص العبادة لله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣] .

فالتجارة لا قيمة لها إن لم تحقق أرباحًا ، وأعمال البر لا معنى لها إن لم تحقق للعبد الاتصال بربه، والاستفادة من خزائنه، وحسن عبادته: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وقال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فإذا لم تحقق الأعمال الصالحة الأرباح، فإنما ذلك لوجود الخلل والنقص في التوحيد والعمل: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾ [الماعون: ٤ – ٧] .

وسبب ذلك الجهل بالله، والجهل بأسمائه وصفاته وأفعاله، والجهل بخزائنه، والجهل بسلطانه العظيم، ودينه العظيم، والجهل بما يجب له جل جلاله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

الله ﷻ هو الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، لم يسبقه عدم، هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فليس فوقه شيء ، وهو الباطن فليس دونه شيء: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣ ﴾ [الحديد: ٣].

وكل ما سوى الله عز وجل وجوده مسبوق بعدم ، كان الله ولم يكن شيءٌ قبله ، ثم خلق السماوات والأرض وباقي المخلوقات ، فالله عز وجل لا أول له ولا آخر ولا بداية له ولا نهاية ، وكل ما سواه وجوده مسبوق بعدم ، فالسماوات والأرض وما فيها مسبوقة بعدم، خلقها الله إظهاراً لقدرته، وتنبيها لبريته، ليوحده خلقه، ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وهو عز وجل بديع السماوات والأرض الذي خلقها على غير مثال .

وبقاء الإنسان وفناؤه بيد الله وحده: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

فوجود الإنسان مثلاً متعلقٌ بشروط ، لو منعنا عن هذا الإنسان الهواء يموت ، ولو منعنا عنه الماء يموت ، ولو منع من الزوجة يختل توازنه: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: ٢١] .

ولو حرم من الأولاد يشعر بالقلق ، فوجود الإنسان قائم على غيره، على شروط لا يملكها هو، بل يملكها الذي خلقه ، أما وجود الله فهو ذاتي: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤].

والإنسان إذا عرف ربه، وآمن به، امتلأ قلبه بتعظيمه، لما يراه من جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه، وامتلأ قلبه بحب الله عز وجل، لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فالقلب لا نهائي، يحب كل شيء، فإذا حصله مل منه، وزهد فيه لكن القلب إذا عرف الله أغناه عمن سواه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فالنفس البشرية لا يملؤها المحدود، لأنها أكبر منه لا يملؤها إلا معرفة الرب العظيم الأكبر، فإذا عرفت الأكبر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الحميدة، والمثل الأعلى، اطمأننت به، واستأنست به، واستوحشت من غيره: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ

ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

فالدنيا وما فيها من المحبوبات محدودة يسعد بها الإنسان فترة ثم يملها ويسأم منها ، والنفس لا محدودة، فإذا طلبت السعادة في المحدود المخلوق لا تجدها، وكل ما سوى الله محدود، فلا طمأنينة ولا سكينة إلا بمعرفة الله عز وجل: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

ومن عرف الله حقاً أمن به وأحبه وتعلق به: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

التوحيد حبل النجاة:

من تعلق بالله وحده لا شريك له وعبده بما جاء عن رسوله ﷺ، اطمأنت نفسه، وسعدت في الدنيا والآخرة: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ومن تعلق بغير الله عذب به ، وصارت حياته كلها ضنكٌ وشدة ، فمن تعلق بالمخلوق المحدود وقعت نفسه في الحيرة والضجر والضنك ، فهو إما أن ينحرف بإتباع الشهوات، أو يهديه الله عز وجل: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى

هُدَى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

فخذ يا عبد الله من الدنيا بقدر الحاجة، وأعمل للدين والأخرة بقدر الطاقة: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤ – ١٧].

الله ﷻ هو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى .

هو وحده الذي يستحق العبادة ؛ لأنه الخالق الذي خلق كل شيء، الرب الذي يربي عباده وخلقه بما ينفعهم في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

والرب الذي هذه صفاته وأفعاله هو وحده الذي يستحق العبادة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو سبحانه الذي خلق كل شيء ، فهو الذي يستحق أن يعبد دون غيره وحده لا شريك له: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل: ٦٤] .

هو الإله الكريم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، إن سألته أعطاك، وإن استغفرته غفر لك ، وإن استعنت به أعانك، وإن دعوته أجابك: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤] .

فلا معبود بحق إلا الله الذي يجب أن يذكر فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وكل من اتخذ من دون الله شريكًا له، فإما أن يكون من الأجسام العلوية العظيمة التي خلقها الله كالشمس والقمر والكواكب وهؤلاء هم الصائبة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧] .

وإما أن يكون المعبود من الأجسام الأرضية كالأحجار والأشجار ونحوهما مما يعبده سائر الكفار من قريش وغيرهم .

وإما أن يكون من الحيوان كعباد العجل وعباد البقر وغيره من الحيوان كأهل الهند وغيرهم من الكفار .

وإما أن يكون المعبود من الناس كالذين قالوا: عزير ابن الله، وهم اليهود، والذين قالوا: المسيح ابن الله، وهم النصارى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ

يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠ – ٣١].

وعباد الأولياء والصالحين الأموات: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

وإما أن يكون المعبود جسما بسيطا كالمجوس الذين يعبدون النار .

ومن الناس من يعبد النور، ومنهم من يعبد الظلام، ومنهم من يعبد الملائكة وغير ذلك من المعبودات الباطلة التي لا تنتهي: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧١] .

وكل من اتخذ من دون الله شريكًا، فإنما يعبده طلبا لنفعه، أو هربا من ضرره .

وكل هؤلاء معذبون: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

فكل من عبد غير الله فهو معذب مخذول مذموم: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك ، مخذولًا لا ناصر لك ، والنجاة فقط في عبادة الواحد الأحد وحده لا شريك له: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

وكل مخلوق محتاج إلى ربه في كل ما يقوم به، فلا قوة على طاعة الله إلا بعون الله ، ولا حول عن معصية الله إلى طاعة الله إلا بتوفيق الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

فالله وحده هو المستعان الذي يعين العبد فيما يقوم به، ولولا عونه ما تم عمل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥] .

وقال سبحانه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

ولهذا لما كانت العبادة رتبة عظيمة، وقيام العبد بها ناظرًا إلى قوته يورث العجب، ولإزالة هذا العجب، وعدم الاعتماد على النفس قال سبحانه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥] .

وذكَّر الله العباد بقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

١١- آثار التوحيد:

إذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده ، امتلأ قلبه بالتوحيد والإيمان، فعرف الملك من العبيد، وعرف الكبير من الصغير وعرف الخالق من المخلوق، وحينئذ يكبر الخالق، ويصغر المخلوق مهما كانت قوته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

والأنبياء والصحابة كبروا الله، وصغروا ما سواه، فهابتهم السباع والأسود ، وصغروا النار، فهابتهم وانقادت لهم ، كما كانت النار من قبل بردًا وسلامًا على إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

وكما كان تميم الدارمي يحوش النار بيده ويكبر، فهربت ودخلت في الشعب الذي خرجت منه .

وصغروا البحار، فسخر الله لهم البحار ، كما انفتح البحر من قبل لموسى ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٨] .

فبأمر واحد، في بحر واحد وفي وقت واحد، أنجى الله موسى وقومه، وأهلك فرعون وأغرقه وقومه، تلك حقيقة لا إله إلا الله، أن يتيقن القلب أن الله بيده كل شيء وغيره ليس بيده شيء ، وكل ما سواه من المخلوقات العلوية والسفلية كلهم عبيده ، يشهدون بوحدانيته، ويسبحون بحمده، ويخضعون لأمره، ويستجيبون لمشيئته، ويسرعون إلى إرادته: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

فسبحان من جميع مخلوقاته ساجدة لعظمته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨] .

وكما ركب سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه البحر في القادسية إلى العدو، ومشى الجيش عليه، ولم يبل خفافهم .

وكذلك فعل العلأ ابن الحضرمي رضي الله عنه، قال أبو هريرة فسمينا فكبرنا فعبرنا، فما بل الماء أسفل خفاف إبلنا .

فالصحابة كبروا الله عز وجل، وصغروا طواغيت زمانهم، فأهلك الله أولئك الطواغيت، وجاءت كنوز كسرى وقيصر تحت أرجلهم، وملكوا أرضهم وديارهم، وذلك لكمال اليقين في قلوب الصحابة رضي الله عنهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

فسنة الله جارية من نصر الله نصره، ومن تعلق بغيره خذله من جهته: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك ، مخذولًا لا ناصر لك .

وإذا عظمت الأمة طواغيت الأرض، وقوات الأرض، أصبحنا في ذيل الركب، وتحت أقدام الطواغيت: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل: ٧٩] .

ومن توكل على الله كفاه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

من عظم الصغير والذليل جعله الله تحت أقدامه، ومن عظم الكبير سبحانه عظم في عين الله، وعظم في أعين الناس ، ومن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ومن اتصل بالقوي فهو قوي: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨] .

فقه التوحيد:

التوحيد هو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بحكمه وأمره وشرعه ، وتوحيده بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥].

والتوحيد هو جمع القلب على الله وحده خوفًا ورجاءًا، وعبادة واستعانة، ومحبة وتوكلًا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ١ – ٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

والموحد حقًا هو من جمع قلبه على الله تعالى حتى لا يكبر إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجوا إلا الله ، ولا يحب إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يسأل إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

وكل من عرف الله كبيرًا كبره، ومن عرفه عظيمًا عظمه، ومن عرفه كريمًا أحبه، ومن عرفه واعدًا رجاه، ومن عرفه متوعدًا خافه ، ومن عرفه قادرًا توكل عليه ، ومن عرفه سميعًا لم ينطق إلا بما يحبه الله ، ومن عرفه بصيرًا لم يعمل إلا بما أمره الله به ، ومن عرفه عليمًا راقبه في باطنه وظاهره: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠] .

والله سبحانه وحده هو الذي أنعم علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

والله سبحانه هو الواحد الأحد الذي خلق الكون العظيم بقدرته ، ونظمه بسنته الجارية ، وستر قدرته بسنته، فالبصر يرى السنة هي التي تفعل، فسماءٌ تمطر، وأرضٌ تنبت، وشمس تشرق، وشجرة تثمر .

والبصيرة ترى قدرة الله هي التي تفعل ، فالبصيرة تخترق قدرة المخلوقات إلى الخالق، فتراه ملكًا عظيما بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى ، فتخترق المخلوقات إلى الخالق ، وتخترق الصور الى المصور، وتخترق الأرزاق إلى الرزاق ، وتخترق السنة الكونية إلى القدرة الإلهية فكل ما سوى الله مخلوق مفعول ، والمفعول لا يكون فاعلاً أبداً، إنما الفعال واحد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٧].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٣ – ٦٤] .

١٢- فضائل التوحيد

أهل التوحيد هم الفائزون، وأهل الكفر والشرك هم الخاسرون .

والموحد لله حقًا هو الذي عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف دينه وشرعه، وعبد الله بموجب ذلك .

الموحد لله حقًا هو الذي لا يسأل إلا الله، ولا يعبد إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يخاف إلا من الله ، ولا يرجوا إلا الله وحده لا شريك له: قال النبي ﷺ « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ وَتَعَرَّفْ إِلَى اللهَّ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ» أخرجه الترمذي[1] .

ومن آمن بالله أمنه من كل شيء ومن لم يؤمن بالله خاف من كل شيء فالموحد لله حقًا ، لا يخاف من الناس والأعداء وغيرهم ، ولكنه يخاف على الناس من عذاب النار: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل [عمران: ١٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦] .

هو الذي خلقها، وهو الذي يدبرها ، وبيده نواصي جميع الخلق .

---

(١) حسن صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

وإذا خاف المؤمن من عدوه أصابه الوهن ، وسلط الله عدوه عليه حتى يعود إلى الخوف من الله وحده ، وذلك من رحمة الله به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وإذا خاف المؤمن من ربه، وخاف على الكفار من النار، مكنه الله من قلوب الكفار، وتهيأت لقبول الحق ، فدخلوا في الإسلام أفواجاً، وكفانا الله شرهم ، وفتح الله علينا ما يكون سببًا في هدايتهم ، فإذا رأي الكفار جمال الإسلام في حياتنا ، من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة ، والأخلاق العالية، والأحكام العادلة، دخلوا في الإسلام .

ومن لم يرغب في الإسلام، وأذى المسلمين، فحينئذٍ تكون الحرب بينهم وبين الله سبحانه ، ونحن سبب:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣].

والآن الحرب بين المسلمين والكفار، ولا يكون النصر عليهم حتى ننتصر على أنفسنا بتحقيق التوحيد والأيمان ، والتقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه .

أما أن ننزع هذا اللباس، ونلبس غيره، ونتشبه بالكفار ، فلا يكون النصر للمؤمنين؛ لأن النصر حينذاك مع هذه المخالفة يكون فتنة للكفار، لأنهم

يرون أنهم على الحق، ونحن على الباطل: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة: ٥].

فلن يحصل النصر في هذه الحالة ؛ لأن الكفار أقوى منا، ولن ننتصر عليهم إلا إذا نقلنا الحرب بينهم وبين الله ، ولن يكون ذلك إلا إذا رأوا الحق فينا، ورأوا جمال الإسلام فينا ، وعرضناه عليهم بلسان الحال، ولسان المقال ، فحينئذٍ يسرع الناس إلى الدخول في دين الله أفواجًا، لما يرون من جمال هذا الدين ، ثم إذا عاندوا وتكبروا وحاربونا فعند ذلك ينصرنا الله عليهم ؛ لأن الحرب صارت بين الله وبينهم ، فكفى الله المسلمين شرهم، ونصرهم عليهم: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فالنصر من الناصر والنصر ينزل من السماء كما ينزل الماء من السماء على الأرض ، والمسلمون اليوم أكثرهم حجر عثرة أمام إسلام الكفار بسوء بعض أخلاقهم ، ولو استقاموا على الدين لأعطوا صورة حسنة عن الإسلام أمام الكفار، فرغبوا في الإسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

ومن أخذ بعض أحكام الإسلام، ولفق معها غيرها ، فله الخزي والعذاب في الدنيا والآخرة: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا

جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابٖۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

فمن خاف الله خوف الله منه كل شيء: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

فالخوف بيد الله، والأمن بيد الله، والعزة بيد الله ، فمن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف غير الله خوفه الشيطان من كل شيء:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره أساسٌ عظيم تبنى عليه الأعمال الصالحة ، وجميع الطاعات أغذية نافعة ينمو بها الإيمان، ويزيد ويزهر و يثمر: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وجميع المعاصي سمومٌ ضارة، يضعف بها الإيمان و يذوى و ينتهي: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

فمن لم يكن في الأوامر الملكية الشرعية، جره الشيطان للشهوات الحيوانية البهيمية، ثم أغرقه في المعاصي والكبائر: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩].

وتغيير يقين الإنسان من الشرك إلى التوحيد، ومن المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن التعلق بالأموال والأشياء، إلى المسارعة إلى زيادة الإيمان والأعمال الصالحة، ومن تكميل شهوات النفس إلى تكميل ما يحبه الرب، من الإيمان والأعمال الصالحة، يحتاج ذلك إلى أمرين عظيمين:

الأول: تخلية القلب من كل ما سوى الله مما يشغله عن الله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

الثاني: تحليه القلب بمعرفة الله، وأسماؤه و صفاته و أفعاله و خزائنه ووعده ووعيده، والعمل بموجب ذلك: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

فهذا هو عمل المؤمنين و المؤمنات في الدنيا، وأما ثوابهم فما وعدهم الله به بقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢].

وأما عمل الكفار والمشركين والمنافقين، فهو إتباع الشهوات، والانغماس في الشهوات، والاشتغال بها عن أوامر الله عز وجل: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧] .

وقد وعدهم الله عز و جل بنار جهنم، و لعنهم بما عملوا، كما قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

والله سبحانه هو الواحد الأحد الذي خلق الناس ليعرفوا و يعترفوا أن الله هو الرب الذي لا إله غيره، و لا رب سواه، وليعرفوا أحكامه القدرية والشرعية و الجزائية، ويعبدوه بموجب تلك المعرفة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، وكبرتموه، لعظمته وجلاله ، وشكرتموه وحمدتموه، لعظيم نعمه وإحسانه، وعبدتم الله عز وجل بموجب تلك المعرفة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وإذا جاء التوحيد في قلوبنا توجهنا إلى الخالق، ولم نلتفت لأحد سواه، كبيرًا كان أو صغيرًا ، وغيرنا الوجهة من الدنيا إلى الآخرة ، وغيرنا الطريق من طريق الاهتمام بالأموال والأشياء إلى طريق الاهتمام بالإيمان والأعمال الصالحة وقدمنا مراد الله منا وهو الإيمان والتقوى، على مراد نفوسنا منا وهو تكميل الشهوات والمحبوبات وقدمنا مراد الله من كل أحد وهو دعوتهم إلى الله عز وجل، ليعبدوه وحده لا شريك له، على مرادنا من كل أحد: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥] والله سبحانه أعطانا أبصارًا نرى بها المخلوقات ، وأعطانا بصائر نرى بها رب المخلوقات يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

فبالأبصار نرى فعل المخلوقات، وبالبصائر نرى فعل الخالق العظيم في مخلوقاته العظيمة ، ونخترق بالبصائر المخلوقات إلى الخالق، والصور إلى المصور، ونخترق الدنيا إلى الآخرة: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

ومن رحمة الله ﷻ بعباده أن أكرمهم بغذاءين .

الأول: غذاء الأبدان، ويكون بالطعام والشراب الطيب الحلال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

الثاني: غذاء القلوب ويكون بمعرفة سبعة أمور:

الأول: معرفة الرب الذي نعبد .

الثاني: معرفة القرآن الذي نعمل به .

الثالث: معرفة الرسول الذي نتبع .

الرابع: معرفة الإنسان المطلوب منه العبادة .

الخامس: معرفة عدو هذا الإنسان الذي يصده عن العبادة وهو إبليس .

السادس: معرفة الدنيا الزائلة التي نعيش فيها، وماذا يجب أن نعمل فيها .

السابع: معرفة الآخرة الباقية التي سوف نصير إليها .

والقرآن كله بيان لهذه الأمور السبعة ، وأعلى العلوم على الإطلاق ، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وخزائنه ووعده ووعيده ، ومعرفة دينه وشرعه ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

وهذه الأمور السبعة هي مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان، فمن فتحها الله له ، انفتحت له أبواب الخيرات، والطاعات، وأنواع العبادات: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر: ٢] .

والله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه بأحسن دين، ووعده بأحسن ثواب ، وقد أعطى الله الإنسان العقل، ليعرف به أعظم شيء، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ووعده ووعيده، ودينه وشرعه .

وأعطاه السمع، ليسمع به أحسن شيء، وهو سماع القرآن والعلم المذكور في القرآن والسنة ، وأعطاه البصر، لينظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية فيزيد إيمانه، ويقوى توحيده لربه عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل: ٧٨].

وأعطاه اللسان، ليتكلم بأحسن شيء، فيتكلم مع ربه، فيذكره ويكبره، ويحمده ويشكره، ويمجده ويدعوه ويسأله ، ويتوب إليه ويستغفره، ويتكلم مع خلقه فيدعوهم إلى الله، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ، ويعلمهم شرع الله عز وجل: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس: ١٠١].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤].

والحاجات التي تخدم الجسد، وتسهل أمور الحياة، نتعلمها في أي مكان، حتى من الكفار ، كأنواع التجارة والصناعة والزراعة والطب وغيرها.

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾[الأعراف: ٣٢] .

أما مقصد حياة الإنسان، وماذا يريد الله من الإنسان من التوحيد والإيمان والتقوى ، وكيف يهتدي هذا الإنسان ؟ وكيف يستقيم على طاعة الله ورسوله ؟ ومن يعبد؟ وكيف يعبد ؟

فهذا كله نتعلمه من الوحي الإلهي من القرآن والسنة فقط: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

وإذا عرف الإنسان أن ربه هو السميع البصير العليم ، لم ينطق لسانه إلا بما يرضي ربه، ولم تتحرك جوارحه إلا في طاعته ، واستحى من ربه في كل حال ، وراقبه في كل قول وفعل، وحاسب نفسه على نياته وأقواله وأفعاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[الحشر: ١٨] .

إن توحيد الله بأسمائه الحسنى كالعليم و القدير والسميع والبصير وغيرها من الأسماء الحسنى ، وتوحيد الله بصفاته العلا كالحياة والقدرة والعلم والسمع والبصر وغيرها من الصفات العلا، وتوحيد الله بأفعاله الكبرى كالخلق والرزق، والإحياء والإماتة وغيرها من أفعاله جل جلاله، وتوحيد الرب بأفعال العبد كدعاء الله، والتوكل عليه، ومحبته، وخوفه، ورجائه والصلاة والصوم وسائر أنواع العبادة، وتوحيد كتابه ورسوله بالإتباع، كل ذلك يحصل للعبد بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وبقدر تلك المعرفة يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، وينشرح الصدر بأنواع الطاعات والعبادات، وتنقاد جميع الجوارح للعمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وبذلك يحصل للعبد كمال التوحيد بأنواعه .

توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيد الله بالعبادة، وتوحيد كتابه بالإتباع وتوحيد رسوله ﷺ بالاقتداء والإتباع: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ومن هداه الله إلى ذلك عبد الله كأنه يراه، وعبده بكمال الحب لله، وكمال التعظيم له، وكمال الذل له ، وأدخله جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة وهذه الجنة لها سبعة أبواب: فمن دخلها وحد الله التوحيد الذي يريده الله ، ولهذه الجنة سبعة أبواب هي:

الباب الأول: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ومعرفة خزائنه ووعده ووعيده وهذا أعظم الأبواب، وأول الألباب: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

الثاني: معرفة الدين الذي انزل الله به كتبه: ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: ١٥- ١٦] .

الثالث: معرفة الرسول الذي أرسله الله به: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

الرابع: معرفة النفس البشرية ماذا تريد من الله، وماذا يريد الله منها ، وماذا أعد الله لها لو آمنت، وماذا توعدها الله به لو كفرت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢] .

الخامس: معرفة الشيطان الذي هو عدوٌ للإنسان ليحذره: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

السادس: معرفة الدنيا التي نعيش فيها، وما العمل الواجب فيها: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

السابع: معرفة الآخرة التي سوف نصير إليها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٣ – ١٤] .

١٣ - فقه الدعوة إلى التوحيد بالله جل جلاله:

كلما ازداد العبد معرفةً بالله قوي توحيده، وزاد أيمانه، وتعلق بالخالق دون المخلوق، وتوجه إلى الآخرة بدل الدنيا، وواظب على الإيمان والأعمال الصالحة بدل الأموال والأشياء الفانية ، وقدم مراد الله من الخلق على مراده منهم، فيدعوهم إلى الله، وينصحهم ويدلهم على ما ينفعهم، ثم الله عز وجل يحقق مراده منهم: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

والذي يوحد الله ويعظمه ويكبره بين الناس يثمر ذلك أربعة أمور:

يعظم الله في قلبه .. ويعظم هو في عين الله .. ويعظم الناس في عين الله.. ويعظم الله في أعين الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾[المدثر: ١ – ٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١].

والذي يترك الدعوة إلى الله، وهي توحيد الله، يسقط من عين الله، ثم يسقط من أعين الناس، ثم يكون جنديًا من جنود إبليس، تارة في بحر الشهوات، وتارة وبحر الشبهات: ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾[النساء: ٣٨].

والذي يدعوا إلى التوحيد لابد أن يمزج الدعوة بالرحمة، يمزج الغيرة على الإسلام بالرحمة للناس ، وبعض الناس يغلب جانب الغيرة على جانب الرحمة، فيكفر الناس، ويأتي بالشدة والعنف كأنه هو الذي يهدي، والهادي هو الله وحده لا شريك له، وإنما الداعي سبب لهداية الناس ؛ لأن الله من على هذه الأمة فأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله: ﴿

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فإذا مزج الداعي الغيرة على الإسلام بالدعوة إلى الله بالشدة والعنف، نفر الناس من الدين ، وإنما يجتمع الناس على الدين بكمال الرحمة واللين والشفقة والدعاء لهم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٦] .

والأصنام التي تناقض أصل التوحيد قسمان:

الأول: أصنام الشبهات، وأعظمها الهوى، والمحرك لها الشيطان: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

الثاني: أصنام الشهوات، والمحرك لها النفس البشرية: .

فبعض الناس بحرٌ في العلم، وليس عنده شيء من أصنام الشبهات، ولكن عنده بحرٌ من أصنام الشهوات ، التي أخبرنا الله عز وجل عنها أنها تشغل الإنسان عن عبادة ربه، والدعوة إليه: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠] .

فتجد هذا الإنسان مع علمه يعظم الدنيا، وأهل الدنيا، ويدور في فلكهم، ولا ينكر عليهم ، ويلتمس لهم الأعذار مع أن أخطاءهم كبيرة، وهذا يثبتهم على أخطائهم ، ووجوده معهم إقرار لهم على ما هم عليه من باطل وفتنة لهم: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

لهذا الله عز وجل ابتلى كل أحد بالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية، وبالأقدار الإلهية ، فأمرنا الله عز وجل بالمسارعة إلى الخيرات والأوامر الشرعية: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١] .

فنأخذ من الشهوات بقدر الحاجة، ونعطي للدين بقدر الطاقة، ونصبر على الأقدار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨] .

فالذي يستحق العبادة وحده لا شريك له هو الله العظيم، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الفرق بين الهدى والهوى:

أعظم صنمٍ معبود من دون الله هو الهوى الذي في داخل النفس، فليس تحت أديم السماء إلهٌ يعبد من دون الله أشد من الهوى، والهوى مقابل الهدى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣ – ٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٤ – ٤١].

فإتباع الهدى هو التوحيد ، وإتباع الهوى هو الشرك: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٤٩ – ٥٠] .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، يا ذا الجلال والإكرام ، فالهوى أخطر شيءٍ على الإنسان، ولا نجاة له إلا بإتباع الهدى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[المؤمنون: ٧١].

فالتوحيد هو الهدى الذي أمر الله به: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[الأنعام: ١٦١] .

وقال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[البقرة: ١ – ٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام: ٧١] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: ١٥ -١٦].

إن العلم الإلهي هو الذي يكشف أصنام الشبهات ، والإيمان بالله يكشف أصنام الشهوات ، فالعلم الإلهي الذي يكشف أصنام الشبهات هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده ، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بنعمه وإحسانه، والعلم بملكه وسلطانه، فهذا العلم العظيم يكشف جميع أصنام الشبهات: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الرعد: ١٩ – ٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

فالعلم الإلهي يُحرق الشبهات، ويملأ القلب بالتوحيد والإيمان ، فيعبد المسلم ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه .

والإيمان بالله يكشف أصنام الشهوات ، فإذا عرف الإنسان ربه وحده، وآمن به، ولم يلتفت لأحد سواه مما يشغله عنه: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

والله سبحانه سخر جميع المخلوقات تسخيرين:

تسخير تعريف، لنؤمن به، وتسخير تكريم لنشكره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

والله عز وجل حكيم عليم يحب من يأتيه اختيارًا بالتوحيد والإيمان أعظم ممن يأتي إليه إجبارًا، فالله سخر جميع المخلوقات في العلم العلوي والعالم السفلي لطاعته، ومن يأتي إلى ربه اختيارًا وهو الإنسان المؤمن أحب إليه ممن يأتي إلى ربه اضطرارًا، فالله يحب المؤمنين، ويحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين.

فالله عز وجل ابتلى البشرية بثلاثة أمور:

بالمصائب القدرية، وبالشهوات الحيوانية، وبالأوامر الشرعية: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤ – ١٦].

وقال سبحانه في المصائب القدرية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وأسعد الناس من جعل وقته كله في طاعة مولاه، وأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، وأعطى للدين بقدر الطاقة كالأنبياء: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١-١١].

ومن اشتغل بالشهوات الحيوانية، عن القيام بالأوامر الشرعية ، شقي في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم: ٥٩ – ٦٠] .

كـتاب الإيمـان

في ضوء القرآن والسنة

الباب الثامن

فقه اليقين على شهادة "أن لا إله إلا الله"

ويشتمل هذا الباب على ما يلي:

الأول: بيان عظمة كلمة التوحيد" لا إله إلا الله" .

الثاني: حقيقة اليقين على لا إله إلا الله .

الثالث: حقيقة المخلوق .

الرابع: كيف تستقر حقيقة "لا إله إلا الله" في القلب .

الخامس: أركان العبودية لله ﷻ

تحقيق اليقين على شهادة أن لا إله إلا الله

١- بيان عظمة كلمة التوحيد لا إله إلا الله

هذا الدواء أعظم الأدوية، وأولها وأوجبها، وأزكاها وأصلها، وروحها وأساسها: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

"لا إله إلا الله" هي روح التوحيد والإيمان، وأول أركان الإسلام والإيمان، وعليها تبنى جميع الأقوال والأعمال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

"لا إله إلا الله" هي روح العبودية؛ ومقتضاها نفيُ فعل جميع المخلوقات بنفسها، وإثبات الفعل لله وحده لا شريك له، لأن الفاعل هو الله وحده، وكل ما سواه مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، وإنما الخالق هو الله وحده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر: ٦٢].

فكل ما سوى الله لا يخلق، لأنه مخلوق، وكل ما سوى الله لا يفعل بنفسه، لأنه مفعول: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

والعلم ب"لا إله إلا الله" بحرٌ لا ساحل له، له بداية وليس له نهاية، وبحسب العلم به تكون قوة العبودية لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

و"لا إله إلا الله" هي كلمة التوحيد العظيمة؛ التي لو وضعت السموات والأرض وما فيهن في كفة، و"لا إله إلا الله" في كفة لمالت بهن "لا إله إلا الله".

ومن قوتها أن السماوات والأرض لو كانتا حلقة مفرغة لفصمتهن "لا إله إلا الله".

ومن أجل "لا إله إلا الله" خلق الله السماوات والأرض، وخلق جميع المخلوقات، وأنزل الدين والشرع، وأرسل الرسل، وخلق الجنة والنار، وبيّن الوعد والوعيد، وشرع الثواب والعقاب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم: ٢٤-٢٥].

فلا إله إلا الله هي الكلمة الطيبة، وكلمة التوحيد، وهي العروة الوثقى، وهي أصل الاستقامة، وكلمة الحق، وكلمة العدل، وكلمة التقوى، وكلمة السواء، والكلمة الباقية، والكلمة العليا، والكلمة السديدة، وكلمة النجاة، وهي العروة الوثقى، وهي حبل النجاة، وهي حبل الله المتين، وهي مفتاح كل شيء: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

٢- حقيقة اليقين على "لا إله إلا الله"

حقيقة "لا إله إلا الله" أن نتيقن أن الله وحده بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

وحقيقه "لا إله إلا الله" التوجه إلى الله في كل حال، فمن عرف الله حقًا تعلّق به وحده، وسأله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

و"لا إله إلا الله" مقتضاها تغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الأموال والأسباب إلى الإيمان والأعمال الصالحة، ومن السنن الكونية إلى القدرة الإلهية، وكلما أكثرنا من ذكر الله، وقول "لا إله إلا الله" ، تأتي عظمة الله في قلوبنا، وإذا عظّمنا الله عظّمنا أوامره، وعظّمنا وعده ووعيده، وأطعناه ولم نعصه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وكلما أكثرْنا من ذكر الأموال والأشياء تأتي عظمتها في قلوبنا، وتعلّقت بها قلوبنا من دون الله، فصرفنا لها أكثر الأوقات، وأشغلتنا عن عبادة الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

وإثبات حقيقة "لا إله إلا الله" في القلب لابد له من النفي والإثبات، والنفي يكون قبل الإثبات، لأن التخلية قبل التحلية، والتسبيح قبل التقديس، والتصغير قبل التكبير، والانفصال قبل الاتصال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فكل ما سوى الله من المخلوقات ليس بيده شيء، لأن المخلوق لا يخلق المخلوق، بل الله وحده هو الذي خلق كل مخلوق، وخلق صفاته، وخلق

آثاره، ولو كان المخلوق يخلق لكان شريكًا لله في الخلق، والله واحد لا شريك له في الخلق والأمر، ولا شريك له في العطاء والمنع، ولا شريك له في النفع والضر، ولا شريك له في العبادة : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾[الزمر: ٢ – ٣].

بيد الله وحده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والحياة والموت، والعزة والذلة، والأمن والخوف، والغنى والفقر: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله جل جلاله أظهر المخلوقات، واخفى أمره فيها، فظن الإنسان أن المخلوق يفعل بنفسه من دون أمر الله، وهذا كله خداع وابتلاء، فالفعّال هو الله وحده، وجميع المخلوقات مفعول لا يفعل بنفسه، وإنما الذي يفعل أمر الله فيه، فإذا خلا منه أمر الله تعطل عن العمل كالحي والميت .

ومقتضى "لا إله إلا الله" أن يحب المسلم ما يحب الله ويفعله، ويبغض ما يبغض الله ويتركه، وأن نأمر بما أمر الله به، وننهى عما نهى الله عنه، ولا نرجوا إلا الله، ولا نخاف إلا الله، ولا نسأل إلا الله، ونخلع جميع الأنداد التي تُعبَد من دون الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢]

فكل شيء خزائنه عند الله وحده، والمخلوقات ستارةٌ وممرٌ لعطاء الله جل جلاله؛ فالثمار ليست من الأشجار، الثمار من خزائن الله أخرجها الله

بواسطة الشجرة، لأن الشجرة مخلوقة لا تخلق، الخالق هو الله وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢]

والشفاء ليس من الدواء، الشفاء من خزائن الله، أخرجه الله بواسطة الدواء، والكلام ليس من اللسان، الكلام من خزائن الله، أخرجه الله بواسطة اللسان، والحبوب ليست من الزرع، الحبوب من خزائن الله، اخرجها الله بواسطة الزرع، لأن الله يخلق من عدم، وكذا يخلق مخلوقاً من مخلوق كما يخلق الثمر من الشجر... وهكذا كل شيء خزائنه عند الله وحده، والمخلوق صورةٌ ومعبرٌ لخروجه من خزائن الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

ومقصود تحقيق الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" في القلب، إخراج اليقين الباطل والفاسد والكاذب على الأموال، والأسباب، والأشياء، وإدخال اليقين الحق والصحيح، والصادق في القلب على الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

واليقين هو تصديق الخبر، وتكذيب النظر، وتصديق الغيبيات، وتكذيب المشاهدات

ويتم ذلك بتغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق، ومن الأموال والأشياء إلى اليقين على الإيمان والأعمال الصالحة، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن السنن الكونية إلى رؤية القدرة الإلهية، فالله بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وعلامة وجود "لا إله إلا الله" في القلب، توجه القلب إلى الله في كل حال، لأن فيه اليقين الصحيح على أن الله وحده بيده الخلق والأمر وحده، وبيده النفع والضر وحده، وبيده العطاء والمنع وحده، فيتوجه إليه في قضاء الحوائج الدينية والدنيوية، عن طريق الايمان والاعمال الصالحة، وذلك بفعل أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وعلامة فقدِ "لا إله إلا الله" في القلب توجه القلب الى غير الله في كل حال، لأن فيه اليقين بأن الأموال والأسباب، والأشياء والمخلوقات، بيدها جلب النفع، ودفع الضر، فَتَوَجَّه إليها من دون الله باستعانةٍ أو استغاثةٍ، أو رجاءٍ أو خوفٍ، أو دعاءٍ أو توسلٍ، أو محبةٍ أو توكلٍ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]

ومن رحمة الله بعباده أنه كلما تعلّق شخص بأحد من دون الله أذاقه الله مرارة ذلك التعلق، وعذبه به، وسلّطه عليه، ليعلم أن الله يغار على قلبٍ تعلق بغيره، فيصده عنه، ليَردُّه إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

والهداية أعظم شيء في خزائن الله، وهي بيد الله وحده، ولم يجعلها بيد أحدٍ من خلقه، لا مَلَكٌ مقرّب، ولا نبيٌ مرسل، ولو كانت بيد أحد من الخلق لأعطاها نوح ﷺ لابنه، ولأعطاها إبراهيم ﷺ لأبيه، ولأعطاها محمدٌ ﷺ

لعمه أبي طالب﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٦].

حقيقة اليقين على "لا إله إلا الله" أن يتيقن المؤمن أن جميع النعم والخيرات والبركات من الله وحده، تبدأ في الدنيا، وتبلغ كمالها للمؤمنين في الجنة يوم القيامة، وكل الأسباب والأموال التي أعطاها الله للكفار حُلمٌ واستدراجٌ، وإمهال وابتلاء، لعلهم يتوبون إلى ربهم:﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال ﷻ:﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١].

وكل الأموال والأسباب التي أعطاها الله للمؤمنين؛ إنعامٌ، وإحسانٌ، وابتلاءٌ وامتحانٌ، وخدعةٌ وسرابٌ:﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فكمال الاجور والنعم ليس في الدنيا، بل في الجنة يوم القيامة:﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وكمال العقوبات والعذاب يوم القيامة كما قال الله عن الكفار :﴿ لَهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد: ٣٤].

وخزائن كل شيء عند الله وحده:

خزائن النعم والنقم عند الله وحده، وخزائن النعيم والعذاب عند الله وحده، وجميع نِعَم الدنيا لا تساوي نقطة من بحر نعيم رجلٍ واحدٍ من أهل الجنة، ونعيم أهل الدنيا كله، ونعيم أهل الجنة كله لا يساوي نقطة من بحر خزائن نعم الله الغيبية :﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ

عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨] .

وجميع عذاب أهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر عذاب رجل واحد من أهل النار، وعذاب أهل النار كله لا يساوي قطرة من بحر العذاب عند الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

والله سبحانه خالق جميع الأشياء والمخلوقات، كالسموات والأرض، والبحار والجبال، والجماد والنبات، والبشر والحيوان وهو كذلك خالق جميع الأحوال، خلق الليل والنهار، وخلق الغنى والفقر، وخلق الأمن والخوف، وخلق العزة والذلة ، وخلق الصحة والمرض، فتأتي الأحوال بأمره، وتزيد بأمره، وتنقص بأمره، وتزول بأمره وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر: ٦٢].

والله وحده خالق الأشياء والأحوال والصفات وحده لا شريك له.

الله خلق الأرض وجعل فيها صفة الإنبات، وهذه سنته الكونية، والله قادر أن يعطي الثمر بلا نبات، كما أعطى مريم طعاماً بلا نبات، كما قال سبحانه: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾[آل عمران: ٣٧]

والله ﷻ خلق البحر، وجعل فيه صفة الإغراق، وهذه سنته الكونية، ولكنه قادر أن يغرق من يشاء بدون البحر، كما أغرق قارون وداره في اليابسة، وهذه قدرته: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١] .

فتلك سنته الكونية، وهذه قدرته الربانية، لأنه قادرٌ على كل شيء، يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يعجزه شيء، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[البقرة: ١٠٦].

والله سبحانه؛ خلق النار، وجعل فيها صفة الإحراق، وتلك سنته الجارية، ولكنه قادر أن يسلب النار صفة الإحراق وهي تشتعل، وتلك قدرته الربانية، كما قال الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء: ٦٩].

والله ﷻ خلق الطعام، وجعل فيه صفة الشبع، وتلك سنته الجارية، ولكنه سبحانه قادرٌ على أن يشبع من شاء بدون الطعام، كما فعل مع أهل الكهف؛ حيث ربّاهم وحفظهم من دون الطعام والشراب أكثر من ثلاثمائة سنة: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[الكهف: ٢٥]

فتلك سنته الجارية، وهذه قدرته الربانية جل جلاله.

وأكثر الناس ينظرون إلى سنته الجارية، وينسون قدرته التي لا يعجزها شيء، وينسبون لسنته الجارية الفعل، ويغفلون عن قدرته، والله يفعل جل جلاله ما يشاء بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس: ٨٢].

والله سبحانه خلق اللسان، وجعل فيه صفة الكلام، وهذه سنته الجارية، وهو قادرٌ على أن يظهر الكلام بدون لسان، كما قال سبحانه عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[فصلت: ٢١].

والله سبحانه خلق الحديد، وجعل فيه صفة البأس الشديد، وهو قادرٌ أن يسلب منه الصلابة، ويجعله لينًا كالزبد، كما جعله لينًا لداوود ﷺ كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[سبأ: ١٠ - ١١]

فتلك سنته الجارية، وهذه قدرته القاهرة، ليُعْلِم عباده أنه قادرٌ على كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١].

والمؤمن الذي تكون عنده حقيقة "لا إله إلا الله"، ويعمل بمقتضاها، فالله معه ينصره، ويؤيده، ويحفظه، فالذي يكون عنده الدين الكامل، وجهد الدين، تكون نُصرة الله معه: ﴿ ۞ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤٠-٤١].

والذي يكون عنده بعض الدين، أو أجزاء من الدين، يأخذ الأجر والثواب، لكن لا تكون نصرة الله معه، ويحاسب على ترك واجبات الدين، وأعظمها ترك الدعوة إلى الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥]

فلا يستوي من أدى الأمانة كاملة، مع من خان الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

٣- حقيقة المخلوق

كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، كان الله ولم يكن شيءٌ معه، ثم خلق المخلوقات، ليُعرّف عباده بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، آيات عظيمة تدلُّ على عظمة خالقها، وتدلُّ الخلْق على ربهم، ليؤمنوا به ويوحدوه ويعبدوه وحده، كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧].

فكل مخلوق يشير إلى خالقه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢].

فالله جل جلاله خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، إظهارًا لقدرته، وتنبيهًا لبريته، ليعرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته ومخلوقاته، ثم يعبدوه وحده بموجب هذه المعرفة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي شاهدةٌ بوحدانية الله، ومسبحةٌ بحمده، وساجدةٌ لعظمته، ومتصاغرةٌ لكبريائه، وذليلةٌ لعزته، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج: ١٨].

وكل مخلوق من مخلوقات الله لا يملك نفسه، ولا يملك صفاته، ولا يملك آثاره، فالنار التي تُحرق جعلها الله بردًا وسلامًا على إبراهيم، والبحر الذي يغرق جعله الله لموسى طريقًا يبسًا، فخالق المخلوق هو الله وحده، وخالق صفاته هو الله وحده، والله قادرٌ على تغيير صفات كل مخلوق، فالعين التي تُبصر يجعلها الله أحيانا لا تبصر، لأنه خلا منها أمر الله فلم تبصر، والشجرة أحيانا لا تُثمر، لأنه خلا منها أمر الله فلم تثمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وجميع أسباب الحياة في العالم كله لا تملك ذرة من الحياة، لأن مالك الحياة، وخالق الحياة في أسباب الحياة هو الله وحده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المؤمنون: ٨٠].

وجميع أسباب العزة في العالم كله لا تملك ذرة من العزة، لأن مالك العزة، وخالق العزة في أسباب العزة هو رب العزة، جل جلاله: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ [يونس: ٦٥].

وجميع طائرات وصواريخ ودبابات العالم كله لا تستطيع قتل نملة لم يرد الله قتلها، ولا يستطيع العالم كله إحياء نملة أراد الله موتها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ

﴿ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ١ – ٢]

وجميع أسباب الفوز والفلاح ليست بالأموال والأسباب والأشياء، لأن الفوز والفلاح بيد الله وحده، وطريقه الإيمان بالله، والأعمال الصالحة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

وكل ما سوى الله من المخلوقات لا يفعل شيئاً بنفسه من دون أمر الله .

فالنار بدون أمر الله لا تحُرِق، والبحر بدون أمر الله لا يُغرِق، والنوم بدون أمر الله لا يعطي الراحة، والدواء بدون أمر الله لا يعطي الشفاء، والأرض بدون أمر الله لا تُنبت الزرع، والشجرة بدون أمر الله لا تعطي الثمر، والماء بدون أمر الله لا يُروي، والطعام بدون أمر الله لا يُشبع، والعين بدون أمر الله لا تُبصر، والأذن بدون أمر الله لا تستطيع أن تسمع، واليد بدون أمر الله لا تستطيع أن تتحرك، والرِّجل بدون أمر الله لا تستطيع أن تمشي، فكل مخلوق لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بإذن الله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦].

وكل شيء في الكون خزائنه عند الله، لكن الله جعل المخلوق ممرًا له، وطريقًا له، وبابًا له، فالله قادرٌ على كل شيء، أظهر قدرته لعباده بخمسة أمور، ليعرفوا كمال قدرة ربهم العظيم.

أظهرها: بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

فتيقن أيها المؤمن أن الثمر من خزائن الله، والشجرة ممرٌ له، والشفاء من خزائن الله، والدواء ممرٌ له، والمطر من خزائن الله، والسُّحب ممرٌ له، وإناءٌ له، والنور من خزائن الله، والشمس والقمر والنجوم ممرٌ له، وإناءٌ له، والحبوب والثمار من خزائن الله، والأرض ممرٌ له، وإناءٌ له، وبابٌ له،

ووعاءٌ له، والكلام من خزائن الله، واللسان ممرٌ له، وإناءٌ له، ووعاءٌ له: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

وتيقن أن الحديد وأنواع المعادن، والذهب والفضة من خزائن الله، والأرض والجبال إناءٌ لها، ووعاءٌ لها، والماء والهواء من خزائن الله، والأنهار والبحار والعيون والسحب ممرٌ له، وإناءٌ له، ووعاءٌ له: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣]

والله جل جلاله بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء، لأن الله بيده الملك كله، وله الخلق كله، وبيده الأمر كله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فحقيقة المخلوق كبيرًا كان أو صغيرًا، أنه ليس بيده شيء، لأن الله وحده هو الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

فكل شيء يخرج من خزائن الله، فالبقرة ستارة، ويد القدرة من خلفها تعطينا اللبن من خزائن الله، والشجرة ستارة، ويد القدرة تعطينا الثمرة من خزائن الله، والنحلة ستارة، ويد القدرة تعطينا العسل من خزائن الله، والشمس ستارة، ويد القدرة الإلهية تعطينا الضوء من خزائن الله، والأرض ستارة، ويد القدرة تعطينا النبات والزرع والحبوب من خزائن الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

فالله خلق الأرض، وخلق فيها الزرع، والأرض مخلوق، والزرع مخلوق، فالأرض مخلوقٌ لا يخلق المخلوق، لأن الخالق هو الله وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والإنسان في الدنيا يرى المخلوق، ولا يرى الخالق، فيرى الشمس، ولا يرى خالق الشمس، ويرى البحر ولا يرى خالق البحر، ويوم القيامة تُكشف الحقيقة، فيرى الله وحده بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء:﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[ق : ٢٢].

وكل مخلوق إما أن يسخره الله لك، وإما أن يسلّطه الله عليك.

فالمؤمن حقًا أصلحَ ما بينه وبين ربه، فأصلحَ الله ما بينه وبين خلقه، والكافر أفسد ما بينه وبين ربه، فسلّط الله عليه مخلوقاته:﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة: ٥٥].

فعلى قدر اشتغال المؤمن بأوامر الله، يسخِّر الله الخلق في منافعه، كما قال نوح ﷺ لقومه:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح: ١٠ - ١٤]

فسبحان الرب العظيم الذي خلق كل شيء من لا شيء، وأبدع خلق كل شيء، وأحسن خلق كل شيء، وأتقن صنع كل شيء، فلا يحتاج إلى زيادة أو نقص، أو تغيير أو تحسين:﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر: ٦٤].

والله سبحانه قادر على كل شيء، يستوي عنده خلق الصغير والكبير، وخلق القليل والكثير، وخلق الذرات والمجرات: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[لقمان: ٢٨] .

وكل المخلوقات صورٌ لا تفعل بذاتها شيئاً إنما الفاعل فيها أمر الله، وهي ممرٌ لأمر الله، ونحن نرى الصور، ولا نرى أمر الله، فنظن أنها تفعل بنفسها

من دون أمر الله، والفعَّال واحدٌ وهو الله، والخالق واحد وهو الله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢] .

فالشجر مخلوق، والثمر مخلوق، والخالق هو الله وحده، والثمر يخرج من خزائن الله، والشجر معبر له، والشمس مخلوقة، ونورها مخلوق، والله خالق الشمس، وخالق النور في الشمس، والشمس مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، لأن الخالق واحد، ونور الشمس يخرج من خزائن الله، والشمس ممرٌ له، ومَعبرٌ له:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر: ٢١].

فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي أوانٍ فارغةٍ، يضع الله فيها ما يشاء من النفع والضر، والعطاء والمنع، والحركة والسكون، والحياة والموت، والله يخلق من عدم، ويخلق مخلوقاً من مخلوق، كما يخلق الثمر من الشجر.

فالأرض ستارةٌ، والزرع والثمر الذي يخرج من خلالها إنما يخرج من خزائن الله، وبقدرة الله، فالأرض مخلوق، والزرع مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، وإنما الخالق هو الله وحده لا شريك له، والأرض ستارة لقدرة الله، فنحن نرى الأرض، ولا نرى يد القدرة الإلهية التي خلقت الزرع: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧ ﴾

[الواقعة: ٦٣ – ٦٧]

الأمر لله وحده في السموات والأرض، الأمر لله وحده في كل مخلوق، أمرُ الله جل جلاله يمشي على السمع والبصر في كل حين، فالعين لا ترى الجراثيم، ولا البكتيريا، ولا الجن، ولا الملائكة، لأن البصر له قدرة

محدودة، يرى ما أَذِنَ الله له به فقط، والدِّيك يرى الملائكة فيؤذّن، والحمار يرى الشياطين فينهق، لأن الله أذن لهذا وهذا بذلك، وكذلك الإنسان لا يسمع عذاب القبر، لأن السمع محدود، لا يسمع إِلَّا ما أذن الله للإنسان به، ولكن الحيوانات تسمع عذاب القبر، فالعين والأذن مخلوقان، والسمع والبصر فيهما بأمر الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

فجميع المخلوقات الكبرى والصغرى، في العالم العلوي والعالم السفلي، لا تفعل شيئاً بنفسها، وكلها تنتظر أمر الله في كل حين بالعطاء والمنع، والنفع والضر، والحركة والسكون، والحياة والموت: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالخلق إيجاد، والأمر إمداد، والله خلق الشمس، وأمدها بالضياء، وخلق اللسان، وأمده بالكلام ، وخلق الأذن، وأمدها بالسمع .. وهكذا.

فلله جل جلاله الأوامر الكونية في ملكه العظيم، وله الأوامر الشرعية على خلقه من الجن والإنس، وله الأوامر الجزائية على خلقه من الجن والإنس، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣]

٤- كيف تستقر حقيقة لا إله إلا الله في القلب؟

لا إله إلا الله علاجٌ لجميع أمراض القلوب، وعلاج لجميع أمراض الشرك بأنواعه؛ الشرك في الربوبية، والشرك في الألوهية، والشرك في العبادة، والشرك في الطاعة، والشرك في المحبة، والشرك في الخوف، والشرك في الرجاء: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

ولا إله إلا الله علاج لجميع أنواع الكفر:

كفر الإنكار، وكفر الاستكبار، وكفر الإعراض، وكفر النفاق .

وحقيقة لا إله إلا الله لا تثبُت في القلب إلا بالنفي والإثبات، النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله من المخلوقات بنفسه، والإثبات الكامل للربوبية والألوهية، والعبودية لله وحده لا شريك له؛

فالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والملائكة والروح، والجن والإنس، والجبال والبحار، والحيوانات والطيور، والجمادات والنباتات، وغيرهم، كلهم ليس بأيديهم شيء، ولا عندهم شيء، وأصلًا ما كانوا شيئًا، لأن الله كان وحده، ثم خلق المخلوقات، لِتدُل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتشهد له مخلوقاته بالوحدانية، وتسبح بحمده: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤]

وإذا جاء في القلب النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله بنفسه، وفرغ القلب من نفي فعل كل ما سوى الله، تهيأ هذا القلب لقبول التوحيد الكامل، والإيمان الكامل، واليقين الكامل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم استعد

للقيام بامتثال أوامر الله بكمال الحب والتعظيم، والذل لله ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأحكام المجيدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه: ٨].

وإثبات حقيقة التوحيد والإيمان في القلب له خمسة أركان :

الأول: الإيمان بوجود الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: الإيمان بوحدانية الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة: ١٦٣].

الثالث: الإيمان بربوبية الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢]

الرابع: الإيمان بألوهية الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤]

يجب أن يعرف قلب المؤمن أن الله جل جلاله هو الواحد الأحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة: ١٦٣].

هو الواحد الأحد الصمد، الغني عن كل ما سواه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: ١ – ٤]

الله جل جلاله هو الرب العظيم الكبير في ذاته العليا، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، وأحكامه المجيدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

هو سبحانه الخالق الذي خلق ويخلق المخلوقات، ويدبر الكائنات، ويقلِّب الليل والنهار على الأرض، ويقلّب الأحوال على الخلق في كل آن .

هو جل جلاله الملك الحق، المتفرد بخلق كل مخلوقاته في مملكته، متكلّمٌ بأمره ونهيه، عليمٌ بجميع مخلوقاته، سميعٌ لجميع مخلوقاته، بصيرٌ بجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، رقيبٌ على ضمائر الخلق وأسرارهم، قاهرٌ فوق عباده، مستوٍ على عرشه بصفات جلاله وجماله وكماله، كما قال سبحانه:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه: ٥].

حيٌ قيوم، يخلق ويرزق، ويدبّر ويصرّف، ويأمر وينهى، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويبسط ويقبض، ويرفع ويخفض، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، وهو الحكيم الخبير:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ

﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧]

هو الرب الرحمن الرحيم الذي يرحم إذا استُرحِم، ويغفر إذا استُغفِر، ويتوب على من تاب، ويجُيب إذا دُعي، ويُقيل إذا استقيل، ويكشف الضر، ويجيب المضطر: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

هو الرب العظيم الحي، هو الرب العظيم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال والجمال، المنزّه عن النقص والعيب، والنّد، والمثال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو الحي القيوم القادر على كل شيء، يقلّب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس .

فسبحان الحي القيوم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وكل أفعاله في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان، وهو في كل آن، في كل زمان ومكان، يغفر ذنبًا، ويفرج همًا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويشفي مريضًا، ويؤمِّن خائفًا، ويشبع جائعًا، ويعلّم جاهلًا ، ويرشد حيرانًا، ويغيث ملهوفًا، ويفك عانيًا، ويعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزًا، ويهدي ضالًا، ويقيل العثرات، ويستر العورات، ويمحو السيئات، ويغفر الزلات، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويجيب السائلين، ويعطي الطالبين، ولا يُشغله شأن عن شأن، حيٌ قيومٌ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩] .

فلا إله إلا هو، ولا رب سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو الملك العزيز القادر على كل شيء، يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦] .

والسماوات السبع في كفه جل جلاله كخردله في كف بشر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

هو سبحانه الخالق، وكل ما سواه مخلوق، هو الكبير وكل ما سواه صغير، هو القوي وكل ما سواه ضعيف، هو القادر وكل ما سواه عاجز، هو العزيز وكل ما سواه ذليل، هو الملك وكل ما سواه عبدٌ له، هو الغني وكل ما سواه فقير إليه، هو القهار وكل ما سواه مقهورٌ له، هو الحاكم وكل ما سواه محكوم، هو العلي الأعلى وكل ما سواه دونه، هو الحي وكل ما سواه يموت: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

كل شيء خاضعٌ لأمره جل جلاله، وكل شيء مستجيبٌ لمشيئته، ومسرعٌ إلى إرادته، وكل شيء خاشعٌ له، وكل شيء متصاغرٌ لكبريائه، وذليلٌ لعزته: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤] .

الله جل جلاله هو الملك الحق، الذي له الملك كله، في الكون كله .

فله وحده ملك السماوات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن، وله ملك خزائن السماوات والأرض، وله ملك جنود السماوات والأرض، وله مُلك غيب السماوات والأرض، وله ملك مقاليد السماوات والأرض، وله ملك ميراث السماوات والأرض، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا وملك الآخرة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

والرب الذي بيده الملك هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .
من الفرش إلى العرش مِلكٌ لله ﷻ، من الذرة إلى المجرة ملكٌ لله ﷻ، من القطرة إلى البحار والمحيطات ملكٌ لله ﷻ، من النملة إلى أعظم مخلوق ملكٌ لله ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته لأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

الله جل جلاله أحق من ذُكِر، وأحق من عُبِد، وأحق من حُمِد، وأولى من شُكر، وأجود من سُئل، وانصر من ابتغي، وأرأف من مَلك، وأرحم من رحم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

هو سبحانه الملك العزيز الرحمن الرحيم، يُطاع فيَشكر، ويُعصى فيغفِر، لن يطاع إلا بإذنه وعونه، ولن يعصَ إلا بعلمه وحكمته، لا يحُاط بملكه، ولا تحُصى نعمه، ولا تُعد كلماته، ولا يحُاط بصفاته: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

فمن عرف الله حقًا جاء في قلبه اليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فعبدَ الله كأنه يراه بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

هو جل جلاله الفعّال، وكل ما سواه مفعول ليس بيده شيء، كل مخلوقٍ كالإناء الفارغ ليس بيده شيء، وليس عنده شيء، وكل مخلوق كالصورة التي لا روح فيها، وكل مخلوق لا يفعل إلا بأمر الله وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢].

فالمخلوقات كلها صور نراها، وأمر الله فيها لا نراه، فنحن نرى المخلوق، ولا نرى الخالق، ونرى الصور، ولا نرى المصوّر، ونرى الرزق، ولا نرى الرزاق، فالإيمان تصديق الخبر، وتكذيب النظر، ونفيُ المشاهدات، وتصديق الغيبيات: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

فالمخلوقات جميعًا إذا كان فيها أمر الله تفعل، وإذا خلا منها أمر الله لا تفعل، فالشجر الذي تخرج منه الثمرات بإذن الله، إذا خلا منه أمر الله مات وعاد حطبًا، والإنسان الحي يسمع ويبصر، ويتكلم، ويتحرك، ويأكل ويشرب، فإذا خلا منه أمر الله مات، وصار جثةً هامدةً تُدفن في الأرض: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

هو جل جلاله الملك، وملائكته في ملكوته ما بين مدبرٍ للأمر في ملكه، ونازلٍ بالأمر من عنده، وصاعدٍ بالأمر إليه، فكلهم قائمون بأمره: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: ٦].

والملائكة في جميع أحوالهم عابدون لربهم:﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

ما شاء الله كان، في الوقت الذي شاء، على الوجه الذي شاء، بالقدر الذي شاء، في العالم العلوي، والعالم السفلي، من غير زيادة ولا نقصان، ولا

تقديم ولا تأخير: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس: ٨٢ – ٨٣].

وأوامره الكونية نافذة في السماوات السبع وأقطارها، وفي الأراضين السبع وما عليها وما تحتها، وفي البر والجو، وفي البحار والأنهار، وفي السهول والجبال، وفي الذرات والمجرات، وسائر أجزاء العالم، يقلّبها الله ويصرّفها، ويحركها ويسكّنها، ويُحدِث فيها ما شاء بحكمةٍ بالغةٍ، وقدرةٍ نافذةٍ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[الملك:١- ٢].

هو سبحانه الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، الملك الذي كل شيء مُلكُه، النافذ أمره في جميع مُلكِه، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، البصير الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه شيء، العلي فوق كل شيء، العظيم الذي لا نهاية لعظمته: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة: ٢٥٥].

وأوامره الشرعية أنزلها على عباده رحمة بهم على مر الدهور والأزمان، أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله، ليعرفَ الناس ربهم، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾﴾[الحديد: ٩].

وختم رسالاته لأهل الأرض بالدين الكامل الذي جاء به محمد ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: ٣].

وجعل هذه الأمة خير أمةٍ أخرجت للناس إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]

هو الرب العظيم، والإله الرحيم، الذي تفرَّد بالربوبية، والالوهية، والوحدانية، والقيومية، وجميع المخلوقات مفتقرة إليه في إيجادها وبقائها، وفي أرزاقها وأقواتها، وفي حياتها وفنائها، هو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

وكل مخلوقاته مُلكُه، وكلهم عبيده، وكلهم في قبضته، وتحت تصرفه، وقهره وسلطانه في كل حين: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

فلا إله إلا الله، ما أعظم سلطانه وقدرته: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

هو السميع البصير بكل شيء، هو السميع الذي يسمع القريب والبعيد، والسر والعلن، والجهر والخفوت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو البصير الذي أحاط بصره بجميع مخلوقاته، يبصر الذرات كما يبصر المجرات، ويبصر الغائب كما يبصر الشاهد، ويرى ما في الظلمات كما يرى ما في النور: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

ويرى سبحانه ما تحت الأراضين السبع، كما يرى ما فوق السماوات السبع، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، ويرى جريان المياه في أوراق النباتات وعروقها وأوراقها، على اختلاف أنواعها وأحجامها ومكانها، ويرى سبحانه في آنٍ واحدٍ جريان الدم في عروق النمل، والنحل، والبعوض، والحيوانات، والطيور، والذرات، والحشرات: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦ ﴾[آل عمران: ٥ – ٦]

هو سبحانه البصير العليم الخبير؛ الذي يرى ويعلم خائنة الأعين، وتقلّبات الأجفان، وحركات الجَنان، ومُضمَرات القلوب: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾[غافر: ١٩].

هو السميع؛ الذي لكمال سمعه يسمع جميع المخلوقات، الناطق والصامت، والقريب والبعيد، والشاهد والغائب، ويسمع في وقت واحد ضجيج الأصوات، بمختلف اللغات، على تفنن الحاجات: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[الشورى: ١١] .

هو السميع الذي أحاط سمعه بجميع المخلوقات، على اختلاف أنواعها وحاجاتها ، لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ، ولا يشغله صوتٌ عن صوتٍ، ولا يغيب عنه صوت، ولا يخفى عليه صوت دبيب النملة، أو حركة الذرة، أو ذبذبات الصخور في بطون الجبال، أو أعماق البحار: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ [الرعد: ١٠]

الغيبُ عنده شهادة، والسرَّ عنده علانية، وكل مخلوقاته بين يديه أصغر من الذرة هو السميع الذي يسمع السر وأخفى من السر، هو العليم بكل شيء،

البصير بكل شيء: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[سبأ: ٢].

هو سبحانه الرب العظيم العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء.

فسبحان الرب العليم بكل ما يجري في عالم الغيب والشهادة: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩].

هو العليم بكل ذرة، العليم الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس: ٦١].

هو الرب العظيم الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء علمًا ورحمةً وعدلًا: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر: ٧].

ولكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق، وما خلفهم، ويعلم ماضيهم، وحاضرهم، ومستقبلهم، وعلمه لا يعتريه نسيان، ولم يسبقه جهل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥].

هو العليم الذي يعلم ما في البواطن، كما يعلم ما في الظواهر، ويعلم الجزئيات كما يعلم الكليات، ويعلم دقائق الأمور كما يعلم كبيرها، ويعلم

الأسرار كما يعلم العلن: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤]

هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، السميع البصير، العليم الخبير بكل شيء، يعلم وحده مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد أوراق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، وعدد ما أظلم عليه الليل، وعدد ما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، حيٌّ قيومٌ، عليمٌ قادرٌ، قائمٌ على كل نفس، رقيبٌ على كل ذرة، شهيدٌ لكل حركة، يدبر شؤون خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي، على مر الدهور والأزمان، وفق حكمةٍ بالغةٍ، وإرادةٍ نافذةٍ، وقدرةٍ مطلقةٍ، فله وحده الملك العظيم، والتدبير الحكيم، والقدرة التامة، والمشيئة النافذة، والعلم المحيط بما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا علمه الواسع، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو العلي الأعلى المتعال، العلي الذي لا تُدرَك ذاته، ولا تتصور صفاته، فسبحان من لا يُدرِك ذاته إلا ذاته، ولا يحيط أحدٌ من خلقه بصفةٍ من صفاته: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه العلي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله على سائر مخلوقاته، لا يزيده تعظيم العباد له علوًا، لأنه الغني عنهم، وهم الفقراء إليه، ولا تنفعه طاعاتهم، ولا تضره معاصيهم، فهو جل جلاله العلي الأعلى، الذي تعالى عن الأضداد والأنداد، وتعالى عن الشبيه والمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو سبحانه القوي المتين، القادر القدير المقتدر، القاهر القهار، العزيز الجبار، الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجَع الأمر كله، وله الثناء كله، وله المجد كله، وله النعمة والفضل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

وسع علمه كل شيء، وأحاطت قدرته بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته كل حي، وأحاط بصره بكل شيء، وأحاط سمعه بكل شيء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]

فسبحان الرب العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، وجميع مخلوقاته في قبضته، وطوع إرادته، وكلها تشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته، وتذعن لأمره: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١].

هو سبحانه الرحمن الرحيم، البَر الكريم المحسن، اللطيف الحليم الغفور، الرفيق الرؤوف التواب، المعطي الوهاب، القدوس السلام ، الذي تفرّد بالأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والنعوت الحميدة،

وأحب عباده إليه من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

هو الشكور الشاكر الذي يرضى بالقليل من العمل، ويعطي عليه العظيم من الأجر، ويعفو عن الكثير من الزلل: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

هو سبحانه الغني الرزاق، الكريم الأكرم الوهاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات: ٥٨].

فهو الغني الذي يملك خزائن كل شيء، الرزاق الذي تكفَّل برزق كل حي ما يحفظ له حياته، يرزق بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلّة الأسباب، وبكثرة الأسباب، يوصِّل لكل مخلوق رزقه كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود: ٦].

هو الرزاق الذي جميع المخلوقات تأكل من رزقه، فكل مخلوق يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويسعد بكرمه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].

وهو الوهاب الواهب لكل نعمة، الكريم الذي يهب العطاء دون عِوض، ويعطي النعم دون سؤال، ويهب ما شاء، لمن شاء، بقدر ما يشاء، في اي وقت يشاء: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران: ٨].

وهو الكريم الأكرم الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، وأهل الدنيا والآخرة، ومن في عالم الغيب وعالم الشهادة، والسائل والساكت، والمؤمن

والكافر، والبر والفاجر، فما بالعباد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، فلا يخلو مخلوق من إنعامه وإحسانه طرفة عين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

فلا إله إلا الله الكريم الوهاب الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، مع كثرة العطاء والإنفاق على مر الدهور والأزمان: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

هو الكريم المحسن من جميع الوجوه والاعتبارات، فكما أنه الكريم الجواد بإعطاء الخيرات والبركات، والمواهب والهبات، هو الكريم المحسن الذي يجود بالحلم على العاصين، والستر على المخالفين، والصبر على المحاربين له ولرسله ولدينه ولأوليائه، والعفو عن المذنبين: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

هو سبحانه المُقيت الذي يعطي القوت لكل مخلوق حيث كان، وهو الرب اللطيف الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا والخبايا، والبواطن والأسرار، وما أكنّته الصدور، وأدرك ما في الأرض من خبايا البذور، ولطف بأوليائه، فيسرهم لليسرى، وجنَّبهم العسرى، وسهّل لهم سبل مرضاته، وحفظهم من كل وسيلة توصل إلى سخطه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣]

وهو سبحانه الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وجمال جميع المخلوقات من آثار جماله، فكل جميل هو الذي جمّله، وجميع مخلوقاته

في العالم العلوي والعالم السفلي في منتهى الحسن والجمال :﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾[المؤمنون: ١٤].

وهو سبحانه القريب المجيب الشهيد، الذي يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ويتوب على من تاب إليه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الخالق الذي خلق كل شيء، البارئ الذي أعطى كل شيء ما يناسبه؛ من الخلق والإبداع، والتكوين والمقدار، وفق حكمته وإرادته ومشيئته.

وهو المصور الذي صور كل مخلوق، وخصّه بصورة تميزه عن غيره من المخلوقات في الشكل والحجم واللون:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٤]

والكل يسبح بحمد ربه، ويشير إلى خالقه ويشهد له بالوحدانية: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾[الجمعة: ١].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُوحَّد فلا يُشرك به شيئًا، ويُعبد وحده لا شريك له:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢]

وهو سبحانه الحسيب ذو الشرف والعز والمجد، المحاسِب الذي يحاسب عباده، ثم يجازيهم بأعمالهم، الحسيب الذي يكفي عباده كل ما يحتاجونه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٤٧ [.

وهو الهادي المبين، الذي يُرشد الضالين إلى الهدى، ويُبين الحق من الباطل، بما أنزل من كتبه، وأرسل من رسله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾

[المائدة: ١٥ – ١٦[.

وهو الحكيم الحكم الذي له الحُكم في كل شيء، الذي يحكم بين عباده بالحق والعدل، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها:﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[الأنعام:٨٣].

فسبحان الملك القدوس السلام، القدوس المُقدَّس عن كل عيبٍ ونقصٍ وظلم، المقدَّس المعظَّم المنزَّه عن الندِّ والمُثل، وعن الكفء والشبيه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

هو سبحانه الفتاح الذي فتح بأحكامه القدرية والشرعية والجزائية؛ فأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وسن لعباده الأحكام والوسائل التي يهتدون بها إلي منافعهم في الدنيا والآخرة، هو وحده الفتاح الذي يفتح لعباده أبواب الرحمات والبركات، والخيرات والعطيات: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر: ٢]

وهو سبحانه النور الذي نوَّر السماوات والأرض، وبنوره استنارت قلوب المؤمنين، وبنوره استنارت جنات النعيم، وبنوره استنارت قلوب العارفين، وكل نور في العالم فمن آثار نوره:

قال النبي ﷺ : «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم (١).

كل شيءٍ من مخلوقاته دالٌ عليه، وكل شيءٍ تراه مرشدٌ إليه، أسماؤه الحسنى كلها أسماء مدحٍ وتمجيدٍ، وثناءٍ وتحميدٍ، وصفاته العلى كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال وجمال، وأفعاله كلها حكمةٌ ورحمةٌ، وعدلٌ وإحسانٌ: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر:٦٥].

وإذا عرف المؤمن حقيقة الإيمان بالله ﷻ؛ أحب ربه وكبره، وحمده وشكره، وخافه ورجاه، واشتاقت نفسه لطاعته، وعبادته، ومناجاته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

٥- أركان العبودية لله ﷻ

تحقيق العبودية لله ﷻ يكون بعد معرفة الربوبية.

فالعبودية الكاملة لله ﷻ تقوم على أصلين عظيمين:

الاول : النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله بنفسه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾]غافر: ٦٥ - ٦٦[.

الثاني: إثبات الربوبية والألوهية والعبودية لله وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

والعبودية الكاملة لله ﷻ تقوم على خمسة أركان:

الأول : معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعبادته وحده بموجب هذه المعرفة، ونفي فعل كل ما سواه بنفسه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

الثاني: تعظيم الله وتكبيره، لأن من عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، وعرف عظمة ملكه وسلطانه؛ كبره وعظمه ومجده: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١].

الثالث :محبة الله ﷻ ، فمن عرف الله بصفات جلاله وجماله وكماله، وعرف عظمة نعمه وإحسانه، وكمال رحمته ولطفه بعباده؛ امتلأ قلبه بمحبته، وحمدِه وشكره ، ومن أحبه أطاعه، ولم يخالف أمره: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ

مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢]

الرابع: طاعة الله ﷻ، فمن عرف الله حقًا؛ أحبه ومجده، وخافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه، فكل محب لمن يحب مطيع: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

الخامس: الدعوة إلى الله جل جلاله:

فمن عرف الله حقًا كبره حقًا، وأحبه حقًا، وحمده حقًا، وأطاعه حقًا، ودعا الناس إليه، ليستفيدوا من خزائنه بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

فهذه الأمة عليها واجبان: الاستقامة على الدين، والدعوة إلى الله، كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

فعلى كل مسلم ومسلمة واجبان عظيمان:

الأول: معرفة الرب الذي يعبد: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني: تعريف الناس بالرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الأول: فقه الإيمان وفضائله، ودرجاته وأركانه، ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية:	**٢٣**
١- مراتب دين الإسلام	٢٤
٢- فقه الإيمان	٢٨
٣- فضائل الإيمان	٣٨
٤- درجات الإيمان	٤١
٥- عدد أركان الإيمان	٤٤
٦- تفاضل أهل الإيمان	٤٧
٧- حقيقة الإيمان	٥٣
٨- أقسام الإيمان	٥٤
٩- شعب الإيمان	٥٦
١٠- كمال الإيمان	٥٨

الباب الثاني: فقه الإيمان بالله عز وجل، ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية:. ٥٩

١- وجوب معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله ٦٠

٢- وجوب معرفة عظمة صفات جلال الرب ٧٩

٣- وجوب معرفة عظمة صفات جمال الرب ٨٢

٤- وجوب معرفة عظمة ملك الله وسلطانه..... ٨٥

٥- وجوب معرفة عظمة نعم الله وإحسانه..... ٩٣

٦- وجوب محبة الله وعبادته وحده لا شريك له ٩٨

الباب الثالث: أركان الإيمان بالله عز وجل،ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية: ١٠٥

اركان الإيمان بالله عز وجل..... ١٠٦

الإيمان بالله عز وجل له خمسة أركان: ١٠٨

١- الإيمان بوجود الله جلّ جلاله..... ١٠٨

٢- الإيمان بوحدانية الله جلّ جلاله..... ١١١

٣- الإيمان بربوبية الله عز وجل..... ١١٣

٤- الإيمان بألوهية الله جل جلاله..... ١٢٢

٥- الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله..... ١٢٦

الباب الرابع: الأسباب المعينة على زيادة الإيمان بالله ﷻ ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية: ١٣١

١- العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله..... ١٣٢

٢- إدامة النظر والتفكر في آيات الله الكونية ١٣٤

٣- إدامة النظر والتدبر للآيات القرآنية..... ١٣٩

٤- استدامة تذكر أحوال اليوم الآخر..... ١٤٢

٥- االاستكثار من أنواع الطاعات..... ١٤٣

٦- النظر والتفكر في حياة الأنبياء والرسل..... ١٤٥

٧- كيف يزيد الإيمان بالله في قلوبنا ١٤٧

الباب الخامس: الإيمان بالله: علاماته، وواجباته، وثوابه، ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية: ١٦١

١- علامات الإيمان بالله عز وجل ١٦٢

٢- وظائف أهل الإيمان..... ١٧٢

٣- جزاء أهل الإيمان..... ١٧٦

٤- علامات ضعف الإيمان..... ١٨٠

الباب السادس: أركان الإيمان، ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية:..... ٢٠١

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ : ٢٠٢

القسم الأول ويشتمل على ما يلي:..... ٢٠٢

١.أركان الإيمان..... ٢٠٣

٢.فقه الإيمان بالله عز وجل..... ٢١٣

٣.عظمة الإيمان بالله جل جلاله ٢٢٦

٤.وجوب الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل..... ٢٣٨

٥.حكمة خلق المخلوقات ٢٥٢

٦.فقه الإيمان بالله وأسمائه وصفاته..... ٢٦٢

٧.فقه أسماء الله الحسنى..... ٢٧٣

٨. معرفة الله أعظم أبواب التوحيد والإيمان..... ٢٨٧

٩. غذاء القلوب بمعرفة الله ﷻ..... ٣٠٢

١٠. فقه عظمة الله ﷻ..... ٣١٣

القسم الثاني ويشتمل على ما يلي:..... ٣٢٥

١.مقتضيات الإيمان بالله عز وجل ٣٢٦

٢.أصل الإيمان بمعرفة الله عز وجل ٣٤٠
٣.من عرف الله حقا آمن به حقا ٣٥١
٤.أقسام أسماء الله الحسنى ٣٦٢
٥.فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله ٣٧٢
٦.معرفة الله أعظم سبب لإيمان بالله ٣٨٤
٧.فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله ٣٩٤
٨.معرفة الله أعظم أبواب الإيمان بالله وحده ٤٠٤
٩.طرق الإيمان بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ٤١٦
١٠. فقه أسماء الله وصفاته وأفعاله..... ٤٢٨
القسم الثالث، ويشتمل على ما يلي: ٤٤٣
١. أقسام أسماء الله وصفاته وأفعاله..... ٤٤٤
٢. قواعد إثبات أسماء الله الحسنى..... ٤٥٤
٣. فقه الإيمان بالله عز وجل ٤٦٨
٤. الإيمان بين معرفة الرب، ومعرفة العبد..... ٤٧٩
٥. التدبر والتفكر يزيد الإيمان بالله عز وجل ٤٩١
٦. معرفة الربوبية طريق العبودية..... ٥٠٤

٧. أصل الإيمان معرفة الله عز وجل..... ٥١٧
٨. أصل الإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ٥٢٦
٩. فقه زيادة الإيمان بالله عز وجل..... ٥٣٨
١٠. كيف يزيد الإيمان بالله في قلوبنا.. ..... ٥٤٦
الركن الثاني: الإيمان بالملائكة ، ويشتمل على ما يلي:..... ٥٥٥
١. فقه الإيمان بالملائكة..... ٥٥٦
٢. صفات وخصائص الملائكة..... ٥٦٢
٣. صفات خلق الملائكة. ٥٦٥
٤. أصناف الملائكة ٥٧٤
٥. عظمة خلق الملائكة. ٥٨١
٦. وظائف الملائكة..... ٥٩٢
٧. ثمرات الإيمان بالملائكة..... ٦٠٠
الركن الثالث: الإيمان بالكتب ، ويشتمل على ما يلي:..... ٦٠٣
١. فقه الإيمان بالكتب..... ٦٠٤
٢. القرآن العظيم أحسن الكتب..... ٦١٣
٣. فضائل القرآن العظيم..... ٦٢٣

٤. فقه الإيمان بالكتب الإلهية. ٦٣٣

الركن الرابع: الإيمان بالرسل ، ويشتمل على ما يلي: ٦٤٥

١. فقه الإيمان بالأنبياء والرسل..... ٦٤٦

٢. خصائص الأنبياء والرسل... ..... ٦٥٦

٣. وظيفة الأنبياء والرسل..... ٦٦١

٤. دين الله واحد..... ٦٦٧

٥. فضائل هذه الأمة..... ٦٧٧

٦. الفرق بين النبي والرسول..... ٦٨٨

٧. حقوق النبي ﷺ على أمته.. ..... ٦٩٧

٨ فضائل سيد الأنبياء والرسل... ..... ٧٠٣

٩. وظائف وخصائص الأنبياء والرسل..... ٧٠٦

١٠. أصول حياة الأنبياء والرسل..... ٧١٦

١١. أركان الإيمان بالرسل..... ٧٢٠

١٢. عصمة الأنبياء والرسل..... ٧٢٩

١٣. حاجة الناس إلى بعثة الأنبياء وإرسال الرسل..... ٧٣٧

١٤. فقه الإيمان بالرسول ﷺ. ٧٤٨

١٥. فقه تربية الأنبياء والرسل..... ٧٥٧
الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:..... ٧٦٩
القسم الأول ويشتمل على ما يلي:..... ٧٦٩
١. فقه الإيمان باليوم الآخر..... ٧٧٠
٢. ثمرات الإيمان باليوم الآخر..... ٧٨١
٣. حقيقة الإيمان باليوم الآخر..... ٧٨٧
٤. مشاهد اليوم الآخر: ويشتمل على ما يلي: ٧٩٦
١.المشهد الأول: فتنة القبر، وأنواع عذاب القبر ٧٩٦
٢. المشهد الثاني: أشراط الساعة ٨٠٠
٣. المشهد الثالث: النفخ في الصور والبعث والحشر ٨١٠
٤. المشهد الرابع: مشاهد اليوم الآخر: ويشتمل على ما يلي:..... ٨١٧
١. حساب الخلائق يوم القيامة..... ٨١٧
٢. الحوض والصراط..... ٧٢٩
٣. مقدار يوم القيامة..... ٨٣٢
٥. المشهد الخامس: دار القرار في الجنة والنار ٨٣٧
القسم الثاني ويشتمل على ما يلي:.. ..... ٨٣٩

١. صفة الجنة..... ٨٤٠
٢. صفة النار..... ٨٧١
٣. فقه الإيمان باليوم الآخر..... ٩٠٠
٤. براهين البعث..... ٩١٤
٥. آثار الإيمان باليوم الآخر..... ٩١٧
الركن السادس: الإيمان بالقدر ، ويشتمل على ما يلي: ٩٢١
١. فقه الإيمان بالقضاء والقدر..... ٩٢٢
٢. حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر..... ٩٢٦
٣. درجات الإيمان بالقضاء والقدر..... ٩٤٣
٤. فقه أحكام القدر..... ٩٥٢
٥. حكم فعل الأسباب ٩٥٩
٦. فقه أوامر الله عز وجل..... ٩٦٥
٧. أقسام أوامر الله عز وجل..... ٩٦٨
٨. فضل الله وعدله..... ٩٨٠
٩. هل الإنسان مخير أم مسير..... ٩٩٠
١٠. ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ١٠٢٣

١١. ثمرات الإيمان بأركان الإيمان ١٠٢٧

الباب السابع: فقــه التوحـيد، ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية:..... ١٠٢٩

الأول: أنواع الكفر..... ١٠٣٠

الثاني: أنواع النفاق ١٠٣٥

الثالث: أقسام الشرك..... ١٠٤٢

الرابع: وسائل الشرك ١٠٥٠

الخامس: الأمور التي تنافي كمال التوحيد ١٠٥٥

السادس: نواقض التوحيد..... ١٠٦٢

السابع: أقسام التوحيد..... ١٠٧٣

الثامن: سر العبودية..... ١٠٨٠

التاسع: الفرق بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية..... ١٠٨٢

العاشر: ثمرات التوحيد..... ١٠٨٦

الحادي عشر: آثار التوحيد..... ١٠٩٦

الثاني عشر: فضائل التوحيد ١١٠١

الثالث عشر: فقه الدعوة إلى التوحيد..... ١١١٣

الباب الثامن: فقه اليقين على شهادة " أن لا إله إلا الله"، ويشتمل هذا الباب على المباحث الآتية: ١١٢١

١.الأول: بيان عظمة كلمة التوحيد"لا إله إلا الله"..... ١١٢٢

٢.الثاني: حقيقة" لا إله إلا الله"..... ١١٢٤

٣.الثالث: حقيقة المخلوق ١١٣٢

٤.الرابع: كيف تستقر حقيقة" لا إله إلا الله" في القلب ١١٣٩

٥.الخامس: أركان العبودية..... ١١٥٧

فهرس الموضوعات ١١٥٩